

مكتبة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين
فرع الكتاب والسنة

محمد الحضر الله
شكر

مهاد البرية

شرو



٣٠١٠٢٠٠٠٠٠٠١٢٨٣

دكتور
مسعد عبد المعطي النبراوي

تذليل القرائن الحكيمة إلى الترف والمترفين

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير

إعداد الطالبة

٣٣٧٨

مرعم محمود حسن صالح

إشراف فضيلة الدكتور

مسعد عبد المعطي النبراوي

الأستاذ بكلية الشريعة بجامعة أم القرى

١٤٠٧ - ١٤٠٦ هـ

١٩٨٧ - ١٩٨٦ م



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

» وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا
فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَرْنَاهَا تَدْمِيرًا .

صَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمَ

الإهداء

إلى فقيدى الغالي الذى خرس فى نفوس أبنائنا حب
العلم ، والدرى سقى الله ثراه صبيب الرحمة ، وأفاض علينا
سبحان الله حسنا والنعمة .

إلى ولادتي قرّة عيني ففعلني الله برضاها ودعائها ووفقها
للطاعات وعمل الصالحات عاجياها .

إلى زوجي والأطفاى فلذات كبرى ورفقاء دري .

إلى كل نفس سامة وانت لله تعالى بالعبودية وشهدت
لها بالوحدانية .

أهدى عملي المتواضع

مريم محمود حسن صالح

(ب)

"شكر وتقدير"
—————

ان الحمد لله نحمده ونستعينه ، ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور
أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا
هادي له ، وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا
عبده ورسوله وبعد . .

في البداية أشكر الله تعالى الذي أمدني بالعافية ، ووفقني لمواصلة
الدراسة وأعانني على تحمل أعباء البيت ومسئولياته والتوفيق بينها وبين
النهوض بمسئولية الدراسة .

كما يسرني أن أشكر أسرة جامعة أم القرى على الخدمات الجليلة التي
تقوم بها للعلم وطلابه وعلى ما تمدهم به من رعاية الأبوة وحنان الأمومة
بحيث تشعرهم أنهم في محض دافئ يوفر لهم الطمأنينة .

كما انني اتقدم بالشكر الجزيل والعرفان بالجميل لزوجي الذي مكنتني
من مواصلة تعليمي وصبر على تقصيري طيلة أيام الدراسة ، وأمدني بكافة
المساعدات المادية ، والأدبية .

كما انني أقوم بالشكر والعرفان والاحسان والاكبار ، للحبر البحر فضيلة
(الدكتور مسعد النبراوي) المشرف على هذه الرسالة ، والذي أمدني
من علمه الوفير الكثير والذي منحني من وقته وجهده الكثير الكثير رغم كثرة
مشغوليته ، وعظيم مسؤولياته ، أسأل الله تعالى أن يسبغ عليه نعممة
الصحة ، والعافية على ما أوتي من رحابة في العلم ، ورحابة في الصدر
لا تعرف الملل ، ولا يتسرب إليها السأم ، زاده الله كرماً على كرم ، ونفع
بعلمه الاسلام والمسلمين .

وأداه للواجب أتقدم بالشكر الجزيل إلى فضيلة (الدكتور محمد
حسن الشلبي) الذي أولى الرسالة رعايته فقام بقراءتها ومراجعتها
ولم يبخل عليّ بنصح ، أو مشورة في أية ساعة من ليل أو نهار ،

(ج)

كما يجب عليّ أن أشكر الأخت (نبيلة فخرى الأغا) الطالبة بالدراسات
العليا الشرعية على ما أمدتني به من مراجع تفيد البحث .

ولا يفوتني أن أتقدم بوافر الشكر والعرفان بالجميل إلى كل من أسهم
في هذه الرسالة ولو بأدنى جهد حتى الكلمة الطيبة والابتسامة الحانية
التي تشد الأزر وتقوي العزيمة ، داعية الله تعالى بقلب مخلص أن يجزى
الجميع بخير ما يجزى به عباده الصالحين ، فتوسلي اليه أن يكافئهم
هو العزاء الوحيد لي، إذ أنني معترفة بعجزى التام عن ذلك .

والله حسبي عليه و توكلت واليه مآب .

~~~~~

” بسم الله الرحمن الرحيم ”

” المقدمة ”

الحمد لله الذى له ملك السموات والأرض وما بينهما واليه المصير، خلق الإنسان واستخلفه فى الأرض واستعمره فيها ، وسخر له ما فى السموات وما فى الأرض جميعا منه ، تلك الخلافة التى تقتضى أن يقوم الخليفة بالعمران على وفق منهج من استخلفه ، وأن يتقيد فى استفادته مما سخر له بحكم الله وشرعه ، والخلافة تعنى أن يقف الخليفة مسئولا امام من استخلفه .

والصلاة والسلام على من بعثه الله رحمة للعالمين بشيرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا ، وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه واقتفى أثره إلى يوم الدين .

وبعد . . . . .

فقد هيا الله تبارك وتعالى لي أن ألتحق بقسم الدراسات العليا بجامعة أم القرى بمكة المكرمة ، وقلبت الفكر لاختيار موضوع اتناوله بالبحث يكون فيه نفع لى وللمسلمين وخدمة للاسلام .

ومن واقع ما يعاينه المجتمع الاسلامى فى وقتنا الحاضر ، رأيت داء - انتشر فى جسد المجتمع الاسلامى ، ألا وهو الترف ، فعرضته على استاذى الفاضل ، وبدأنا البحث فى آيات القرآن الكريم التى تناولت هذا الموضوع واخترنا للموضوع عنوان ( نظرة القرآن الكريم الى الترف والمترفين ) وقد دفعنى لاختيار هذا الموضوع اسباب متعددة .

السبب الأول :-

ما أجد ه من علاقة وطيدة بين انهيار الأمم، والمجتمعات وبين الترف الزائد فى الزمن الماضى والحاضر . ونقرأ فى كتاب الله العزيز الآيات الكثيرة الواردة بخصوص الترف و المترفين ، والتي تبين لنا أن أول من عادى الرسل وصد دعواتهم هم الطبقة المترفة المستكبرة ، وأنهم انكروا كل ما جاء به الرسل عليهم الصلاة والسلام . وقد بين الله سبحانه وتعالى عاقبة المترفين الصادين لدعوات الأنبياء فى غير موضع من القرآن الكريم .

وقد راعى ما اجده اليوم فى مجتمعاتنا الإسلامية من وجود طبقه فى كل مجتمع من هذا الصنف المترف الذى لاهم له الا الانغماس فى اللذات وانفاق المال الذى استخلفهم الله فيه فى ما يغضب الله ولا ينتفع به المسلمون ، اذ ان للترف علاقة وطيدة بالمال بل ان مصدر الترف هو المال الكثير الذى لا يحسن استخدامه ، فأغرقت هذه الطبقة من الناس نفسها فى اللذات وتركت أو نسيت مشاكل الأمة الاسلاميه ، بل انها أضحت مصدرا للخطر الذى يهدد مجتمعاتنا فتناها سنة الله بعقاب المترفين والراضين باحوالهم .

قال تعالى :

( وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً قَوْمًا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا )<sup>(١)</sup>

فعسى الله أن يرحمنا ويرشدنا إلى حسن التصرف فى ما استودعنا عندنا من مال .

” السبب الثانى ” :-

نظرة الإسلام إلى المال على أنه وسيلة للحياة ، ومعين على طاعة الله إن أحسن استخدامه ، فهو يدعو الناس إلى الكسب بقوله تعالى :

( وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا )<sup>(٢)</sup>

ويدعوهم إلى المحافظة على أموالهم بقوله تعالى :

( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَيْتُمْ بِدِينٍ إِلَىٰ آجَلٍ مَّسْمُومٍ فَكْتَبُوهُ )<sup>(٣)</sup>

وقوله تعالى :

( وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِإِلْطِافٍ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِإِثْمٍ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ )<sup>(٤)</sup>

وقال تعالى :

( وَلَا تَوْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُم الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا )<sup>(٥)</sup>

(٢) القصص (٧٧) .

(٤) البقرة (١٨٨) .

(١) الاسراء (١٦) .

(٣) البقرة (٢٨٢) .

(٥) النساء (٥) .

وينهى عن التبذير والإسراف بقوله تعالى :

" وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تَبْذُرْ تَبْذِيرًا . إِنَّ الْمُبْذِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا (١) .

كذلك يدعو المسلمين إلى تخصيص جزء من أموالهم للدفاع عن حوزة الاسلام

قال تعالى :

( وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ) (٢) .

ويدعوهم الى الإنفاق فى سبيل الله فوق ما أوجب عليهم من زكاة

أموالهم . قال تعالى :

( لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ ) (٣) .

وقال تعالى :

( قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا يَبِيعُ فِيهِ وَلَا يَخْلَىٰ ) (٤) .

(السبب الثالث):

سوء استغلال المسلمين لأموالهم وعدم تصرفهم التصرف الصحيح فى تنميتها مما عوق تقدّمهم الحضاري واحوجهم إلى الأمم الكافرة فعيشوا بمقدراتهم ، وحرصت على أن يبقوا متخلفين ، مع أنهم لو استغلوا ما بأيديهم من أموال ، وعقول فى تنمية موارد هم ، وزراعة أراضيهم ، وصنع أسلحتهم لكان لهم شأن عظيم يغيّر ما هم عليه الآن ، كما حدث ذلك لأسلافهم من قبل لما وعوا آيات الله فى المال وحسن استخدامه ، فمن العار على الأمة الاسلامية المعاصرة أن تعجز عن الانتفاع بمنابع ثروتها وقوتها .

(١) الاسراء ( ٢٦ و ٢٧ ) .

(٢) الانفال ( ٦٠ ) .

(٣) البقرة ( ١٧٧ ) .

(٤) ابراهيم ( ٣١ ) .



### السبب الرابع

ومن أسباب البحث أنى أرى أن كثيراً من المسلمين أصبح جُلُّ همهم تقليد الغرب في كل شيء فتخلى الكثير منهم عن العادات والتقاليد الأصيلة النابعة من ديننا الإسلامى الحنيف ، وأصبحوا يستوردون إلى جانب البضائع الضرورية وغير الضرورية عادات وتقاليد جديدة لا تعمل الا على هدم الشعوب ، وانحطاط الامم ، فأصبح المسلمون يقلدون الغرب فى : مأكله ، ومسكنه ، ومشربه ، ويتبارى الناس على اقتناء المفروشات والملابس الأوربية الباهظة الثمن والتي يعجز الأوربي نفسه عن إقتنائها ، بل إنها تصنع خصيصاً للأمم أمثالنا لتمتص أموالنا وثرواتنا ، وكأن هذا الحال الذى نحن فيه الآن هو الذى أخبر عنه النبى صلى الله عليه وسلم : فيما رواه البخارى بسنده : ( عن أبي سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : لَتَتَّبِعَنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ شِبْرًا شِبْرًا وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ صَبٍّ تَبِعْتُمُوهُمْ قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ : الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى ؟ قَالَ فَمَنْ (١) .؟؟ .

هذا وقد أسست هذا البحث على ثلاثة أبواب ، وخاتمة وفي كل باب عدة فصول ، وقد تضمن الباب الأول ثلاثة فصول واشتمل الباب الثانى على أربعة فصول ، والباب الثالث تحته أربعة فصول ، وفى كل فصل من فصول الأبواب الثلاثة عدة مباحث يرجع إليها فى فهرس البحث .

واننى أدعو الله العلى القدير أن يوفقنى بعون من عنده وأن يجنبنى الزلل ، وأسأله تعالى أن يكون عملي خالصاً لوجهه تعالى ، والله وحده هو المعين والهادى إلى سواء السبيل . وفوق كل ذي علم عليم .

(١) صحيح البخارى ١٥١/٨ باب قول النبى صلى الله عليه وسلم لتتبعن سنن من كان قبلكم . كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة .

# الباب الأول

الاعتدال في جمع المال وإنفاقه

ويتضمن ثلاثة فصول

الفصل الأول : مفهوم الترف والفرق بينه وبين الغنى

المحمود .

الفصل الثاني : احترام الإسلام للملكية .

الفصل الثالث : الوجوه المنوعة في إنفاق المال .

## " الفصل الأول "

" مفهوم الترف والفرق بينه وبين الغنى المحمود "

تعريف الترف :

( اجمعت القواميس على أن الترف هو اللين ، وسعة العيش ، والتنعم .  
والترفه : النعمة ، والطعام الطيب ، والتتريف : حسن الغذاء وَتَرَفَهُ أَهْلُهُ  
إذا نعموه بالطعام الطيب، والشئ يُخَصُّ به .

ويقال أَتَرَفْتُهُ النعمة : أى اطغته وأفسدته ومنه قوله تعالى : ( مَا  
أَتَرَفُوا فِيهِ ) أى ما نعموا .

وَتَرَفْتُهُ تتريفاً : أى أبطرته وأترف فلان أى أصر على البغي ، وسُمي  
المترف ( بالمتنعم ) المتوسع في ملاذ الدنيا وشهواتها ، وهو الذى قد  
أبطرته النعمة وسعة العيش .

وقد فسر قتادة المترف بالجبار فى قوله تعالى : ( أَمْ نَرَا مُتْرَفِيهَا ) أى  
جباريتها وقال غيره أولى الترفه أى رؤساءها وقادة الشرف فيها .

وقال ابن الأثير : الإرفاه : الإستكثار من الزينة والتنعم وأصله من  
الرفه وهو أن تَرِدَ الإِبِلُ كُلَّ يَوْمٍ وَمِنْهُ أُخِذَتِ الرِّفَاهِيَّةُ (١) .

يتضح لنا من تناول القواميس للترف والمترفين أَنَّ التَّرَفَ التَّوَسُّعَ فِى  
لِينِ الْعَيْشِ وَالتَّمَتُّعِ مِنَ الْأَنْعَامِ ، فَالتَّرَفُ إِذْنٌ هُوَ التَّوَسُّعُ الزَّائِدُ فِي الْإِنْفَاقِ  
عَلَى النَّفْسِ وَالْإِسْرَافِ فِي الاسْتِغْرَاقِ فِي اللَّذَائِدِ وَالشَّهَوَاتِ، وَالِاسْتِمْتَاعِ فِى  
الْمُبَاحَاتِ لَيْسَ مَقْصُودَ الشَّرْعِ، وَلَكِنْ الْإِسْلَامُ نَهَى عَنِ التَّبْذِيرِ .  
قال تعالى : ( وَلَا تُبْذِرْ تَبْذِيرًا ) (٢) .

وقد حارب الإسلام الترف لحكم كثيرة أهمها فى نظرى كى لا يكون

|                                        |                                                                   |
|----------------------------------------|-------------------------------------------------------------------|
| المعلم بطرس البستانى                   | (١) محيط المحيط ص ٧٠                                              |
| محمد مرتضى الزبيدى                     | تاج العروسى ٤٩/٦                                                  |
| ابن منظور                              | لسان العرب ٣٦٠/١٠                                                 |
| الفيروز آبادى                          | القاموس المحيط ١٢٤/٣                                              |
| احمد بن فارس بن زكريا - الطبعة الثانية | معجم مقاييس اللغة ٣٤٥/١                                           |
| محمد بن ابى بكر بن عبد القادر الرازى   | مختار الصحاح ص ٧٧ .                                               |
| محمد بن ابى بكر بن عبد القادر الرازى   | جامع الاصول ٤٨٧/٥ / كتاب الزهد / شرح الفاظ غريب الزاى طبعة اولى . |
|                                        | (٢) الاسراء (٢٦) .                                                |

دَوْلَةٌ بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ، وذلك يقيد المجتمع ككل باغلال شديدة ويؤدي السي  
إذلال الطبقات الفقيرة والمتوسطة ، وإخضاعها لرغبات الأغنياء المترفين  
ويضعف الدين ويعطل الجهاد في سبيل الله تعالى ومن أجل ذلك جعل  
الله أموال الفيء حقا لكافة المسلمين .

قال تعالى : ( مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي  
الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ  
وَمَا أَتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ  
الْعِقَابِ ) .<sup>(١)</sup>

نعم... إن الترف مصدر شر لصاحبه وللجماعة التي يعيش فيها، وإضاعة المال  
على اللذائذ والشهوات تصرف أهوج ومنكر لأنه إضاعة للمال وإهدار لحقوق  
الجماعة واتباعاً لخطوات الشياطين قال تعالى : ( إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ  
الشَّيْطَانِ ) وعلى أمة الاسلام أن تمنع ذلك وإلا عرضت نفسها للتهلكة بسببه  
ذلك لأن الترف كان وما يزال سبباً رئيسياً لهلاك الأمم على مدى التاريخ لأنه  
يؤدي إلى شيوع أمراض خبيثة تعم المجتمعات ، فهو يعوق عن الجهاد ، لأن  
المترف تعود التنعيم والاستغراق في الشهوات فأخسد السي الأرض ،

(١) أفاء : مصدر فاء يفيء إذا رجع : سمي به المال الآتي لرجوعه إلينا من  
الكفار من استعمال المصدر في اسم الفاعل لأنه راجع ، وسمي الفيء  
بذلك لأن الله تعالى خلق الدنيا وما فيها للمؤمنين للاستعانة على  
طاعته فمن خالفه فقد عصاه وسبيله الرد إلى من يطيعه .

والفيء مالٌ حصل من كفار بلا قتال وإيجاف خيلٍ وركاب كجزية وعُشر تجارةٍ  
وخراج وما جلو عنه خوفاً ومال مرتد قُتل أو مات وذمي مات بلا وارث ،  
وهو لكافة المسلمين .

(٢) دَوْلَةٌ : يعني كي لا يكون الفيء شيئاً ذا تداول بينهم أو كيلا يكون إمساكه  
تداولاً بينهم لا يخرجونه إلى الفقراء ، أي كي لا يستأثر به الاغنياء دون  
الفقراء كفعل الجاهلية .

(١) تحفة المحتاج بشرح المنهاج ١٢٨/٧ كتاب قسم الفيء والغنيمه لابن حجر  
الهيثمي ومغنى المحتاج إلى معرفة الفاظ المنهاج ٢/٣ كتاب قسم الفيء  
والغنيمه - الشريبي الخطيب وحاشية ابن عابدين ١٣٧/٤ .  
(٢) و(٣) الحشر (٧) وتفسير دولة من كتب أبي السعود ٢٢٨/٨ وفتح القدير

والجهاد يعطله عن ذلك ، وقد ذم الله سبحانه وتعالى أمثال هؤلاء بقوله تعالى : ( قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا ، وَمَسَلِكُنَّ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ )<sup>(١)</sup> . ومعنى تربصوا : اى انتظروا هلاككم ودماركم ، من حيث ظننتم أن السلامة والعافية فيه ، وقد سماهم الله فاسقين ، وإن من قوانينه وسننه أنه لا يهدي القوم الفاسقين ، فالمترفون المؤثرون لذائذهم على ما يحبه الله ورسوله والجهاد في سبيله فاسقون فهم غير مهديين .

وحب الدنيا يعنى المترفين عن وجه الحق والصواب فيعمد الفسرد المترف الذى تعود على التبذير، والاسراف فى الانفاق على لذائذها التى جمع الاموال بكافة الطرق المشروعة وغير المشروعة ، فالمترفون حريصون على حياتهم الرخوة ، والدين يحد دلهم سبل المتاع المباح ، قال تعالى : ( قُلْ مَتَعَ الدُّنْيَا قَلِيلًا وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَى )<sup>(٢)</sup> .

وليس معنى كلامي أن الإسلام يمنع الإنسان من الاستمتاع بما لذ وطاب من مباح الحياة الدنيا ، بل إنه يهذب النفوس ويسمو بها عن التنافس فى الشهوات أو إعطائها كل حظوظها ، بل جعل الفعل الأسمى هو التنافس فى الخيرات وليستكشف به من أخذ نعم الله بحقها ، وانفق ماله فيه فى مرضاته ومن مال الى لذائذ نفسه فأهلكها فى الترف والاسراف .

روى البخاري عن ابن عباس رضى الله عنهما قال :  
( كُلُّ مَا شِئْتَ وَالْبَسُ مَا شِئْتَ مَا خَطِئْتِكَ آثِنَانِ : سَرَفٌ أَوْ مَخِيلَةٌ )<sup>(٣)</sup> .  
قال العيني : ومعناه : كل ما شئت من الحلال والبس ما شئت من الحلال مالم يوقعك فى الخطأ آثنتان . والخطأ الإثم ، والسرف صرف الشئ زائداً على ما ينبغى ، والمخيلة الكبر ، وهذا الحديث جامع لفضائل تدبير الانسان نفسه وفيه تدبير مصالح النفس والجسد فى الدنيا والآخرة فإن السرف فى كل شئ يضر بالمعيشة فيؤدى الى الإلتلاف ويضر بالنفس اذ كانت تابعاً

(١) التوبه ( ٢٤ ) . (٢) النساء ( ٧٧ ) .

(٣) صحيح البخارى ٣٣ / ٧ باب قول الله تعالى قل من حرم زينه الله . .

الايه - رواه البخارى معلقا . قال ابن حجر ( وصله ابن أبى شيبة فى مصنفه ) الفتح ٢٠٨ / ١٠ . وانظر تغليق التعليق على صحيح البخارى لابن حجر / ٥٣ / ٥ - ٥٤ .

للجسد في أكثر الأحوال والمخيلة تضر بالنفس حيث يكسبها العُجْبُ ، وتضر  
بالآخرة حيث تُكسب الإثم وبالدينيا تُكسب المقت من الناس (١) .  
فالاسلام الذي أمرنا بالتمتع بالطيبات في قوله تعالى : ( قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ  
اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ) (٢) هو الإسلام الذي ذم الترف  
والمترفين ونهى عن الإسراف والتبذير .

وقد ذم الله تعالى المترفين في مواضع عديدة من القرآن الكريم وعرض  
لنا أخلاقهم وسأذكر ذلك مفصلاً في الأبواب القادمة بإذن الله تعالى .

وكما أشرت فان الترف سبب رئيسي لهلاك الأمم ، لأن الهلاك والعذاب  
لا يصيبان الفرد المترف وحده ، بل يصيبان الجماعة التي تسمح بوجود المترفين  
ذلك لأن سماح الجماعة بوجودهم وتقاعسها عن ازالة أسباب الترف وتركها  
المترفين ينخرون في جسم المجتمع كما تنخر السوسة العظم كل ذلك أسباب  
تؤدي إلى الهلاك والتدمير ونلاحظ ذلك جلياً من قراءتنا تاريخ الأمم ، ومن  
خلال عرض القرآن الكريم لقصص الأمم السابقة .

قال تعالى :

( وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا  
الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ) (٣) .

قال ابن كثير :

اختلف المفسرون في معنى (أمرنا مترفيها ففسقوا فيها) ، فقيل : إنه  
أمر قدرى كقوله تعالى : ( أتأها أمرنا ليلاً أو نهاراً ) إن الله لا يأمر  
بالفحشاء ، وقالوا : معناه أنه سخرهم الى فعل الفواحش فاستحقوا العذاب  
وقيل : أمرناهم بالطاعات ، ففعلوا الفواحش فاستحقوا العقوبة ، وقيل :  
سلطنا اشرارها فعصوا فيها فاذا فعلوا ذلك أهلكتهم الله بالعذاب وهو  
قوله : ( وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها ) . ونقل عن ابن عباس  
ومالك ، والزمخشري ، وغيرهم أن معنى ( أمرنا مترفيها ) ( أكثرنا ) (٤) وهذا  
المعنى الأخير هو الصق المعاني بموضوعي الذي أعالجه نظرة القرآن السي

(١) عمدة القارى ٢١ / ٢٩٤ كتاب اللباس وقول الله تعالى : قل من حرم زينة  
الله التي اخرج لعباده .  
(٢) الاعراف (٣٢) . (٣) الاسراء (١٦) .  
(٤) تفسير ابن كثير ٣ / ٣٣-٣٤ .

الترف والمترفين ) فان شيوع الترف فى القرى، وانتشاره فى الأمم هو نذير بإهلاكها وإذلالها، ولا أبالغ إذا قلت إن ما آل إليه أمر المسلمين الآن من التخلف والانحطاط سببه حبهم الشديد للدينيا ورجبتهم فى الاستكثار منها، فأخذوا إلى الأرض ومالت نفوسهم عن الجهاد فأصبحوا هداة لكل عدو ولعل فعل اليهود وغيرهم فيهم من التقتيل والتشتيت والاستيلاء على أراضيهم وثرواتهم غير خاف على أحد، والعلة الأولى فى نظرى هى الترف والاستكثار من حب الدنيا، وقد نهانا الله سبحانه وتعالى أن تلهينا الدنيا بكافة متاعها عن طاعة الله ورسوله كما أشرت إليه سابقا .

وأكتفى بما ذكرت عن الترف، والمترفين فى هذا المبحث نظرا لأننى سأتكلم عنهم فى الأبواب القادمة بالتفصيل، وانتقل إلى الغنى المحمود فأقول :

#### الغنى المحمود :-

تعريفه عند اللغويين : ( الغنى مقصور ضد الفقر، واستغنى الرجل :- أصاب غنى، وأغنى الله الرجل أى صار له مال .

والحمد نقيض الذم، يقال فلان يتحمد الناس بجوده أى يريهم أنه محمود ومن أنفق ماله على نفسه فلا يتحمد به إلى الناس، أى أنه لا يحمد على إحسانه إلى نفسه، وإنما يحمد على إحسانه إلى الناس، وكمدة جزاه وقضى حقه (١).

والغنى المحمود فى عرف الشرع هو أخذ المال من حله ووضع فى حله .

والغنى نوعان :-

أولا : غنى النفس

ثانياً: غنى المال .

#### غنى النفس :

وغنى النفس محمود من قبل الشرع وهو نتيجة حتمية للإيمان الصادق والذى يوصل الانسان إلى القناعة بما رزقه الله، والتعفف، وعدم النظر إلى ما فى أيدي الناس، شريطة أن لا يكون ذلك نتيجة تواكل أو كسل .

إن غنى النفس الحقيقى إنما يتأتى بعد أن يسعى الإنسان ويأخذ بكافة الأسباب لتحصيل قوته وقوت من يعول ويكفى نفسه مذلة السؤال قانعا بعد ذلك بما حصله زاهدا عما فى أيدي الناس، وحامدا لله شاكرا له فضله، فإن

الشكر يزيد النعمة ، قال تعالى : ( لِيُنْشِرَنَّ لَكُمْ لَكُمْ ) . (١)

ومهما يكن من أمر فإن الغنى الحقيقي هو غنى النفس وليس غنى المال ،  
روى البخاري بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه  
وسلم قال :

( لَيْسَ الْغِنَى عَنْ كَثْرَةِ الْعَرَضِ وَلَكِنَّ الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ ) . (٢)

وقد تولى الحافظ بن حجر رحمه الله في كتابه القيم فتح الباري شرح  
هذا الحديث الشريف والكلام عن غنى النفس قال :

قوله : الغنى غنى النفس : أى سواء كان المتصف بذلك قليل المال  
أو كثيره فهو اذن متاح لكافة الناس وبوسعهم أن تكون نفوسهم غنية بالله  
تعالى راضية بقسمته - ( العَرَضُ ) هو ما ينتفع به من متاع الدنيا ويطلق  
بالاشتراك على ما يقابل الجوهر وعلى كل ما يعرض للشخص من مرض ونحوه ،  
قال تعالى : ( تُرِيدُونَ عَرَصَ الدُّنْيَا ) . (٣)

ويأتى ابن حجر بكلام بعض العلماء بخصوص هذا الموضوع فيقول :

قال ابن بطال : معنى الحديث ليس حقيقة الغنى كثرة المال لأن كثيراً  
من وسع الله عليه في المال لا يقنع بما أوتي فهو يجتهد في الازدى  
ولا يبالي من أين يأتيه فكأنه فقير لشدة حرصه ، وانما حقيقة الغنى غنى  
النفس ، وهو من استغنى بما أوتي وقنع به ورضي ولم يحرص على الازدى  
ولا ألح في الطلب فكأنه غني .

ونسب إلى القرطبي : أن معنى الحديث أن الغنى النافع ، أو العظيم  
أو الممدوح هو غنى النفس ، وبيانه أنه اذا استغنت نفسه كفت عن المطامع  
فعزيزت وعظمت وحصل لها من الحظوة ، والنزاهة والشرف ، والمدح أكثر من  
الغنى الذى يناله من يكون فقير النفس لحرصه ، فإنه يورطه في رذائل الأمور  
وخسائس الأفعال لدناءة همته ، وبخله ويكثر من يذمه من الناس ، ويصغر قدره  
عندهم فيكون أحقر من كل حقير، وأذل من كل ذليل ، والحاصل أن المتصف  
بغنى النفس يكون قانعاً بما رزقه الله لا يحرص على الازدى لغير حاجة ،  
ولا يلح في الطلب ولا يلحف في السؤال بل يرضى بما قسم الله له فكأنه واجد  
أبداً .

(١) ابراهيم (٧) .

(٢) صحيح البخارى ١٧٨/٧ كتاب الغنى النفس / كتاب الرقاق .

(٣) الانفال (٦٧) .





والمتصف بفقر النفس على الضد منه لكونه لا يقنع بما أعطي بل هو أبداً في طلب الازياد من أى وجه أمكنه ، ثم إذا فاته المطلوب حزن وأسف ، فكأنه فقير المال لأنه لم يستغن بما أعطي فكأنه ليس بغني ، ثم غنى النفس إنما ينشأ عن الرضى بقضاء الله تعالى والتسليم لأمره علماً بأن الذي عند الله خير وأبقى ، فهو معرض عن الحرص ، والطلب وما أحسن قول القائل :

غنى النفس ما يكفيك من سدِّ حاجةٍ فإن زاد شيئاً عاد ذاك الغنى فقراً  
ونسب الى الطيبي القول :-

أنه يمكن أن يراد بغنى النفس حصول الكمالات العلمية والعملية وإلى ذلك اشار القائل :

ومن ينفق الساعات في جمع ماله مخافة فقرٍ فالذي فعل الفقر  
أى ينبغي ان ينفق أوقاته في الغنى الحقيقي وهو تحصيل الكمالات لافى جمع المال فانه لايزداد بذلك الا فقراً .

يعقب صاحب الفتح على كلام الطيبي فيقول :-

ولهذا وان كان يمكن أن يراد لكن الذى تقدم أظهر فى المراد ، وإنما يحصل غنى النفس بغنى القلب بأن يفتقر إلى ربه فى جميع أموره فيتحقق أنه المعطى المانع فيرضى بقضائه ويشكره على نعمائه ويفزع إليه فى كشف ضرائه فينشأ عن افتقار القلب لربه غنى نفسه عن غير ربه تعالى . والغنى السوارى فى قوله تعالى :

( وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى )<sup>(١)</sup> يتنزل على غنى النفس فإن الآية مكية ولا يخفى ما كان فيه النبى صلى الله عليه وسلم قبل أن تفتح عليه خيبر وغيرها من قلّة المال والله أعلم )<sup>(٢)</sup> .

وكلام ابن حجر فى هذا الباب كلام طيب ولكن لا مانع أن يراد بالآية الكريمة بالغنى الأمران معا : أى غنى النفس وغنى المال - وكون أحدهما سبق الآخر لا يعنى عدم كون المعنى الثانى مراداً بقدر أغنى الله سبحانه وتعالى قلبه صلى الله عليه وسلم وأيضاً ساق إليه الأموال وأفاء عليه ما فتح له من البلاد كخيبر وبني النضير ، ولكون النبى صلى الله عليه وسلم إماماً فى غنى النفس مع ما آتاه الله سبحانه وتعالى من عرض الدنيا فانه لم يدخره صلى الله عليه

(١) الضحى (٨) .

(٢) فتح البارى ١١ / ٢٢٨ باب الغنى غنى النفس / كتاب الرقاق .

وسلم لنفسه ولم يمسه عن أحد حتى اذا سئل ثوبه الذي عليه صلى الله عليه وسلم اعطاه .

على أن غنى النفس يسره الله تعالى لكل من يبغيه ، ولكن الوصول إلى جمع الأموال ، والاستكثار منها ليس الجميع مؤهلاً له ، فليس قصد الحديث ذم جمع المال وإنما قصده أن هناك غنى ينبغي التنافس فيه والحث عليه لأنه الغنى الدائم .

و مما يؤكد أنه لا تعارض بين تحصيل الأمرين وهو أن يكون الإنسان غني النفس غني المال مارواه البخاري بسنده عن سعد بن أبي وقاص قال :  
( كَانَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعُودُنِي وَأَنَا بِمَكَّةَ وَهُوَ يَكْرَهُ أَنْ يَمُوتَ بِالْأَرْضِ الَّتِي هَاجَرَ مِنْهَا قَالَ : يَرْحَمُ اللَّهُ أَبْنَ عَفْرَاءَ قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوْصِي بِمَالِي كُلِّهِ قَالَ : لَا قُلْتُ : فَالْشُّطْرُ قَالَ : ( لَا ) قُلْتُ : التُّلْتُ قَالَ : فَالتُّلْتُ وَالتُّلْتُ كَثِيرٌ إِنَّكَ أَنْ تَدَعَ وَرَثَتَكَ أَغْنِيَا خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَدَعَهُمْ عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ فِي أَيْدِيهِمْ وَإِنَّكَ مَهْمَا أَنْفَقْتَ مِنْ نَفَقَةٍ فَإِنَّهَا صَدَقَةٌ حَتَّى اللَّقْمِيَّةُ تَرْفَعُهَا إِلَى فِي أَمْرَاتِكَ وَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَرْفَعَكَ فَيَنْتَفِعَ بِكَ نَاسٌ وَيَصْرُوكَ آخَرُونَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ يَوْمَئِذٍ إِلَّا ابْنَةٌ<sup>(١)</sup> ) فقد بان لنا بمنع الرسول صلى الله عليه وسلم لسعد أن يوصي بكل ماله ، وأباح له الثلث ما يدل على أنه لا حرج على المؤمن أن يمتلك المال وأن يحرص على أن لا يترك أولاده فقراء .

### ثانيا : غنى المال :

وهو الناشئ عن كثرة الممتلكات وهو قسمان :-

أولا : الغنى المحمود .

ثانيا : الغنى المذموم .

الغنى المحمود : وهو أخذ المال من حله وانفاقه في حله ، فعلى المسلم أن يحصل على المال من الأعمال المباحة وأن يتجنب الأعمال المحرمة ، فالحلال ما أحل الله ورسوله ، والحرام ما حرم الله ورسوله ، والشارع الحكيم يحافظ على ( ضروريات خمس هي :-

حفظ الدين ، والنفس ، والنسل ، والمال ، والعقل . وقد قالوا : إنها مراعاة

(١) صحيح البخارى ٣ / ١٨٦ باب ان يترك ورثته اغنيا / كتاب الوصايا .

في كل ملة (١) وعلى ذلك فإن كل عمل أو نشاط اقتصادي بوجه عام يقـره الإسلام ما دام موافقا لأحكامه كالزراعة ، والتجارة ، والصناعة وكافة المهن الشريفة ، وللمسلم أن يختار من هذه المهن ما يناسب مؤهلاته وقدراته العقلية والجسمية مادامت هذه الأعمال مباحة . وقد وردت نصوص عديدة في القرآن الكريم ، والسنة المطهرة تحت على العمل والكسب .

قال تعالى : ( هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ الْأَشْهُورُ ) (٢) . فالله سبحانه وتعالى خلق الأرض وسخرها لنا وجعلها لينة سهلة المسالك لنسلك في جوانبها وأطرافها .

قال ابن كثير في تفسير الآيه : أي فسافروا حيث شئتم من أقطارها ، وترددوا في أقاليمها للكاسب والتجارات (٣) .

وقال الألوسي : كثيرا ما يعبر عن وجوه الانتفاع بالأكل ، لأنه الأهم الأعم ، وفي الآية دليل على ندب التسبب والكسب ، وهو لا ينافي التوكل ، فقد مر عمر رضي الله عنه بقوم ، فقال : من أنتم ؟ فقالوا : المتوكلون ، فقال : بل أنتم المتوكلون ، إنما المتوكل رجل ألقى حبه في بطن الأرض وتوكل على ربه عز وجل (٤) .

وقال تعالى : ( وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعْلِشًا ، قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ) (٥) .

فجعلها الله سبحانه وتعالى نعمة ، وطلب الشكر عليها فلو كان الغنى أمرا لا يقـره الإسلام لما من الله تعالى به ، ولا حض على الشكر عليه .

وقد كان الرسل عليهم الصلاة والسلام يكتسبون ، فقد كان لكل رسول - صنعة يكسب منها قوته فكان بعضهم حراثاً كنوح عليه السلام ، وبعضهم خياطاً كإدريس عليه السلام ، وبعضهم حدّاداً كداود عليه السلام ، وكان رسولنا عليه أفضل الصلاة والسلام قد عمل بالتجارة ، ورعى الغنم وما من نبي إلا رعى الغنم ،

(١) المواقفات للشاطبي ٥ / ٢ . (٢) الملك (١٥) .

(٣) تفسير ابن كثير ٣٩٨ / ٤ الطبعة الأولى .

(٤) تفسير روح المعاني ١٥ / ٢٩ .

(٥) الاعراف (١٠) .

روى البخاري بسنده عن ابي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ( ما بعث الله نبياً إلا رعى الغنم . فقال أصحابه : وأنت ، فقال : نعم ! كنت أرها على قراريط لأهل مكة <sup>(١)</sup> ) .

ويحثنا الرسول صلى الله عليه وسلم على التكسب ويخبرنا عن فضل عمل اليد ، روى البخاري بسنده عن المقدم رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ( ما أكل أحدٌ طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده وإن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده <sup>(٢)</sup> ) .

وقد خص النبي صلى الله عليه وسلم داود عليه السلام بالذكر لأنه كان ملكاً، وكان يملك المال الكثير وليس بحاجة للعمل لتحصيل المال ، ولكنه مع ما آتاه الله من الملك والمال الكثير لم يتكل على هذا المال بل فضل أن يأكل من عمل يده كما أن التسبب في الرزق هو من السنة ، ولذلك كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يعملون ويكتسبون وأعلى مثل لنا في ذلك ( أبو بكر الصديق رضى الله عنه فحين ولي الخلافة وجدوه فى السوق يتسبب في التجارة فقالوا له فى ذلك فقال : أتراني أترك التسبب لعيالي؟ <sup>(٣)</sup> ) .

وهكذا كان صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم عمال أنفسهم وهم خير القرون ، روى البخاري بسنده عن عائشة رضى الله عنها قالت : ( كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عمال أنفسهم وكان يكون لهم أرواح <sup>(٤)</sup> فقيل لهم : لو اغتسلتم <sup>(٥)</sup> ) .

يتضح لنا مما سبق من الأحاديث أن خلاصة الناس وأفضلهم كانوا يكتسبون ويعملون بأيديهم .

وقد أثنى الله سبحانه وتعالى فى مواضع من كتابه العزيز على المال وسماه خيراً فى قوله تعالى : ( إِنَّ تَرَكَ خَيْراً <sup>(٦)</sup> ) وقوله تعالى : ( وَإِنَّهُ لِحُسْبِ الخَيْرِ لَشَدِيدٌ <sup>(٧)</sup> ) .

- 
- (١) صحيح البخارى ٤٨ / ٣ ، باب رعى الغنم على قراريط / كتاب الاجارة .  
(٢) صحيح البخارى ٩ / ٣ ، باب كسب الرجل وعمله بيده / كتاب البيوع .  
(٣) بهجه النفوس ٢ / ٢١٠ . (٤) ارواح : رواح كريهه : هكذا فى البخارى .  
(٥) صحيح البخارى ٨ / ٣ ، باب كسب الرجل عمله بيده / كتاب البيوع .  
(٦) البقرة ( ١٨٠ ) . (٧) العاديات ( ٨ ) .

والخير يطلق على كل محمود مستحب ، فإطلاق الخير على المال علامة على مدحه واستحابه وكل ما جاء في ثواب إنفاق المال في الجهاد والصدقات والحج وصلة الرحم وأنواع القرب الأخرى والثناء على تلك الأعمال يدل على أنه على المؤمن أن يقتنى المال ولا يعاب لكونه غنيا .

ان المال الصالح في يد الانسان الصالح وسيلة هامة من الوسائل المعينة على التقرب إلى الله ومن أهم هذه القربات :-

الجهاد : فمن أعظم القربات إلى الله سبحانه وتعالى الجهاد ، والجهاد يكون إما بالنفس، وإما بالمال، أو بهما معا فمن جمع فضيلة الاثنين معاً فقد نال مراتب الصديقين ، والشهداء ، وقد قُدِّم الجهاد بالمال في القرآن الكريم على الجهاد بالنفس ، فالقتال قبل أن يحتاج إلى الأُنفس فإنه يحتاج إلى المال الذي به يحصل المقاتل على السلاح والعتاد ليستطيع التصدي للعدو ،

قال تعالى : ( إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ) (١)

قال صاحب روح البيان في معنى الآية :- أي آمنوا ثم لم يقع في نفوسهم شك فيما آمنوا به ولا اتهم لمن صدقوه واعترفوا بأن الحق معه ( وجاهدوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ) في طاعته على تكثير فنونها من العبادات البدنية المحضة والمالية الصرفة والمشملة عليهما معا كالحج ، والجهاد ( أولئك ) الموصفون بما ذكر من الأوصاف الجميلة ( هم الصادقون ) أي — الذين صدقوا في دعوى الايمان ) (٢)

وقال تعالى ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنَجِّكُمْ مِّنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ، تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ) (٣)

(١) الحجرات (١٥) .

(٢) تفسير روح البيان ٩٥/٩ اسماعيل حقي البرسوي .

(٣) الصف (١٠ - ١١) .

تبين هذه الآيه أن أحب الأعمال الى الله عز وجل هو الجهاد بالنفس والمال ، فقد أراد الصحابة رضوان الله عليهم أن يسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أحب الأعمال إلى الله عز وجل ليفعلوه فأنزل الله تعالى هذه السورة ومن ضمنها هذه الآية الكريمة وفسر هذه التجارة العظيمة التي لا تبور والتي هي محصلة للمقصود ومزيلة للمحذور وهو الإيمان بالله ، والجهاد في سبيله بالمال والنفس .<sup>(١)</sup>

وفي السنة المطهرة أحاديث كثيرة تدلنا على فضل من يجود بماله في سبيل إعلاء كلمة الله . روى البخاري بسنده عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قيل يا رسول الله : أي الناس أفضل ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مؤمن يجاهد في سبيل الله بنفسه ، وماله قالوا : ثم من ؟ قال : مؤمن في شغب من الشعاب يتقي الله ويدع الناس من شره .<sup>(٢)</sup>

وروى البخاري بسنده عن زيد بن خالد رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من جهز غازياً في سبيل الله فقد غزا ومن خلف غازياً في سبيل الله بخير فقد غزا .<sup>(٣)</sup>

ولنا في الخلفاء الراشدين أروع الأمثلة حيث كانوا يقدمون جُلَّ مالههم في أعمال الخير وعلى رأسها الإنفاق في تجهيز الجيوش المسلمة ، وأقرب مثل إلينا سيدنا عثمان رضي الله عنه ، وتجهيزه لغزوة تبوك ولا يخفى على أحد الظروف القاسية المحيطة بغزوة تبوك حيث قال صلى الله عليه وسلم : ( من جهز جيش العسرة فله الجنة فجهزه عثمان ) وقد روي أن عثمان رضي الله عنه أعان فيها بثلاثمائة بعير وقيل : إنه أتى فيها بألف دينار فصبها في حجر النبي صلى الله عليه وسلم .<sup>(٤)</sup> روى أحمد بن حنبل عن سمرة قال جاء عثمان بن عفان إلى النبي صلى الله عليه وسلم بألف دينار في ثوبه حين جهز النبي صلى الله عليه وسلم جيش العسرة .<sup>(٥)</sup>

(١) تفسير ابن كثير ٤ / ٣٦٢ بتصرف طفيف .

(٢) صحيح البخاري ٣ / ٢٠٠ باب أفضل الناس مؤمن يجاهد بنفسه وماله /

كتاب الجهاد والسير .  
(٣) صحيح البخاري ٣ / ٢١٤ باب فضل من جهز غازياً أو خلفه بخير / كتاب الجهاد والسير .

(٤) فتح الباري ٧ / ٤٣٠ باب مناقب عثمان بن عفان / باب فضائل اصحاب النبي

(٥) كتاب فضائل الصحابة للإمام أحمد بن حنبل ١ / ٤٧٥ فضائل عثمان رضي الله عنه ، تحقيق وصي الله بن محمد عباس .

العبادات : كالحج والزكاة ، وصلة الأرحام التي لها أثر كبير في رفع درجات العبد عند ربه . فالحج لا يقدر عليه الا من يملك الاستطاعة ومن أهمها الاستطاعة المالية وكذلك فريضة الزكاة ، فهي الركن الاجتماعى البارز من أركان الإسلام ، فالزكاة حق معلوم من المال على من ملك النصاب وهي طهارة للنفس والقلب من الشح وحب الذات وطهارة للمال بأداء حقه وتحليله .

قال تعالى : ( خَذُ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ) (١) .

فالصدقات تربوعند الله سبحانه وتعالى حتى تصير الصدقة مثل الجبل .  
روى الترمذى بسنده عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

( إِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُ الصَّدَقَةَ وَيَأْخُذُهَا بِيَمِينِهِ فَيُرَبِّبُهَا لِأَحَدِكُمْ كَمَا يُرَبِّبُ أَحَدَكُمْ مَهْرَةً حَتَّى إِنَّ اللَّقْمَةَ لِتَصِيرَ مِثْلَ أَحَدٍ ) (٢) .  
قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح .

صلة الرحم والنفقة على الزوجة والأولاد :

لا يخفى على أحد ما لصلة الرحم من حصول الإنسان بها على الفضل عند الله سبحانه وتعالى وعند الناس ، وما تجلبه من زيادة في العمر وبسط في الرزق ، وفي القرآن الكريم آيات كثيرة تحض على وجوب صلة الرحم اكتفى فيها بقوله تعالى : ( وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ) (٣) .

وفي السنة المطهرة أحاديث كثيرة أيضاً تحث على صلة الرحم . روى البخاري بسنده عن أبي هريرة رضى الله عنه أنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ وَأَنْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْهُ رَحِمَةً (٤) .

- (١) التوبة ( ١٠٣ ) .  
(٢) سنن الترمذى بشرح عارضة الاحوذى ٣ / ١٦٤ باب ما جاء فى فضل الصدقة / ابواب الزكاة .  
(٣) النساء ( ١ ) .  
(٤) صحيح البخارى ٧ / ٧٢ باب من بسط له فى الرزق بصلة الرحم / كتاب الزكاة .

فضلة الرحم وإن كان لها وجوه مختلفة ، وطرق متعددة ، فإن أهمها وأولاها - بلاشك - الصلة بالمال .

كذلك النفقة على الزوجة والأولاد فهي من أعظم ما يحصل به الفضل والأجر . روى مسلم بسنده عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( دينارٌ أَنْفَقْتَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَدِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ فِي رِقْبَةٍ ، وَدِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ عَلَى أَهْلِكَ ، أَعْظَمُهَا أَجْرًا الَّذِي أَنْفَقْتَهُ عَلَى أَهْلِكَ )<sup>(١)</sup> وكذلك الصدقات بصورها كافة لا يخفى على عاقل حث الشارع على فعلها فلو كان الغنى القائم عن كثرة العرض مذموما على الإطلاق لما أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم بحصول الأجر للمنفقين في هذه الأبواب وكلها قربات عظيمة ، وأعمال جلييلة لا يتمكن من فعلها إلا الأغنياء الشاكرون .

وقد أثنى الله ورسوله على الأغنياء الشاكرين لله فضله والذين لهم يحتكر والأفسهم ما آتاهم الله ، بل آثروا أن ينفقوه في سبيل الله تعالى قال جل من قائل :

( وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ )<sup>(٢)</sup> .

( والذين تبوءوا الدار ) يعني : دار الهجرة وهي المدينة ( والإيمان من قبلهم ) تقديم وتأخير ، تقديره : والذين تبوءوا الدار من قبلهم ، أى من قبل المهاجرين والإيمان عطف على الدار في الظاهر ، لا في المعنى لأن الإيمان ليس بمكان يتبوء ، وإنما تقديره : وآثروا الإيمان ، وإسلام المهاجرين قبل الأنصار وسكنى الأنصار المدينة قبل المهاجرين .

( يحبون من هاجر إليهم ) وذلك أنهم شاركوهم في منازلهم ، وأموالهم ( ولا يجدون في صدورهم حاجة ) أى : حسداً وغيظاً مما أوتى المهاجرون .

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ٧/٨٢ باب فضل النفقة على العيال واثم من ضيعهم / كتاب الزكاة .

(٢) الحشر (٩) .



وفيما أوتوه قولان : أحدهما : الفِيءُ ، والثاني : الفضل والتقدم .

وقوله تعالى : ( وَيُؤْتِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ ) بأموالهم ومنازلهم ( وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ) أي فقر ، وحاجة ، فبين الله عز وجل أن إيثارهم لهم يكن عن غنى .

( وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ ) هنا أن لا يأخذ شيئاً مما نهاه الله عنه ولا يمنع شيئاً أمره الله بأداءه والمعنى : أن الأنصار ممن وقى شح نفسه حين طابت أنفسهم بترك الفيء للمهاجرين (١) .

قال القرطبي : المراد بالآية الشح بالزكاة وماليس بفرض من صلوة الأرحام، والضيافة، وما شاكل ذلك فليس بشحيح ولا بخيل من أنفق في ذلك وإن أمسك عن نفسه ومن وسع على نفسه ولم ينفق فيما ذكرناه من الزكوات والطاعات فلم يوق شح نفسه (٢) .

وفي السنة المطهرة روى البخاري بسنده عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله مالا فسلط على هلكته في الحق . ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها ) (٣) .

قال ابن حجر : ( أي لا حسد محمودا في شيء إلا في خصلتين ووجه الحصر أن الطاعات إما بدنية ، أو مالية ، أو كائنة عنهما ، وعبر بالتسليط لدلالته على أن قهر النفس المجبولة على الشح ، وعبر بالإهلاك ليدل على أنه لا يبقى منه شيء وكلمه بقوله في الحق أي في الطاعات ليزيل عنه إيهام الإسراف المذموم، والمراد بالحكمة القرآن وقيل المراد بالحكمة كل ما منع من الجهل، وزجر عن القبيح (٤) .

لذا فالساعي إلى كسب الأموال لتسخيرها في وجوه البر والتي ذكرت بعضها فيما سبق مؤيد من الله تعالى، ومن رسوله صلى الله عليه وسلم ناهجا نهجا سويا .

(١) زاد المسير في علم التفسير ٢١٢/٨ - ٢١٥ - ببعض التصرف (ابو الفرج بن الجوزي القرشي البغدادي) .

(٢) القرطبي ٢٩/١٨ (الحشر) .

(٣) صحيح البخاري ١/ ٢٦ باب الاغتباط في العلم والحكمة / كتاب العلم

(٤) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ١/ ١٣٦ باب الاغتباط في العلم والحكمة / كتاب العلم .

نستدل من مدح الإسلام للغني الشاكر وثنائه على الغني المحمود أن الإسلام ليس من مقاصده أن يكون الفقر شعارا للناس ، فالفقر في الإسلام ليس أمرا مشروعا ، وليس على المسلم أن يختار الفقر . وإذا دعا للصبر فإنه دعا إليه عندما ما يكون الفقر أمرا واقعا على الإنسان ، فالإسلام يكره للمسلم الفقر والحاجة للناس . وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يستعيز من فتنة الفقر :

روى البخاريُّ بسنده عن عائشة رضي الله عنها قالت : كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول : اللهم إني أعوذ بك من فتنة النار ، ومن عذاب النار ، وفتنة القبر وعذاب القبر ، وشر فتنة الغني ، وشر فتنة الفقر ، اللهم إني أعوذ بك من فتنة المسيح الدجال ، اللهم اغسل قلبي بماء الثلج والبرد ، ونق قلبي من الخطايا كما نقيت الثوب الأبيض من الدنس ، وباعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب ، اللهم إني أعوذ بك من الكسل والمأثم والمغرم<sup>(١)</sup> .<sup>(٢)</sup>

قال ابن حجر :

التقييد في الغنى والفقر بالشر لا بد منه ، لأن كلا منهما فيه خير باعتبار ، فالتقييد في الاستعاذة ، منه بالشر يخرج ما فيه من الخير سواء قل أم كثير . قال الغزالي : فتنة الغنى الحرص على جمع المال وحبسه حتى يكسبه من غير حله ، ويمنعه من واجبات إنفاقه ، وحقوقه . وفتنة الفقر يراد به الفقر المدقع الذي لا يصحبه خير ، ولا ورع حتى يتورط صاحبه بسببه فيما لا يليق بأهل الدين ، والمروءة ، ولا يبالي بسبب فاقته على أى حرام وثب ولا في أى حالة تورط<sup>(٣)</sup> .

لذلك لم يأمرنا الشارع بإنفاق كل ما نملك ونلحظ في قوله تعالى : ( أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ ) أنه جاء بكلمة ( من ) أى بعضها وليس

- 
- (١) المأثم والمغرم : الاثم والغرامه وهى ما يلزم الشخص اذاؤه كالدين .  
 (٢) صحيح البخارى ١٦١/٧ باب التعوذ فى فتنة الفقر/ كتاب الدعوات.  
 (٣) فتح البارى ١٤٨/١١ باب التعوذ من المأثم والمغرم كتاب الدعوات

جميعها . وكذلك لا يأمر الإسلام أن ينفق الانسان كل ما معه حتى على الصدقات ، ووجه البر ، روى مسلم بسنده عن حكيم بن حزام أن رسول الله صلى عليه وسلم قال : ( أفضلُ الصدقةِ أو خيرُ الصدقةِ عن ظهر غنى ، واليدُ العُلْيَا خَيْرٌ مِنَ اليَدِ السُّفْلَى ، وابدأِ بِمَنْ تَعُولُ )<sup>(١)</sup> وقد بينت الأحاديث الصحيحة في نفس الباب أن اليد العليا المنفقة ، والسفلى السائلة .

قال النووي : معنى الحديث أن أفضل الصدقة ما بقي صاحبها بعدها مستغنيا بما بقي معه . وتقديره أفضل الصدقة ما أبقى بعد هذا غنىً يعتمده صاحبها ويستظهر به على مصالحه وحوائجه .<sup>(٢)</sup>

ويأمر الشارع الحكيم بأن يترك لورثته بعض المال ليستعينوا به على أمور الحياة بدلا من أن يتركوا عالةً على الناس ، وقد سبق أن ذكرت حديث سعد ابن أبي وقاص عند ما جاء الرسول عليه الصلاة والسلام يعوده وهو مريض فسأله سعد أن يوصي بماله كله ، فنهاه الرسول عليه السلام ، وأمره أن لا يوصي بأكثر من الثلث وقال له الرسول الكريم : ( ... أَنْ تَدَعَ وَرَثَتَكَ أَغْنِيَاءَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَدَعَهُمْ عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ )<sup>(٣)</sup> الناس في أيديهم .<sup>(٤)</sup>

كذلك لو كان من مقاصد الإسلام أن يكون الفقر شعارا للناس ما حث على الصدقات في صورتها كافة ولما جعل الزكاة ركنا من أهم أركانه ، وأن اسلام المرء لا يتم الا باوائها .

كما أن فلسفة الزكاة والصدقات في الإسلام هي رفع الفقر عن الفقير والحد من وجود فوارق كبيرة بين أفراد الأمة ، إلى درجة أن فقراء الصحابة رضوان الله عنهم جاءوا شاكين أمرهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، إذ أن الأغنياء أمامهم من سبل الثواب ، وأسبابه ماليس للفقراء بحيث يتصدقون ويجاهدون بأموالهم ، ويؤدون منها الزكاة ، ويهبون ، ويهدون ، ويوصون ، وكسل ذلك لا يتيسر للفقراء ، فأرشدهم النبي صلى الله عليه وسلم إلى ما به يلحقون إخوانهم الأغنياء في كسب الثواب والتسبب في الخير .

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ١٢٥/٧ باب ان اليد العليا خير من اليد السفلى / كتاب الزكاة .

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم ١٢٥/٧ .

(٣) يتكففون الناس : أى يسألون الناس بأكفهم أو سأل ما يكف عنه الجوع .

(٤) صحيح البخارى ١٨٦/٣ باب أن يترك ورثته أغنياء / كتاب الوصايا .

روى مسلم بسنده عن أبي هريرة أن فقراء المهاجرين أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ<sup>(١)</sup> بِالدرجاتِ العُلَى والنعيمِ المقيمِ ، فقال وما ذاك ؟ قالوا : يصلون كما نصلي ، ويصومون كما نصوم ، ويتصدقون ولا نتصدق ، وَيَعْتَقُونَ ولا نُعْتَقُ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أفلا أعلمكم شيئاً : تدركون به من سبقكم وتسبقون به من بعدكم ولا يكون أحداً أفضلَ منكم إلا من صنع مثل ما صنعتم ؟ قالوا : بلى يا رسول الله قال : تَسْبِحُونَ وتكَبِّرُونَ ، وتَحْمَدُونَ دُبُرَ كُلِّ صَلاةٍ ثلاثاً وثلاثين مرة . قال أبو صالح : فرجع فقراء المهاجرين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا سمع إخواننا أهلُ الأموالِ بما فعلنا ففعلوا مثله ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : ذلك فضلُ اللهِ يؤتيه من يشاء<sup>(٢)</sup> .

قال صاحب عمدة القارى : ( قال ابن بطال : فضلُ الغنى الشاكر نصالاً وتأويلاً إذا استوت أعمالُ الغنى والفقير فيما افترض الله تعالى عليهما ، فللغنى حينئذ فضلُ عمل البر من الصدقة ، ونحوها مما لا سبيل للفقير إليه .

وقال ابن دقيق العيد : ( ظاهر الحديث القريب من النص أنه فضلُ الغنى ، وبعض الناس تأوله بتأويل مستكره ، قال : والذي يقتضيه النظر انهما وإن تساويا وفضلت العبادة المالية أن يكون الغنى أفضل ولهذا<sup>(٣)</sup> مما لا شك فيه . )

ويكفينا لتفضيل الغنى الشاكر وامتيازه عن غيره من أفراد المجتمع أن تثبت له أعمالٌ عظيمة رغب فيها سيد الخلق في سنته لا يستطيع غيره ان يعملها .

ولأن الغنى الشاكر استطاع أن يقهر نفسه ، ويمنعها من الشهوات والتي على رأسها البخل ، فإن البخل يدفع صاحبه إلى الغبن بالمال وحبسه عن المحتاجين .

- (١) الدثور : الأموال الكثيرة .  
 (٢) ضحيح معلم بشرح النووى ٩٠٢/٥ باب استحباب الذكر بعد الصلاة /  
 كتاب المساجد ومواضع الصلاة .  
 (٣) عمدة القارى ١٣١/٦ كتاب الزكاة .

قال تعالى : ( وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا أَنعَمَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ، وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ) (١) .

وقال تعالى : ( وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ) (٢) .

إِنَّ الْغَنِيَّ الشَّاكِرَ الَّذِي يَكْتَفِي مِنْ مَالِهِ بِالْقَلِيلِ ، وَيُنْفِقُهُ فِي وَجْهِهِ الْبَرِّ يَتَسَاوَى مَعَ الْفَقِيرِ فِي صَبْرِهِ لِأَنَّهُ يَحَارِبُ نَفْسَهُ فِيمَا تَهْوَى . قال تعالى : ( وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ فَيِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ) (٣) .

وإن قال بعضهم : بتفضيل الفقير الصابر أقول : إِنَّ الْفَقِيرَ الصَّابِرَ رَغْمَ أَنَّهُ لَهُ أَجْرُ الصَّبْرِ فَإِنَّهُ يَتَعَوَّدُ حَالَهُ الَّذِي أَقَامَهُ اللَّهُ فِيهِ وَفِي نَفْسِ الْوَقْتِ فَإِنَّ الْفَقِيرَ الصَّابِرَ لَمْ يَمْتَحِنْ بِفِتْنَةِ الْمَالِ كُلِّ يَوْمٍ وَلَا نَدْرِي إِنْ مُلِّكَهُ مَا كَانَ سَيَفْعَلُهُ .

إِنَّ الْغَنِيَّ الشَّاكِرَ يَمْتَحِنُ بِاسْتِمْرَارٍ فِي مَالِهِ ، وَهُوَ دَائِمًا يَجْتَازُ هَذَا الْامْتِحَانَ بِنَجَاحٍ . وَقَدْ اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي أَيِّهِمَا أَفْضَلُ وَلَهُمْ أَقْوَالٌ كَثِيرَةٌ فِي هَذَا الْمَجَالِ إِلَّا أَنَّ هَذَا لَيْسَ مَجَالٌ بَحْثِي ، وَالَّذِي اسْتَخْلَصْتُهُ أَنَّ الْغَنِيَّ الشَّاكِرَ يَلِجُ بِمَالِهِ أَبْوَابًا لَا يَلِجُهَا غَيْرُهُ ، هَذِهِ الْأَبْوَابُ الَّتِي قَرْنَهَا اللَّهُ تَعَالَى بِأَعْلَى الْمَرَاتِبِ فِي الْجَنَّةِ .

روى البخاري بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ( مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ دَعَاهُ خَزَنَةُ الْجَنَّةِ كُلُّ خَزَنَةٍ بَابِ أَيْ قُلِّ هَلُمَّ ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ ، : يَارَسُولَ اللَّهِ : ذَاكَ الَّذِي لَا تَتَوَّى عَلَيْهِ ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ( إِيَّيْ لَأَرْجُوا أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ ) (٤) (٥) .

ويحتج البعض أن الفقر أفضل لأن رسولنا الكريم كان فقيرا . .

(١) آل عمران (١٨٠) .

(٢) الحشر (٩) .

(٣) النازعات (٤٠) .

(٤) زوجين : قال ابن حجر : شيثان من أي نوع كان مما ينفق من اصناف

المال ، والزوج يطلق على الواحد ، وعلى الاثنين .  
(٥) لا توى : قال السندي في حاشيته على سنن النسائي ( أي لاضياع ولا خساره والمواد بانه فاز كل الفوز ) ٩٨ / ٤ . (٦) صحيح البخاري ٣ / ٢١٣ باب فضل النفقة في سبيل الله / كتاب الجهاد والسير .

أقول : إن رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم لم يكن فقيراً دائماً فإن الله فتح له البلاد ، وجعل له خمس الخمس من الغنائم الكثيرة التي أفاءها الله على المسلمين ، فكان يحصل منها على الأموال الطائلة ، ومعناه أن رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم كان يملك المال الكثير ، ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم بحكم أنه إمام أهل التقوى فإنه كان ينفق أغلب ما نالته يده ، ولم يكن يبقي مما آتاه الله إلا ما هو قوت له ، ولأهله ، ولولا عظم فضل الانفاق في سبيل الله لما تمنى الرسول صلى الله عليه وسلم المال الكثير لينفقه في سبيل الله .

روى البخاري بسنده عن أبي ذر رضي الله عنه قال : كنت أمشي مع النبي صلى الله عليه وسلم في حرة المدينة ، فاستقبلنا أحدٌ فقال : يا أبا ذر قلت : لبيك يا رسول الله قال : ما يسرنى أن عندي مثل أحدٍ هذا ذهباً تمضي عليّ ثلاثة<sup>(١)</sup> وعندي منه دينارٌ إلا شيئاً أرصدته<sup>(٢)</sup> لدينٍ إلا أن أقول به في عباد الله هكذا ، وهكذا ، عن يمينه ، وعن شماله ومن خلفه ثم مشى ثم قال : ان الأكثرين<sup>(٣)</sup> هم المقلون يوم القيامة إلا من قال هكذا وهكذا ، وهكذا عن يمينه ، وعن شماله ، ومن خلفه ، وقليلٌ ما هم ثم قال لي : مكانك لا تبرح حتى آتيك . ثم انطلق في سواد الليل حتى تواری فسمعت صوتاً وقد ارتفع فتخوفت أن يكون أحدٌ عرض للنبي صلى الله عليه وسلم فأردت أن آتية فذكرت قوله لي : لا تبرح حتى آتيك فلم أبرح حتى آتاني ، قلت : يا رسول الله لقد سمعت صوتاً تخوّفتُ فذكرت لك ، فقال وهل سمعته ؟ قلت نعم ، قال ذاك جبريل أتاني ، فقال : من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة قلت وإن زنى وإن سرق ؟ قال : وإن زنى ، وإن سرق<sup>(٤)</sup> .

قال ابن حجر : ( المعنى نفي إنفاق البعض مقتصراً عليه فهو يجب إنفاق الكل إلا ما استثني وقوله إلا أن أقول به في عباد الله هو استثناء بعد استثناء فيفيد الإثبات فيؤخذ منه أن نفي محبة المال مقيدة بعدم الإنفاق فيلزم محبة وجوده مع الإنفاق فما دام الإنفاق مستمراً لا يكره وجود المال وإذا إنتفى الإنفاق ثبتت كراهية وجود المال ) .

(١) ثالثة : ليلة الثالثة . (٢) أرصدته لدين : دين أقضيه عن مسلم .

(٣) الأكثرين : المراد الأكثر من المال والاقبال من ثواب الآخرة وهذا في حق من كان مكثراً ولم يتصف بما دل عليه الاستثناء بعده من الإنفاق / فتح الباري

(٤) صحيح البخاري ١٧٧/٧ باب قول النبي صلى الله عليه وسلم ما أحب

أن لي مثل أحد ذهباً . فتح الباري ٢٢١/١١ باب قول النبي ما يسرنى أن عندي مثل أحد ذهباً / كتاب الرقاق .

الغنى المذموم :

وهو الغنى المحرم ، أو امتلاك الدنيا بطرق غير مشروعة ، أى ما اقتناه صاحبه بوسائل غير مشروعة كالاتجار بالميتة ، والخنزير، والربا، والرشوة والسرقة ، وأعمال الشعوذة ، والسحر ، ونتاج المخدرات ، والميسر وأمثال ذلك من الأعمال التي حرمها الاسلام وكذلك الأمور المشبوهة لضررها .

وقد نهانا الله سبحانه عن ذلك نهياً عاماً فقال تعالى :

( وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ . وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِيَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ) (١) .

وقال تعالى :

( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا . وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عَدْوَانًا وظُلْمًا فَسَوْفَ نُصَلِّيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ) (٢) .

قال ابن كثير في تفسير الآيتين الكريمتين :

( ينهى تبارك وتعالى عباده المؤمنين عن أن يأكلوا أموال بعضهم بالباطل أى بأنواع المكاسب التي هي غير شرعية كأنواع الربا، والقمار، وما جرى مجرى ذلك من سائر صنوف الحيل ، ولا تتعاطوا الأسباب المحرمة فى اكتساب الأموال ، لكن المتاجر المشروعة التي تكون عن تراض بين الطرفين فافعلوها وتسببوا فى تحصيل الأموال . ( ولا تقتلوا انفسكم ) أى بارتكاب محارم الله تعالى، وتعاطي معاصيه، وأكل أموالكم بينكم بالباطل .

( وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عَدْوَانًا وظُلْمًا فَسَوْفَ نُصَلِّيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ) .

أى : ومن يتعاطى ما نهاه الله عنه - متعدياً فيه ظالماً فى تعاطيئة أى عالماً بتحريمه متجاسراً على انتهاكه فسوف يعذب فى نار جهنم ، وهذا تهديد شديد ووعيد أكيد فليحذر منه كل عاقل لبيب ) (٣) .

(١) البقرة ( ١٨٨ ) .

(٢) النساء ( ٢٩ ) ، ( ٣٠ ) .

(٣) تفسير ابن كثير ١ / ٤٨ .

ويقول أبو السعود في تفسير الآيتين الكريمتين :  
المراد بالباطل ما يخالف الشرع كالغصب، والسرقه، والخيانة، والقمار،  
وعقود الربا وغير ذلك مما لم يبحه الشرع : أي لا يأكل بعضكم أموال بعض  
بغير طريق شرعي ولكن وجود تجارة عن تراض غير منهي عنه .

وتخصيص التجارة بالذكر من بين أسباب الملك لكونها معظمها وأغلبها  
وقوعا وأوقفها لذوي المروءات ، والمراد بالتراضي مراعاة المتبايعين فيما  
تعاقدا وعليه في حال المبايعه وقت الإيجاب حالة الافتراق عن مجلس  
العقد .

( وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ) : لا تهلكوا أنفسكم بتعريضها  
للعقاب باقتراف ما يفضي اليه ، وقد جمع في التوصية بين حفظ النفس  
وحفظ المال لما أنه شقيقها من حيث إنه سبب لقواها ، وتحصيل كمالاتها  
واستيفاء فضائلها ، وتقديم النهي عن التعرض له لكثرة وقوعه .

ولذلك نهاكم عما نهى فإن ذلك رحمة عظيمة لكم بالزجر عن المعاصي  
( وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصَلِّيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ) .

أي إفراطاً في التجاوز عن الحد ، وإتياناً بما لا يستحقه أو التعمدي  
على الغير بالظلم على النفس بتعريضها للعقاب فسوف ندخله نارا مخصوصة  
هاظه شديدة العقاب (١) .

لذا فالأعمال المحرفة على المسلم أن يتجنبها ويبتعد عنها ويقنع  
بما آتاه الله من الحلال ، فالحلال بين ، والحرام بين ، وبينهما أمور  
مشتبهات ، ولكي يصون الانسان نفسه عن الوقوع في المحرمات يتحتم عليه  
أن يتجنب المشبوهات ، فإن الايغال في المشبوهات والتي يدور أمرها

(١) تفسير أبي السعود ١٣٩/٣ .



بين الحرمة ، والحل يجزئ الى الوقوع في الحرام .

روى البخاري بسنده عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

{ الحلال بَيْنَ والحرامُ بَيْنَ وبينهما أمورٌ مُشَبَّهَاتٌ لا يعلمها كثيرٌ من الناس فمن اتقى المُشَبَّهَاتِ استبرأ لدينه ، وَعَرَضِهِ ، ومن وقع في الشُّبُهَاتِ ، كَرَعَ يَرعى حول الحمى يوشك أن يواقعَه ، ألا وإن لِكُلِّ مَلِكٍ حِمَىً أَلَا إِنَّ حِمَى اللَّهِ مَحَارِمَهُ أَلَا وَلَنْ فِي الْجَسَدِ مُضَغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ } (١)

قال الحافظ ابن حجر :

( معنى كراع يرمى حول الحمى يوشك أن يقع فيه جملة مستأنفة وردت على سبيل التمثيل للتنبيه بالشاهد على الغائب والحمى: هي أن ملوك العير كانوا يحمون لمراعى مواشيهم أماكن مختصة يتوعدون من يرمى فيها بغير اذنهم بالعقوبة الشديدة ، فمثل النبي صلى الله عليه وسلم بما هو مشهور عندهم . فالخائف من العقوبة يبعد عن ذلك الحمى خشية أن تقع مواشيه في شيء منه فبعده أسلم له ولو اشتدَّ حذرُه ، وغير الخائف يقرب منه ويرعى من جوانبه ، فلا يأمن أن تقع فيه بغير اختياره أو يمحل المكان الذي هو فيه ويقع الخصب في الحمى فلا يملك نفسه أن يقع فيه . فالله سبحانه وتعالى هو الملك حقا وحماه محارمه ، والمعنى ان الحلال حيث يخشى أن يؤول فعله مطلقا إلى مكروه أو محرم ينبغي اجتنابه كالاكتساب مثلا من الطيبات فانه يُحوج إلى كثرة الاكتساب الموقع في أخذ ما لا يستحق أو يفضي الى بطل النفس واقل ما فيه الاشتغال عن مواقف العبودية ، وهذا معلوم بالعادة مشاهد بالعيان (٢) .

(١) صحيح البخارى ١/١٩٠ باب فضل من استبرأ لدينه / كتاب الايمان .  
(٢) فتح البارى ١/١٠٤٠ باب فضل من استبرأ لدينه / كتاب الايمان ببعض التصرف .

نستخلص من ذلك أن الغنى المذموم هو الحاصل من كل ما امتلكه  
الانسان بطريق محرم تحريماً صريحاً، أو بطرق مشبوهة ، وقد نهانا  
الشرع عن هذه الطرق غير المشروعة .

وسأتكلم عن الطرق غير المشروعة لا للاستيعاب والحصر ، بل لضرب  
الأمثلة حول التملك بطريق مذموم والتي ورد ذكرها في عدد من الآيات  
في كتاب الله العزيز :

نهانا الله تعالى عن تعاطي الخمر والميسر قال عز من قائل :  
( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ (٤) رِجْسٌ  
عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٦) .

( أكد تحريم الخمر والميسر في هذه الآيه بفنون التأكيد حيث  
صدرت الجملة بإنما وقرنا بالأصنام والأزلام وسميا رجساً من عمل الشيطان  
تنبيهاً على أن تعاطيهما شرٌ بحت ، وأمر بالاجتناب عن عينهما وجعل  
ذلك سبباً يرجي منه الفلاح فيكون ارتكابهما خيبة محققة (٧) .

كما أن الأنصاب والأزلام في الجاهلية كانت طرقاً للغنى المذموم  
حيث أن سدنة الأصنام كانوا يستولون على ما يقدم لها من هدايا وأعطيات  
لذا حاربوا الدعوة الإسلامية لأنها أتت لتحرمهم من الاغتناء  
بمثل هذه الوسائل المحرمة .

كذلك حرم تعالى الأكل أو الاتجار بالأعمال التالية :  
قال تعالى ( إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِهِ  
اللَّهُ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٨) .

(١) الخمر : كل ما خامر العقل من سائل المسكرات : انظر الفصل  
الثالث .

(٢) الميسر : القمار .

(٣) الأنصاب : احجار كانت منصوبه حول البيت كانوا يذبحون عليها

ويعتبرونها ذلك قوبه .  
(٤) الأزلام : جمع زلم وهو القدح ، حيث كانوا اذا قصدوا فعلاً ضربوا ثلاثه  
أقداح طلباً لمعرفة ما قسم لهم .

(٥) رجس : قدر تعاف عنه العقول وهو من عمل الشيطان مسبب من تسويله  
وتزيينه .

(٦) المائدة (٩٠) . (٧) تفسير ابي السعود ٣/٧١٥ .

(٨) النحل (١١٥) .

نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الاتجار بالمحرمات :  
قال ابن القيم : ( وأخبرهم - أي رسول الله صلى الله عليه وسلم - أن الله سبحانه وتعالى حرّم عليهم بيع الخمر والميتة والخنزير و ( عبادة ) الأصنام فسألوه وقالوا : أرأيت شحوم الميتة فإنه يطلى بها السفن ويدهن بها الجلود ويستصبح بها الناس ، فقال : ( هو حرام ) ثم قال : قاتل الله اليهود ، فإنّ الله لما حرّم عليهم شحومها جمّلوه<sup>(١)</sup> ثم باعوه وأكلوا ثمنه<sup>(٢)</sup> .

وفي قوله ( هو حرام ) قولان ، أحدهما : أن هذه الأفعال حرام ، والثاني أن البيع حرام وإن كان المشتري يشتريه لذلك ، والقولان مبنيان على أن السؤال منهم هل وقع عن البيع لهذا الانتفاع المذكور أو وقع عن الانتفاع المذكور ؟ .

والأول أظهر ، لأنه لم يخبرهم أولاً عن تحريم هذا الانتفاع حتى يذكروا حاجتهم إليه وإنما أخبرهم عن تحريم البيع فاخبروه أنهم يبتاعونه لهذا الانتفاع ، فلم يرخص لهم في البيع ولم ينههم عن الانتفاع المذكور ، ولا تلازم بين جواز البيع وحل المنفعة .

وسأله صلى الله عليه وسلم ابو طلحة عن أيتام ورثوا خمرًا ، فقال ( أهرقها قال : أفلا اجعلها خلا ؟ قال ( لا ) حديث صحيح<sup>(٣)</sup> ) .

ومن غريب الأمر أن دعاة الحضارة ، والمدنية يتجرون بالخمرة والخنزير مع علمهم بمضارها ، لكن حبهم للجمع والاستكثار من الأموال جعلهم يبيحون لأنفسهم الاتجار بهذه الأشياء المضرة ، كما أن الدول الأوربية تستخدم الصعق الكهربائي للحيوانات قبل ذبحها بحجة الرأفة ، ولكن هدفهم هو اكتساب الأموال بأية وسيلة والتظاهر أمام الشعوب بالرحمة على الحيوان بينما هم أقسى خلق الله على الإنسان ، ولكنها وسائل أهل الكفر في كسب الأموال الطائلة غير مباليين بحل ، أو حرمة . ومما يدل

(١) جمّلوه : أي اذابوه على النار .

(٢) الحديث رواه مسلم في صحيحه في كتاب المساقاة والمزارعة .

(٣) اعلام الموقعين ٤ / ٣٢٥ - ابن القيم الجوزية .

على خطورة هذه المحرمات استفتاحها في الآيات بلفظ التحريم مع العلم  
أن القرآن لم يستخدم لفظ التحريم إلا في القليل .

ومن الأعمال المحرمة الربا ، والرشوة ، والسرقه ، والغصب وغيرها فيما  
سأتكلم عنه في الفصل القادم بإذن الله .





### \*\*\* احترام الاسلام للملكية الفردية \*\*\*

يقدر الاسلام حق الملكية للمال بوسائل التملك المشروعة ويذلل أمام الفرد سبل التملك .

والملكية في الاسلام قسمان :

- ( ١ ) ملكية خاصة ، أو فردية .
- ( ٢ ) ملكية جماعية .

### \*\*\* الملكية الخاصة ( الفردية ) \*\*\*

أقرت الشريعة الغراء حق الملكية الفردية . ذلك ان الله سبحانه وتعالى خلق الانسان ، وجبله على حب التملك والاستحواذ على خيرات الدنيا قال تعالى :

( رَبِّينَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِصَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ) (١) .

وقال تعالى : ( وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ) (٢) والخير في الآيه بمعنى المال .

وبما أن الله سبحانه وتعالى هو أعلم بمن خلق فقد سمح للأفراد بالتملك ، وأمرهم بالمحافظة على ما ملكهم وأن يقوموا بصيانتة .

قال تعالى :

( وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِّنَ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ) (٣) .

والمغزى من هذه الآية الكريمة أن الاسلام احترام ملكية هذين

(١) آل عمران ( ١٤ ) .

(٢) العاديات ( ٨ ) .

(٣) الكهف ( ٨٢ ) .

الغلامين الصغيرين لما تركه لهما أبوهما الصالح ، وتولى الله سبحانه وتعالى حفظ كنزهما وذلك بأن كلف عبد بن صالحين ، أحدهما نبي كريم كريم هو سيدنا موسى والثاني سيدنا الخضر عليهما السلام بأن يقيما الجدار المتصدع حتى لا تمتد يد العابثين إليه إلى أن يكبر الغلامان ويستطيعا استخراج أموالهما .

يقول القرطبي في تفسير الآية الكريمة :

هذان الغلامان صغيران بقريئة وصفهما باليتم ، واسمهما ( أصرم ) و ( صريم ) وفي قوله تعالى : ( وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا ) اختلف الناس في الكنز ، فقال عكرمة وقتادة : كان مالا جسيما وهو الظاهر من اسم الكنز إذ هو في اللغة المال المجموع ، وقال ابن عباس : كان علما في صحف مدفونه . وعنه أيضا قال كان لوحا من ذهب مكتوبا فيه ( بسم الله الرحمن الرحيم عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن ، عجبت لمن يؤمن بالرزق كيف يتعب ، عجبت لمن يؤمن بالموت كيف يفرح ، عجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل ، عجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن لها ، لا اله الا الله محمد رسول الله .

وقوله تعالى : ( وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا ) ظاهر اللفظ أنه والدهما دنيئة أي الأب الأقرب (١) .

ويقول أبو السعود : تنبيه على أن سعيه في ذلك كان لصلاحه ( فأراد ربك ) أي مالك ومدبر أمورك ( ان يبلغا أشدهما ) أي حلمهما وكمال رأيهما ( ويستخرجا ) بالكلية ( كنزهما ) من تحت الجدار ولولا أنسى اقمته لانقض وخرج الكنز من تحته قبل اقتدارهما على حفظ المال وتنميته وضاع ، ( رحمة من ربك ) أي مرحومين منه عز وجل (٢) .  
( وما فعلته عن أمرى ذلك تأويل مالم تسطع عليه صبرا ) .  
( أي وما فعلت ما رأيت عن اجتهادي وإنما فعلته بأمر الله ) (٣) .

وقد قرر الله سبحانه وتعالى حق ملكية المال حين قال تعالى :

( خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ) (٤)

(٢) تفسير أبي السعود ٥ / ٢٣٩ .

(٤) التوبة (١٠٣) .

(١) تفسير القرطبي ١١ / ٣٨ .

(٣) تفسير النسفي ٣ / ٢٢ .

فقد أضاف الله سبحانه وتعالى الأموال إلى مالكيها إضافة صريحة لا تحتل اللبس أو المشاركة مع أن الله خالقهم وخالق أموالهم ومالكها ومع ذلك فقد أضافها الله تعالى إليهم إضافة تامة .

وقد أكد القرآن الكريم هذا المعنى في آيات عديدة منها قوله تعالى :

( وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ )<sup>(١)</sup> .

وقال تعالى :

( وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ )<sup>(٢)</sup> .

وقال تعالى :

( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ )<sup>(٣)</sup> .

وقال تعالى :

( إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ )<sup>(٤)</sup> .

وقال تعالى :

( مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سَنَابِلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ ، وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ )<sup>(٥)</sup> .

نرى من هذه الآيات أن الله سبحانه وتعالى أضاف الأموال إلى ملاكها إضافة تامة مما يؤكد تصريح الإسلام بملكية المال للأفراد ، وأنها حق مشروع أقره الله ورسوله في الكتاب والسنة .

وفي السنة المطهرة أحاديث كثيرة تؤكد حق التملك الفردي واحترامه روى مسلم بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ : دَمُهُ ، وَمَالُهُ ، وَعَرْضُهُ )<sup>(٦)</sup> .

بل وقرر وجوب الدفاع عن المال وبذل الروح في سبيل حمايته حينما بَيَّنَّ أَنَّ مَنْ يُقْتَلْ وَهُوَ يَدْفَعُ عَنْهُ فَهُوَ فِي عَدَادِ الشَّهِدَاءِ :

(١) الانعام ( ١٥٢ ) .

(٢) البقرة ( ١٨٨ ) .

(٣) المنافقون ( ٩ ) .

(٤) التغابن ( ١٥ ) .

(٥) البقرة ( ٢٦١ ) .

(٦) صحيح مسلم بشرح النووي ١٦ / ١٢١ باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره / كتاب البر والصلة .



روى مسلم بسنده عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله : أرأيت إن جُنا رجلاً يريد أخذ مالي ؟ قال : ( فلا تُعطِه مالك ) قال : أرأيت إن قاتلني؟ قال ( قَاتِلُهُ ) قال : أرأيت إن قَتَلَنِي ؟ قال : فأنت ( شهيدٌ ) قال : أرأيت إن قَتَلْتَهُ ؟ قال ( هو فى النار ) .<sup>(١)</sup>

قال النووى : يُعْلَمُ أَنَّ الشَّهِيدَ ثَلَاثَةٌ أَقْسَامٍ :-

أحدهما : المقتول فى حرب الكفار بسبب من أسباب القتال فهذا له حكم الشهداء فى ثواب الآخرة وفى أحكام الدنيا وهو لا يغسل ولا يصلى عليه .

والثانى : شهيد فى الثواب دون أحكام الدنيا ، وهو : لمبطون ، والمطعون ، وصاحب الهدم ، ومن قتل دون ماله ، وغيرهم ممن جاءت الأحاديث الصحيحة بتسميته شهيداً ، فهذا يغسل ويصلى عليه ، وله فى الآخرة ثواب الشهداء ولا يلزم أن يكون مثل ثواب الأول .

والثالث : من غل فى الغنيمة وشبهه ممن وردت الآثار بنفى تسميته شهيداً إذا قتل فى حرب الكفار فهذا له حكم الشهداء فى الدنيا فلا يغسل ولا يصلى عليه وليس له ثوابهم الكامل فى الآخرة والله أعلم .

وأما أحكام الباب ففيه جواز قتل القاصد لأخذ المال بغير حق سواء كان المال قليلاً ، أو كثيراً لعموم الحديث وهذا قول الجماهير من العلماء .<sup>(٢)</sup>

وفى خطبة حجة الوداع - وكان قد اجتمع فى هذه الحجة عشرات الآلاف من صحابة النبى صلى الله عليه وسلم - يقول لهم صلى الله عليه وسلم : ( إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ )<sup>(٣)</sup> .

فهذا القول متواتر والعلم به متحقق مما يدل على احترام الإسلام للملكية وأن التعدى عليها فى غاية القبح عند الله تعالى .

(١) صحيح مسلم بشرح النووى ١٦٣ / ٢ ، باب من قتل دون ماله فهو شهيد / كتاب الايمان .

(٢) شرح النووى على صحيح مسلم ١٦٣ / ٢ - ١٦٥ .

(٣) صحيح مسلم بشرح النووى ١٧٠ / ١١ - تغليظ تحريم الدماء والاموال والاعراض / كتاب القسا مة .

(( احترام ملكية المسلم وغير المسلم في الدولة الإسلامية ))

مما تقدم من نصوص تبين لنا تقرير الإسلام لملكية الأفراد واحترامه لها .

وكما يحترم الإسلام ملكية المسلم ؛ فإنه كذلك يحترم ملكية غير المسلم ولم يحاول التعدي عليها ، أو نزعها ، ودليل ذلك ( بئر رومة ) التي كانت تحت يد يهودي في عهد رسولنا الكريم قائدنا وأسوتنا صلى الله عليه وسلم ، فبالرغم من أن المسلمين كانوا في أشد الحاجة للماء العذب حتى إن بعض الصحابة أصابتهم الحمى ، وكانوا بحاجة ماسة لهذا الماء العذب ومع ذلك فإن النبي صلى الله عليه وسلم لم يجبر اليهودي على بيع البئر ولم يأخذها قهراً بل ساومه على ثمنها ، مع أن الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضوان الله عليهم كان بوسعهم أن ينزعوا من اليهودي ملكية البئر وهو الذي كان يبيع الدلو بمد ، ومع ذلك لم يصادرها النبي صلى الله عليه وسلم ، ولم ينزعها من يد صاحبها ، بل قال عليه السلام من يشتري بئر رومة فله الجنة فأشترها عثمان رضي الله عنه ، مما يبين أن ملكية الأفراد في ظل الشريعة الإسلامية محمية ولا يصح أن تصادر .

( ذكر ابن عبد البر أنها كانت ركية لليهودي يبيع ماءها من المسلمين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من يشتري رومة فيجعلها للمسلمين يضرب بدلوه في دلائهم وله بها شرب في الجنة؟ فأتى عثمان اليهودي فساومه بها ؛ فأبى أن يبيعهما كلها فاشترى عثمان نصفها باثني عشر ألف درهم فجعله للمسلمين ، فقال له عثمان إن شئت جعلت لنصيبى قريين وإن شئت فلي يوم ولك يوم فقال : بل لك يوم ولي يوم ، فكان إذا كان يوم عثمان استقى المسلمون ما يكفيهم يومين فلما رأى اليهودي ذلك قال : أفسدت على ركييتي فاشترى النصف الآخر فاشتراه بثمانية آلاف درهم )<sup>(٣)</sup>

- 
- (١) الركية : البئر بلسان العرب ٤٦/٣  
 (٢) القرب : طلب الماء ليلاً وقيل القارب الذي يطلب الماء ولم يعين وقتاً .  
 (٣) وفاء الوفا باخبار دار المصطفى ٣ / ٩٧٠ . السيد الشريف نور الدين علي بن أحمد السهمودي

وقد روى الإمام أحمد، والنسائي، والترمذي قصة شراء عثمان رضي الله عنه لبئر رومة (١).

وقد تركت ذكر النصوص اكتفاءً بما نقلته عن وفاة الوفا .

كما أن عثمان رضي الله عنه بعد ذلك عمق حفرها ليفيض ماؤها، ويكثر ويسهل نزعه على المسلمين .

روى البخاري تعليقا عن أبي عبد الرحمن أن عثمان رضي الله عنه حيث حوَّص أشرف عليهم ، وقال انشدكم الله ولا أنشد إلا أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أستم تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ( مَنْ حَفَرَ رُومَةَ فَلَهُ الْجَنَّةُ فَحَفَرْتُهَا ) (٢).

قال ابن حجر : ( قوله ( من حفر رومة ) قال ابن بطال : هذا وهم من بعض رواته والمعروف أن عثمان اشتراها لا حفرها ( قلت ) هو المشهور في الروايات ، ولكن لا يتعين الوهم فقد روى البغوي في الصحابة من طريق بشر بن بشير الأسلمي عن أبيه قال : لما قدم المهاجرون المدينة استنكروا الماء وكانت لرجل من بني غفار عين يقال لها رومة وكان يبيع منها القرب بمد ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم تبيعنيها بعين في الجنة فقال : يا رسول الله ليس لي ولا لعيالي غيرها فبلغ ذلك عثمان رضي الله عنه فاشترها بخمسة وثلاثين ألف درهم ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : أتجعل لي فيها ما جعلت له قال : نعم . قال قد جعلتها للمسلمين ، وإن كانت أولا عينا فلا مانع أن يحفر فيها عثمان بئرا ، ولعل العين كانت تجرى لري بئر فوسَّعها وطواها فنسب حفرها إليه ) (٣).

وعلى كل الأحوال نرى أن كل الروايات تؤيد انه لا يجوز الاستيلاء على مال المسلم مما يدل على أن الأموال محترمة معصومة في ظل الشريعة الاسلامية إلا أن ينزل عنها أصحابها برغبتهم .

(١) انظر مسند الامام أحمد ١/٧٥/ وسنن النسائي بشرح السيوطي ٦/٤٦٠ .  
وجامع الترمذي ومعه تحفه الاحوذى ١٠/١٨٩ مناقب عثمان حديث

رقم (٣٧٨٢) .  
(٢) صحيح البخاري بشرح فتح الباري : ٥/٣١٤ باب اذا وقف أرضا  
او بئرا / كتاب الوصايا

(٣) المرجع السابق ٥/٣١٤ . نقلته ببعض التصرف .

وحق الملكية في الإسلام حق طبيعي للفرد مقرر له لا يحق الاستيلاء عليه إلا إذا استُعْمِلَ المال فيما حرم الله أو اكتسبه بطرق غير مشروعة كالإتجار بالمحرمات<sup>(١)</sup>، والغصب، والربا، والرشوة، وما إلى ذلك من طرق مُحَرَّمَةٌ سأتكلم عنها في حينها .

أما ما عدا ذلك فلإنسان أن يملك ما وسعه التملك مادام ذلك بالطرق المشروعة، ولا يحق للجماعة الاستيلاء على مال الفرد وإلا عُذِّبَ ذلك غصبا، فإذا كان الغصب مُحَرَّمًا على الأفراد في الشريعة، فتحريمه على الجماعة من باب أولى لأن الشرع لا يقر جماعة تتفق على الظلم ويعتبرهم محاربين تقطع أيديهم، وأرجلهم من خلاف، وكما هو محرم على الجماعة غصب مال الفرد، فإنه كذلك محرم على الفرد امتلاك المال بطريق الغصب .

والغصب لغةً : هو أخذ الشيء ظلماً . وشرعا : الاستيلاء على حق الغير عدواناً<sup>(٢)</sup> أو بغير حق<sup>(٣)</sup> .

قال صاحب المغني والشرح الكبير : هو محرم بالكتاب، والسنة، والاجماع<sup>(٤)</sup> أما الكتاب فقوله تعالى ( وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ )<sup>(٥)</sup> .

وفي السنة المطهرة وردت أحاديث كثيرة تدل على تحريم الغصب منها : روى الدار قطني بسنده عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ( لَا يَجِلُّ مَالٌ بِأَمْرِئٍ مُّسْلِمٍ إِلَّا بِطَيْبِ نَفْسٍ )<sup>(٦)</sup> .

وروى مسلم بسنده عن عبد الرحمن عن أبيه أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال في خطبة حجة الوداع : ( فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ كَحَرَمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا )<sup>(٧)</sup> .

- (١) انظر الإتجار بالمحرمات في آخر الفصل الأول .
- (٢) السراج الوهاج ص ٢٦٦ كتاب الغصب / الغمراوي .
- (٣) روضة الطالبين ٣ / ٥ كتاب الغصب / زكريا بن شرف النووي .
- (٤) المغني وشرح الكبير ٣٧٤ / ٥ . (٥) البقرة ( ١٨٨ ) .
- (٦) سنن الدار قطني وعليها التعليق المغني ٢٦ / ٣ كتاب البيوع .
- (٧) صحيح مسلم بشرح النووي ١٧٠ / ١١ تغليظ تحريم الدماء والأموال كتاب القسامه / نقلته باجتهادات .

وروى البخاري بسنده عن سعيد بن زيد رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ( مَنْ ظَلَمَ مِنَ الْأَرْضِ شَيْئًا طَوَّقَهُ مِنْ سَبْعِ أَرْضِينَ ) (١) .

جاء في الفتح : ( قال الخطابي : قوله : طَوَّقَهُ له وجهان : أحدهما أن معناه أنه يكلف نقل ما ظلم منها في القيامة الى المحشر ويكون كالطوق في عنقه لا أنه طوق حقيقة ، والثاني معناه أنه يعاقب بالخسف الي سبع أرضين أى فتكون كل أرض في تلك الحالة طوقا في عنقه .

قال ابن حجر : وفي الحديث تحريم الظلم ، والغصب ، وتغليظ عقوبته وأنه من الكبائر قاله القرطبي وكأنه فرعه على أن الكبيرة ما ورد فيه وعيد شديد ) (٢) .

( أما الاجماع فقد أجمع المسلمون على تحريم الغصب في الجملة وإنما اختلفوا في فروع منه ، فمن غصب شيئا لزمه رده ما كان باقيا بغير خلاف نعلمه لقوله صلى الله عليه وسلم ( عَلَى الْيَدْرِ مَا أَخَذَتْ حَتَّى تُؤَدِّيَهُ ) (٣) .

إِنَّ الملكية الفردية في الإسلام تقرير وتنظيم من الشارع الحكيم فهي ليست محرمة كما في المذاهب الاشتراكية الضالة ، وهي أيضا ليست فوضى كما في المذاهب الرأسمالية التي تبيح للشخص الامتلاك بشتى الوسائل كالاتجار بالمحرمات ، والتعامل بالربا ، وغير ذلك من الطرق التي تقوم على تدمير الانسان ، وغصب ماله بطريق أو بآخر من الطرق التي حرمها الاسلام ولكنها أى الملكية الفردية - حق قرره الاسلام وحصنه بضوابط إيجابية وسلبية لصيانة هذا الحق ، ومنها :-

### أولا :

احترم الاسلام المالية في أيدي أصحابها ، وجعل لهم حقوق التصرف فيها كيفما شاؤوا في حدود الشرع ، وحينما جعل فيها حقا للفقراء والسائلين ، لم يجعل هذا الحق يأتي عليها كلها بل إنه حق يسير حددته

(١) صحيح البخارى ٣ / ١٠٠ باب اثم من ظلم فى الارض شيئا / كتاب المظالم .

(٢) فتح البارى بشرح البخارى ٥ / ٧٩ باب اثم من ظلم فى الأرض شيئا / كتاب المظالم .

(٣) المجموع شرح المذهب ١٤ / ٢٣٢ والمغنى والشرح الكبير ٧ / ٣٧٤ . والحديث رواه ابو داود عن سمرة بن جندب ٢ / ٣٦٨ ورواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح ٢ / ٣٦٩ .

السنة المطهرة بربع العشر في الأموال الحقيقية .  
قال تعالى : ( خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً ) إِنَّ اللَّهَ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَضَافَ  
إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَ( مَنْ ) هُنَا لِلتَّبْعِيضِ أَي خَذَ بَعْضَ أَمْوَالِهِمْ وَلَيْسَ كُلُّهَا  
فَعِنْدَمَا قَرَّرَ الْإِسْلَامَ الْاأْخِذَ مِنْ أَمْوَالِهِمْ لَمْ يَسْلُطِ الْحَاكِمَ عَلَى أَخِذِ كُلِّ الْأَمْوَالِ  
بَلْ إِنْ الْإِسْلَامَ لَا يَطَالِبُ أَحَدًا بِالزَّكَاةِ إِلَّا إِذَا بَقِيَ الْمَالُ فِي خَزَائِنِهِ وَلَمْ  
يَتَصَرَّفْ فِيهِ حَوْلًا عَرَبِيًّا كَامِلًا . وَسَابِقِينَ ذَلِكَ مَفْصَلًا فِي نَفْسِ الْبَابِ عِنْدَ حَدِيثِي  
عَنِ الزَّكَاةِ .

### ثانيا :

ومن دعوة الإسلام إلى المحافظة على الأموال إنه نهى الأفراد عن  
الإسراف ، والتبذير وَفَبَّحَ ذَلِكَ بَأَنَّ وَصَفَهُمْ بِأَنَّهُمْ إِخْوَانُ الشَّيَاطِينِ حَيْثُ  
قَالَ تَعَالَى : ( وَءَاتَ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تَبْذِرْ تَبْذِيرًا  
إِنَّ الْمُبْذِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ) <sup>(١)</sup> وَالتَّبْذِيرُ  
هُوَ صَرْفُ الْمَالِ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ .

لِذَا فَإِنَّ مَالِكَ الْمَالِ مَطَالِبٌ بِالْإِعْتِدَالِ ، وَالتَّوَسُّطِ فِي الْإِنْفَاقِ  
فَلَا يَسْرِفُ وَيُعِيشُ حَيَاةَ الْبَذْخِ وَالتَّرْفِ لِأَنَّ ذَلِكَ يَنْشَأُ عَنْهُ الْهَلَاكُ الْمَحْقُوقُ .  
قَالَ تَعَالَى : ( وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُهْلِكَ قَوْمًا أَمْرًا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا  
فَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَا بَعْضًا ) <sup>(٢)</sup> .

وسأتكلم عن الإسراف مفصلاً في الفصل الخاص به في البحث .

### ثالثا :

ومن مظاهر حفاظ الإسلام على ملكية المال وصيانته من الضياع  
أنه أمر بالحجر على السفهه واعطائه ما يكفيه فقط من المال حتى يرشد .  
قَالَ تَعَالَى : ( وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا  
وَأَرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ) <sup>(٣)</sup> .  
قَالَ مُجَاهِدٌ : ( السُّفَهَاءُ مِنَ الرِّجَالِ ، وَالنِّسَاءِ ) <sup>(٤)</sup> .

- |                      |                         |
|----------------------|-------------------------|
| (١) الاسراء ( ٢٦ ) . | (٢) الاسراء ( ١٦ ) .    |
| (٣) النساء ( ٥ ) .   | (٤) تفسير مجاهد ص ١٤٤ . |

" تعريف السفه " :

لغة : ( الخفة والطيش . وسفه فلان رأيه اذا كان مضطربا لا استقامه  
له ) .<sup>(١)</sup>

وفي الاصطلاح : (خفه تعترى الإنسان فتحمله على العمل بخلاف  
موجب الشرع، والعقل مع قيام العقل . وقد غلب في عرف الفقهاء على تبذير  
المال، وتلافه على خلاف مقتضى الشرع ) .<sup>(٢)</sup>

قال ابن حجر ( السفه هو الذى يضيع المال ويفسده بسوء تدبيره ) .<sup>(٣)</sup>

أما الحجر فى اللغة فهو ( المنع والتضييق ) .<sup>(٤)</sup>

وشرعا : ( المنع من التصرفات المالية ) .<sup>(٥)</sup>

والإسلام أثناء الحجر على السفه ، يقرر أن المال ماله وهو حق له  
يرتد إليه متى يرشد فإن لم يرشد ومات ، فالمال مال ورثته يرد إليهم كاملا .

وقد اختلف العلماء فى الحجر على السفه هل يكون بمجرد السفه أو

لابد من حكم الحاكم .

" القول الأول " :

يرى أصحابه ( ان ثبوت الحجر لابد فيه من حكم القاضى ولا يكفى  
مجرد ثبوت السفه وثبوت السفه دون حكم القاضى بالحجر لا يرد تصرفه فى  
المال وقد ذهب الى هذا القول الإمام مالك وكبراء أصحابه كابن كنانة  
وابن نافع وهو قول إبي يوسف صاحب أبى حنيفة وبعض الشافعية وصححه  
النووى وهو اختيار القاضى أبى يعلى من الحنابلة ) .<sup>(٦)</sup>

(١) تهذيب الصحاح ٣/٣٠٩ . والنهايه فى غريب الحديث ٢/٣٧٦

(٢) ( حرف السين ) العناية على الهدايه ومعها تكملة فتح القدير ٧/٣١٤ .

(٣) فتح البارى ٥/٥٢ باب ما ينهى عن اضعاء المال / كتاب فسى

الاستقراض وأداء الديون والحجر والتفليس .

(٤) المجموع شرح المذهب ١٣/٣٤٤ باب الحجر .

(٥) السراج الوهاج على متن المنهاج ص ٢٢٩ - الغمراوى .

(٦) حاشية الدسوقى على الشرح الكبير ٣/٢٩٧ - ٢٩٨ - الدردير والاشباه

والنظائر لابن نجيم ص ٢٧٩ - وروضة الطالبين ٤/١٨٢ . والانصاف

ودليل القائلين بهذا القول أَنَّ علياً كَرَّمَ اللهُ وجهه أتى عثمان  
رضي الله عنه وسأله أن يحجر علي عبد الله بن جعفر .<sup>(١)</sup>

فلو كان السفه لا يحتاج إلى حكم القاضي بالحجر لما ذهب علي إلى  
عثمان رضي الله عنهما يطلب منه الحكم بالحجر على عبد الله بن جعفر وأيضاً  
لو أن السفه يوجب الحجر بدون حكم القاضي لبين عثمان رضي الله عنه  
ذلك لعلي لكنه قال له : كيف أحجر علي رجل شريكه الزبير ، فهذا يدل  
على أن السفه لا تبطل تصرفاته إلا بحكم الحاكم وأن ذلك كان شائعاً  
بين الصحابة .

### القول الثاني :

( يرى أصحاب هذا القول أنه يحجر علي السفه بمجرد السفه ، وهو  
غير موقوف على طلب أحد ، ولا يحتاج الأمر إلى حكم القاضي .  
قال به بعض المالكية ، ومحمد صاحب أبي حنيفة وطوائف من الشافعية  
وكذلك هو قول الحنابلة ووجهة نظر أصحاب هذا القول أَنَّ العلة هي السفه  
وقد تحققته فلزم أن يتبعها حكمها وهو الحجر )<sup>(٢)</sup> .

فمن شدة احترام الاسلام لملكية الفرد فانه عند السفه ألزم بالحجر  
فقط ولم يلزم بالتسرع .

(١) الحديث رواه عبد الرزاق الصنعاني في مصنفه ٢٦٨/٨ في باب  
المفلس والمحجور عليه من طريق هشام بن عروه وتتمة الحديث : أتى  
عبد الله بن جعفر الزبير فقال : انى ابتعت بيعة بكذا وكذا . وأن علياً  
يريد أن يأتى عثمان فيسأله ان يحجر علي فقال له الزبير : فأنا شريكك  
في البيع فأتى علي عثمان فقال له : إن ابن جعفر ابتاع كذا وكذا  
فأحجر عليه ، فقال الزبير : أنا شريكه في هذا البيع ، فقال عثمان كيف  
أحجر علي رجل في بيع شريكه الزبير ) .

(٢) حاشية الدسوقي على الشرح الكبير ٢٩٧/٣ والمبسوط ١٦٤/٢٤ وتكملة  
المجموع ٣٧٩/١٣ والانصاف ٣٢٠/٥ وكشاف القناع ٢٦٩/٣ .



رابعاً :

وكما يحافظ الإسلام على ملكية المال لصاحبه في حياته فإنه حفظها أيضاً بعد مماته بأن طمأن مالكيها أنها ستعود إلى ذريته وأقاربه .  
قال تعالى : ( يُوَصِّيْكُمْ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ ) (١) .

فجعل الميراث في الأسرة امتداداً لصاحب المال ، وجعل ثمرة جهود الفرد لا تقف عند حد حياته القصيره بل ستنتفع بها ذريته وهم امتداده في الحياة . كما جعل ذلك بطريق الإجبار أراد صاحب المال أو لم يرد حماية للأسرة وتوثيقاً للعلاقات بين أفرادها ، وجعل توزيع الميراث بحسب القرب والحاجة فمن ثم كان أكثر الأسرة حظاً في الميراث هم الأبناء لأنهم أكثر قرباً، وحاجة ، وكان حظ الذكر ضعف حظ الأنثى ، لأن التكاليف التي يطالب بها الرجل كثيرة ، فهو مطالب بالانفاق على الزوجة ، والاخت وهو المدعو للجهاد بماله ونفسه ، وحين يذهب للجهاد فهو مطالب ان يبقى بعض المال لمن هو مكلف بالنفقة عليهم .

ثم إن الإسلام لم يقف عند هذا الحد في احترامه للملكية وصيانتها للمال بل إنه وضع ضوابط لحماية هذه الأموال ومنع الاعتداء عليها بإقامته الحدود والتعزيزات على كل من تسول له نفسه بالاعتداء على مال الغير .

ومن أبرز صور هذه الحماية :-

أولاً :

قطع يد السارق : قال تعالى ( وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ ) (٢) .

ما أروع هذا النص القرآني إذ شمل الرجال والنساء بقطع يد السارق ، رجلاً كان أو امرأة .

(والسرقة هي أخذ الشيء من الغير على وجه الخفية بغير حق سواء كان نصاباً أولاً (٣) . فهي إذن إعتداء على حرمة الانسان واستباحة

(١) النساء ( ١١ ) .

(٢) المائدة ( ٣٨ ) .

(٣) البحر الرائق ٥٤/٥ كتاب السرقة .

لما له . وقد تشدد الاسلام أيما تشدد في تنفيذ حد السرقة ليبين للناس مدى صيانتة وحمايته ، واحترامه لأهوالهم ، وليردع كل من تسول له نفسه بالتعدى على أموالهم ، فرفض الشفاعة في الحدود ، واعتبر من يتطوع بها مهما كان شأنه آثماً . ويتجلى ذلك بوضوح في قصة أسامة بن زيد رضي الله عنهما وهو حب رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن حبه حين جاء يشفع في المخزومية التي سرقت فأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم قطع يد ها .

( روى البخاري بسنده عن عائشة رضي الله عنها أن قريشا أهمتهم المرأة المخزومية التي سرقت فقالوا من يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن يجترى عليه الا أسامه حب رسول الله صلى الله عليه وسلم . فكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : أَتَشْفَعُ فِي حَدِّ مَنْ حُدِّدَ اللَّهُ ؟ ثُمَّ قَامَ فخطب فقال : يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا ضَلَّ مِنْ قَبْلِكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ الشَّرِيفُ تَرَكَوهُ وَإِذَا سَرَقَ الضَّعِيفُ فِيهِمْ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ ، وَأَيُّمُ اللَّهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا (١) .

### ثانيا :

تحريم السطو : وهو قطع الطرق وقد فرض الله سبحانه وتعالى على مجترحيه عقوبة رادعة لأنهم يستخفون بحرمة المجتمع وينهبون أموال الناس .

قال تعالى : ( إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ، ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ) (٢) .

وبنظرة تأملية في هذه الآية الكريمة يعتبر القرآن قطاع الطرق محاربين لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم ولذا صنف عقوبتهم تبعاً لجريمتهم . (نقل ابن كثير عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال عن قطاع الطريق اذا قتلوا وأخذوا المال، قتلوا وصلبوا واذا قتلوا ولم يأخذوا المال قتلوا ولم يصلبوا . واذا أخذوا المال ولم يقتلوا قطعوا أيديهم وأرجلهم من خلاف

(١) صحيح البخارى ١٦/٨ باب كراهية الشفاعة في الحد ود اذا رفع الى السلطان / كتاب الحدود .

(٢) العائدة (٠٣٣) .

واذا أخافوا السبيل ولم يقتلوا ولم يسلبوا أخذوا وحبسوا في غير موضعهم  
لأنه أحوط وأبلغ في الزجر (١).

ورغم شدة هذه العقوبة التي جعلها الله لهم خزيا في الدنيا لم  
يكتف القرآن الكريم بها بل بين أن لهم في الآخرة مع هذه العقوبة عذابا  
أليماً مخصوصاً بهم .

وهناك ضوابط أخرى لحماية المال اكتفيت بأشهرها تجنباً  
للاطلاقة .




---

(١) ابن كثير ٥٢/٢ وانظر الاقناع - في حل الفاظ ابي شجاع ١٩٧/٢ .

” الوسائل المحرمة في تنمية الملكية ”

شرع الاسلام للفرد الحرية في تنمية أمواله ولكن في الحدود المشروعة فيرافق مصلحة الفرد مصلحة الجماعة التي يتعامل معها ، فللمسلم أن يستثمر ما له في كافة الأعمال المشروعة، ولكن وضعت الشريعة الإسلامية الغراء لهذا الاستثمار ضوابط لا بد من التقيد بها وإلاَّ عُدَّ المال المستثمر مالا حراماً . ومن هذه الضوابط :-

” يحرم الإسلام الغش في المعاملة ” :

روى مسلم بسنده عن أبي هريرة أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم مرَّ على صُبْرَةِ طَعَامٍ فَأَدْخَلَ يده فيها فَنَالَتْ أَصَابِعُهُ بِلَلًا ، فقال: ما هذا يا صاحب الطعام ؟ قال : أصابته السماء يارسول الله ، قال : أفلا جعلته فوق الطعام كي يراه الناس ؟ من غشَّ فليس مِنِّي (١) فالحديث دليل على تحريم الغش ومعنى فليس مني : ( أي ليس على سيرتنا الكاملة وهدينا ) . (٢)

فللمسلم أن يبيع ويشترى ولكن ليس له أن يغش في سلعة ، فإن كان في السلعة عيب ، فعلى البائع أن يبين العيب للمشتري وإلاَّ عد الربح حراماً .

” يمنع الإسلام استثمار الأموال وتنميتها عن طريق الاحتكار ” :

فالاحتكار وسيلة غير مشروعة من وسائل الكسب واستثمار الأموال لأن المحتكر يمسك البضائع الضرورية حتى تفقد من الأسواق ويترصدها حاجة الناس الماسة إليها فيظهرها ، ويفرض ما يشاء من أسعار وبذلك يكلف الناس مالا يطيقونه .

روى مسلم بسنده عن معمر بن عبد الله . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ( لا يحتكرُ، إلاَّ خاطئٌ ) (٣) ؟

( والتصريح بأن المحتكر خاطئٌ كان في افادة عدم الجواز لأن -  
الخاطئ هو المذنب العاصي ) (٤)

- (١) صحيح مسلم بشرح النووي ٣ / ١٠٨ باب قول النبي من غشنا فليس منا كتاب الايمان .
- (٢) شرح النووي على صحيح مسلم ٢ / ١٠٨ باب قول النبي من غشنا
- (٣) صحيح مسلم بشرح النووي ١١ / ٤٣ باب تحريم الاحتكار في الاقوات كتاب البيوع .
- (٤) المجموع شرح المذهب ١٣ / ٤٤ .

يقول الامام النووى في شرح هذا الحديث :-

(الخاطيء هو العاصي الآثم ، وهذا صريح في الاحتكار وقال :  
الاحتكار المحرم هو الاحتكار فى الأقوات خاصة وهو أن يشتري الطعام  
في وقت الغلاء للتجارة ، ولا يبيعه في الحال ، بل يدخره ليغلو ثمنه ،  
والحكمة في تحريم الاحتكار دفع الضرر عن عامة الناس ، كما أجمع العلماء  
على أنه لو كان عند إنسان طعام واضطر الناس إليه ولم يجدوا غيره أجبر  
على بيعه دفعا للضرر عن الناس )<sup>(١)</sup> .

" الربا " :-

وهو من أشنع الوسائل المحرمة في تنمية المال ولنقف أولا على معنى  
الربا وأقوال بعض العلماء فيه . .

" معنى الربا في اللغة " :-

( هو الزيادة قال الله تعالى : ( أَهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ ) أى زادت ونمت

وشرعا :

عقد على عوض مخصوص غير معلوم التماثل في معيار الشرع حالة العقد  
أو مع تأخير في التبدلين أو احدهما ، وهو على ثلاثة أنواع ربا الفضل وهو  
البيع مع زيادة أحد العوضين على الآخر، وربا اليد وهو البيع مع تأخير  
قبضهما ، أو قبض أحدهما، وربا النساء وهو البيع لاجل<sup>(٢)</sup> .

والربا محرم بالكتاب، والسنة، والاجماع .

أما الكتاب فقوله تعالى : ( وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا )<sup>(٣)</sup> .

واما السنة : (روى البخاري بسنده عن أبي هريرة عن النبي صلى الله  
عليه وسلم أنه قال : اجتنبوا السبع الموبقات ، قالوا يارسول الله : وما هن؟  
قال : الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق ، وأكل الربا  
وأكل مال اليتيم ، والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات )<sup>(٤)</sup> .

(١) شرح النووى على صحيح مسلم ٤٣ / ١١ باب تحريم الاحتكار / كتاب  
البيوع .

(٢) الاقناع في حل الفاظ أبي شجاع ٦ / ٢ باب الربا . واعانه الطالبيين  
على حل الفاظ فتح المعين ٢٠ / ٣ .

(٣) البقرة ( ٢٧٥ ) .

(٤) صحيح البخارى ٣٣ / ٨ باب رمى المحصنات / كتاب المحاربين من  
أهل الكفر والردة .

وروى مسلم بسنده عن جابر قال : لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ آكِلَ الرِّبَا وَمُوكَلَّهُ وَكَاتِبَهُ وَشَاهِدَيْهِ وَقَالَ هُمْ سَوَاءٌ<sup>(١)</sup> .

( والربا على ضربين : ربا الفضل ، وربا النسيئة ، وأجمعت الأمة على تحريمها )<sup>(٢)</sup> .

ومعنى ربا الفضل : أي الزيادة فيحرم بكل مكيل بيع بجنسه لعدم التماثل لما رواه مسلم بسنده عن عبادة بن الصامت قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ( الذَّهَبُ بِالذَّهَبِ وَالْفِضَّةُ بِالْفِضَّةِ وَالْبُرُّ بِالْبُرِّ وَالشَّعِيرُ بِالشَّعِيرِ وَالتَّمْرُ بِالتَّمْرِ وَالمَلْحُ بِالمَلْحِ مثلاً بمثلٍ سواءً بسواءٍ يدا بيدٍ فإذا اختلفت هذه الأشياء ، فبيعوا كيف شئتم إذا كان يدا بيد )<sup>(٣)</sup>

ومعنى ربا النسيئة : ( من النساء بالمد . وهو التأخير ، يقال نسأت الشيء وأنسأته آخرته )<sup>(٤)</sup> .

وهو الذي كان مشهوراً متعارفاً في الجاهلية ، وذلك أنهم كانوا يدفعون المال على أن يأخذوا كل شهر قدرًا معيناً ، ويكون رأس المال باقياً ، ثم إذا حل الدين طالبوا المدين برأس المال ، فإن تعذر عليه الأداء زادوا في الحق والاجل .

وقد أجمع العلماء على تحريم ربا الفضل كما أجمعوا على تحريم ربا النسيئة وقد ادعى بعض المحدثين عن ابن عباس حل ربا الزيادة محتجين بما قاله ابن عباس ( لا ربا إلا في النسيئة )<sup>(٥)</sup> وهذا القول مشهور عن ابن عباس إلا أن العلماء أكدوا رجوع ابن عباس عنه .

يقول صاحب كتاب سبل السلام : ( وإن الجمهور اجاب أن معنى الحديث : لا ربا أشد إلا في النسيئة ، فالمراد نفي الكمال لا نفي الأصل ولأنه مفهوم )<sup>(٦)</sup> .

- 
- (١) صحيح مسلم بشرح النووي ٢٦/١١ باب الربا / كتاب المساقاة والمزارعة  
 (٢) المغنى والشرح الكبير ١٢٢/٤ باب الربا والصرف .  
 (٣) صحيح مسلم بشرح النووي ١٤/١١ باب الربا / كتاب المساقاة والمزارعة  
 (٤) كشف القناع ٢٥١/٣ كتاب البيع باب الربا والصرف وتحريم الحيل .  
 (٥) رواه الحاكم في المستدرک ومعه التلخيص ٤٣/٢ / كتاب البيوع .  
 (٦) سبل السلام ٣٦/٣ باب الربا .

وقد روى الحاكم أن ابن عباس رضى الله عنهما رجع عن ذلك القول أي بأنه لا ربا إلا في النسيئة ، واستغفر الله من القول به (١) .

وقال القرطبي :

( إن ابن عباس رضى الله عنهما كان لا يرى الدرهم بالدرهمين بأساً حتى صرفه عن ذلك أبو سعيد ) (٢) .

وقال الرازي :

( المروي عن ابن عباس أنه كان لا يحرم إلا ربا النسيئة فكان يقول : ( لا ربا إلا في النسيئة ) وكان يجوز بالنقد ، فقال له أبو سعيد الخدري : ( شهدت ما لم تشهد أو سمعت من رسول الله ما لم تسمع ) ثم روى أنه رجع عنه ، قال محمد بن سيرين : كنا في بيت ومعنا عكرمة فقال رجل : يا عكرمة : ما تذكر ونحن في بيت فلان ومعنا ابن عباس فقال : إنما كنت استحلت التصرف برأيي ، ثم بلغني أنه صلى الله عليه وسلم حرّمه فاشهد وا أنى حرّمته وبرئت منه الى الله .

ويقول الرازي :

وحجة ابن عباس أن قوله ( وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ ) يتناول بيع الدرهم بالدرهمين نقداً ، وقوله ( وَحَرَّمَ الرِّبَا ) لا يتناوله لأن الربا عبارة عن الزيادة وليست كل زيادة محرمة ، بل قوله : ( وحرّم الربا ) إنما يتناول العقود المخصوصة الذي كان مسمى فيما بينهم بأنه ربا وذلك هو ربا النسيئة ، فكان قوله : ( وحرّم الربا ) مخصوصاً بالنسيئة ، فثبت أن قوله : ( وأحلّ الله البيع ) يتناول ربا النقد ، وقوله : ( وحرّم الربا ) لا يتناوله ، فوجب أن يبقى على الحل .

أما جمهور المجتهدين فقد اتفقوا على تحريم الربا في القسمين (٣) . أقول : ومن بقي محتجاً بقول ابن عباس رضى الله عنهما الذي تراجع عنه فهو يقول بهواه .

(١) المستدرك ومعه التلخيص ٢ / ٤٣ / كتاب البيوع .

(٢) الجامع لاحكام القرآن ٣ / ٣٥٠ .

(٣) التفسير الكبير ٧ / ٩٢ .

(وقد ذكروا في سبب تحريم الربا وجوهاً<sup>(١)</sup> :-

أحدها :-

الربا يقتضى أخذ مال الانسان من غير عوض لان من يبيع الدرهم با لدرهمين نقداً أو نسيئته فيحصل له زيادة درهم سن غير عوض ، ومال الانسان متعلق حاجته وله حرمة عظيمة قال صلى الله عليه وسلم ( حرمة مال الانسان كحرمة دمه<sup>(٢)</sup> فوجب أن يكون أخذ ماله من غير عوض محرماً .

ثانيها :-

قال بعضهم : إن الله تعالى إنما حرم الربا ، من حيث إنه يمنع الناس عن الاشتغال بالمكاسب ، وذلك لأن صاحب الدرهم إذا تمكن بواسطة عقد الربا من تحصيل الدرهم الزائد نقداً كان أو نسيئته خف عليه اكتساب وجه المعيشة ، فلا يكاد يتحمل مشقة الكسب والتجارة والصناعات الشاقة وذلك يفضي إلى انقطاع منافع الخلق ومن المعلوم أن مصالح العالم لا تنتظم الا بالتجاراات والحرف ، والصناعات والعمارات .

ثالثها :-

قيل إنَّ السبب في تحريم عقد الربا أنه يفضي إلى انقطاع المعروف بين الناس من القرض ، لأن الربا اذا طابت النفوس بقرض الدرهم واسترجاع مثله ، ولو حل الربا لكانت حاجه المحتاج تحمله على أخذ الدرهم بدرهمين فيفضي ذلك إلى انقطاع المواساة ، والمعروف والإحسان .

رابعها :-

هو ان الغالب في المقرض أن يكون غنياً والمستقرض يكون فقيراً ، فالقول بتجويز عقد الربا تمكين للغني من أن يأخذ من الفقير والضعيف مالا زائداً ، وذلك غير جائز برحمة الرحيم .

خامسها :-

أن حرمة الربا قد ثبتت بالنص ولا يجب أن يكون حكم جميع التكاليف معلومة للخلق فوجب القطع بحرمة عقد الربا ، وأن كنا لانعلم الوجه منه .

(١) التفسير الكبير ٧ / ٩٤ .

(٢) الحديث رواه الامام أحمد في مسنده عن عبد الله بن مسعود ١ / ٤٤٦ .



مما سبق تبين لنا أن الربا من أقيح الوسائل لامتلاك الأموال ، وقد حرمه الاسلام وتوعد كل من يتعامل بالربا بشتى صوره بالعذاب الشديد .

وقد ورد في القرآن الكريم عدد من الآيات فى تحريم الربا وتقبيح فاعله منها قوله تعالى :

( الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ، فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ ، وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ )<sup>(١)</sup> .

والمعنى : ( أنه ليس المراد اختصاص هذا الوعيد بمن يأكله بل هو عام لكل من يتعا مل بالربا فيأخذه ويعطيه ، وإنما خص الأكل لزيادة التشنيع على فاعله ولكونه هو الغرض الأهم ، فان أخذ الربا إنما أخذه للأكل وهو يبعث كالمجنون عقوبة له وتمتيعا عند أهل المحشر )<sup>(٢)</sup> .

ومعنى ( يتخبطه الشيطان ) : (أنَّ الشيطان يخبط الإنسان فيصرع والخبط الضرب بغير استواء ، فلا يقومون من المس الذى بهم بسبب أكلهم الربا ، فيكون نهوضهم وسقوطهم كالمصروعين لا لأختلال عقولهم بل لأن الله تعالى أربى في بطونهم ما آكلوا من الربا فاثقلهم فصاروا مخبطين ينهضون ويسقطون ، تلك سيما هم يعرفون بها عند أهل الموقف وذلك العقاب بسبب أنهم نظمو الربا والبيع في سلك واحد لإفضائهما إلى الربح فاستعملوه كاستحلاله )<sup>(٣)</sup> . .

( ذلك بأنهم قالوا انما البيع مثل الربا ) (ينكر الله سبحانه وتعالى عليهم تسويتهم الربا بالبيع وكان الأصل إنما الربا مثل البيع ولكن عكس للمبالغة كأنهم جعلوا الربا أصلا وقاسوا به البيع والفرق بيِّن فإن من أعطى درهمين بدرهم ضيِّع درهما ومن اشترى سلعة تساوي درهمين بدرهمين فلعل أساس الحاجه إليها أو توقع رواجها يجبر هذا الغبن ،

(١) البقرة ( ٢٧٥ ) .

(٢) فتح القدير ١ / ٢٩٥ .

(٣) ابن كثير ١ / ٣٢٧ .

فمن بلغه وعظ من الله وزجر بالنهاى عن الربا فاتعظ وتبع النهى فلا  
تبعه عليه منه في الدنيا ولا في الآخرة وهذا حكم من الله تعالى لمن أسلم  
من كفار قريش ، وثقيف ، ومن كان يتجر هناك و" (سلف) معناه تقدم فسى  
الزمن وانقضى ، وأمره الى الله : إما أمر الربا وإما أمر المنتهى ، ومن عاد  
الى فعل الربا أو مساواة البيع بالربا فقد كفر (١) .

ومن الآيات التي تدل على تحريم الربا قوله تعالى :  
(يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ  
فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ  
لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ . وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا  
خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ) (٢)

والمعنى :

قال النسفي : (أخذوا ما شرطوا على الناس من الربا ، وبقيت لهم  
بقايا فأمروا أن يتركوها ، ولا يطالبوا بها ، روي أنها نزلت في ثقيف وكان  
لهم على قوم من قريش مال فطالبوهم عند المحل بالمال ، والربا . ) ان  
كنتم مؤمنين ) كاملتي الايمان فإن دليل كماله امتثال الأمور به ( فإن لم  
تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله ) فأذنوا بنوع من الحرب عظيم من  
عند الله ورسوله ( وان تبتم ) من الارتباء ( فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون )  
المدينون يطلب الزيادة عليها ( ولا تظلمون ) بالنقصان فيها ( وإن كان  
ذو عسرة ) وان وقع غريم من غرمائكم ذو عسرة ذواعسار ( فنظرة ) أى انظار  
( الى ميسرة ) يسار ( وأن تصدقوا ) أى تتصدقوا برؤوس أموالكم ، أو —  
بيعونها على من أعسر من غرمائكم ( خير لكم ) فى القيامة .

وقيل : أريد بالتصدق الانظار لقوله عليه السلام : ( لا يحل دين  
رجل مسلم فيؤخره الا كان له بكل يوم صدقة ) ( ان كنتم تعلمون ) انه

- 
- (١) تفسير ابي السعود ٥٦٦/١ .  
وحاشية الشيخ زاده على تفسير البيضاوى ٥٨٧/١ . والجامع  
لاحكام القرآن ٣٦٢/٣ .  
(٢) البقرة ( ٢٧٨-٢٧٩-٢٨٠ ) .  
(٣) رواه الامام أحمد عن عمران بن حصين / انظر الفتح الرباني للساعاتى  
٩٧/١٥ .

خير لكم فتعملوا به جعل من لا يعمل به وإن علمه كأنه لا يعلمه (١).

وقال تعالى في التحذير من الربا :

( وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رَبِّا لِيُرَبُّوا فِيْ أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يُرَبُّوا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُمْ  
مِنْ زَكَاةٍ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ ) (٢)

وفي السنة المطهرة أحاديث كثيرة في تحريم الربا ولعنة كل من

يتعامل به :-

روى مسلم بسنده عن جابر رضي الله عنه قال : (لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ  
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ آكِلَ الرِّبَا وَمُوكَلَّهُ وَكَاتِبَهُ وَشَاهِدِيهِ وَقَالَ : هُمْ سَوَاءٌ ) (٣)

وروى البخاري بسنده عن سمرّة بن جندب رضي الله عنه قال : قال

النبي صلى الله عليه وسلم :

( رأيتُ الليلة رجلين أتيا نى فأخرجاني الى أرضٍ مقدسه فانطلقنا  
حتى أتينا على نهرٍ من دمٍ فيه رجلٌ قائمٌ وعلى وسط النهر رجلٌ بين يديه  
حجارة فأقبل الرجل الذى فى النهر فإذا أراد أن يخرج رمى الرجل  
بحجرٍ فى فيه فرددّه حيث كان فجعل كلما جاء ليخرج رمى فى فيه بحجر  
فيرجع كما كان فقلت : ما هذا؟ فقال : الذى رأيت فى النهر آكل الربا ) (٤)

وفى تقبيح الربا :

روى الحاكم بسنده عن مسروق بن عبد الله عن النبي صلى الله  
عليه وسلم قال : ( الربا ثلاثةٌ وسبعون باباً أيسرها مثل أن ينكح الرجل  
أمه وإن أربى الربا عرض الرجل المسلم ) (٥)

نرى من النصوص السابقة والتي ورد غيرها فى أمر الربا الكثير تفضيح

الاسلام لأمر الربا ، وحرمة التعامل به والنهى عن تنمية الأموال بطرقه .

(١) تفسير النسفى ١ / ١٣٨ - ١٣٩ .

(٢) الروم ( ٣٩ ) .

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي ١١ / ٢٦ باب الربا .

(٤) صحيح البخارى ٣ / ١١ باب اكل الربا وشاهده وكاتبه / كتاب البيوع .

(٥) المستدرک ٢ / ٣٧ كتاب البيوع .

## الرشوة :-

وهي طريق آخر من الطرق التي حرم الإسلام سلوكها في تنميمة المال . وللأسف الشديد فقد أبتلي العالم بها وأصبح دفع المال على وجه الرشوة لتأدية المصالح أمراً طبيعياً في كثير من البلدان مما نتج عنه مآسى كثيرة كإسناد الوظائف الهامة لغير أهلها ، وحرمان الأمة ممن أصحاب الكفاءات وغير ذلك .

## تعريف الرشوة :-

### معنى الرشوة في اللغة :

( مأخوذة من الرشاء وهو الحبل الذي يتوصل به إلى الماء في البئر ) .<sup>(١)</sup>

## معنى الرشوة شرعاً :-

( هي كل مال دفع ليبتاع به من ذي جاه عوناً على ما لا يجوز ) .<sup>(٢)</sup>

## حكمها :-

( حرام بالاجماع لأن الأصل في مال المسلم التحريم ) ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل ( ولا يحل مال امرئ مسلم الا بطيبة نفس منه ) وقد انضم إلى هذا الأصل كون الدافع إنما دفعه لأحد أمرين : إما لينال به حكم الله إن كان محققاً وذلك لا يحل لأن المدفوع في مقابلة أمر واجب أوجب الله عز وجل على الحاكم الصدع به فكيف لا يفعل حتى يأخذ عليه شيئاً من الحطام وإن كان الدفع للمال من صاحبه لينال به خلاف ما شرعه الله إن كان مبطلاً فذلك أقيح لأنه مدفوع في مقابلة أمر محظور ) .<sup>(٣)</sup>

ومن أدلة الكتاب الدالة على تحريم الرشوة قوله تعالى :

( سَمْعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَلُونَ لِلسُّخْتِ ) .<sup>(٤)</sup>

- (١) سبل السلام في شرح بلوغ المرام ٣/٣٤ لعن رسول الراشئ والمرتشئ كتاب البيوع .
- (٢) عارضة الاحوذئ . ٨٢/٦ باب ماجاء في الراشئ والمرتشئ .
- (٣) نيل الاوطار ٩/١٧٢ باب نهئ الحاكم عن الرشوة / كتاب الأفضئة
- (٤) سورة المائدة (٤٢) .

وقد فسّر ابن مسعود ( السحت أنه الرشوة )<sup>(١)</sup> والمراد بالكذب ما  
يفتعله الراشون عند الأكالين<sup>(٢)</sup> .

أدلة تحريم الرشوة من السنة :

روى الترمذي بسنده عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال :  
( لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم الراشي والمرتشى ) وفي رواية بزيادة  
والرائش<sup>(٣)</sup> )  
( وحقيقة اللعن البعد عن مظان الرحمة ومواطنها )<sup>(٤)</sup> .  
والراشى هو دافعه ، والمرتشى قابضة ، والرائش هو الذي يوسط بينهما .  
غير أن الرشوة قد تلبس ثوبا مستعارا غير الذى هي معروفة به  
كأن تكون على صورة هدية ، وأعنى بها هدايا العمال التي حرمها رسول  
الله صلى الله عليه وسلم .

روى البخاريّ بسنده عن أبي حميد الساعدي قال : ( استعمل -  
رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً على صدقات بني سليم يدعى ابن  
اللتبية ، فلما جاء حاسبه قال : هذا لكم وهذا هدية ، فقال رسول الله  
صلى الله عليه وسلم : قهلاً جلست في بيت أبيك ، وأمك حتى تأتيك هديتك  
إن كنت صادقاً ، ثم خطبنا فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد  
فإنى استعمل الرجل منكم على العمل مما ولانى الله فيأتى فيقول : هذا  
ما لكم وهذا هدية أهديت لى أفلا جلسن فى بيت أبيه ، وأمه حتى  
تأتيه هديته ، والله لا يأخذ أحد منكم شيئاً بغير حقه إلا لقي الله  
يخمله يوم القيامة فلا عرفن أحداً منكم لقي الله يحمله بغيراً له<sup>(٥)</sup> أو  
بقرة لها خوار<sup>(٦)</sup> أو شاه تيعر<sup>(٧)</sup> ، ثم رفع يديه حتى روى بياض إبطيه

- (١) تفسير ابن كثير ٦١/٢ . (٢) تفسير أبي السعود ٣٩/٣ .  
(٣) جامع الترمذي بشرح عارضة الاحوذى ٨٢/٦ باب ما جاء فى الراشي  
والمرتشى / كتاب البيوع .  
(٤) سبل السلام ٣/٣٤ لعن الرسول الراشى والمرتشى / كتاب البيوع  
(٥) الرغاء : صوت البعير (٦) خوار : صوت العجل .  
(٧) شاه تيعر : صوت العنز إذا صاحته .

يقول : اَللّٰهُمَّ هَلْ بَلَغْتَ بَصْرَ عَيْنِي وَسَمْعَ أُذُنِي (١) .

قال ابن حجر في شرح الحديث الشريف :-

( مطابقة الحديث للترجمة من جهة أن تملكه ما أهدي له إنما كان لعلته كونه عاملاً فاعتقد أنّ الذي أهدي له يستبد به دون أصحاب الحقوق التي عمل فيها، فبيّن له النبي صلى الله عليه وسلم أن الحقوق التي عمل لأجلها هي السبب في الإهداء له وأنه لو أقام في منزلة لم يهد له شيء فلا ينبغي له أن يستحلها بمجرد كونها وصلت إليه على طريق الهدية فإنّ ذلك إنما يكون حيث يتمحض الحق له . .

قال المصنف :

وحيلة العامل ليهدى له تقع بأن يسامح بعض من عليه الحق فلذلك

قال : هَلَّا جَلَسَ فِي بَيْتِ أُمِّهِ لِيَنْظُرَ هَلْ يَهْدِي إِلَيْهِ فَأَشَارَ إِلَى أَنَّهُ لَوْ لَا الطَّمَعُ فِي وَضْعِهِ مِنَ الْحَقِّ مَا أَهْدَى لَهُ ، قَالَ : فَأَوْجِبَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخْذَ الْهَدِيَّةِ وَضَعَهَا إِلَى أَمْوَالِ الْمُسْلِمِينَ ، كَذَا قَالَ ، يَقُولُ ابْنُ حَجْرٍ : وَلَمْ أَقْفَ عَلَى أَخْذِ ذَلِكَ مِنْهُ صَرِيحًا ، قَالَ ابْنُ بَطَّالٍ : دَلَّ الْحَدِيثُ عَلَى أَنَّ الْهَدِيَّةَ لِلْعَامِلِ تَكُونُ لَشُكْرِ مَعْرُوفِهِ أَوْ لِلتَّحْبِيبِ إِلَيْهِ أَوْ لِلطَّمَعِ فِي وَضْعِهِ مِنَ الْحَقِّ فَأَشَارَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى أَنَّهُ فِيمَا يَهْدِي لَهُ مِنْ ذَلِكَ كَأَحَدِ الْمُسْلِمِينَ لَا فَضْلَ لَهُ عَلَيْهِمْ فِيهِ وَأَنَّهُ لَا يَجُوزُ الْاسْتِثْنَاءُ بِهِ أَنْتَهَى . وَالَّذِي يَظْهَرُ أَنَّ الصُّورَةَ الثَّلَاثَةَ إِنْ وَقَعَتْ ، لَمْ تَحُلْ لِلْعَامِلِ جِزْمًا ، وَمَا قَبْلَهَا فِي طَرَفِ الْإِحْتِمَالِ (٢) .

وقال الخطابي في شرح الحديث : ( دليل على ان كل أمر يتذرع به الى محظور فهو محظور ويدخل في ذلك القرض يجز منفعة والدار المرهونه يسكنها المرتهن بلا كراهة والدابة المرهونة يركبها ويرتفق بها من غير عوض ، وكل دخيل في العقود ينظر هل يكون عند الانفراد كحكمه عند الاقتران ) (٣) .

(١) صحيح البخارى ٦٦/٨ باب احتيال العامل ليهدى إليه / كتاب البيوع .

(٢) فتح البارى بشرح صحيح البخارى ٢٩٣/١٢ باب احتيال العامل ليهدى إليه / كتاب الحيل .

(٣) شرح السنة للبغوى ٤٩٨/٥ .

## "" الحقوق الواجبة في الملكية ""

فرض الله تعالى حقوقاً في ملكية الفرد وأوجب عليه أداؤها ، فإن لم يؤدها راغباً ؛ أخذت منه قهراً وغلبة ، ومن هذه الحقوق الزكاة التي هي ركن من أركان الاسلام ، والنفقة على النفس ، والزوجة ، والأولاد والوالدين المحتاجين ، والضرائب<sup>(١)</sup> التي تفرضها الدولة نظير تقديمها لبعض الخدمات والمرافق العامة والدفاع عن الوطن .

## "" الزكاة ""

معنى الزكاة في اللغة :

جاء في معجم مقاييس اللغة في تعريف الزكاة :-

( الزاي والكاف من الحرف المعتل أصل يدل على نماء وزيادة ،

ويقال :

( زكاة المال ) وقيل : سميت بذلك لأنها مما يرجى به زكاء المال ، وهو زيادته ونماؤه ، ومن النماء زرع زاك أى بين الزكاء ، ويقال : هو أمر لا يزكو بفلان أى لا يليق به )<sup>(٢)</sup> .

(وقال بعض العلماء، إنها تأتي بمعنى الطهارة ، ودليلهم على ذلك قول الله عز وجل ( خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا )<sup>(٣)</sup> ووجهة نظر العلماء في اطلاق هذه التسمية لأنها تطهر موديتها من الاثم ، أى تنزهه عنه. وتطلق على المدح قال تعالى : ( فَلَا تُزَكُّوْا اَنْفُسَكُمْ )<sup>(٤)</sup> وعلى الصلاح ، يقال رجل زكي أى زائد الخير من قوم أركياء ، وَزَكَّى الْقَاضِي الشهود إذا بَيَّنَّ زيادتهم في الخير ، وسمى المال المخرج زكاة لأنه يزيد في المخرج منه ويقيه الآفات )<sup>(٥)</sup> .

ويطلق على الزكاة اسم الصدقة في كثير من المواضع في الكتاب والسنة

قال تعالى ( إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا )<sup>(٦)</sup> .

(١) الضرائب : وهي تسمية حديثة لما عرف عند الفقهاء بالتوظيف على رؤوس الأموال .

(٢) معجم المقاييس اللغة ١٨/٣ .

(٣) التوبة ( ١٠٣ ) .

(٤) النجم ( ٣٢ ) .

(٥) كشاف القناع ١١٦/٢ كتاب الزكاة وشرح منتهى الارادات ٣٦٣/١ كتاب الزكاة . (٦) التوبة ( ٦٠ ) .

ومن الأحاديث ما أخرجه مسلم بسنده عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ( لَيْسَ فِيهَا دُونَ خُمْسٍ أَوْسَقُ صَدَقَةٍ وَلَا فِيهَا دُونَ خُمْسٍ ذَوْدٌ صَدَقَةٍ ، وَلَا فِيهَا دُونَ خُمْسٍ أَوْاقٍ صَدَقَةٍ )<sup>(١)</sup> .

قال الإمام النووي :

( سميت صدقة لأنها دليل لتصديق صاحبها وصحة إيمانه بظاهره وباطنه )<sup>(٢)</sup> . ومراد الشيخ النووي أنه لا حرج على الإنسان إذا سمى الحق المعلوم في المال زكاة أو صدقة ، فإن الصدقة لفظ مشترك قد تطلق على الزكاة المفروضة ، أو على المندوبة والذي يفصل هذا من ذاك قرائن الأحوال

معنى الزكاة شرعاً :

الزكاة حق واجب مقدر في مالٍ مخصوص لطائفة مخصوصة في وقت مخصوص .

شرح التعريف :

حق واجب : أي مفروض ستقف عليه في بيان مقادير الزكاة وأنصبتها مال مخصوص : مقدار معين من المال وهو المخرج منه سائبينه عند حديثي عن النصاب .

لطائفة مخصوصة : وهم الأصناف الثمانية المشار اليهم بقوله تعالى : ( إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبِهِمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغُرَمِيِّنَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَجْنَ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ )<sup>(٣)</sup> .

في وقت مخصوص : ( وهو تمام الحول في الماشية ، وعروض التجارة وعند اشتداد الحب في الحبوب وعند بُدْقِ صلاح الثمرة التي تجب فيها الزكاة وعند حصول ما تجب فيه الزكاة من العسل ، واستخراج ما تجب فيه من المعادن ، وعند غروب الشمس من ليلة الفطر )<sup>(٤)</sup> .

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ٥٠/٧ كتاب الزكاة .

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم ٤٨/٧ كتاب الزكاة .

(٣) سورة التوبة ( ٦٠ ) .

(٤) كشف القناع ١٩٢/٢ .



## دليل فرضية الزكاة :

دليل فرضية الزكاة من الكتاب والسنة والاجماع :-

أما من الكتاب فقد وردت آيات كثيرة تأمر بإيتاء الزكاة منها :-

قوله تعالى :

( وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوا عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ) (١) .

وقوله تعالى :

( وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ) (٢) .

( وقد قرنها الله تعالى بالصلاة في اثنين وثمانين موضعاً من كتابه العزيز وذلك دليل على كمال الاتصال بينهما ) (٣) .

وأما من السنة فالأدلة كثيرة منها :-

ما رواه البخاري بسنده عن ابن عمر رضي الله عنهما قال :-

( قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ : شَهَادَةٌ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ وَإِقَامُ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ وَالْحَجُّ وَصَوْمُ رَمَضَانَ ) (٤) .

وقوله على خمس : ( أي دعائم وفي رواية مسلم على خمسة أي أركان

والمراد بإقام الصلاة المداومة عليها أو مطلق الايتيان بها .

والمراد بإيتاء الزكاة إخراج جزء من المال على وجه مخصوص ) (٥) .

وأيضاً من الأحاديث الدالة على فرضية الزكاة مارواه البخاري بسنده

عن قيس قال : ( قال جرير بن عبد الله : بايعت النبي صلى الله عليه وسلم على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم ) (٦) .

وأما الاجماع فقد أجمعت الأمة الاسلامية في مختلف العصور على

أن الزكاة ركن من أركان الإسلام ، واتفق الصحابة رضي الله عنهم على قتال

(١) النقرة ( ١١٠ ) . (٢) النور ( ٥٦ ) .

(٣) حاشية ابن عابدين ٢٥٦/٣ .

(٤) صحيح البخاري ٨/١ باب قول النبي بني الاسلام على خمس كتاب الايمان .

(٥) فتح الباري ٤٣/١ باب دعاؤكم بايمانكم / كتاب الايمان .

(٦) صحيح البخاري ١١٠/٢ باب البيعة على ايتاء الزكاة / كتاب الزكاة .

ما نعيها .

### شروط الزكاة :-

ذكر المال الذي تؤخذ منه الزكاة بلفظ مجمل في قوله تعالى :

( خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا ) .

فلم توضح الآية الكريمة نوعية المال الذي تخرج منه الزكاة ولا مقادير النصاب ولا وقت الاخراج ، الابعض الآيات التي نص الله تعالى على نوع المال الذي تجب فيه الزكاة كالذهب ، والفضة ، والزروع ، والثمار .

وبما أن الرسول صلى الله عليه وسلم هو المبين لكتاب الله تبارك

وتعالى بأقواله ، وافعاله ، وتقريراته عليه السلام ، قال تعالى :

( وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ) (١)

فقد تولى عليه الصلاة والسلام توضيح ما يتعلق بالزكاة من حيث الشروط ونوعية المال ، ومقدار النصاب ، ووقت وجوب الزكاة .

وشروطها خمسة هي :- (٢)

### أولا :

الإسلام : فلا تجب الزكاة على كافر لأنه لا يطالب بفرائض الشرع ولا بفروع الدين في الحياة الدنيا إلا بعد أن يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله .

لحديث معاذ حين بعثه النبي صلى الله عليه وسلم إلى اليمن :

(فقال : ادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأتى رسول الله ، فإن هم أطاعوا لذلك ؛ فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة فإن هم أطاعوا لذلك ، فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة فسي أموالهم تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم) (٣)

(١) النحل (٤٤) .

(٢) اقتبس شروط الزكاة من حاشية ابن عابدين ٢٥٨/٢ .

وكفاية الأختار في حل غاية الاختصار ٣٣٣/١ .

(٣) صحيح البخارى ١٠٨/٢ باب وجوب الزكاة .

ثانيا :

الحرية : فلا تجب على عبد لأن له ليس من أهل الملك ، ولو حصل على بعض الأموال كالمكاتب لأن العبد لا يملك والمكاتب ملكه ناقص .

ثالثا :

ملك النصاب : وهو سبب وجوب الزكاة أيضاً ، فلا زكاة في مال حتى يبلغ نصاباً وهو المقدار الذي يبلغه المال حتى تجب فيه الزكاة ، ويختلف باختلاف أنواع المال ، وسأحدده قريباً تبعاً للمال المزكى .

رابعا :

تمام الملك : وهو ملك المالك لماله الخاص به فلا زكاة على الأموال العامة التي هي من خصائص الدولة كالخراج وخمس الغنائم وغيرها مما يعرف في مظانه .

خامسا :

حولان الحول<sup>(١)</sup> على النصاب واستمراره في يد مالكة على مدى الحول كله فلا زكاة على مال لم يحل عليه الحول ولا على مال تصرف فيه صاحبه أثناء الحول لحديث عائشة رضي الله عنها ( لا زكاة في مال حتى يحول عليه الحول )<sup>(٢)</sup> .

### مقادير الزكاة

( زكاة الذهب والفضة ) :

أ) زكاة الذهب :

قدر رسول الله صلى الله عليه وسلم نصاب الذهب بعشرين مثقالاً ووزن المثقال عند الأقدمين اثنتان وسبعون حبة من الشعير الوسط . وقد قدر بعض المحدثين نصاب الذهب بخمسة وثمانين جراماً فمن بلغ عنده<sup>(٤)</sup>

(١) سمي الحول حولاً لان الأحوال تتحول فيه ، او لأنه يتحول من فصل

الى فصل

(٢) سنن ابن ماجه ١ / ٥٧١ باب من استفاد مالا كتاب الزكاة .

(٣) حاشية العلامة الباجوري على شرح ابن القاسم الغزي ١ / ٤٦١ .

(٤) انظر فقه الزكاة ١ / ٢٦٠ / القرضاوى .

نصاب من الذهب وهو عشرون مثقالا وجب عليه فيه زكاة والحق الواجب في نصاب الذهب ربع العشر .

### زكاة الفضة :-

قدر رسول الله صلى الله عليه وسلم نصاب الفضة بمائتي درهم والدرهم الشرعي عند الأقدمين يساوي خمسين حبة وخمسي حبة شعير معتدلة غير مقشورة .<sup>(١)</sup>

وقد قدر الفقهاء المحدثون نصاب الفضة بـ خمسمائة وتسعين<sup>(٢)</sup> جراما فمن توفر لديه نصاب الذهب ، أو الفضة أو كليهما ، حولا كاملا وجبت فيه الزكاة وهو ربع العشر .

والأدلة على ذلك ما جاء في بعض الأحاديث الشريفة .<sup>(٣)</sup>

روى أبو داود بسنده عن علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ( إذا كانت لك مائتا درهم وحال عليها الحول ففيها خمسة دراهم وليس عليك شيء - يعني في الذهب - حتى يكون لك عشرون دينارا ، فإذا كان لك عشرون دينارا وحال عليها الحول ففيها نصف دينار ، فما زاد - فبحساب ذلك )<sup>(٤)</sup> .

ومنها ما رواه أبو عبيد بسنده عن محمد بن عبد الرحمن الأنصاري : ( إن في كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي كتاب عمر في الصدقة : أن الذهب لا يؤخذ منه شيء حتى يبلغ عشرين دينارا فإذا بلغ عشرين دينارا ففيه نصف دينار والورق لا يؤخذ منه شيء حتى يبلغ مائتي درهم فإذا بلغ مائتي درهم ففيه خمسة دراهم )<sup>(٥)</sup> .

- 
- (١) حاشية العلامة الباجوري على شرح ابن قاسم الغزي ١/٤٦١ .  
 (٢) فقه الزكاة ١/٢٦٠ القرضاوي .  
 (٣) قال القرضاوي ( واما النقود الذهبية ( الدينانير ) فلم يجيء في نصابها أحاديث في قوة أحاديث الفضة وشهرتها ، ولذا لم يظفر نصاب الذهب بالاجماع كالفضة ، غير أن الجمهور الأكبر من الفقهاء ذهبوا الى ان نصابه عشرون دينارا ) ذكر ذلك في كتابه فقه الزكاة ١/٢٥٢ .  
 (٤) سنن أبي داود ٢/١٠٠ باب في زكاة السائمة / كتاب الزكاة .  
 (٥) الاموال ص ٤٠٨ - أبو عبيد .

### هل تحب الزكاة من عين الذهب والفضة :-

( بعض الفقهاء يقولون : إنه لا بد من إخراج الزكاة من عين الذهب والفضة وكذلك من غيرهما من أنواع الأموال التي تجب فيها الزكاة كالشافية، وأجاز بعضهم إخراج الزكاة من القيمة في الذهب ، والفضة ، وغيرهما من عموم أصناف المال المزكى كالأحناف ، واتخذ بعض الفقهاء طريقاً وسطاً وهو أن إخراج الزكاة بالقيمة سواء في الذهب والفضة أو غيرهما من الأموال لا يجزئ إلا عند الحاجة ، كالحنابلة<sup>(١)</sup> .

(١) وإليك بعض اقوال العلماء ما بين مجيز ومانع من الاداء بالقيمة :

(أ) في المدونه ٣٠٠/١ .

إن أعطى زكاة ماله وهي ألف درهم فأعطى مكان زكاتها حنطة أو شعيراً أو عرضاً من العروض قيمته ربع العشر قال مالك لا يعطى عروضاً ولكن يعطى ورقاً أو قيمة ذلك ذهباً .

(ب) في شرح منح الجليل على مختصر العلامة خليل ٣٧٦/١ :

وجاز إخراج ذهب عن ورق وعكسه أي إخراج ورق عن ذهب بلا أولويه لأحدهما على الآخر ويكره إخراج فلوس النحاس عن الذهب والفضة على المشهور بناءً على أنها نقد أما إخراجها عن نفسها إذا كانت للتجارة فلا خلاف في إجزائه وليس من إخراج القيمة عرضاً .

(ت) في المبسوط ١٥٦/٢ :

قال السرخسي : إن اداء القيمة مكان المنصوص عليه في الزكاة والصدقات والعشور والكفارات جائز عندنا خلافاً للشافعي ، واداء القيمة مع قيام عين المنصوص عليه في ملكه جائز عندنا .

(ث) في التاج والاكليل بهامش مواهب الجليل ٣٠٠/١ :

قال ابن رشد : أجمع أهل العلم على أن العين من الذهب والفضة في عينه الزكاة تبرأ كان أو مسكوكاً أو مصوغاً صياغة لا يجوز اتخاذها أو معداً للعاقبه أو منوباً به التجارة =

والرأي الراجح عندي هو مذهب الحنابلة ، فإنني أميل لإخراج الزكاة من العين إلا إذا أضر بالمزكي ككسر المصوغ فإن إتلاف السبائك أو الحلبي المتخذ للتجارة أو القنية للعاقبة فيه افساد للمصوغ فيضيق بذلك على الناس فيجوز في مثل هذه الحالة أداء الزكاة بالقيمة .

قال شيخ الاسلام ابن تيميه : ( ومعلوم أن مصلحة وجوب العين قد يعارضها أحياناً في القيمة من المصلحة الراجحة وفي العين من المشقة المنفية شرعاً<sup>(١)</sup> )

وبهذا يتضح للقارئ حرص الاسلام على حق الجماعة في الذهب والفضة ، وإصراره على أخذ هذا الحق كفرض واجب في مال المسلم

( ج ) = وفي مجموع فتاوى ابن تيميه ٤ / ٢٥ / ٤٦ :

قال ابن تيميه : وللناس في إخراج القيم في الزكاة ثلاثة أقوال :  
أحدها : أنه يجزئ بكل حال ، كما قاله أبو حنيفة .

والثاني : لا يجزئ بحال ، كما قاله الشافعي .

والثالث : انه لا يجزئ إلا عند الحاجة وهذا هو المنصوص عن أحمد صريحاً فإنه منع من إخراج القيم وجوزّه في مواضع للحاجه . لكن من أصحابه من نقل عنه جوازه فجعلوا في إخراج القيمة روايتين واختاروا المنع .

( ح ) وفي المحلى ٦ / ٨٣ :

قال ابن حزم : وأما إخراج الذهب عن الورق والورق عن الذهب فإن مالكا وأبا حنيفة أجازاه ومنع منه الشافعي وأبو سليمان وبه نأخذ لان رسول الله قال ( في الرقه ربع العشر وفي مائتي درهم خمسة دراهم ) فمن اخرج غير ما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بإخراجه فقد تعدى حدود الله .

(١) مجموع فتاوى ابن تيميه ٤ / ٢٥ / ٤٦ .

ليرد إلى بعض اخوته المسلمين ممن هم بحاجة إلى هذا المال .

### "زكاة عروض التجارة" :-

(العروض جمع عرض بإسكان الراء : سمي عرضاً لأنه يعرض لبياع ويشترى أولاً لأنه يعرض ثم يزول ويفنى ، ( وهو غير الأثمان من المال على اختلاف أنواعه ) .

التجارة : هي تليب المال بالمعاوضة لغرض الربح ، ويقصد بها كل ما عدا الأثمان مما يعد للبيع والشراء بقصد الربح سواء كان منقولاً أو عقاراً<sup>(١)</sup> .

### أدلة وجوب زكاة العروض :

أدلة وجوب زكاة عروض التجارة من الكتاب ، والسنة ، والاجماع ودليل وجوب زكاة عروض التجارة من الكتاب عموم قوله تعالى :-  
( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ ) فهو يشمل أموال التجارة وغيرها ، قال مجاهد نزلت في التجارة<sup>(٢)</sup> .  
فالامام مجاهد يرى أن الامر للوجوب وأن المقصود به اخراج زكاة عروض التجارة لأنها من أشرف المكاسب التي تصل إلى اليد المكتسب وقوله تعالى ( فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ ) ( وما ل التجارة أعم الأموال فكان أولسى بالدخول<sup>(٤)</sup> .

### " دليل وجوب زكاة التجارة من السنة " :

( أ ) روى الحاكم بسنده عن أبي ذر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ( في الإبلِ صدقتها ، وفي الغنمِ صدقتها<sup>(٥)</sup> ) وفي البرِّ صدقته .  
وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه .

- 
- (١) فتح العلام بشرح موحد الأنام ٢٥/٣ وشرح منتهى الارادات ٤٠٧/١ ومغنى المحتاج الى معرفة الفاظ المنهاج ٣٩٧/١ —  
للشربيني الخطيب ونظام الزكاة والضرائب في المملكة ص ٣٤ (البناء)  
(٢) تفسير مجاهد ص ١١٧ - البقرة آية (٢٦٧) . (٣) المعارج (٢٤) .  
(٤) كشاف القناع ٢٨١/٢ وشرح منتهى الارادات ٤٠٧/١ .  
(٥) المستدرک ٣٨٨/١ كتاب الزكاة .

والبزيقال للثياب المعدة للبيع عند البزازين وعلى السلاح .  
والزكاة في الثياب والسلاح محموله على زكاة التجارة .<sup>(١)</sup>

( ب ) وروى أبو داود بسنده عن سمرّة بن جندب قال : ( أمّا بعد فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأمرنا ان نخرج الصدقة من الذي نُعِدُّ للبيع ) .<sup>(٢)</sup>  
ومن الآيات والأحاديث العامة الكثير التي أوجبت الزكاة في سائر الأموال .

وقد أجمع الصحابة والتابعون والسلف على زكاة التجارة .  
وتجب الزكاة في عروض التجارة إذا بلغت قيمتها نصاباً وحال عليها الحول ، ولا يصير العرض للتجارة إلا بشرطين :-<sup>(٣)</sup>  
أحدهما : ان يملكه بفعله كالبيع ، والنكاح ، والحُلُوع ، واكتساب المباحات .

والثاني : أن ينوي عند تملكه أنه للتجارة ، ولا بد من استمرار النية في جميع الحول والواجب في ماله التجارة ربع العشر .

" مم يخرج التاجر زكاته ؟ "

( أ ) قال الصحابان : انه يجب إخراج الزكاة من الأعيان التي وجبت فيها .<sup>(٤)</sup>

( ب ) وقال أبو حنيفة ان التاجر مخير بين اخراج الزكاة من القيمة بالنقود أو بالعروض وهو أحد قولي الشافعي .<sup>(٥)</sup>

( ج ) وقال أحمد انه يجب إخراج الزكاة من قيمة العروض لا من عينها لأن النصاب في التجارة معتبر بالقيمة فكانت الزكاة منها كالعين في سائر الأموال وهو القول الثاني للشافعي .<sup>(٦)</sup>

(١) المجموع شرح المهدب ٦/٤٧ باب زكاة التجارة/والمغنى والشرح الكبير ٢/٦٢٢ زكاة العروض .

(٢) سنن أبي داود ٢/٩٥ باب العروض اذا كانت للتجارة / كتاب الزكاة

(٣) الفقه على المذاهب الاربعة ١/٢٩٠ والمجموع شرح المهدب ٦/٤٨ .

(٤) بحث مقارن في الزكاة ص ٦٤ ( محمود على ) .

(٥) المغنى والشرح الكبير ٢/٦٢٥ .

(٦) المرجع السابق . ( ٢/٦٢٥ )



### "الرأي الراجح" :

الرأي الراجح عندي رأي الامام أبي حنيفة في أن المزكى لعروض التجارة مخير بين أن يؤدي الزكاة بالقيمة أو من عروض التجارة ، إذ الزام المزكى من عروض التجارة بالقيمة فقط أو بالاخراج من عين العروض قد يشق عليه وقد تكون مصلحة الفقير في أخذ الزكاة من القيمة أحيانا أو من نفس عروض التجارة أحيانا اخرى .

### "الخارج من الأرض"

#### "زكاة الزروع والثمار"

دليل وجوبها :-

ثبت وجوب زكاة الزروع بأدلة خاصة من الكتاب والسنة والاجماع .

فمن الكتاب :

قوله تعالى : ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ ) (١) .

وقوله تعالى : ( وَءَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ) (٢) قال ابن عباس رضي الله عنهما : (حقه الزكاة مرة العشر ، ومرة نصف العشر ) (٣) .

ومن السنة :-

روى البخاري بسنده عن سالم بن عبد الله عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ( فيما سقت السماء والعيون أو كان عثريا (٤) العشر وما سقي بالنضح نصف العشر ) (٥) .

(١) البقرة ( ٢٦٧ ) .

(٢) الانعام ( ١٤١ ) .

(٣) ابن كثير ١٨٢/٢ الطبرى : ٥٨/٨ - الطبعة الثانية .

(٤) عثريا : هو الذى يشرب بعروقه من غير سقى ، او المستنقع فى بركه يصب اليه من ماء المطر فى سواقي تنشق له ، واشتقاقه من العاشور وهى الساقية التى يجرى فيها الماء لان الماشي يعثر فيها ) ذكره صاحب الفتح . ( ٢٧٢/٣ )

(٥) صحيح البخارى ١٣٣/٢ باب العشر فيما يسقى من ماء السماء / كتاب الزكاة . وراوى الحديث من الصحابة هو عبد الله بن عمر .

أما الاجماع : فقد أجمع الصحابة والتابعون على وجوب زكاة  
الزروع وإن اختلفوا في التفاصيل .  
" شروط وجوب زكاة الزروع (١) :

- ( أ ) أن يبلغ نصابا بعد التصفيه في الحبوب وبعد الجفاف في الثمار  
والورق .  
( ب ) أن يكون النصاب مملوكا له أي للحر المسلم وقت وجوب الزكاة .  
( ج ) وزاد بعض الشافعية بدو صلاح الثمرة ببلوغها صفة تطلب فيها  
غالبا .

" الأصناف التي تجب فيها الزكاة " :

كانت الزكاة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم تؤخذ من  
الحنطة ، والشعير ، والتمر ، والزبيب ، وقد أجمع العلماء على وجوب  
الزكاة في هذه الأنواع من الزروع والثمار إلا أنهم اختلفوا في أنواع الزروع  
والثمار الأخرى . (٢)

فقال أبو حنيفة : إنها تجب في كل ما أخرجت الأرض من الثمار  
والزروع ، سواء سقته السماء أو سقي بنضح ، إلا الحطب والحشيش والقصب  
الفارسي خاصة . (٣)

إلا أن الصاحبين ذهبوا إلى أنه لا شيء فيما تخرجه الأرض إلا ما  
كان له ثمرة باقية . (٤)

وذهب الإمام مالك إلى أن الأصناف التي تجب فيها الزكاة عشرون  
صنفا من الحب والقطيئة كالحنطة والشعير والسلت ، والذرة والأرز والحمص  
والعدس ولا زكاة عنده في خضر ولا فواكه ما عدا العنب ، والتمر ، والزيتون . (٥)

- (١) كشف القناع ٢/٢٤٣ . وزاد المحتاج بشرح المنهاج ١/٤٥٢ .  
(٢) المغنى والشرح الكبير ٢/٥٤٨ والجامع لاحكام القرآن ٧/١٠٠ .  
(٣) رحمة الأمة في اختلاف الأئمة ص (١٠٢) .  
(٤) الجامع لاحكام القرآن ٧/١٠٢ .  
(٥) المدونه الكبرى رواية سحنون عن مالك ١/٢٩٤ وبلغه السالك  
لا قرب المسالك الى مذهب الامام مالك ١/٢١٣ .

وذهب الشافعي الى أنها تجب في كل ما أدخر واقتتبت به ، كالحنطة  
والشعير ، وثمره النخل ، والكرم .<sup>(١)</sup>

وقال الامام أحمد إنها تجب في كل ما يكال ويدخر من الثمار  
والزروع حتى أوجبها في اللوز لأنه مكيل وأسقطها في الجوز لأنه معدود .<sup>(٢)</sup>

( وفائدة الخلاف بين مالك والشافعي وأحمد أن عند أحمد : تجب  
في السمسم واللوز والفسق وبزر الكتان والكمون والكرويا والخردل ، وعندهما  
لا تجب ، وفائدة الخلاف مع أبي حنيفة ان عنده تجب في الخضروات كلها  
وعند الثلاثة لا زكاة فيها .

واختلفوا في الزيتون فقال أبو حنيفة ومالك : فيه زكاة فيخرج المكي  
عندهما إن شاء زيتونا وإن شاء زيتاً ، وللشافعي قولان وعن أحمد روايتان  
أظهرهما عنده عدم الوجوب )<sup>(٣)</sup> .

نرى مما سبق أن جمهور الفقهاء خالفوا أبا حنيفة في قوله  
بأن الزكاة واجبة على كل ما يخرج من الأرض .

غير انه مع احترامى لرأى الجمهور ورؤيتى لقوته واقتناعى بأدلتى  
ذلك ان قول الجمهور براءة لذمة المكلف ، وكل حكم يؤدي الى براءة  
الذمة أقرب من الحكم الذى يؤدي الى شغل الذمة .

ومع هذا كله رجحت رأى أبى حنيفة لا لأن أدلته أقوى من أدلته  
الجمهور ولكن لأن مذهبه فيه سعة للمساكين وسيكون حظهم مما تخرج  
الأرض مما لذ وطاب من الفواكه والخضار . ولأن الفواكه والخضروات تشغل  
أكبر المساحات المزروعة الآن من أراضي المسلمين فالقول بإعفاء زارعها  
من الزكاة يعطل جانباً كبيراً من الركن الثالث من أركان الاسلام وهو  
الزكاة كما انه يحرم الفقراء من نعمة المواساة بهذه المزروعات .

(١) ، (٢) ، (٣) الجامع لأحكام القرآن ٧ / ١٠٠ و ١٠١

ورحمه الأمة في اختلاف الأئمة ص ١٠٢ .

” هل الزكاة على الدخل الصافي أم الدخل الاجمالي ؟ ”

ذهب جمهور الفقهاء إلى فرض العشر أو نصفه على الإيـراد الإجمالي دون خصم النفقات التي تنفق على الزروع والثمار، ويعللون عدم خصم النفقات بأن الرسول صلى الله عليه وسلم قد جعل الواجب على الخارج من الأرض متفاوتا لتفاوت المؤرنه فلو رفعت المؤنة كـان الواجب واحدا وهو العشر دائما في الباقي لأنه لم ينزل إلى نصفه الا للمؤنة (١).

إلا ان ابن العربي قد تعرض لهذه المسألة في شرح الترمذى (٢) وقال أن

الصحيح أنها محسوبة أي أن تحط وترفع من الحاصل وأن الباقي هو الذي يؤخذ عشره واستدل لذلك بحديث النبي صلى الله عليه وسلم ( دعوا الثلث أو الربع ) وان الثلث او الربع يعادل قدر المؤنة تقريبا فاذا حسب ما يأكله رطباً وما ينفقه من المؤنة تخلص الباقي ثلاثة أرباع

- (١) انظر : منهاج الطالبين على هامش حاشيتي قليوبي وعميرة ٢٠/٢ .  
ابى زكريا النووى/وتحفة المحتاج بشرح المنهاج مع حواشى الشروانى  
وابن القاسم العبادى ٣/٢٥٤ ابن حجر الهيئى /والبحر  
الرائق شرح كنز الدقائق ٢/٢٥٦/ومنحة الخالق على البحرالرائق  
لابن عابدين ٢/٢٥٦/وفتح القدير ٢/٢٥١ ( ابن الهمام ) ،  
والفتاوى الهندية ١/١٨٢ .  
وحاشيه الخرشى على مختصر خليل ٢/١٧٢ .  
وحاشية الدسوقى على الشرح الكبير ١/١١٤ الدردير .  
وشرح منح الجليل على مختصر سيدى خليل ١/٣٤٠ .  
وفتح العلى المالك فى الفتوى على مذهب الامام مالك ١/١٦٩  
( احمدعليش ) ، وبلغة السالك لا قرب المسالك ١/٢٠٢ .  
والمنتقى شرح موطأ الامام مالك ٢/١٦١ ابو الوليد الباجى .  
والمحلى لابن حزم ٥/٢٥٨ .  
وفقه السنه ١/٣٥٤ السيد سابق .

- (٢) انظر عارضه الأ. حوذى بشرح صحيح الترمذى ٣/١٤٣ باب  
الخرص / أبواب الزكاه .

أو ثلثين ) ومعنى كلامه لا يجمع بين ترك الثلث أو الربع الذي جاء فى الحديث وبين حط النفقات وطرح قدرها من الحاصل (١) .

وقد روى يحيى ابن آدم بسنده عن (جابر بن زيد عن ابن عباس وابن عمر في الرجل يستقرض فينفق على ثمرته وعلى أهله قال : قال ابن عمر : بيدأما استقرض فيقضيه ويزكى ما بقي ، قال : وقال ابن عباس يقضي ما أنفق على الثمرة ثم يزكى ما بقي (٢) .

وروى ابن حزم بسنده (عن ابن عباس وابن عمر في الرجل ينفق على ثمرته ، قال أحدهما : يزكيها وقال الآخر يرفع النفقة ويزكى الباقي وعن عطاء أنه يسقط مما أصاب النفقة ، فإن بقي مقدار ما فيه الزكاة زكى والا فلا (٣) .

ويقول القضاوى : ( والذي يلوح لنا أن الشارع حكم بتفاوت الواجب في الخارج بناء على تفاوت المشقة ، والجهد المبذول في سقي الأرض فقد كان ذلك أبرز ما تتفاوت به الأراضي الزراعية ، أما النفقات الأخرى فلم يأت نفي باعتبارها ولا بإلغائها ، ولكن الأشبه بروح الشريعة الإسلامية إسقاط الزكاة ، عما يقابل المؤنة من الخارج والذي يؤيد هذا أمران :-  
الأول : إن للكلفة والمؤنة تأثيرا في نظر الشارع ، فقد تقلل مقدار الواجب كما فى السقي بآلة ، جعل الشارع فيه نصف العشر ، وقد تمنع الوجوب أصلا كما فى الأنعام المعلوفة أكثر العام ، فلا يجب أن تؤثر فى إسقاط ما يقابلها من الخارج من الأرض .

الثانى : أن حقيقة النماء هو الزيادة ، ولا يعد المال زيادة وكسبا اذا كان قد انفق مثله فى الحصول عليه ، ولهذا قال بعض الفقهاء :  
إن قدر المؤنة بمنزلة ما سلم له بعوض ، فكأنه اشتراه وهذا صحيح . على ألا يحسب فى ذلك نفقات الري التي أنزل الشارع الواجب فى مقابلها من العشر الى نصفه (٤) .

- 
- (١) فقه الزكاة ٣٩٥/١ - ٣٩٦ - القضاوى .  
(٢) الخراج ص (١٥٨) يحيى ابن آدم القرشى .  
(٣) المحلى ٢٥٨/٥ .  
(٤) فقه الزكاة ٣٩٥/١ - ٣٩٦ - القضاوى .

( وقد استثنى الدكتور ( محمود عاطف البنا ) المالكية من جمهور الفقهاء القائلين بأن زكاة الزروع والثمار إنما تكون على الإيراد الإجمالي )<sup>(١)</sup> .  
إلا أنني رجعت إلى ماتيسر لي من كتب المالكية والتي أثبتت بعضها في الصفحة السابقة فلم أجد أحداً منهم قال بذلك بل حسبوا الزكاة على الدخل الإجمالي .

والرأي الراجح عندي هو رأي القرضاوي فمع أن رأي الجمهور فيه احتياط إلا أنني سررت لرأي القرضاوي لأنه محص هذا الرأي كما أنه يتلاءم مع الواقع وظروف العصر ، فلا يخفى على ذي لب ارتفاع تكاليف الزراعة في عصرنا الحالي فلو طبقنا رأي الجمهور في هذه الأيام التي تختلف كثيراً عن السابق لكان في ذلك إجحاف بالمزارعين نظراً للتكاليف الكثيرة والأرباح القليلة ، وينتج عن ذلك إعراضهم عن الزراعة واتجاههم إلى الأعمال الأخرى التي تؤدي لهم ربحاً أوفر بجهدٍ أقل كما هو الحال في غالب البلدان .

أما لو رجحنا حسم النفقات لكثرة الانتاج وبالتالي زادت حصوة المساكين من الزكاة .

( تحديد مقدار زكاة الزروع ) :

حدّد نصاب زكاة الزروع والثمار بخمسة أوسق فلا زكاة في أقل من ذلك ، ودليل ذلك ما رواه الشيخان بسندهما عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ( ليس فيما دون خمسة أوسق صدقة )<sup>(٢)</sup> (اللفظ لمسلم ) .<sup>(٤)</sup>

وقد حدد الرسول صلى الله عليه وسلم مقدار زكاة الزروع والثمار بقوله صلى الله عليه وسلم ( فيما سقت السماء والعيون أو كان عثرياً العشر وفيما سقى بالنضح نصف العشر )<sup>(٤)</sup> .

(١) نظام الزكاة والضرائب ص ٩٢ ( محمود البنا ) .

(٢) الأوسق : جمع وسق والمراد بالوسق ستون صاعاً ، والصاع يساوي

( ٢١٧٦ ) كيلو غرام .

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي ٥٠ / ٧ وصحيح البخاري ١٣٣ / ٢ -

كتاب الزكاة .

(٤) الحديث سبق تخريجه في أول مبحث زكاة الزروع .

( اما ان سقى الزرع نصف السنه بكلفة ونصفها بغير كلفة :  
ففيه ثلاثة أرباع العشر ، وهو قول مالك ، والشافعي ، وأصحاب الرأى  
قال ابن قدامة ولا نعلم فيه مخالفا .

وإن سقى بأحد هما أكثر من الآخر اعتبر اكثرهما فوجب مقتضاه  
وسقط حكم الآخر وهو قول عطاء ، والثورى وأبي حنيفة ، وأحد قولى  
الشافعي ( ١ ) .

وان جهل عدد مرات السقى من المطر والآلة فعلى أقوال :-  
أ - قال الحنابلة : بوجوب أخذ العشر احتياطاً (٢) .  
ب - وقال الشافعية : بوجوب ثلاثة أرباع العشر أخذاً بفرض  
الاستواء (٣) .

ج - وقيل : بوجوب نصف العشر لأن الأصل براءة الذمة من  
الزيادة عليه (٤) .

### "" زكاة المعدن والركاز "" :-

المعادن هى ما يستخرج من الأرض مما خلقه الله فيها من أموال  
كالذهب والفضة ، والنحاس والرصاص والحديد ، والنفط ، والكبريت وغير  
ذلك .

ولقد اتفق الفقهاء على وجوب حق الزكاة في المعدن الذي يستخرج  
من باطن الأرض .

والأصل في ذلك عموم قوله تعالى :-

( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ  
مِنَ الْأَرْضِ ) (٥) .

- 
- (١) المغنى ٥٦٠/٢ كتاب الزكاة ( ابن قدامة ) .  
(٢) المغنى ٥٦٠/٢ كتاب الزكاة ( ابن قدامة ) .  
(٣) فتح العلام بشرح مرشد الانام ٨٣/٣ ( الجردانى ) .  
(٤) فتح العلام بشرح مرشد الانام ٨٣/٣ ( الجردانى ) .  
(٥) البقرة (٢٦٧) .

ودليله من السنة ما رواه الامام مالك بسنده عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن عن غير واحد ( أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقطع لبلال ابن الحارث المزنّي المعادن القبلية <sup>(١)</sup> وهي من ناحية الفرع فتلك المعادن لا يؤخذ منها إلى اليوم إلا الزكاة <sup>(٢)</sup> .

وقد اختلف الفقهاء في تحديد المعدن الذي يجب فيه الحق وفي طبيعة الحق الواجب .

وأوسع المذاهب في تحديد المعدن هو مذهب الحنابلة قالوا : ( المعدن هو كل ما خرج من الأرض مما خلق فيها من غيرها مما له قيمة . أي كل ما يسمى معدنا ففيه زكاة ) <sup>(٣)</sup> .

وقال الشافعي <sup>(٤)</sup> : ( لا تتعلق الزكاة إلا بالذهب ، والفضة ) .

وقال أبو حنيفة <sup>(٥)</sup> : ( إن الزكاة تتعلق بكل ما ينطبع ) . ويشترط في المعدن المزكى أن يبلغ نصابا ، فإذا بلغ نصابا <sup>(٦)</sup> وجب فيه ربع العشر .

وتخالف الحنفية في ذلك وتقول : إن مقدار الواجب في المعدن المستخرج هو الخمس باعتباره نوعا من الفئ <sup>(٧)</sup> .

وقال مالك : ( أرى والله أعلم أن لا يؤخذ من المعادن مما يخرج منها شيء حتى يبلغ ما يخرج منها قدر عشرين دينارا عينا أو مائتي درهم . فإذا بلغ ذلك ففيه الزكاة مكانه . والمعدن بمنزلة الزرع يؤخذ منه إذا خرج من المعدن يومه ذلك ولا ينتظر به الحول كما يأخذ من الزرع

- 
- (١) القبليّة منسوبه الى قبل وهي ناحية من ساحل البحر ، بينها وبين المدينة خمسة أيام وقيل هي من ناحية الفرع وهو موضع بين نخله والمدينة . عبد الباقي في الموطأ ٢٤٨/١ .
- (٢) موطأ الامام مالك ٢٤٨/١ باب الزكاة في المعادن / كتاب الزكاة قال محقق الموطأ الحديث مرسل عند جميع الرواة ووصله ابو داود في كتاب الخراج والامارة والفئ ١٧٣-١٧٤ / ٣ باب في اقطاع الارضين
- (٣) المغنى ٥٨٠/٢ . (٤) المغنى والشرح الكبير ٥٨٠/٢
- (٥) المبسوط ٢١١/٢ . (٦) الانصاف ١٢٠/٣ والمغنى ٥٨١/٢
- (٧) الاختيار لتعليل المختار ١١٧/١ .



إذا حصد العشر . ولا ينتظر ان يحول عليه الحول (١) .

### ملكية للمعادن

اختلف الفقهاء في ملكية المعادن، وألخص اختلافهم فيما يلي :

( ١ ) قالت الحنابلة ، والحنفية، وبعض المالكية: إن المعادن فـي الأرض المملوكة ملكاً خاصاً تكون للمالك . أما المعادن المستخرجة من الأرض غير المملوكة ملكية خاصة فذهب البعض أنها تكون ملكاً لواجدها ، وفي قول انها تكون لبيت المال (٢) .

وذهب المالكية في أشهر أقوالهم ( إنها ليست بتبع للأرض التي هي فيها، مملوكة كانت أو غير مملوكة ) وأن الأمر فيها إلى الامام يليها ويقطعها لمن يعمل فيها بوجه الاجتهاد حياة المقطع أو مدة من الزمان من غير أن يملك أصلها ، ويأخذ منها الزكاة على كل حال على ما جاء عن النبي عليه الصلاة والسلام من أنه اقتطع لبلال بن الحارث معادن من معادن القبيلة فتلك المعادن لا يؤخذ منها إلى اليوم الا الزكاة .

ووجه هذا القول إنَّ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ اللَّذَيْنِ فِي الْمَعَادِنِ التِّي هِيَ فِي جَوْفِ الْأَرْضِ أَقْدَمُ مِنْ مَلِكِ الْمَالِكِينَ لَهَا ، فَلَمْ يَحْصُلْ ذَلِكَ مَلَكَالْهَمِ بِمَلِكِ الْأَرْضِ إِذَا هُوَ ظَاهِرٌ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى : ( إِنْ الْأَرْضُ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ) ، اذ لم يقل الأرض لله يورثها وما فيها من يشاء من عباده فوجب بنحو هذا الظاهر أن يكون ما في جوف الأرض من ذهب ، أو ورق في المعادن فيألجميع المسلمين بمنزلة ما لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب (٤) .

- 
- (١) الموطأ ١/٩٢٤ باب الزكاة في المعادن .  
 (٢) نظام الزكاة والضرائب في السعودية هن ١٥٦ بتصرف . ويبحث مقارن في الزكاة ص (٩٩) .  
 (٣) الاعراف ( ١٢٨ ) .  
 (٤) مقدمة ابن رشد ١/٢٢٤ القول في المعادن ( طبعة بالافست ) .

### ” الرِّكَازُ ”

( الرِّكَازُ لغة : بمعنى المركز والركزة واحدة الرِّكَاز ، وهو ما ركزه الله في الأرض .

واصطلاحاً : ما وجد من دفن الجاهليه والمراد مال الجاهلي ولو لم يكن مدفوناً ، اذا كان بطريق غير مسلوک ( ١ ) .

( وذهب مالك ، والشافعي ، وكثير من الفقهاء إلى أن غير المدفون ليس برِّكَاز ، وإن كان فيه الخمس قياساً عليه ) ( ٢ ) .

### ” دليل وجوب زكاة الرِّكَاز ”

دليل وجوب ، زكاة الرِّكَاز من الكتاب عموم قوله تعالى :  
( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ ) ( ٣ ) .

ومن السنة ما رواه البخاريّ بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :  
( الْعَجْمَاءُ جُبَارٌ وَالْبِئْرُ جُبَارٌ وَالْمَعْدِنُ جُبَارٌ ) وفي الرِّكَازِ الْخُمْسُ ( ٧ ) .

### ” مقدار الواجب في الرِّكَاز ”

الكنز المدفون في الجاهليه رِّكَاز بإجماع الفقهاء .

- ( ١ ) كشاف القناع ٢٤ / ٢٦٥ وكشف الحقائق شرح كنز الرقائق ١ / ١٠٨ والملكية ونظريه العقد ص ( ١٣٩ ) ابو زهرة .
- ( ٢ ) بحث مقارن في الزكاة ص ( ١٠٢ ) وانظر المغنى ٢ / ٦١٣ .
- ( ٣ ) البقرة ( ٢٦٧ ) .
- ( ٤ ) العجماء جُبَار : الدابة المنفلتة من صاحبها فما اصابته من انفلاتها فلا غرم على صاحبها . الفتح ١٢ / ٢١٥ / كتاب الديات
- ( ٥ ) البئر جبار : العادية التي لا يعلم لها مالك أولها مالك فوق فيها انسان أو غيره فلادية فيه . الفتح ١٢ / ٢١٥ / كتاب الديات .
- ( ٦ ) المعدن جبار : من استأجر رجلاً للعمل في معدن فهلك فلا شيء على من استأجر . الفتح ٣ / ٢٨٥ / باب في الرِّكَاز الخمس .
- ( ٧ ) صحيح البخاري ٢ / ١٣٧ باب في الرِّكَاز الخمس / كتاب الزكاة .

وقد اتفق الفقهاء على وجوب الخمس فيه استناداً لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ( فِي الرِّكَازِ الخُمُسُ ) والأربعة أخماس الباقية لواجده ، إن كان في أرض غير مملوكة ، وللمالك إن وجد في أرض مملوكة . واتفقوا على أنه لا يشترط فيه الحول بل يجب إخراج الخمس في الحال (١) .

### مصاريف الرِّكَاز:

( ذهب مالك وأبو حنيفة ، والجمهور إلى أن خمس الرِّكَاز يصرف مصرف الغنائم والفيء لمصالح الدولة كلها .  
وخالف الشافعي وأحمد في رواية عنه هذا الرأي ورأيا أن الخمس يصرف مصرف الزكاة لأنه حق واجب في الاستفادة من الأرض فاشبه الواجب في الزروع والثمار (٢) .

من هذا المنطلق نرى مدى ما للجماعة من حقوق للمال الخاص والمال العام واحترام الاسلام للملكية وكيف أنها تذهب في مصارف أهل العوز) .

-----

- (١) كشف القناع ٢/٢٦٣ - ونيل الاوطار ٢/٢١١ .  
(٢) الاقتناع في حل الفاظ ابي اشجاع ١/٢٠٩ - ونيل الأوطار /  
٤ / ٢١١ / وفتح الباري ٣/٢٨٥ باب في الرِّكَاز / كتاب الزكاة .

"زكاة بهيمة الأنعام" :

بينت السنة النبوية زكاة بهيمة الأنعام .

والانعام هي : الابل والبقر والغنم ، وسميت بهيمة لأنها لا تتكلم  
وسميت بالأنعام لعظم فائدتها ولمنافعها الكثيرة .

"شروط زكاة الماشية" :

( أ ) السوم : يشترط في الماشية التي تجب فيها الزكاة أن تكون سائمة  
والسائمة هي المكتفية بالرعي المباح في أكثر السنة ، واختصت  
السائمة بالزكاة لتوفر مؤنتها بالرعى في كلاً مباح أو مملوك قيمته  
يسيرة لا يعد مثلها كلفة في مقابلة نمائها .<sup>(١)</sup>

( ب ) النماء وأن لا تكون عاملة :

وهو ان تكون مرصدة لغرض النسل والتسمين والدر ، وألا تكون عاملة  
لأنها لا تقتني للنماء ، فقد اتفق جمهور العلماء على أن الماشية  
العاملة ولو لا جارة ولو كانت سائمة نصاً كالابل التي تؤجر أو البقر  
التي تتخذ للحرث والطحن لا زكاة فيها .<sup>(٢)</sup>

روى الدار قطني بسنده عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن  
النبي صلى الله عليه وسلم قال : ( ليس في الإبل العوامل صدقة )<sup>(٣)</sup>

وروى الدار قطني أيضا بسنده عن ابن عباس قال : قال رسول الله  
صلى الله عليه وسلم : ( ليس في البقر العوامل صدقة )<sup>(٤)</sup> .

( ت ) النصاب : فيشترط أن تبلغ الماشية نصاباً كل بقدر ما حدد له  
ولا زكاة فيما دونه .<sup>(٥)</sup>

( ث ) حولان الحول : ولأنه لا يتكامل نماءه قبل الحول .<sup>(٦)</sup>

(١) حاشية ابن عابدين ٢٧٦/٢ "باب السائمة / كتاب الزكاة . والبحر

الرائق شرح كنز الدقائق ٢٢٩/٢ باب صدقة السوائم / كتاب  
الزكاة - الطبعة الثانية .

(٢) المجموع شرح المهدب ٥ / ٣٦٠ باب زكاة الماشية / كتاب الزكاة .

وحاشية ابن عابدين ٢٧٦/٢ باب السائمة / كتاب الزكاة .

والمغنى والشرح الكبير ٢ / ٤٤١ و ٤٦٨ زكاة الانعام / كتاب الزكاة

(٣) و (٤) سنن الدار قطني وعليها التعليق المغنى ٢ / ١٠٣ باب ليس

في العوامل صدقة / كتاب الزكاة .

(٥) شرح روض الطالب ١ / ٣٣٩ باب حكم زكاة المواشي / كتاب الزكاة

زين العلة الشافعي .

(٦) المجموع شرح المهدب ٥ / ٣٦٠ .

### " زكاة الايل " :

ودليل وجوبها ما رواه البخاري بسنده عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن أعرابياً سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الهجرة فقال : ( وَيَحْكُ إِنَّ شَأْنَهَا شَدِيدٌ ، فَهَلْ لَكَ مِنْ إِبِلٍ تَعُدِي صَدَقْتَهَا قَالَ : نَعَمْ قَالَ : فاعمل من وراء البحار فإنَّ اللهَ لَنْ يتركَ مِنْ عَمَلِكَ شَيْئاً <sup>(١)</sup> ) . والشاهد من هذا الحديث ( فهل لك من ابلٍ تُعَدِي صدَقْتَهَا ) وقد بَوَّبَ البخاري لذلك ( باب زكاة الإبل ذكره أبو بكر وأبو ذر وأبو هريرة رضي الله عنهم عن النبي صلى الله عليه وسلم ) <sup>(٢)</sup> .

وقد أجمع فقهاء المسلمين على نصاب الايل ومقاديرها إلى مائة وعشرين واختلفوا حول ما يجب فيها بعد هذا القدر .

### " مقدار الواجب في الايل " :

وأول نصاب الايل خمسٌ وفيها تباع أو شاه . روى البخاري بسنده عن أبي سعيد رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ( لَيْسَ فِيْهَا دُونَ خَمْسٍ ذُوْدٍ مِنَ الْإِبِلِ صَدَقَةٌ ) <sup>(٣)</sup> .

وفي عشر شاتان ، وفي خمسة عشر ثلاث شياه ، وفي عشرين أربع شياه ، وفي خمس وعشرين من الإبل بنت مخاض من الايل ، وفي ست وثلاثين بنت لبون من الايل ، وفي ست وأربعين حقه وفي احدى وستين جذعة ، وفي ست وسبعين بنتا لبون من الايل ، وفي إحدى وتسعين حقتان من الإبل ، وفي مائة وإحدى وعشرين ثلاث بنات لبون من الايل ثم اذا زادت عن مائة وعشرين عند غالبية الفقهاء أن في كل أربعين بنت لبون وفي كل خمسين حقة وبعض الفقهاء قال : إنه ما زاد على مائة وعشرين تستأنف الفريضة، منهم علي وابن مسعود والنخعي وغيرهم <sup>(٤)</sup> .

- 
- (١) صحيح البخاري ١٢٣/٢ باب زكاة الايل / كتاب الزكاة .  
(٢) صحيح البخاري - نفس المرجع .  
(٣) صحيح البخاري ١٢٥/٢ باب ليس فيما دون خمس ذود صدقه  
كتاب الزكاة نقلته باجتهاث .  
(٤) الاقناع في حل الفاظ ابي اشجاع ١/١٩٩ - ٢٠٠ / ونيل الاوطار /  
١٨٦/٤ .

### زكاة البقر :

الأصل في وجوبها السنة والاجماع :

ودليلها من الحديث ما رواه البخاري بسنده عن أبي ذر رضي الله عنه قال : انتهيت إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال : والذي نفسي بيده أو والذي لا إله غيره أو كما حلف ما من رجل تكون له إبلٌ أو بقرةٌ أو غنمٌ لا يـؤدي حقها ، إلا أتى بها يوم القيامة أعظم ما تكون وأسمنه تطوهُ باخفافها، وتنطحه بقرونها كلما جازت أخراها ردت عليه أولها حتى يقضى بين الناس (١) .

وقد أجمع المسلمون على وجوب زكاة البقر لأنها أحد أصناف بهيمة الأنعام فوجب فيها زكاة .

### نصاب البقر :

وأول نصاب البقر ثلاثون .

روى ابو داود بسنده عن معاذ أن النبي صلى الله عليه وسلم لما وجهه الى اليمن أمره أن يأخذ من البقر من كل ثلاثين تبيعاً (٢) أو تبعية ومن كل أربعين مسنة (٣) ، ومن كل حالم يعني محتملاً ديناراً، أو عدلـه من المعافر ، ثياب تكون باليمن (٤) .

ففي ثلاثين تبيع ، وفي كل أربعين مسنة، وفي ستين تبيعان ، وفي سبعين تبيع ومسنة ، وفي ثمانين مسنتان ، وفي تسعين ثلاثة أتبعه وفي مائة مسنة وتبيعان وفي مائة وعشرة مسنتان وتبيع وفي مائة وعشرين ثلاث مسنات أو أربعة أتبعه (٥) .

### زكاة الغنم :

فرضت زكاة الغنم (بالسنة النبوية الشريفة)، والاجماع . روى البخاري بسنده عن أنس ان أبا بكر ذكر في كتابه إليه حول زكاة الغنم ( وفي صدقة الغنم في سائمتها إذا كانت أربعين إلى عشرين ومائة شاة (٦) ) .

- (١) صحيح البخاري ١٢٥/٢ باب زكاة البقر / كتاب الزكاة .
- (٢) التبيع : ما يبلغ سنه . (٣) سنه : ما بلغت سنتين .
- (٤) سنن أبي داود ١٠١/٢ باب في زكاة السائمة .
- (٥) الاقناع في حل الفاظ أبي شجاع ٢٠٠/١ بيان نصاب البقر / كتاب الزكاة .
- (٦) صحيح البخاري ١٢٤/٢ باب زكاة الغنم / كتاب الزكاة / نقلته باجتهات .

وهناك من الأحاديث غيره والتي تدل على وجوب الزكاة في الغنم ما ورد منها في توعد مانع زكاتها .

وقد أجمع جمهور العلماء على وجوب الزكاة في الغنم ( ويقصد بالغنم سائر الضأن والماعز ) .<sup>(١)</sup>

وأول نصاب الغنم أربعون شاة وفيها شاة جذعة من الضأن ، وفي مائة وإحدى وعشرين شاتان ، وفي مائتين وواحدة ثلاث شياه ، وفي أربعمئة أربع شياه ثم في كل مائة شاة شاة ( باجماع أهل العلم ) .<sup>(٢)</sup>

ذكرت فيما سبق توضيح لبعض ما تجب فيه الزكاة ، وقد تركت بعض المباحث في الكلام عن الزكاة لأن بحثي ليس القصد منه الاستقصاء ولكن بيان ما قرره الاسلام في الملكية من الزكاة ، فاكتفيت بأظهر المباحث وأبينها وتركت ما عداها للباحث المتخصص في كتب الفقه .

### مصاريـف الزكاة

تولى الله سبحانه وتعالى بيان مستحقي الزكاة في كتابه العزيز

قال تعالى :

( إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبِهِمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغُرْمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ )<sup>(٣)</sup>

قال القرطبي في تفسير الآيه الكريمة :

( احتجوا بلفظ إنما وانها تقتضي الحصر في وقوف الصدقات على الثمانية الأصناف ، وعضدوا لهذا بحديث زياد بن الحارث الصدائي )<sup>(٤)</sup> قال :

أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فبايعته فذكر حديثا طويلا ( قال ) فاتاه رجل فقال : أعطني من الصدقة ، فقال له رسول الله صلى الله عليه

(١) كشف القناع ٢٢٥/٣ .

(٢) الاقتناع في حل الفاظ أبي شجاع ٢٠١/١ . (٣) التوبة (٦٠)

(٤) الجامع لاحكام القرآن ١٦٢/٨ .

وسلم :

( إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يَرْضَ بِحُكْمِ نَبِيِّ وَلَا غَيْرِهِ فِي الصَّدَقَاتِ حَتَّى حُكِمَ فِيهَا هُوَ فَجَزَّأَهَا ثَمَانِيَةَ أَجْزَاءٍ ، فَإِنْ كُنْتَ مِنْ تِلْكَ الْأَجْزَاءِ أُعْطِيَتْكَ حَقُّكَ )<sup>(١)</sup> .  
وقوله ( قَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ ) .

( أُنْ كُونِ هَذِهِ الصَّدَقَاتِ مَقْصُورَةً عَلَى هَذِهِ الْأَصْنَافِ الثَّمَانِيَةِ هُوَ حُكْمٌ لَا يَزِمُ فَرَضَهُ اللَّهُ عَلَى عِبَادِهِ وَنَهَاهُمْ عَنْ مَجَاوِزَتِهِ )<sup>(٢)</sup> .

وقد قدمت الآية الكريمة الفقراء والمساكين ؛ فدل ذلك على أن الهدف من الزكاة هو محاربة الفقر . ومن محاربة الإسلام للفقر تمليك الفقراء بعض الأموال من الزكوات ، ليستعينوا بها على سد حوائجهم .

ولنقف على الأصناف الثمانية الذين حددتهم الآية الكريمة :-

( الفقراء والمساكين ) :-

( قد مهم لأنهم أحوج من البقية لشدة فاقتهم وحاجتهم )<sup>(٣)</sup> ( وقد اختلف أهل العلم في الفرق بين الفقير، والمساكين . ومن هو أحوج ، وعلى كل حال يمكننا القول : ان الفقراء والمساكين هم أهل العوز والحاجة وهو عدم ملك الكفاية من مطعم، وملبس، ومسكن، وغيرها مما لا بد منه له على ما يليق بحالهم ومن وجد كفايته فهو غنى لاحق له في الزكاة ، وهذا هو مذهب مالك وأحمد والشافعي رحمهم الله )<sup>(٤)</sup> .

حد الغنى المانع من أخذ الزكاة :

اختلف الفقهاء في حد الغنى المانع من أخذ الزكاة .

( فذهب الحسن البصرى وأبو عبيد إلى ان الغنى ملك اوقية وهى اربعون درهما )<sup>(٥)</sup> .

- 
- (١) سنن ابي داود ١٧٢/٢ باب من يعطى من الصدقه / كتاب الزكاة .  
(٢) فتح القدير ٣٧٣/٢ الشوكانى . (٣) فتح القدير ٢٧٢/٢ .  
(٤) نظام الزكاة والضرائب فى السعودية ص ٢٠٨ .  
(٥) المغنى والشرح الكبير ٤٩٤/٢ ، ونيل الاوطار ٢٢٦/٤ .



( وذهب سفيان الثوري وابن المبارك والنخعي والامام أحمد في رواية عنه وجماعة من أهل العلم إلى أن الغنى الذي يحرم معه أخذ الزكاة هو ملك خمسين درهما أو قيمتها من الذهب )<sup>(١)</sup> .

( وذهب الحنفية إلى أن حد الغنى المانع من أخذ الزكاة هو ملك النصاب على أن يكون - أي النصاب - فضلا عن الحوائج الأصلية خاليا من الدين )<sup>(٢)</sup> .

وذهب الجمهور - مالك والشافعي وابن حنبل - إلى أن حد الغنى المانع من أخذ الزكاة هو ما تحصل به الكفاية ، قال مالك ( وهو يختلف باختلاف الحالات والحاجات والاشخاص والأمكنه والأزمنة )<sup>(٣)</sup> .

ونقل الخطابي عن الشافعي ومالك ( لا حد للغنى معلوم ، وإنما يعتبر حال الإنسان بوسعه وطاقته ، فإذا اكتفى بما عنده حرمت عليه الصدقة وإن احتاج حلت له )<sup>(٤)</sup> وإن ملك نصابا ، والاشمان وغيرها في هذا سواء<sup>(٥)</sup> .

والمذهب الذي أرجحه هو مذهب الجمهور (مالك وأحمد والشافعي) رحمهم الله لأن فيه سعة لذوي الحاجة ( فقد يكون الانسان غنيا بالدرهم مع الكسب ولا يغنيه الألف مع ضعفه في نفسه وكثرة عياله )<sup>(٦)</sup> .

جاء في المجموع : ( ويشترط في استحقاقه سهم الفقراء أن لا يكون له كسب يقع موقعا من كفايته ، والمعتبر كسب يليق بحاله ومروءته وما يقع موقعا من كفايته في المطعم والملبس والمسكن وسائر ما لا بد منه على

- 
- (١) المغنى والشرح الكبير ٤٩٤/٢ ، ونيل الاوطار ٢٢٦/٤ .  
(٢) انظر البحر الرائق شرح كنز الدقائق ٣٦٣/٢ وبدائع الصنائع/٤٦/٢ .  
(٣) بداية المجتهد ٢٨٥/١ .  
(٤) معالم السنن ٧٢٧/٢ للامام ابي سليمان الخطابي .  
(٥) المغنى والشرح الكبير ٤٩٤/٢ وانظر كشاف القناع ٩١٨/٢ والمجموع للنووي ١٩٨/٦ .  
(٦) القول للشافعي نقله الشوكاني في نيل الأوطار ٢٢٦/٤ .

ما يليق بحاله بغير اسراف ولا اقتار لنفس الشخص ولمن هو في نفقته (١) .  
 ولا يجوز دفعها إلى من يقدر على كفايته بالكسب الذي يليق به  
 ويحصل له منه كفايته وكفاية عياله ، وهذا هو مذهب الشافعية ، والحنابلة  
 وبعض المالكية (٢) .  
 ذلك لأن العمل في الاسلام واجب على كل فرد قادر حتى يكفي  
 نفسه بعمله وجهده فإن اطيّب كسب الرجل من عمل يده كما ذكرت  
 سابقاً .

فان لم يستطع أن يكفي نفسه بسبب خارج عن إرادته تكفلته الدولة  
 بذلك من مال الزكاة أما إن لم يعمل بغير عذر ، فلا حق له في الزكاة (٣) .

( روى النسائي بسنده عن عبد الله بن عدي بن الخيار أن رجلين  
 حدثاه أُنهما أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألانه من الصدقة  
 فقلّب فيهما البصر وقال محمد بصره فرآهما جليدين فقال رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم: إن شئتما ولا حظّ فيها لعنوّ ولا لقويّ مكتسب (٤) .

( ومعنى جليدين ) أي قويين ( ومكتسب ) أي قادر على العمل  
 ومعنى ( إن شئتما ) أي اعطيتكما كما في رواية وهذا يدل على أنه لو  
 أدى احد إليهما يحل لهما أخذه ويجزئ عنه، وإلا لم يصح له أن يؤدي إليهما  
 بمشيئتهما (٥) إلا أن يتفرغ القادر على اكتسب للعلم الشرعي وتعذر الجمع

- 
- (١) المجموع شرح المهدب ٦ / (١٩٠-١٩١) .
  - (٢) المجموع شرح المهدب ٦ / ٢٢٨ .
  - (٣) والمغنى ٢ / ٤٩٥ وانظر حاشية الدسوقي على الشرح الكبير ١ / ٤٥٣ .
  - (٤) سنن النسائي بشرح السيوطي وحاشية السندي ٥ / ٩٩ - ١٠٠ / مسألة القوي المكتسب .
  - (٥) زهر الربى على المجتبى للسيوطي ٥ / ١٠٠ وحاشية السندي ٥ / ١٠٠ / وهما بحاشية سنن النسائي .

بين التكسب والتعلم أعطى من الزكاة لحاجته ، ولا يعطى من الزكاة قادرٌ على التكسب ولكنه يتفرغ للعبادة لأن السعي في تحصيل القسوت أولى من العبادة .<sup>(١)</sup>

" مقدار ما يعطى للفقير والمسكين ":

يعطى للفقير أو للمسكين ما تتم به كفايته او سد حاجاته وحاجات عائلته لمدة سنة من الزكاة لأن وجوبها يتكرر بتكرر الحول .<sup>(٢)</sup>

( العاطون عليها ) :<sup>(٣)</sup>

وهم السعاة والجبابة الذين يبعثهم الامام لتحصيل الزكاة فهم يستحقون منها قسطا ، ويشترط في العامل عليها أن يكون مكلفاً لعدم أهلية الصغير . مسلما لأنها ولاية على المسلمين ، أمينا ، لأن غيره يذهب بمال الزكاة ويضيعه ، ( ويعطون منها قدر أجرتهم ) .<sup>(٤)</sup> ولذا يعطى العامل عليها ولو كان غنيا :

( روى أبو داود بسنده عن عطاء بن يسار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا تحل الصدقة لغني إلا لخمسة : لغازي سبيل الله ، او العامل عليها ، أو لغارم ، أو لرجل اشتراها بماله ، أو لرجل كان له جار مسكين فتصدق على المسكين فأهداها المسكين للغني ) .<sup>(٥)</sup>

" المؤلفات قلبهم ":

هم على الأرجح قوم من المسلمين تألف الرسول عليه الصلاة والسلام قلوبهم بالعطاء لأن الايمان لم يتمكن من قلوبهم ولأنهم اذا حُسن إسلامهم أسلم بإسلامهم كثيرون غيرهم . وقد اختلف العلماء هل سهم المؤلفات قلوبهم باق بعد ظهور الاسلام أم لا ؟

- 
- (١) كشف القناع ٣١٨/٢ .  
(٢) شرح منتهى الارادات ٤١٤/١ باب من يجزئ دفع الزكاة اليه ومن لم يجزئ وكشاف القناع ٣١٨/٢ باب ذكر اهل الزكاة .  
(٣) المعنى العام من فتح القدير ٣٧٣/٢ .  
(٤) شرح منتهى الارادات ٤٢٦/١ .  
(٥) سنن ابي داود ١١٩/٢ باب من يجوز له اخذ الصدقة وهو غني / كتاب الزكاة .

فقال الحنفية ، والمالكية ان هذا الصنف انقطع بعزة الإسلام وظهوره  
وقال أحمد وأصحابه باقٍ لأن الامام ربما احتاج أن يتألف الناس على  
الإسلام .<sup>(١)</sup>

قال القرضاوى : إن الحاجة إلى التأليف لا تزال قائمة لأن  
المسلمين مطالبون بنشر الدعوة الإسلامية ورعاية من يدخلون الإسلام .

ولأجل دعوة الإسلام وبيان حقائقه وتدعيم رسالته في قارة أفريقيا في  
مواجهة التبشير الإستعماري والتسلل الصهيونى والتغلغل الشيوعى  
الماركسي (٢) .

وإنى أرى أنّ سهم المؤلفة قلوبهم باقٍ لأن الحاجة إليه باقية وذلك  
نظرا لتعدد الأغراض التي يمكن أن تستخدم فيها مصارف هذا السهم ،  
فهناك الكثير من الدول لا زال فيها وثنيون وغيرهم يمكن ان نجتذبهم  
إلى الإسلام بالمال، وذلك بمد يد المساعدة لهم ونشر الدعوة بيــــن  
صفوفهم وخاصة أن المبشرين نشطون في تلك الأوساط .

فيجب على المسلمين سبقهم في هذا المجال وبث الدعاة في كل  
مكان .

وكذلك صرف المال والمعونة لمن يدخل فى الإسلام ممن  
يعيشون في دول مستبدة تحارب فكرة الإسلام كالبلدان الشيوعية .

( وفى الرقاب ) :  
—————

قال بعض العلماء : أي في فك الرقاب بأن يشتري رقابا ثم يعتقها  
وهو قول مالك وأحمد بن حنبل وإسحاق وأبي عبيد . وقال الجمهور :  
إنهم المكاتبون يعانون من الصدقة على مال الكتابة ، والأولى حمل الآية  
على القولين جميعا لصدق الرقاب على شراء العبد وإعتاقه على إعانة  
المكاتب على مال الكتابة .<sup>(٣)</sup>

(١) فتح القدير ٢ / ٣٧٣ والمغنى والشرح الكبير ٢ / ٦٩٧ .

(٢) فقه الزكاة للقرضاوى ٢ / ٦٠٩ .

(٣) فتح القدير ٢ / ٣٧٣ الشوكانى .

وقد زال الرق تقريبا اليوم ولم يبق من هذا المصرف الا فك أسارى المسلمين ، وقال بعض الفقهاء المحدثين كالشيخ محمدرشيد رضا ، والشيخ محمود شلتوت انه إذا كان الرق الفردي قد انتهى فان لسهم في الرقاب مصرفا في تحرير الشعوب المستعمرة من الاستعباد إذا لم يكن له في تحرير الأفراد .<sup>(١)</sup>

(والغارمون)

هم الذين ركبتهم الديون ولا وفاء عندهم بها بولا خلاف في ذلك الا من لزمه دين في سفاهة فإنه لا يعطى منها ، ولا من من غيرها إلا أن يتوب .<sup>(٢)</sup>

( وفي سبيل الله ) :

هم الغزاة والمرابطون يعطون من الصدقة ما ينفقون في غزوهـم ومرابطتهم وإن كانوا أغنياء ، وهذا قول الجمهور ، وقال بعض الشافعية والحنابلة أنهم المجاهدون تطوعا الذين ليس لهم رواتب من الدولـة (وتوسع بعض الفقهاء المحدثين منهم محمدرشيد رضا وأبو زهرة في مدلول ( سبيل الله ) بحيث تعم كل مصالح المسلمين وجميع وجوه الخير ) .<sup>(٣)</sup>

قال صاحب تفسير المنار :

( وهو يشمل سائر المصالح الشرعية العامة التي هي ملاك أمر الدين والدولة وأولها وأولاها بالتقديم الاستعداد للحرب بشراء السلاح وأغذية الجند . ويدخل في عمومها المستشفيات العسكرية وكذا الخيرية العامة ، وإشراع الطرق وتعبيدها ومد الخطوط الحديدية العسكرية ونحوها . ومن أهم ما ينفق في سبيل الله في زماننا هذا اعداد - الدعاء إلى الإسلام وإرسالهم إلى بلاد الكفار من قبل جمعيات منظمة تمدهم بالمال الكافي ) .<sup>(٤)</sup>

(١) نظام الزكاة والضرائب في المملكة العربية السعودية ص ( ٢١٨ ) .

(٢) ، (٣) فتح القدير ٣٧٣/٢ .

(٤) نظام الزكاة والضرائب ص ( ٢١٨ ) .

(٥) تفسير المنار ٤٣٦/١٠ . / محمد رشيد رضا .

( وابن السبيل ) :

هو المسافر ، والسبيل الطريق ، ونسب اليها المسافر لملازمته  
اياها ، والمراد الذي انقطعت به الأسباب في سفره ، عن بلده ومستقره  
فإنه يعطى منها وإن كان غنياً في بلده . (١)

” مسئولية الامام في جمع الزكاة ”

الزكاة ركن من أهم أركان الإسلام والواجب على الأفراد أدائها  
وتقع مسئولية جمع الزكاة على عاتق الإمام ، فمن وجبت عليه وجب عليه  
أدائها ولا يخير في أن يؤديها أو يتركها .  
وقد أمر الشرع بمحاربة تارك الزكاة ، لأنها حق في الملكية يجب  
أن يؤدي . فهي إلى جانب أنها واجب ديني وعبادة من ناحية فهي  
واجب اجتماعي من ناحية أخرى ، فالزكاة حق الجماعة في عنق الفرد  
تكفل لطوائف من هذه الجماعة كفايتهم حين لا يستطيعون نيل كفايتهم  
من مواردهم الخاصة ، ذلك لأن الاسلام دين التعاون والتكافل ، ولا يرضى  
الشرع ، أو العقل أن يجد أناس المال الوفير والذي لا يعرفون كيف يصرفونه  
فيحيون حياة الترف والبذخ التي نهى الاسلام عنها ، وآخرون لا يجدون  
ما يقيهم غائلة الجوع ، لذا فقد أوجب الاسلام الزكاة على من وجبت عليه ،  
وألزم الإمام بأخذ الزكاة .  
ودليل وجوب ذلك قوله تعالى :

( خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ  
سَكَنٌ لَهُمْ ) (٢)

هذه الآية الكريمة أمر، والأمر للوجوب والمخاطب به النبي صلى الله  
عليه وسلم وخلفاؤه إلى يوم القيامة .

قال القرطبي في تفسير الآية الكريمة ( أَلَمْ يُعَلِّمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ  
التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ) (٣)

(١) فتح القدير ٢/ ٣٧٣ .

(٢) التوبة ( ١٠٣ ) .

(٣) التوبة ( ١٠٤ ) .

( هذا نص صريح في أن الله تعالى هو الآخذ لها ، والمثيب عليها وأن الحق له عز وجل ، والنبى صلى الله عليه وسلم واسطة فإن توفى فعامله هو الواسطة بعده ، والله عز وجل حي لا يموت ، وهذا يبين أن قوله سبحانه وتعالى : ( خُذْ مِّنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً ) ليس مقصوراً على النبى صلى الله عليه وسلم ) .<sup>(١)</sup>

والغاية من الآية الكريمة ( خُذْ مِّنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً ) هى طهارة المال والنفس حيث يكون العبد الذى يؤدى حق ماله قريباً من الله قريباً من الجنة ، قريباً من الناس ، وتبعده عن الشح ، الذى يجعله بعيداً من الله بعيداً من الناس ، بعيداً من الجنة قريباً من النار .

وهذا الخطاب بالقطع والجزم لرسول الله صلى الله عليه ، بدليل قوله تعالى في نهاية الآية : ( وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ) لأن صلاة الرسول صلى الله فيها رحمة لهم ، وكما أن الأمر للرسول صلى الله عليه وسلم فهو أيضاً لكل من يلى أمر المسلمين من بعده في أخذ الزكاة من الناس ، والدعاء لهم بالبركة .

قال صاحب السيل الجرار : ( وأيضاً جعل الله سبحانه للعامل على الزكاة جزءاً منها في الكتاب العزيز ، فالقول بأن ولايتها الى ربها يسقط مصرفاً من مصارفها صرح الله سبحانه به في كتابه العزيز ) .<sup>(٢)</sup>

وقد جاءت السنة القولية والعملية للرسول عليه السلام موضحة ومفسرة بأن الزكاة لا تترك لاختيار من وجبت عليه .

ودليل وجوب أخذ الامام للزكاة من السنة ما رواه البخاري بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث معاذاً رضي الله عنه الى اليمن فقال : ادعهم الى شهادة أن لا إله إلا الله وأننى رسول الله ، فإنهم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله أفترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة فإنهم أطاعوا لذلك ، فأعلمهم أن الله أفترض عليهم صدقة في أموالهم ، تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم ) .<sup>(٣)</sup>

- (١) الجامع لاحكام القرآن ٢٥١/٨ .  
 (٢) السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار للشوكاني ٧٠/٢ .  
 (٣) صحيح البخاري ١٠٨/٢ باب وجوب الزكاة وقول الله تعالى واقموا الصلاة واتوا الزكاة .

قال ابن حجر :

قوله : ( تؤخذ من أغنيائهم ) استدل به على أن الامام هو الذي يتولى قبض الزكاة و صرفها ، إما بنفسه ، أو بنائيه ، فمن امتنع منها أخذت منه قهراً <sup>(١)</sup> .

وأكدت السنة العملية وجوب دفع الزكاة إلى الامام ، فقد جرى العمل في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين من بعده على توجيه السعاة والمصدقين لأخذ الزكاة <sup>(٢)</sup> وقد كان حق الأخذ للإمام في الأموال الظاهرة ، والباطنة إلى زمن عثمان بهذه النصوص ففوضها في الأموال الباطنة إلى أربابها مخافة تفتيش الظلمة فصار أرباب الأموال كالوكلاء عن الإمام ، فإذا علم أنهم لا يؤدون طالبهم بها <sup>(٣)</sup> .

” لو دفع الشخص الزكاة دون الرجوع إلى الإمام هل تقبل منه أو يكلف غيرها؟ للعلماء في ذلك أقوال :

قال الدردير ( لا تجزئ إن أخرجها قبل مجيء الساعي ) <sup>(٤)</sup> .

( وقيل يجب تأخيرها ولو أعواماً حتى يأتي الساعي ) <sup>(٥)</sup> .

( وقيل : له أدائها لمستحقيها إلا أن طلبها إمام عن مال ظاهر فيجب أدائها له وله دفعها إلى الامام بلا طلب منه وهو أفضل من تفريقها بنفسه ) <sup>(٦)</sup> .

قال الماوردي :

إذا ادعى رب المال اخراجها ، فإن كان مع تأخير العامل عنده بعد إمكان أدائها قبل قوله وأحلفه العامل ان اتهمه ، وفي استحقاق هذه اليمين وجهان : أحدهما مستحقة ، إن نكل عنها ، أخذت منه الزكاة والوجه الثاني : استظهاراً ان نكل عنها لم تؤخذ منه .

وإن ادعى ذلك مع حضور العامل لم يقبل قوله في الدفع إن قيل :

(١) فتح الباري ٣ / ٢٨٠ / باب أخذ الصدقة من الأغنياء / كتاب الزكاة .

(٢) المجموع شرح المذهب ٦ / ١٦٢ .

(٣) الاختيار لتعليل المختار . ( ١ / ١٠٤ ) .

(٤) ، (٥) حاشية المدسوقي على الشرح الكبير ٢ / ٤٠٨ و ٤٠٩ .

(٦) الاقناع في حل الفاظ أبي شجاع ١ / ٢١٥ .



إنَّ دفعها إلى العامل مستحق وقبل قوله إن قيل إنه مستحب .

وخلاصة الكلام يتبين لنا أن أداء الزكاة للإمام إما واجب وإما مستحب .

كما يتضح أيضا أن المزكي إذا تصرف فيها مع تأخر العامل صدقه المزكي باليمين ، ( أما إذا حلف وظهر كذبه - ولو بعد سنين أخذت منه الزكاة لأن حق الأخذ ثابت فلا يبطل باليمين الكاذبة )<sup>(١)</sup> .

وأنا أميل للوجوب لأن الوجوب يحقق أخذها من دافعها ، لأنني أميل لإعطاء الزكاة للإمام نظراً لأنه أقدر على معرفة مشاكل الفقراء ومواقعهم في الأقاليم الإسلامية .

وعند ما تعرضت لهذا الكلام لم أتعرض لكل ما قالته الأئمة في هذا الموضوع ولكنني أخذت ما غلب على القلب رجحانه .

ويعد . . .

فقد قضت من بياني لهذه الفروع التعريف بمدى مسئولية الإمام في أخذ الزكاة ، وقد سقت الأدلة الشرعية التي تبين هيمنة الامام على حق الزكاة ، مما يدلنا على أنه يجب على حكام المسلمين أن ينظروا بعين الاعتبار لتطبيق أحكام الشرع الإسلامي ومنها تطبيق نظام الزكاة .

فلو أن الدول الحديثة عملت بذلك وألزمت الأفراد بدفع الزكاة والتزمت الدولة باخراج الزكاة لمستحقيها ممن نص عليهم القرآن الكريم ، فإنها تكون قد قربت قربا كبيرا من القضاء على مشكلة الفقراء والنفقة في سبيل الله لإعداد العدة للجهاد .

إلا أن الدول الإسلامية للأسف لم تطبق النظام الإسلامي ، بل دأبت على تقليد الغرب واتباعه شبرا بشبر وذراعا بذراع ، فعملت

(١) حاشيه ابن عابدين ٣ / ( ٤٢ - ٤٣ ) .

على استحداث وزارة الشؤون الاجتماعية بدلا من بيت المال الإسلامى وتخصص الدول ميزانية تافهة لمثل هذه الوزارة على أمل ان تحل مشكلة الفقر ، ولكن بنظرة تأملية يتبين لنا أن الدول الإسلاميه أخفت فسي معالجة مشكلة الفقر ، ونرى أن الفقراء في ازدياد مستمر ، ذلك لأن الأموال المرصودة لهذه الأغراض ليست كافية .  
وأهم من ذلك أن الذي يجانب منهج الله لا يوفق .

وجانب التعقيد الذى يسود تلك الأنظمة فإنها تطلب من الفقير شهادة اثبات لفقره مما يجعله يشعر بالذلة ويستنكف عن طلب المعونته الآتية بهذه الصورة ، وربما يضطره الأمر الى دفع الرشاوي لنيل استحقاقاته .

وزيادة على ذلك عدم العدل فى توزيع المستحقات ، كما انه ربما تستهلك ميزانية تلك الوزارات بتسربها إلى جيوب من همهم الاستكثار من جمع المال بأي طريق ليحيوا به حياة الترف .

ولا يخفى على أحد ما يلحق بالمسلمين في هذا العصر من أوبئة ومجاعات ، وحروب ونشاهد بين الحين والآخر في أجهزة الإعلام تلك المناظر المؤلمة التي يتفطر لها القلب من صور الأطفال والنساء والشيخ ، وما الحقه فيهم الجذب والقحط والتشرد ، وكيف يعانون من المجاعة ، والفقر المدقع والمرض ، مما أدى إلى هلاك الكثير منهم بسبب الجوع . ومما يحزننى أن هذه المجاعات لا تحصل إلا فى المسلمين أنفسهم ، بينما لا تحدث فى صفوف غيرهم من النصارى ، واليهود ، وإزاء هذه المشاهد المؤلمة يقف أغلب حكام المسلمين مكتوفي الأيدي لا يمدون يد العون لمثل هؤلاء . بل يدعونهم تفرسهم المأسى ويغتالهم الجوع تحت سمع الجميع وبصره .

وتستغل الجمعيات النصرانية، والتبشيرية ، مثل هذه الظروف فتمد أولئك الناس بالغذاء ، والدواء وتظهر لهم محاسن الدين المسيحى وسماحة أهله ورحمتهم ، كي تجتذبهم إلى النصرانية ، فكيف نريد من هؤلاء الثبات على دينهم الإسلامى وهم يرون ان من يمد يد العون لهم من دين آخر ، ومن جهة أخرى يرون كيف يجبي المسلمون فى مناطق أخرى منعمين مترفين يحيون حياة البذخ والإسراف ، ويتنزهون فى دول أوربا

وأمریکا وينفقون على أشياء ليست ذات بال، وقد تكون مصارف محرمة في أغلب الأحيان. ما يبلغ الملايين، حتى المعتدلين منهم فإن ما يلقونه من أطعمة وألبسة صالحة للاستعمال أكثر مما يستهلكونه، غير مبالين بما يحصل لإخوانهم المسلمين في الأقطار الأخرى .

وما دام أغلب المسلمين اليوم لا يلتفتون إلى هذا المعنى وبما أن - المسلمين حالهم اليوم هو التشتت والفرقة ، وعدم الحكم بما أنزل الله ، ولا يجمعهم خليفة واحد ، فعلى الفرد أن يحاسب نفسه ، وضميره ويؤدى ما عليه من فرائض محكمة لا تسقط من رقة الأفراد إن تهاون الأمراء في حقها فيكون من الواجب على الفرد أن يخرج ما استحق عليه من زكاة وتوزيعه على ما تيسر له من مستحقيها ممن ذكرتهم الآية الكريمة من الفقراء ، والمساكين ، وابن السبيل وفى سبيل الله كأن يصرفها إلى المجاهدين فى كل بقعة من العالم الإسلامى والذين بحاجة إلى كل دعم .

ومن تهاون فى هذه الفريضة فقد توعده الله سبحانه وتعالى بالعذاب الشديد .

( وجوب قتال ما نعى الزكاة ) :

حرص الإسلام على وجوب أداء الحقوق إلى أهلها . ومن أهم هذه الحقوق حق الفقراء فى مال الأغنياء .

قال تعالى : ( وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ) . وقد تشدد الإسلام فى أمر الزكاة ، ولم يتساهل مع مانعيها وأمر بمحاربتهم وقتالهم ، لأن الزكاة ركن من أركان الإسلام ، ومن لم يؤد الزكاة لم يتم إسلامه . وجاحدها كافر .

وقتل مانعي الزكاة ثبت بالأحاديث الصحيحة فبعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم تمردت بعض قبائل العرب ، ورفضت إخراج الزكاة ، فقبض الله تبارك وتعالى لهم أبا بكر الصديق الذى واجههم بعزم وشدة واسم يتهاون فى شئ كان يؤدى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

روى البخاري بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : ( لَمَّا تُوْفِي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان أبو بكر رضي الله عنه وكفّر من كفر من العرب فقال عمر رضي الله عنه : كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ( أُؤْمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَمَنْ قَالَهَا فَقَدْ عَصِمَ مِنِّي مَالَهُ وَنَفْسَهُ إِلَّا بِحَقِّهِ وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ ؟ فقال : وَاللَّهِ لَأُقَاتِلَنَّ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الصَّلَاةِ ، وَالزَّكَاةِ ، فَإِنَّ الزَّكَاةَ حَقُّ الْمَالِ وَاللَّهُ لَوْ مَنَعُونِي عَنَّا قَاتِلًا <sup>(١)</sup> كَانُوا يَعُودُ وَنَهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِقَاتِلَتُهُمْ عَلَى مَنَعِهَا ، قَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : فَوَاللَّهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ قَدُّ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَعَرَفْتُ أَنَّهُ الْحَقُّ <sup>(٢)</sup> ) .

قال ابن حجر : احتج أبو بكر الصديق رضي الله عنه بقول الرسول صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث ، ان عصمة النفس والمال تتوقف على أداء الحق ، وحق المال الزكاة <sup>(٣)</sup> .

وبناء على ذلك أسس الصديق قتاله لما نعى الزكاة على فهمه الصحيح الصائب لهذا الحديث .

من ذلك نرى حرص الأئمة العدل على إقامة شعائر الاسلام حتى لو أدى ذلك إلى إراقة الدماء .

( وقد أجمع العلماء على تأديب الممتنع عن أداء الزكاة بخلابها ، وأخذها منه حداً وقهراً وكذلك تعزيره وتأديبه بالحبس ونحوه ، أما الممتنع من أداء الزكاة جحوداً بوجوبها فهو كافر وقتله مرتداً مجمع عليه <sup>(٤)</sup> ) .

(١) العناق : هي الصغيرة من الغنم ، وقيل المراد بالعناق في هذا الحديث الجذعه من الغنم ( فتح الباري ٣/ ٣٢٣ باب اخذ العناق من الصدقه / كتاب الزكاة .

(٢) صحيح البخاري ٢/ ( ١٠٩-١١٠ ) باب وجوب الزكاة .

(٣) فتح الباري ٣/ ٢٠٣ باب وجوب الزكاة / كتاب الزكاة .

(٤) دراسة مقارنة في زكاة المال ص (٣٣٤) - د . محمد السعيد وهبه .

اثم مانع الزكاة :

لقد توعد الله سبحانه وتعالى من تهاون بهذه الفريضة بالعذاب الشديد .

قال تعالى : ( وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذُّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ، يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كُنْتُمْ لَا تُفْسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ )<sup>(١)</sup> .

في هاتين الآيتين وعيد شديد لمن يكنزون أموالهم ويمنعون الحقوق الواجبه ميها ، وأنها يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها أشد أعضائهم تألما وتأثرا ، وتقول لهم الملائكة موبخين : هذا ما كنزتم لأنفسكم من السوء ومنع الحقوق في أموالكم ، ويقولون لهم متهمين : ( فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ ) .

والدليل على أن هذه الآيه في مانع الزكاة ماصح عن ابن عمر رضى الله عنهما من تفسير هذه الآيه أن كل مال تؤدى زكاته لايعتبر كنزاً ولا يسمى صاحبه كانزاً ولا يلحقه الوعيد :

روى البخاري بسنده عن خالد بن أسلم قال : ( خَرَجْنَا مَعَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، فَقَالَ أَعْرَابِيٌّ أَخْبَرَنِي عَنْ قَوْلِ اللَّهِ : وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ ابْنُ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : ( مَنْ كُنَزَهَا فَلَمْ يُؤَدِّ زَكَاةَهَا فَوَيْلٌ لَهُ ، إِنَّمَا كَانَ هَذَا قَبْلَ أَنْ تَنْزَلَ الزَّكَاةُ فَلَمَّا أَنْزَلَتْ جَعَلَهَا اللَّهُ طَهْرًا لِلْأَمْوَالِ )<sup>(٢)</sup> .

وقد توعد رسولنا الكريم مانع الزكاة بالعذاب الأليم يوم القيامة ، روى مسلم بسنده ( عن أبي هريرة يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدِّي منها حقها إلا إذا كان يومُ القيامةِ صُعقت له صعائحٌ من نارٍ فأُحميَ عليها في نارِ جهنم )

(١) التوبة ( ٣٤ و ٣٥ ) .

(٢) صحيح البخارى ١١٠ / ٢ باب ما أدى زكاته فليس يكنز / كتاب الزكاة .

فَيُغَوَى بِهَا جَنَّبَهُ ، وَجَبَّيْتُهُ ، وَظَهَّرَهُ كُلَّمَا بَرَدَتْ أُعِيدَتْ لَهُ فِي يَوْمٍ كَانَ  
مُقَدَّارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ الْعِبَادِ فَيْرَى سَبِيلَهُ إِمَّا إِلَى  
الْجَنَّةِ وَإِمَّا إِلَى النَّارِ ، قِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ فَلَا بِلُّ قَالَ وَلَا صَاحِبَ إِبْلِ  
لَا يُؤَدِّي مِنْهَا حَقَّهَا وَمَنْ حَقَّهَا حَلَبَهَا يَوْمَ وُردَهَا إِلَّا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بَطِيحًا<sup>(١)</sup>  
لَهَا بِقَاعٍ قَرَقَرٍ<sup>(٢)</sup> أَوْفَرًا مَا كَانَتْ لَا يَفْقِدُ مِنْهَا فَصِيلًا<sup>(٣)</sup> وَاحِدًا تَطَّوُّهُ بِأَخْفَانِهَا  
وَتَعْضُهُ بِأَفْوَاهِهَا كُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ أَوْ لَا هَارِدًا عَلَيْهِ أَخْرَاهَا فِي يَوْمٍ كَانَ مُقَدَّارُهُ -  
خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ الْعِبَادِ فَيْرَى سَبِيلَهُ إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ ، وَإِمَّا  
إِلَى النَّارِ ، قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَالْبَقْرُ وَالغَنَمُ قَالَ : وَلَا صَاحِبَ بَقَرٍ ،  
وَلَا غَنَمٍ لَا يُؤَدِّي مِنْهَا حَقَّهَا إِلَّا إِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بَطِيحًا لَهَا بِقَاعٍ قَرَقَرٍ  
لَا يَفْقِدُ مِنْهَا شَيْئًا لَيْسَ فِيهَا عِقْصَاءٌ<sup>(٤)</sup> ، وَلَا جِلْحَاءٌ<sup>(٥)</sup> ، وَلَا عَضْبَاءٌ<sup>(٦)</sup> تَنْطَحُهُ بِقُرُونِهَا  
وَتَطَّوُّهُ بِأَظْلَافِهَا كُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ أَوْ لَا هَا رُدَّ عَلَيْهِ أَخْرَاهَا فِي يَوْمٍ كَانَ مُقَدَّارُهُ  
خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ الْعِبَادِ فَيْرَى سَبِيلَهُ إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ  
وَإِمَّا إِلَى النَّارِ<sup>(٧)</sup> .

ما أعظم رعاية المسلمين بالرفق بالمخلوقين حيث من تمام رفق  
المسلم بالإبل حلبها يوم وردها الماء ليريحها حتى لا تتأذى بكثرة

- 
- (١) بَطِيحٌ : أَلْقَى عَلَى وَجْهِهِ .  
(٢) الْقَاعُ : الْمَسْتَوِي الْوَاسِعُ مِنَ الْأَرْضِ يَعْلُوهُ مَاءُ السَّمَاءِ فَيَمْسِكُهُ .  
(٣) قَرَقَرٌ : الْمَكَانُ الْمَسْتَوِي الْوَاسِعُ .  
(٤) أَوْفَرًا مَا كَانَتْ لَا يَفْقِدُ مِنْهَا فَصِيلًا وَاحِدًا : أَي أْتَمَّ مَا كَانَتْ وَهَذَا  
لِلزِّيَادَةِ فِي عَقُوبَتِهِ بِكَثْرَتِهَا وَقُوَّتِهَا وَكَمَالِ خَلْقِهَا فَتَكُونُ أَثْقَلُ فِي  
وَطْئِهَا كَمَا أَنَّ ذَوَاتِ الْقُرُونِ تَكُونُ بِقُرُونِهَا لِيَكُونَ أَنْكَى وَاصُوبٌ لَطْعْنِهَا  
وَنَطْحِهَا .  
(٥) الْعِقْصَاءُ : الْمَلْتَوِيَةُ الْقَرْنِيْنِ .  
(٦) الْجِلْحَاءُ : الَّتِي لَا قَرْنَ لَهَا .  
(٧) الْعَضْبَاءُ : الَّتِي أَنْكَسَرَ قَرْنُهَا الْدَاخِلُ .  
(٨) تَطَّوُّهُ بِأَظْلَافِهَا : الظِّلْفُ لِلْبَقْرِ وَالغَنَمِ وَالظَّبَاءُ وَهُوَ الْمَشْتَقُّ مِنْ  
الْقَوَائِمِ وَالْخَفِّ لِلْبَعِيرِ وَالْقَدَمُ لِلْأَدْمَى وَالْحَافِرُ لِلْفَرَسِ وَالْبِغْلُ وَالْحِمَارُ .  
(٩) صَحِيحٌ مُسْلِمٌ بِشَرْحِ النَّوَوِيِّ ٦٤/٧ بَابُ إِثْمَانِ مَانِعِ الزَّكَاةِ / كِتَابُ  
الزَّكَاةِ وَالْحَدِيثُ نَقَلْتَهُ بِاجْتِثَاتٍ .

اللبن في درهما ، والرفق شعار المسلم في كل معاملاته حتى مع الحيوانات . وهذا الحديث يبين لنا شدة عقوبة الذي لا يؤدي حق الفقراء في ماله أياً كان نوعه وذكره لبعض أنواع الأموال ، دون بعض ، لا ينافي وجوب الزكاة في أنواع الأموال الأخرى ، حيث تناولتها الأحاديث التي تعرضت لاثم مانع الزكاة ، وقد أطلق المال ولم يقيده بنوع معين فسي الحديث الذي رواه البخاري بسنده عن أبي هريرة قال : ( قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من آتاه الله مالاً فلم يؤدي زكاته مُثِّلَ لهُ يوم القيامة شجاعاً أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة ثم يأخذ بلهزمتيه يعني شدقيه ثم يقول : أنا مالك أنا كنزك ، ثم تلا : ( ولا يحسبن الذين يبخلون بمآاتهم الله من فضله هو خيراً لهم بل هو شرُّ لهم سيطوفون ما بخلوا به يوم القيمة ) (١) .

يتبين لنا من خلال فريضة الزكاة التي شرعها الإسلام وجعلها ركناً هاماً من أركان الإسلام والتي فرضها على مختلف فروع الثروة وشتى مظاهر النشاط الاقتصادي ما يكفل تحقيق العدالة الاجتماعية ، حيث إنها دليل واضح على التكافل الاجتماعي في الإسلام إذ إنها تسد حاجات الفقراء ، والمعوزين من خلال هذا الركن .

وكما أن الزكاة طهارة للمال حين يؤدي المسلم حق ماله ، فهي أيضاً طهاره للنفس التي فطرت على حب المال وحب الذات .

قال تعالى : ( وَرِثَةٌ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ) (٢) .

فالمال عزيز على نفس صاحبه فحين تجود به نفسه على الآخرين فهي تطهر وتسمو وتحسن نحو الآخرين بالصفاء ، والمودة ، وتزيل الأحقاد والضغائن بين الناس ، حيث يببت المالك مرتاح النفس مطمئناً حين يشعر أنه أدى ما عليه من حقوق الآخرين وساهم في مساعدتهم ، ويسود الصفاء نفوس المحتاجين حين يشعرون أن اخوانهم الأغنياء جادوا ببعض

(١) صحيح البخاري ٢ / (١١٠-١١١) باب اثم مانع الزكاة / كتاب

الزكاة والآية الكريمة من سورة آل عمران (١٨٠) .

(٢) العاديات (٨) .

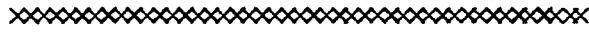
مالهم ليكون ملكا لهم يتصرفون فيه وفق احتياجاتهم .

كما أن حق الزكاة يخفف من الفوارق الطبقيه التي قد تحصل في المجتمع ، ويمنع من تضخم الثروات في أيدي فئة قليلة من الناس .

وما يمنع حقها الا المترفون الذين سيطرت عليهم الأنانيه والاحتفاء بذواتهم وإنفاق الأموال في أتفه الأشياء . فهم بخلاء يحوزون المال لأنفسهم كي يستغرقوا في ترفهم وملذاتهم .

والذي نلاحظه أن المترف يعب من الملذات لنفسه عباً ، بينما يبخل باعطاء دائق لمسكين ليسد به بعض ريقه .

وهذا سببه عدم استشعار المعاني السامية للأخوة الاسلاميه التي أصبحت شعارات جوفاء يكاد لا يفقه معناها ، إلا فئة قليلة من الناس .





ومن الحقوق الواجبة على الشخص في ملكيته :

( النفقة على النفس والعيال ) :

وقد سبق أن تكلمت في فضل النفقة على العيال ، وسأتكلم هنا في وجوب النفقة على النفس والعيال .

وهي من أهم الحقوق الواجبة على الشخص في ماله سواء كان قليلاً أو كثيراً وقد بين الله سبحانه وتعالى أوجه إنفاق المال وجعل النفقات على قدر طاقة الانسان ومقدرته .

قال تعالى : ( لِيُنْفِقْ ذُو سَعْتٍ مِّنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ ، لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَاءً أَتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ) .<sup>(١)</sup>

قال أبو السعود :

( أى لينفق كل واحد من الموسر ، والمعسر ما يبلغه وسعة ) لا يكلف الله نفساً الا ما آتاها ) جل أو قل فإنه تعالى لا يكلف نفساً إلا وسعها وفيه تطيب لقلب المعسر وترغيب له في بذل مجهوده ، وقد أكد ذلك بالوعد حيث قيل ( سيجعل الله بعد عسر يسرا ) أى عاجلاً أو آجلاً<sup>(٢)</sup> .

وأولى الناس انتفاعاً بالمال هو صاحب المال ، فيبدأ أولاً بالنفقة على نفسه ، حتى إذا أدى حقوق نفسه من مأكلاً ، وملبساً ، ومسكناً ، ومنكحاً انتقل إلى الانفاق على الذين تلزمه نفقتهم من زوجة ، وأولاد ، وممن هو مكلف بنفقتهم عند حاجتهم واستطاعته .

جاء في الفتح ( قال الطبري : البداءة في الانفاق بالعيال في بعض الأحاديث يتناول النفس لأن نفس المرء من جمله عياله بل هي أعظم حقا عليه من بقية عياله اذ ليس لأحد إحياء غيره باتلاف نفسه ثم الانفاق على عياله كذلك )<sup>(٣)</sup> .

(١) الطلاق (٧) .

(٢) تفسير أبي السعود ٢٦٣/٨ .

(٣) فتح الباري ٤١٢/٩ كتاب النفقات وفضل النفقة على الأهل .

روى مسلم بسنده عن جابر رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لرجل :

( أَبْدَأُ بِنَفْسِكَ فَتَصَدَّقْ عَلَيْهَا ، فَإِنْ فَضَلَ شَيْءٌ ، فَلِأَهْلِكَ ، فَإِنْ فَضَلَ عَنْ أَهْلِكَ شَيْءٌ ، فِلِذِي قَرَابَتِكَ ، فَإِنْ فَضَلَ عَنْ ذِي قَرَابَتِكَ شَيْءٌ ، فَهَكَذَا ، وَهَكَذَا يَقُولُ : فَبَيْنَ يَدَيْكَ وَعَنْ يَمِينِكَ وَعَنْ شِمَالِكَ )<sup>(١)</sup> .

ومعنى فهكذا ، وهكذا : أي انفق كما تشاء بعد استيفاء الأصناف المذكورين في الحديث لحقوقهم .

فالرسول صلى الله عليه وسلم وهو هادي البشرية يأمر بأن يبدأ الانسان بالنفقة على نفسه فهو صاحب الحق الأول في ماله . كذلك فإن النفس البشرية مفضولة على حب الذات ، وقد احل الله سبحانه وتعالى للانسان الطيبات الكثيرة التي تلبى حاجات فطرته التي فطره الله عليها على أن لا يصاحب التمتع بالطيبات سرفاً ولا مخيلة .

قال تعالى : ( نَبِيْنِيْٓ اٰدَمَ خُذْ وَاٰزِيْنَتَكَ مِنْ عِنْدِ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوْا وَاشْرَبُوْا وَلَا تُسْرِفُوْا اِنَّهٗ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِيْنَ )<sup>(٢)</sup> .

وبعد أن يؤدي حقوق نفسه يبدأ بالآخرين : الأقرب ، فالأقرب منهم .

### (( النفقة على الزوجه ))

الرجل مطالب بالنفقة على زوجته سواء كانت الزوجه غنية أو فقيرة مسلمة أو ذمية فلا يجب عليها النفقة على نفسها أو زوجها ، وأبنائها وهذا يدلنا على مدى تكريم الإسلام للمرأة وصيانتها لها .

فنفقتها واجبة على من يعولها سواء كان زوجاً ، أو أباً ، أو أخاً ، وما جعل الله تبارك وتعالى القوامة للرجل على المرأة الا بما فضله الله على المرأة ، وبما كلفه الله تعالى بالإنفاق على المرأة من ماله .

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ٧/ ٨٣ باب الابتداء في النفقة بالنفس

ثم الاهل ثم الاقارب / كتاب الزكاة .

(٢) الاعراف ( ٣١ ) .

(٣) المغنى والشرح الكبير ٩/ ٢٤٢ كتاب النفقه .

قال تعالى: ( الرَّجَالُ قَوَامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ) .<sup>(١)</sup>

قال النسفي :

(الرجال قوامون على النساء ) يقومون عليهن أمرين ناهين كما يقوم الولاية على الرعايا وسما قواما لذلك ( بما فضل الله بعضهم على بعض ) الضمير في بعضهم للرجال والنساء يعني : إنما كانوا مسيطرين عليهن لسبب تفضيل الله بعضهم؛ وهم الرجال على بعض وهن النساء بالعقل ، والعزم ، والحزم، والرأى ، والقوة والغزو ، وكمال الصوم والصلاة ، والنبوة والخلافة ، والإمامة ، والأذان والخطبة ، والجماعة ، والجمعة ، وتكبير التشريق عند أبي حنيفة رحمه الله والشهادة في الحدود ، والقصاص وتضعيف الميراث ، والتعصيب فيه وملك النكاح ، والطلاق وإليهم الانتساب وهم أصحاب اللحى والعمائم . ( وبما أنفقوا من أموالهم ) وبأن نفقتهن عليهم وفيه دليل وجوب نفقتهن عليهم ) .<sup>(٢)</sup>

لذا فالرجل يجبر على النفقة على زوجته وعلى أولاده إن رضِيَ ، أولم يرض . ووفاء لحق الزوجة حين يشح زوجها سمح الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام لها أن تأخذ من مال زوجها بغير علمه ما يكفيها هي وأولادها ، ومما يؤكد هذا المعنى ما رواه البخاري بسنده عن عائشة رضي الله عنها قالت :

( إِنَّ هِنْدًا بِنْتُ عُبَيْةَ قَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أَبَا سَفْيَانَ رَجُلٌ شَحِيحٌ<sup>(٣)</sup> وَلَيْسَ يُعْطِينِي مَا يَكْفِينِي وَوَلَدِي إِلَّا مَا أَخَذْتُ مِنْهُ وَهُوَ لَا يَعْلَمُ ، فَقَالَ : خُذِي مَا يَكْفِيكِ وَوَلَدَكَ بِالْمَعْرُوفِ ) .<sup>(٤)</sup>

جاء في الفتح :

( قال القرطبي : قوله خذي أمر إباحة والمراد بالمعروف القدر الذي

- 
- (١) النساء ( ٣٤ ) .  
 (٢) تفسير النسفي ١ / ٢٢٣ .  
 (٣) شحيح : البخل مع حرص وهو أعم من البخل لأن البخل يختص بمنع المال والشح بكل شيء .  
 (٤) صحيح البخاري ٦ / ١٩٣ باب إذا لم ينفق الرجل / كتاب النفقات .

عرف بالعادة أنه الكفايه<sup>(١)</sup> (أما إذا لم تستطع الأخذ فانها تعرض أمرها على الحاكم فيجبره على الإنفاق )<sup>(٢)</sup> .

ولقد خير الاسلام المرأة في حال إعسار الزوج وعدم قدرته —————  
النفقة عليها بين الصبر عليه وبين فراقه وهو قول الشافعي و مالك وأحمد .<sup>(٣)</sup>

قال ابن قدامة

فإذا منعها ، ولم تجد ما تأخذه واختارت فراقه فرق الحاكم بينهما  
قال تعالى : ( فَإِمْسَاكَ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٍ بِإِحْسَانٍ ) وليس الإمساك مع  
ترك الإنفاق إمساكاً بمعروف فيتعين التسريح )<sup>(٤)</sup> .

( أما إن امتنع الزوج الموسر عن الإنفاق على زوجته ، فيحبس —————  
لأنه ظالم بالامتناع عن الإنفاق ان أقامت زوجته بينه على يساره وامتناعه  
عن الإنفاق وطلبت حبسه حبسه القاضي )<sup>(٥)</sup> .

### (( النفقة على الأولاد ))

الأصل في وجوب النفقة على الأولاد من الكتاب ، والسنة والاجماع .

فمن الكتاب قوله تعالى :

( وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ إِمَّنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ  
الرِّضَاعَةَ ، وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا —  
وُسْعَهَا ، لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَالِدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِنْهُ  
ذَلِكَ ، فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ، وَإِنْ أَرَدْتُمْ  
أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَأَلْتُمْ مَاءً تَيْتُمًا بِالْمَعْرُوفِ ، وَاتَّقُوا  
اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ )<sup>(٦)</sup> .

- 
- (١) فتح الباري ٩/٤١٩ باب اذا لم ينفق الرجل / كتاب النفقات .  
(٢) المغنى والشرح الكبير ٩/٢٤٣ كتاب النفقة .  
(٣) كفايه الاخيار في حل غاية الاختصار ٢/٢٧٩ .  
(٤) المغنى والشرح الكبير ٩/٢٤٣ كتاب النفقة . (والآية من البقرة ( ٢٢٩ ) )  
(٥) البحر الرائق شرح كنز الدقائق ٦/٣١٤ .  
(٦) البقرة ( ٢٣٣ ) .

قوله تعالى : (( وعلى المولود له ) أي الذي يولد له ، يعنني الوالد ، فإن الولد يولد له وينسب إليه ، وفي التعبير بما ذكر إشارة للمعنى المقتضي لوجوب النفقة عليه <sup>(١)</sup> .

وقد أوجب الله سبحانه وتعالى النفقة على الأولاد والمرضعة وهي الأم ، أو من تقوم مقام الأم في الارضاع . فعلى الأب أن ينفق على الولد ، وعلى المرضعة سواء في حال الاتصال أو في حال الطلاق ، وذلك حتى يتسنى للأم أن تقوم برعاية وليدها على أكمل وجه ، ولا يتأتى ذلك إلا أن يوفر لها ما تحتاجه ، والقيام بحقوقها حتى لا تنشغل عن وليدها بأمر الكسب ، والمعاش وقد حفظ الشرع للمرضعة ، والمولود حق النفقة على الوارث في حال موت الأب ، وتكون الأجرة واجبة على قدر ميراثهم <sup>(٢)</sup> وعلى الوارث أن ينفق عليه حتى يستغنى <sup>(٣)</sup> وهذا من محاسن الشريعة الإسلامية الغراء .

وعلى الوالدة أن ترضع ولدها ولا يصح أن تمتنع عن ذلك متى تحتم عليها إبقاء حياة ولدها فإن وجد من يقوم بذلك مقامها فلا تجبر على إرضاع ولدها ، وهذا ما استخلصته من أقوال الفقهاء <sup>(٤)</sup> .

دليل وجوب النفقة على الأولاد من السنة :

أ) ما رواه البخاري بسنده عن عائشة ان هند بنت عتبة قالت : يا رسول الله إن أبا سفيان رجلٌ شحيحٌ ، وليس يعطيني ما يكفيني وولدي إلا ما أخذت منه وهو لا يعلم فقال : خذي ما يكفيك <sup>(٥)</sup> ووكذلك بالمعروف .

- (١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين ١١٦/٢ باب النفقة على العيال .
- (٢) العدة شرح العمدة ص (٤٤٨) .
- (٣) زاد المعاد في هدى خير العباد ١٦٤/٤ .
- (٤) أنظر الاقناع في حل الفاظ أبي شجاع ١٤١/٢ نفقة القريب والرقيق أنظر الأنوار لأعمال الأبرار للأردبيلي ٣٥٦/٢ وفتح الوهاب لأبي يحيى الانصاري ١٢٢/٢ .
- (٥) صحيح البخاري ١٩٣/٦ باب إذا لم ينفق الرجل فللمرأة أن تأخذ بغير علمه / كتاب النفقات .

أما الأجماع :-

جاء في المغنى والشرح الكبير : ( أجمع كل من نحفظ عنه من أهل العلم على أن على المرء نفقة أولاده الأطفال الذين لا مال لهم ، ولأنَّ ولد الانسان بعضه وهو بعض والده ) (١) .

لذا فمن يمتنع عن الإنفاق عن يعولهم ، فهو آثم ، وتضييع الأولاد - بترك الإنفاق عليهم وإهمال رعايتهم من كباثر الذنوب التي لا تنبغى لمسلم ، وقد ثبت ذلك بالحديث الصحيح فيما رواه مسلم بسنده عن خيثمة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :  
( كفى بالمرء إثماً أنْ يحبس عن يَمك قُوته ) (٢) .

فلذا كان الإثم قد لزمه في حال تضييع مملوكيه ، فإثم الوالد بحبس القوت عن ولده أشد وأشنع .

روى أبو داود بسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :  
( كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَقُوتُ ) (٣) .  
قال صاحب دليل الفالحين : ( أي لو لم يكن له من الإثم إلا هذا لكفاه لعظمه عند الله تعالى ) (٤) .

وبجانب هذا الإلزام بالإنفاق فإن الله سبحانه وتعالى يثيب المنفق على أهله ، وهذا ثابت في الأحاديث النبوية الشريفة ، منها ما رواه البخاري بسنده عن أبي مسعود الأنصاري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :  
( إِذَا أَنْفَقَ الْمُسْلِمُ نَفَقَةً عَلَى أَهْلِهِ وَهُوَ يَحْتَسِبُهَا كَانَتْ لَهُ صَدَقَةً ) (٥) .

- 
- (١) المغنى والشرح الكبير ٩/ ٢٧٥ كتاب النفقة / باب نفقة الأقارب والمماليك .  
(٢) صحيح مسلم بشرح النووي ٧/ ٨٢ باب النفقة على العيال والمملوك ولثم من ضيعهم / كتاب الزكاة .  
(٣) سنن أبي داود ٢/ ١٣٢ باب في صلة الرحم / كتاب الزكاة .  
(٤) دليل الفالحين ٢/ ١٢٠ باب النفقة على العيال .  
(٥) صحيح البخاري ٦/ ١٨٩ فضل النفقة على الأهل / كتاب النفقات .

قال ابن حجر : ( المراد بالاحتساب القصد إلى طاب الأجر ، والمراد بالصدقة الثواب ، وإنما سماها الشارع صدقة خشية أن يظنوا أن قيامهم بالواجب لا أجر لهم فيه ، وقد عرفوا ما في الصدقة من الأجر فعرفهم أنها لهم صدقة ، حتى لا يخرجوها إلى غير الأهل إلا بعد أن يكفوهم<sup>(١)</sup> ترغيباً لهم في تقديم الصدقة الواجبة قبل صدقة التطوع ) .

رأينا من النصوص السابقة وجوب إنفاق الرجل على زوجته ، وأولاده وكيف أن الاسلام لم يجعل وجوب النفقة أمراً إلزامياً لا منفعة فيه للرجل بل إن هذا الإنفاق يعود على الرجل بالنفع الآجل والعاجل .

فالآجل معروف ثوابه حيث جعله الله له صدقة ، ومعروف للجميع فضل الصدقة وحصول الأجر بها ، فهي تطفئ غضب الرب وتكفر السيئات وقد أشرت إلى هذا المعنى في الفصل السابق .

أما حصول الأجر العاجل للإنسان نتيجة نفقته على أولاده ، فإنه سيمنى أولاده وتقرَّبهم عيناه ويراهم رجالاً صالحين يخلفونه من بعده ويدعون له بالرحمة بعد موته حين تنقطع أعماله إلا من ثلاث من بينها الولد الصالح .

روى مسلم بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ( إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ : إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ )<sup>(٢)</sup> .

ولذا فإن من أفضل ما ينفق الرجل ما ينفقه على عياله ( لأن من تلزمت مؤنتهم يقع الإنفاق فيهم واجبا ، وهو أفضل من المندوب بأضعاف مضاعفة<sup>(٣)</sup> ومن لا تلزمت مؤنتهم يكون في الإنفاق عليهم صلة رحمهم ) .

روى مسلم بسنده عن ثوبان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

- 
- (١) فتح الباري ٩ / ١٠٠ كتاب النفقات وفضل النفقة على الأهل .  
 (٢) صحيح مسلم بشرح النووي ١١ / ٨٥ باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته / كتاب الوصية .  
 (٣) دليل الفالحين ٢ / ١١٧ باب النفقة على العيال .

( أَفْضَلُ دِينَارٍ يُنْفِقُهُ الرَّجُلُ دِينَارًا يَنْفِقُهُ عَلَى عِيَالِهِ ، وَدِينَارًا يَنْفِقُهُ الرَّجُلُ عَلَى دَابَّتِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَدِينَارًا يَنْفِقُهُ عَلَى أَصْحَابِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، قَالَ أَبُو قَلَابَةَ : وَبَدَأَ بِالْعِيَالِ ثُمَّ قَالَ أَبُو قَلَابَةَ وَأَيُّ رَجُلٍ أَعْظَمَ أَجْرًا مِنْ رَجُلٍ يَنْفِقُ عَلَى عِيَالٍ صِغَارٍ يَعْفُهُمْ أَوْ يَنْفَعُهُمُ اللَّهُ بِهِ وَيُعِينِيهِمْ ) (١) .

هذا ومن واجب المثقف أن يراعى الاعتدال في الإنفاق إذ يلزمه أن لا يشح على من يعولهم ، بل واجبه أن يوفر لهم ما يحتاجونه من وسائل العيش الطيب ، وتحصيل العلم والمعرفة ، وكل ما هم بحاجة إليه للمضي قدما في ركب الحياة ، على أن لا يصاحب ذلك أيضاً اسراف ولا تبذير بحيث لا يعود أبناءه على الحياة الرخوة الناعمة المترفة ، لأن ذلك يجعل منهم جيلا غير صالح لتحمل أعباء الحياة ويجعل منهم جيلا مهزوزا يفزع عند الملمات ويتهرب من المسؤوليات .

### " النفقة على الوالدين "

—————

النفقة على الوالدين واجبة في حال فقرهما مما يفضل من نفقته على نفسه وامراته وأولاده الصغار .

والأصل في وجوب نفقة الوالدين الكتاب ، والسنة ، والاجماع (٢) .

أما الكتاب فقوله تعالى :  
( وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ) (٣) .  
ومن الإحسان إليهما الإنفاق عليهما عند حاجتهما .

وأما السنة فما رواه أبو داود بسنده عن عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله ( ان من أطيب ما أكل الرجل من كسبه ، وولده من كسبه ) (٤) .

أما الاجماع :

فقد أجمع أهل العلم ، والأمة على مر العصور أن من ير الوالدين النفقة

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ٧ / ٨١ باب النفقة على العيال واثم من ضيعهم / كتاب الزكاة .

(٢) المغني والشرح الكبير ٩ / ٢٧٤ . (٣) الاسراء ( ٢٣ ) .

(٤) سنن أبي داود ٣ / ٢٨٩ باب في الرجل يأكل من مال ولده / كتاب البيوع .



عليهما في حال حاجتهما .

قال ابن تيمية :

( على الولد الموسر أن ينفق على أبيه المعسر وزوجة أبيه وعلى  
(١)  
اخوته الصغار ) .

وقال أبو زهرة :

إنَّ نفقة الأبويين الفقيرين واجبة عليه ، ولو كان معسرا كسوبا أو لا  
يكسب إلا ما يكفيه وأولاده ، وفي هذه الحال يجب أن يضم أبويه إلى  
أولاده ، لأن ما يكفيه يكفيهم جميعاً ، فلا يفرض القاضي عليه في هذه الحال  
نفقة ، ولكن يأمر بضم أبويه إليه (٢) .

قال ابن قدامة :

( أجمع كل من نحفظ من أهل العلم على أن على المرء نفقة أولاده -  
الأطفال الذين لا مال لهم ، ولأن ولد الانسان بعضه وهو بعض والده ،  
كما يجب عليه أن ينفق على نفسه ، وأهله كذلك على بعضه وأصله ، إذا ثبت  
هذا فإن الام تجب نفقتها ويجب عليها نفقة ولدها إذا لم يكن لــــه  
أب ، وبهذا قال أبو حنيفة ، والشافعي ، ولنا في قوله سبحانه : ( وبالوالدين  
إحسانا ) وقول النبي صلى الله عليه وسلم من أبر؟ قال : ( أمك ثم أمك  
ثم أمك ثم اباك ثم الأقرب فالأقرب ) ولأنها أحد الوالدين فأشبهت الأب  
ولان بينهما قرابة توجب رد الشهادة ووجوب العفو فأشبهت الأب فان  
أعسر الأب وجبت النفقة على الأم ولم ترجع بها عليه إن أيسر ) (٣) .

قال ابن القيم :

( وتجب النفقة على الوالدين مع اتحاد الدين واختلافه حيث وجبت  
وهذا مذهب مالك وهو أضيّق المذاهب في النفقات ) (٤) .

—————

- (١) الاختيارات الفقهية لابن تيمية ص ( ٢٨٤ ) اختارها علاء الدين أبو  
الحسن البغلي الدمشقي .  
(٢) الأحوال الشخصية ص ( ٤٩١ ) أبو زهرة ( طبعة ثالثة ) .  
(٣) المغني والشرح الكبير ٩ / ٢٧٤ . والحديث رواه مسلم في كتاب البر والصلة  
(٤) زاد المعاد في هدى خير العباد ٤ / ١٦٥ حكمه صلى الله عليه  
وسلم في وجوب النفقة على الأقارب .

## " الضريبة "

وهي أيضا من الحقوق الواجبة في الملكية .

وقبل أن أتكلم عن هذا الموضوع أمهد له بأن كلمة ضريبة لم تكن شائعة على لسان الفقهاء القدامى ، لأن الزمن الأول ما كان يحتاج لمثل هذه المصطلحات ، لأن بيت المال الإسلامي ، كان عامرا بما يرد إليه من الفيء ، والخراج ، والجزية ، وتطبيق نظام الزكاة ، وقبل ذلك كله سخاء الأفراد ببذل الأموال طلبا لرضوان الله تعالى .

فلم يعرف نظام الضريبة في العصور الإسلامية الأولى نظراً لموارد بيت المال التي ذكرتها وأيضاً لأن حاجيات المجتمعات البشرية لم تكن بالسعة التي هي عليها اليوم ، حيث كان يسود طابع البساطة في نظام حياتهم ، لكن لما توسعت حاجات المجتمعات وتحضرت وكثرت متطلبات الدولة وابتعد الناس عن الدين وعدم تطبيق نظام الزكاة ابتكر نظام الضرائب .

( وهي لا تجزئ عن الزكاة ولا ينفع المالك نية الزكاة فيها ) (١) .

وهذا النظام وان لم يتكلم عنه الفقه الإسلامي إلا أنه يرجع إلى حاجات المجتمعات وما تحتاجه من ضرورات . لذا فإن الإسلام يقف من هذه المسألة موقفاً دقيقاً ، لأن الضريبة سلاح ذو حدين قد يكون لخدمة الفرد وقد يكون لتدميره إذا لم يتوفر العدل في تحصيله .

ومن البدهي أن الإسلام لا يمنع من أي شيء يُستحدث يؤدي للفرد مصلحة ويرفع عنه مضرة شريطة أن تكون تلك المصلحة شرعية . أما ما نراه اليوم من تطبيق لنظام الضرائب في الدول الإسلامية فهو نظام مجحف قاسي لأنه يرهق الفرد ويحمله أكثر من طاقته ، إذ فرضت الضرائب على كل شيء يقتنى، وهذا جورٌ محض ، لأن العدل لم يراع فيه ، مما أدى إلى محاولة الأفراد للتهرب من دفعها أو بعضها ، لأن مثل هذا النظام عندما طبق لم يطبق من وحي الشرع بل بالاعتباس عن أنظمة الغرب .

(١) انظر فتاوى ابن حجر الهيتمي ٤٨/٢ وفتح العلي المالك ١٦٤/١ للشيخ احمد عليش/ وفتح العلام بشرح مرشد الأنام ٣/٨٤ للجرداني .

غير أنى لأعارض التوظيف على مال الأغنياء لأنه نظام قام بناء على المصالح المرسلّة والقياس إذا كان في حد ودالحاجه له ، كما أنى لا أجزيه على الإطلاق حيث يتحمل به الأفراد مالا يطيقون .

وأعيد كلامى هذا بأقوال لعدد من العلماء الذين تعرضوا لهذه المسألة وذلك للاستشهاد لا للحصر :-

( ١ ) فصل الإمام الغزالي الكلام عن الضريبة في كتابه شفاء الغليل قال : ( فإن قال قائل : توظيف الخراج على الأراضى ووجوه الارتفاقات مصلحة ظاهرة لا تنتظم أمور الولاية - في رعاية الجنود والاستظهار بكثرتهم وتحصيل شوكة الإسلام إلا به ، ولذلك لم يلف عصر خال عنه .

فالملوك - على تفاوت سيرهم واختلاف أخلاقهم - تطابقوا عليه ولم يستغنوا عنه ، فلا تنتظم مصلحة الدين ، والدنيا الا بامام مطاع ووال متبع يجمع شتات الآراء ، ويحمي حوزة الدين وبيضة الإسلام ويرعى مصلحة المسلمين وغبطة الأنام ، وليس يستتب ذلك له إلا بنجدته ، وشوكته وجنده ، وعدته ، فبهم مجاهدة الكفار وحماية الثغور ، وكف أيدي الطغاة والمارقين وذبحهم عن ممد الأيدي إلى الأموال والحرم والأرواح ، فهم الحراس للديين عن أن تنحل دعائمه ، وتتخاذل قواه بتوغل الكفار بلاد الإسلام وهم الحماية للدنيا عن أن يختل نظامها . ، بالتغالب والتسالب التواثب من طعام الناس ، بفضل العرامة ( والباس ، ولا يخفى ) كثرة مؤنهم وانشعب حاجاتهم في أنفسهم وذرياتهم والمرصد لهم خمس ( الخمس ) من المغانم والفئ وذلك مما يضيق في غالب الأمر عن الوفاء بإخراجاتهم ، والكفاية لحاجاتهم ، وليس يتم ذلك إلا بتوظيف الخراج على الأغنياء ، فإن كنتم تتبعون المصالح ، فلا بد من الترخيص في ذلك مع ظهور وجه المصلحة .

قلنا : الذي نراه جواز ذلك عند ظهور ( وجه ) المصلحة وإنما النظر في بيان وجه المصلحة :-

فنقول أ ولا :توظيف الخراج في عصرنا هذا ، وكل عصر هذا مزاجه و منهاجه ظلم محض لا رخصة فيه ، فإن آحاد الجند لو استوفيت جرياتهم ووزعت على الكافة لكفاهم برهة من الدهر وقدرا صالحا من الوقت . وقد تشحوا بتنعمهم وترفهم في العيش وتبذيرهم في إفاضة الأموال على العمارات ووجوه التجمل على سنن الاكاسرة فكيف نقدر أحتياجهم الى توظيف خراج لإمدادهم وإرفاقهم وكافة أغنياء الدهر فقراء بإضافة إليهم ؟

فأما لو قدرنا إماما مطاعا ، مفتقرا إلى تكثير الجنود لسد الثغور وحماية الملك بعد اتساع رقعته ، وانبساط خطته ، وخلا بيت المال من المال وأرهقت حاجات الجند إلى ما يكفيهم وخلصت عن مقادر كفايتهم أيديهم فلأمام أن يوظف على الأغنياء ما يراه كافيا لهم في الحال إلى أن يظهر مال في بيت المال ، ثم إليه النظر في توظيف ذلك على وجوه الغلات والثمار كي لا يؤدي تخصيص بعض الناس إلى إيغار الصدور وإيحاش القلوب ، ويقع ذلك قليلا من كثير ، لا يجحف بهم ويحصل به الغرض .

فإن قيل : فهذه مصلحة غريبة لا عهد بها في الشرع ، ولا بمثلها واصلها يرجع إلى مصادرة الخلق في أموالهم وهو محذور نعلم حظره من وضع الشرع ، ولذلك لم ينقل قط عن الخلفاء الراشدين قبل أن صارت الخلافة ملكا عضواً وإنما ابدعها الملوك المترفون المائلون عن سمت الشرع .

قلنا : إنما لم ينقل عن الأولين ذلك لاشتمال بيت المال في زمانهم واتساع وجوه الرزق على أعوانهم ، وقد نقل عن عمر رضی الله عنه - ضرب الخراج على أراضي العراق ، فأصل الضرب ثابت بالاتفاق وإنما اختلاف العلماء في طريقه .

ثم الكلام الشافي للغليل هو أن السائل إن أنكر وجه المصلحة فيما ذكرناه أبدينا وأريناه ، وقلنا : إن لم يفعل الإمام ذلك ، تبدد الجند، وانحل النظام، وبطلت شوكة الامام وسقطت أبهة الاسلام وتعرضت ديارنا لهجوم الكفار واستيلائهم ، ولو ترك الأمر كذلك فلا ينقضي إلا قدر يسير ، - وتصير أموال المسلمين طعمة للكفار وأجسادهم دُربة للرماح وهدفا للنبال ، ويشور بين الخلق - من التغالب، والتواثب ما تضيع به الأموال ، وتعطل معها

النفوس ، وتنتهك فيها الحرم ، ونظام ذلك شوكة الإمام بعدته ، وما يحذر  
إلما مه ، من الدواهي بالمسلمين : لو انقطعت عنهم شوكة الجنود ،  
التي لا تستحقر - بإضافة إليها - أموالهم .

فإذا رُدّ دنا بين احتمال هذا الضرر العظيم وبين تكليف الخلق  
حماية أنفسهم بفضلات أموالهم فلا تتماهى في تعيين هذا الجانب .  
وهذا مما يعلم قطعاً من كلي مقصود الشرع ، وفي حماية الدين  
والدنيا ، قبل ان نلتفت إلى الشواهد المعينة من أصول الشرع .

على أن إن حاولنا إظهار هذا من شواهد الشرع ، وكشفنا عن  
ملاءمته لنظرة ؛ وجدنا في ذلك مضطرباً ، ولكن الحاجه إلى الاعتداد بالشواهد  
والملاءمة في اتباع مصلحة مظنونه يتصور مخالفتها ، وهذه مصلحة فـي  
الصورة التي فرضناها - إن تصورت قطعية من وضع الشرع : لا تفتقر إلى  
شاهد من الأصول يصدقها وينزل مثل هذه المصلحة - من المصالح  
المظنونة منزلة المعلومات بالعيان أو بأخبار التواتر من المعلومات بأقوال  
الآحاد ، وإنما يشترط في الآحاد العدالة لترجيح الصدق على جهة  
الكذب ، وما علم عياناً أو تواتراً وانقطع التردد عنه - استغنى عن الترجيح .  
ثم خاصية مثل هذه المصالح القطعية : إنها لا تعدم قط شواهد من  
الشرع كثيرة .

فأبعدها عن الشهادة ظاهراً - وهي أقربها تحقيقاً - هو أن الأب  
في حق طفله مأمور برعاية الأحسن ، وإنه ليصرف ماله إلى وجوه من  
النفقات والمؤن في الغرامات والعمارات ، وإخراج الماء من القنوات وهو  
في كل ذلك - ينظر في ماله ، لا في حاله ، فكل ما يراه سبباً لزيادة ماله  
في الحال أو لحراسته في المآل - جاز له بذل المال في تحصيله ،  
ومصلحة خطة الإسلام وكافة المسلمين لا تتقاصر عن مصلحة طفل واحد ،  
ولا نظر للإمام - الذي هو خليفة الله في أرضه - يتقاعد عن نظر واحد  
من الآحاد في حق طفله ، فكيف يستجيز منصف إنكار ذلك المعنى مع  
الاعتراف بظهور هذه المصلحة ؟ وإن أنكر منكر وجه المصلحة : فعليناً  
تصويرها والحكم بالتحريم عند انتفاء المصلحة .

وأما الشواهد القريبة من هذا الجنس فمنها أن الكفار لو وطئوا اطراف بلاد الاسلام يجب على كافة المسلمين والرعايا أن يطيروا اليهم بأجنحة الجد ، فإذا دعاهم إلى ذلك الإمام وجب عليهم الاجابة ، وفيه إتعاب النفوس وإنفاق المال ، وليس ذلك إلا لحماية الدين ورعاية مصلحة المسلمين فهذا في هذه الصورة قطعى .

لأن نزلنا في التصوير وقد رنا ما إذا لم يهجم الكفار ولكن كنا نحذر هجومهم ونتوقع انبعاشهم فلوا استشعر الإمام من شوكة الإسلام وهناً وضعفاً وتفرقاً لوجب على كافة الخلق امداد هم ، كيف ولو لم ينبث جنود المسلمين في ديار الكفار : انبثوا في ديارنا على قرب ولطالما قيل : الروم إذا لم تُعزَّزْ عَزَّتْ ومهما سقطت شوكة الإسلام كان ذلك متوقعا على قرب من الايام ، كيف والجهاد في كل سنة واجب على الكفاية على كافة الخلق وإنما سقوطه باستقلال أقوام من المرتزقة به ، فكيف يتمارى في وجوب بذل المال في مثل ذلك .

ولأن نزلنا في التصوير وقد رنا ضرباً للمثل - انبساطاً طرف ظل الإسلام على أقاصى الغرب والشرق وإطباق الدين الأرض ذات الطول والعرض حتى لم يبق من الكفار نافخ نار ولا طالب نار - فلا يؤمن هيجان الفتن بين المسلمين ، وشوران المحن من نزعات المارقين وهو السداء ، العضال ، وفيه تستهلك النفوس والأموال ولا كاف لأمثالها الا سطوة الامام ، ولا كاف عن فسادها الا قهر الوالى المستظهر بجند الاسلام ، ولو اتفق شيء من ذلك لافتقر أهل الدنيا إلى نصب حراس ونقض أكياس على أجرهم ثم لا يغنيهم ذلك ، فهذه ملاحمة قطعية لا يتمارى منصف في وجوب اتباعها .

فإن قيل في الاستقراض غنية عن المصادرة واستهلاك الأموال ، فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يستقرض إذا جهز جيشاً واقتقر إلى مال .

قلنا : إن الاستقراض من النبي صلى الله عليه وسلم - ونقل ايضاً - أنه كان يشير إلى مياسير الصحابة ، بان يخرجوا شيئاً من فضلات أموالهم الا انهم كانوا يبادرون - عند ايمائهم - إلى الامثال ، مبادرة العطشان إلى الماء الزلال .

ولسنا ننكر جواز الاستقراض ووجوب الاقتصار عليه إذا دعت المصلحة إليه ، ولكن إذا كان الإمام لا يرتجى انصباب مال إلى بيت المال يزيد على مؤن العسكر ونفقات المرتزقة في الاستقبال ، فعلى ماذا الاتكال في الاستقراض مع خلواليد في الحال ، وانقطاع الأمل في المآل .

نعم : لو كان له مال غائب ، أو وجهة معلومة تجري مجرى الكائن الموشوق به فالاستقراض أولى . وينزل ذلك منزلة المسلم الواحد : إذا اضطرر في مخمصة إلى الهلاك فعلى الغني أن يسد رمقه ، ويبذل من ماله ما يتدراك به حشاشته ، فإن كان له مال غائب أو حاضر لم يلزمه التبرع ولزمه الاقتراض ، وإن كان فقيراً ، لا يملك فقيراً ولا قظميراً فلا تعرف ، خلافاً في وجوب سد مجاعته من غير اقتراض .

وكذلك إذا أصاب المسلمين قحط وجذب وأشرف على الهلاك جمع ، فعلى الأغنياء سد مجاعتهم ، ويكون ذلك فرضاً ، على الكفاية ، يخرج بتركة الجميع ويسقط بقيام البعض به التكليف ، وذلك ليس على سبيل الاقتراض ، فإن الفقراء عالة على الأغنياء ينزلون منهم منزلة الأولد من الآباء ، ولا يجوز للقريب أن ينفق على قريبه بالإقتراض إلا إذا كان له مال غائب فكذلك القول فيما نحن .

فهذا وجه المصلحة ، وهو من القطعيات : التي لامرية في اتباعها إذا ظهرت ، ولكن النظر في تصوير المصلحة على الوجه الذي قرناه ، فأصل أخذ المال متفق عليه عند العلماء . ولرنا الاختلاف في وجوب تعيين الاقتراض وفيما ذكرناه من التفصيل ما يشفي الغليل (١) .

استبان لنا مما مضى أمور :

(١) شفاء الغليل للغزالي ص (٢٣٤ - ٢٤٣) .  
وانظر أيضاً المستصفى للغزالي ١ / ٣٠٤ .

— أن الامام الغزالي يرى ان المال من حيث هو في نفسه لا تجوز مصادرته لكن من حيث المصلحة العامة وحاجة المسلمين الداعية إلى ذلك فإنه جائز يودافع عن ذلك بعدة أمثلة وبراهين أثبتت جواز فرض الضريبة للحاكم على جهود الأفراد وعلى العقارات والغلات مع التزام العدل وفي حد ود الحاجة والمصلحة .

( وقد لخص العبادي من خلال كلام الغزالي أنه يشترط عدة شروط لفرض الضريبة هي :-

- أولاً : وجود الإمام المطاع .
- ثانياً : حاجة البلاد لتكثير الجند للدفاع عن البلاد .
- ثالثاً : حاجة الدولة للمال نظراً لخلو بيت المال من المال .
- رابعاً : إشراف الإمام على التوظيف ، وعده في ذلك لكي لا يتسبب في إثارة الشحناء والبغضاء بين الناس )<sup>(١)</sup> .

( ٢ ) وقد جاء في حاشية ابن عابدين جواز فرض الضريبة على الناس حينئذ يقول : ( وما وظف الإمام ليجهز به الجيوش وفداء الأسرى بأن احتاج إلى ذلك ولم يكن في بيت المال شيء ، توظف على الناس ذلك والكفالة به جائزة اتفاقاً )<sup>(٢)</sup> .

( ٣ ) وكذلك أفتى العز بن عبد السلام بجواز الأخذ من مال المسلمين لتجهيز الجيوش شريطة ألا يبقى في بيت المال شيء .

وخلاصة ما قاله للسلطان ( إنه إذا طرق العدو بلاد الإسلام وجب على العالم أي (المسلمين) قتالهم وجاز لكم أن تأخذوا من الرعيمة ما تستطيعون به على جهادكم بشرط أن لا يبقى في بيت المال شيء وتبيعوا مالكم من الحوائص المذهبة والآلات النفيسة ، ويقتصر كل الجند على مركوبه ، وسلاحه ويتساووا هم والعامّة . وأما أخذ الأموال من العامة مع بقايا ما في أيدي الجند من الأموال والآلات الفاخرة فلا )<sup>(٣)</sup> .

- (١) الملكية في الإسلام ٢/٢٨٩ د . عبد السلام العبادي .
- (٢) حاشية ابن عابدين ٢/٣٣٦ .
- (٣) النجوم الزاهرة ٧/٧٢-٧٣ ( جمال الدين الأتابكي ) .



( ٤ ) وكذلك أيد الشاطبي فرض الضرائب بناءً على المصلحة المرسله :  
 ( إننا إذا قررنا إماماً مطاعاً مفتقراً إلى تكثير الجنود لسد الثغور  
 وحماية الملك المتسع الأقطار وخلا بيت المال وارتفعت حاجات  
 الجند إلى ما يكفيهم فللإمام إذا كان عدلاً أن يوظف على الأغنياء  
 ما يراه كافياً لهم في الحال ، إلى أن يظهر مال بيت المال ،  
 ثم إليه النظر في توظيف ذلك على الغلات والثمار وغير ذلك ،  
 كيلا يؤدي تخصيص الناس به إلى إيحاش القلوب وذلك يقع قليلاً  
 من كثير بحيث لا يجحف بأحد ويحصل المقصود . وإنما لم ينقل  
 مثل هذا عن الأولين لاتساع مال بيت المال في زمانهم بخلاف  
 زماننا ، فإن القضية فيه أخرى ، ووجه المصلحة هنا ظاهر ،  
 فانه لو لم يفعل الإمام ذلك بطلت شوكة الامام وصارت ديارنا  
 عرضة لاستيلاء الكفار )<sup>(١)</sup> .

( ٥ ) وفي جواز فرض الضرائب على الناس لخدمة الصالح العام جاء في  
 الهداية شرح بداية المبتدى قول المصنف :-  
 الأنهار ثلاثة : نهر غير مملوك لأحد ولم يدخل مائه في المقاسم  
 بعد كالنهرات ونحوه ، ونهر مملوك دخل مائه في القسمة إلا أنه  
 عام ونهر مملوك دخل مائه في القسمة وهو خاص ، فالأول كَرِيْمٌ  
 على السلطان من بيت مال المسلمين لأن منفعة الكرى لهم  
 فتكون مؤنته عليهم ، ويصرف إليه من مؤنة الخراج والجزية دون -  
 العشور والصدقات لأن الثاني للفقراء والأول للنواب ( فإن  
 لم يكن في بيت المال شيء فالإمام يجبر الناس على كربه إحياءً  
 لمصلحة العامة إذ هم لا يقيمونها بأنفسهم )<sup>(٢)</sup> .

(١) الاعتصام ١٢١/٢ الشاطبي .

(٢) الهداية شرح بدايه المبتدى ومعها تكلمة فتح القدير . ٨٢/١  
 ( المرغيناني ) وانظر الاختيار لتعليق المختار ٣/٧٢ (الموصلى) .

( ٦ ) رأى الشيخ أبي زهرة - نقله شوقي اسماعيل شحاته قال :  
( ويرى الشيخ ابو زهرة فرض ضرائب بجوار الزكاة مستنداً إلى  
الأسانيد الفقيهية التالية :-

( أ ) إن الفقه الاسلامي قرر أنه إذا كانت هناك حاجة شديدة في بيت المال  
وكان القائمون عد ولا تفرض ضرائب وقد اتفق العلماء على انه إذا نزلت  
بالمسلمين حاجة بعد أداء الزكاة فإنه يجب صرف المال إليها وقال  
مالك رحمه الله : يجب على المسلمين فداء أسراهم وإن استغرق  
ذلك أموالهم وهذا إجماع ايضاً .

( ب ) ويقرر المذهب المالكي بناءً على أصل المصالح المرسله الذي أخذ  
به أنه إذا خلا بيت المال أو ارتفعت حاجات الجند وليس فيهم  
ما يكفيهم فللإمام أن يوظف على الأغنياء ما يراه كافياً لهم في الحال  
وقد نص هذا المذهب الجليل على أن الإهام العادل يجعل  
هذه الوظيفة في أوقات حصاد الغلات وجني الثمار لكيلا يؤدي  
تخصيص الأغنياء إلى إيحاش قلوبهم .

( ج ) كما يرى جمهور الفقهاء جواز الجمع بين زكاة الزروع والثمار وهي  
زكاة وبين الخراج وهو بمثابة ضريبة عقارية ( ١ ) .

وهكذا فإنني بعد نقلي لهذه النصوص أرى انه اذا أخذت الضريبة  
بالحق وتم صرف حصيلتها فيما يتحقق به الصالح العام أقبل الناس على  
ادائها بنفس طيبة أما اذا فرضت عليهم الضرائب حتى لو كانت قليلة ولم  
تصرف في منفعتهم ضاق بها المواطنون وحاولوا التهرب منها بشتى الوسائل .

والشريعة الاسلامية الغراء والتي احترمت ملكية الفرد وصانتها  
لا تقراقتطاع جزء من أموال الناس لينفقه الحاكم على نفسه ، أو على  
حاشيته ، أو في أي طريق غير صالح الجماعة .

( ١ ) التطبيق المعاصر للزكاة ص ( ٤٦ ) شوقي اسماعيل شحاته .

لذا لم يهمل الفقهاء التنديد بالضرائب غير العادلة التي لا يلتزم فيها الحكام بقواعد الشريعة .

نقل صاحب الروضة الندية عن الشوكاني قوله :

( ومن الأنواع التي يأكلون بها أموال الرعية أكلا ظاهرا ويتجرون بها اتجارا بينما أنهم يجعلون الضرائب على الباعة في الأسواق يجبرونهم على تسليمها شاءوا أم أبوا ثم يأذنون لهم بالزيادة في الأسعار فيبيعون بما شاؤوا ويصنعون بالناس ما أرادوا وليس عليهم إلا الوفاء بالضرائب فإذا استغاث مستغيث بالناس من زيادة الأسعار أو أراد منكر أن ينكر على الباعة ما يفعلونه قالوا : هذه الزيادات للدولة فيلقمون المنكر والمستغيث حجرا (١) .

وفى هذا المعرض يقول العبادي :

( والواقع أنه يجب التفريق بهذا الصدد بين فرض الضرائب على الناس دون مراعاة للقيود الشرعية ، وفرضها مع مراعاة القيود والشروط الشرعية ، فالنوع الأول يدخل في المكوس التي نهت الشريعة عنها ، فالمكس الذي ذم في الشريعة ليس المقصود به الضرائب التي يجمعها الحاكم المسلم من الأغنياء لتنفق على مصالح معينة لمجموع الأمة إذا توافرت الشروط الشرعية المقررة ، فهذا أمر جائز شرعا كما أوضحنا ، إنما المقصود به تلك الغرامات التي تفرض على الناس ظلما وعدوانا لتصرف في غير الوجوه الشرعية (٢) فقد أخرج أحمد وأبو داود والحاكم عن عقبة بن عامر :

إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ( لا يدخل الجنة صاحب مكس ) (٣) قال البيهقي : يريد بصاحب المكس الذي يأخذ من التجار إذا مروا عليه مكسا باسم العشر (٤) .

- 
- (١) الروضة الندية ١٧٢/٢ . صديق خان .  
 (٢) الملكية في الاسلام ٣٠٠/٢ د . عبدالسلام العبادي .  
 (٣) سنن أبي داود ٣/٣٣٣ السعاه على الصدقة / كتاب الامارة والفقه وسند احمد وبها مشه كنز العمال ١٤٣/٤ . المستدرک ١/٤٠٤ كتاب الزكاة .  
 (٤) الترغيب والترهيب ٢٨٧/١ الترهب من العمل على المكس / كتاب الصدقات .

( وقال المناوي بصاحب مكس المراد به العشار ، وهو الذي يأخذ الضريبة من الناس ، قال البيهقي : المكس النقصان فإذا انتقص العامل من حق أهل الزكاة فهو صاحب مكس . قال الطيبي وفيه أن المكس من أعظم الموبقات وعده الذهبي من الكبار )<sup>(١)</sup> .

كذلك بين ابن حجر في الزواجر أن جباية المكوس داخله في قوله تعالى :

﴿ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾<sup>(٢)</sup> .

ذلك أنهم يأخذون مالا يستحقونه ، ويدفعونه لمن لا يستحقه وإن صاحب المكس لا يدخل الجنة لأن لحمه ينبت من حرام<sup>(٣)</sup> .

والملاحظ في زماننا أن كثيرا من بلاد المسلمين ابتليت بالضرائب فصارت تجمع بطريقة تصاعدية ، قد تصل إلى مصادرة الأموال ، حتى أن بعض الدول أخذت تبتكر أساليب غاية في العجب في تحصيل الضرائب وهناك أمثلة كثيرة لذلك تربوعلى الحصر مما عم بلاؤه البلاد والعباد ، الأمر الذي يجعلني أتخرج كثيرا من القول بفرض ضريبة إضافية عدا الزكاة إلا في حد ودالحالات الضرورية التي أشار إليها علماءنا الأجلاء ، والذين استشهدت بأرائهم آنفا . . . . والتي فحواها أن لا يقال بفرض ضريبة إلا في أحلك الظروف ، وأمس الأحوال ، وذلك عندما تتعرض بلاد المسلمين لحاجة واقعة ، أو متوقعة ، كهجوم الأعداء وحدث كوارث عامة ، كالجذب والزلازل ، والبراكين ، وغيرها من الآفات السماوية إذا عجز بيت المال عن النهوض بها .

(١) فيض القدير شرح الجامع الصغير ٦ / ٤٩٩ .

(٢) الشورى (٤٢) .

(٣) الترغيب والترهيب ١ / ٢٧٨ .

( هل يحق للسلطان نزع الملك من غير رضي صاحبه )

من خلال الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة التي تنبئ عن احترام الشرع لملكية الأشخاص، وقرنه حرمة المال بحرمة الدم، وتشريع الحدود الرادعة لصيانة الأموال، فقد أجمع فقهاء الأمة انه لا يصح لفرد أن يستولسي على ملك شخص بالغلبة أو بالقهر ولا جماعة من الجماعات اللهم الا اذا كانت المصلحة العامة تقتضي ذلك فلولي الأمر أن ينتزع ملكية الفرد بغير رضاه ولكن بتعويض لصاحب الملك ، وإذا كانت الجماعة لا قدرة لها على أداء - التعويض عاجلا لصاحب العوض فلا مانع أن يكون مال صاحب العوض دين في ذمة الجماعة تعترف به وتشهد به على نفسها . فكما أن الفرد إذا استدان من مثله ، وجب عليه الأداء فكذلك الجماعة إذا أخذت من مال الفرد فيجب عليها أداءه : ورد بذلك كلام سيد المرسلين .

روى البخاري بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ( من أخذ أموال الناس يريد أداءها أدّى الله عنه ومن أخذ يريد إتلافها أتلفه الله ) (١) .

ومما لا شك فيه أن الفرد المنتزع ملكه يلحقه ضرر يمنعه من استعمال ملكه لاسيما اذا كان التعويض لا يفي بحق المالك . ولكن بناء على القاعدة التي قررها الأصوليون فإن : ( الضرر الخاص يتحمل لدفع الضرر العام ) (٢) . قال ابن نجيم (ومنها وجوب نقض حائط مملوك مال إلى طريق العامة على مالِكها دفعاً للضرر) (٣) .

وقد عزى الشيخ محمد أبو زهرة الأحوال التي ينتزع فيها الملك من غير رضا صاحبه إلى ثلاث :

(١) صحيح البخاري ٣ / ٨٢ باب من أخذ أموال الناس يريد أداءها أو إتلافها / كتاب الاستقراض والحجر والتفليس .

(٢) ، (٣) الأشباه والنظائر ص (٨٧) (ابن نجيم ٤)

أولاها : نزع الملك لمنافع الكافة كنزع الملك للطرق العامة أو شق الترع ، وقد اعتبر الفقهاء من المنافع العامة توسيع المساجد حتى لا تضيق بالناس ، لأنه لما ضاق المسجد الحرام أخذ الصحابة بعض ما حوله من الأراضي بكرهه ، وأدخلوها في المسجد وهذا من الإكراه الجائز .

والأصل في هذا ترجيح منفعة الكافة على منفعة الآحاد ولأنه لا يترتب على الأخذ من المالك كبير ضرر به ، لأنه يعوض بالقيمة ، والقيمة تقدر بمعرفة أهل الخبرة العدل (١) .

ثانيها :

نزع الملك لقضاء دين على صاحبه قد امتنع عن أدائه مطلا وظلماً ، فللقاضي في هذه الحال أن يحجر عليه فيمنعه من التصرف في ماله إذا رفع الدائنون الأمر إليه ويؤدي الدين من أمواله فيؤخذ من النقود فإن لم تكن نقود أو نفذت ولم تغر ببيع ما يخشى عليه التلف أو ما يكون معداً للبيع كعروض التجارة ، فإن لم تغر ، ببيع العقار . وهذا رأي الصاحبين . وقال الإمام ليس للقاضي أن يبيع مال الشخص بغير رضاه ويؤدي منه الدين رغم أنفه ، بل يحبس حتى يوفر هو الدين بأي طريق أحب .

وحجة الصاحبين أن مطلقه ظلم ، والظلم واجب الرفع ، فإذا امتنع الظالم عن أداء الحق مختاراً قام القاضي مقامه في رد الحقوق إلى ذويها ، لأنه نصّب لإقامة العدل بين الناس ، وذلك طريقة ووجهة نظر أبي حنيفة أن الحجر والتصرف في ماله من غير إرادته إهداراً لأهليته ، وهو ضرر عظيم لا يجوز إلحاقه به لدفع ضرر خاص ويمكن دفع الظلم بالحبس وحمله على أن يؤدي ما عليه من حقوق من غير التعرض لأمواله التي لا يصح أن تمس إلا برضاه (٢) .

(١) ، (٢) الملكية الفردية ونظرية العقد ص ١٦٣ ( أبو زهرة ) .

- وينظره متأنيه في كلام الامام أبي حنيفة وصاحبيه نرى كيف يحافظ الإسلام على أهلية المسلم وحرمة ماله عند وجود الداعي للتسلط على ماله كأداء حقوق الدائنين ، فإن الامام أبا حنيفة مع وجود الداعي يرى الحبس كافياً في حمله على ترك ظلمه ، ولا يبيح الاعتداء على أهليته ، والتصرف في ماله بغير رضاه ، فكيف بمصادرة الأموال واغتصابها بلا حق واجب فيها ، إنه لجرمٌ عظيم وهمجيه باسم الاشتراكية ، أو الشيوعية يتنزه الإسلام عن أن يقر مثل هذه الفوضى التي لا تقيم اعتباراً لأهلية الفرد ، وحقه في التصرف في ملكه .

ثالثها : الأخذ بالشفعة (١) :

( وهي استحقاق الشريك انتزاع حصة شريكه المنتقله عنه من يد من انتقلت إليه بالثمن ، وهي ثابتة بالسنة ، واجماع أهل المذاهب الأربعة ، واتفق أهل المذاهب الأربعة على أن الشفعة خاصة بالأرض وما عليها من بناء وشجر وانها تثبت فيما ملك بمعاوضة كالبيع ) (٢) .

فيجيز الإسلام للجار إذا باع جاره ملكه لغيره ورأى أن هذا البيع ينطوي على ضرر يلحقه أو يفوت منفعة له أن يطالب بالشفعة أي أن يقدم على الغريب في الصفقة ويلغى العقد الأول .

وذلك لما جاء من حديث أبي رافع قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : ( الجار احق بسقبه ) (٣) (٤) .

جاء في الفتح ( استدل به أبو حنيفة وأصحابه على إثبات الشفعة للجار وأوله غيرهم على أن المراد به الشريك ) (٥) .

- 
- (١) الملكية الفردية ونظرية العقد من (١٦٣) . ( أبو زهرة ) ، والشفعة مأخوذة من الفعل شفع وهو يطلق بمعنى ضم وبمعنى زاد والشفعة يصح ان تكون بمعنى ضم لان الشفيع يضم العقار المبيع إلى ملكه ويصح ان تكون بمعنى زاد لانه يزيد ملكه بسبب الشفعة .
- (٢) الفتح الرباني ٣ / ٨٨ محمد احمد الداه الشنقيطي - طبعة ثالثة .
- (٣) السقب : القرب والملاصقة ( فتح الباري ٤ / ٣٤٦ ) .
- (٤) ، (٥) فتح الباري ٤ / ٣٤٦ باب فرض الشفعه على صاحبها قبل البيع كتاب الشفعة .

من هذه اللحاح رأينا آحترام الاسلام للملكيات في أيدي أصحابها وصيانتها بسياج من الحقوق والواجبات التي لها وعليها ، وكيف أن تقريرها يحقق العداله بين جهد الفرد وجزائه علاوة على أنها تساير الفطرة البشرية وتلبي ميول النفس الانسانية ، فتجعله يقبل على العمل بجد ، ونشاط لأنه يعرف أن نتاج كده سوف يجنيه هو وذريته ، وبذلك يكون حافزاً له على بذل أقصى جهوده والجود بمنتهى مالمديه من قدرات ، وإبداعات ، وبهذا تزدهر حياة الأفراد ، والأمم ، وتتم عمارة هذا الكون على أفضل وجه .



(( تقرير الاسلام للملكية الجماعية أو العامة ))

عندما قرر الإسلام حق الملكية الفردية أخرج من نطاقها الأشياء التي لا يتوقف وجودها ، أو الانتفاع بها على مجهود خاص وتكون ضرورية لجميع الناس ، وجعلها ملك الجماعة كلها حتى لا يستحوذ عليها فرد أو مجموعة فيستبدون بها ، فتضار الأمة من جراء ذلك ، فجعل حق الانتفاع بالموارد الضرورية مشاعة للجميع .

وقد عد الرسول الكريم عليه السلام من هذا النوع أربعة أشياء ففى الحديث الذى رواه أبو داود بسنده عن رجل من المهاجرين من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم قال : ( غزوتُ مع النبى صلى الله عليه وسلم ثلاثاً ، أسمعُه يقول : ( المسلمون شركاء في ثلاث : في الكلاء ، والماء ، والنار ) .<sup>(١)</sup> وروى أبو داود أيضاً : أَنَّ رجلاً سأل النبى صلى الله عليه وسلم : ( ما الشئ الذى لا يحل منعه ؟ قال ( الماء ) قال : يا نبى الله ما الشئ الذى لا يحل منعه ؟ قال ( الملح ) قال : يا نبى الله ما الشئ الذى لا يحل منعه ؟ قال : ( أن تفعل الخير خير لك ) .<sup>(٢)</sup>

يقول الدكتور علي عبدالواحد : ( المراد بالنار الوقود التي لا يتوقف وجودها ولا الانتفاع بها على مجهود خاص كالحطب في الغابات وبين الأشجار البرية غير المملوكة والذي تلقيه الريح في فلاة ونحوها .

والمراد بالملح النوع الذى يظهر وحده في الجبال ، والصحارى ونحوها ويمكن الحصول عليه بدون مشقة ولا علاج خاص ) .<sup>(٣)</sup>

ويؤيد ذلك ما ورد في كتب السنة :

روى أبو داود بسنده عن أبيض بن حمّال ، أنه وَقَدَّ الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستقطعه الملح ، قال ابن المتوكل : الذى بمأرب فقطعه له ، فلما أن ولى قال رجل من المجلس : أتدرى ما قطعــــــــــــــــت

(١) ، (٢) سنن أبي داود ٢٧٨/٣ باب فى منع الماء / كتاب البيوع .  
(٣) حقوق الانسان فى الاسلام ص (٦١) . على عبدالواحد وافي .

له ؟ إنما قطعت له الماء العِدَّ<sup>(١)</sup> قال : فانتزع منه ، قال : وسأله عما يُحمى من الآراك ، قال : ( ما لم تنله خفاف ) وقال ابن المتوكل ( أخفاف الأبل )<sup>(٢)</sup> .

وقد وضع صاحب كتاب بذل المجهود في شرحه لهذا الخبر الذي انبنى عليه عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :

( أقطعه أولاً ظناً منه بأن القطيعة معدن يحصل منه الملح بعمله وكذا ، ثم لما تبين أنه مثل العد رجعه عنه ، قال : قال القاري : ومن ذلك عِلْمٌ أَنَّ إقطاع المعادن إنما يجوز إذا كانت باطنة لا ينال منها شيء إلا يتعب ومؤنة ، وما كانت ظاهرة يحصل منها المقصود من غير كد وصنعة لا يجوز إقطاعها ، بل الناس فيها شركاء ، وأن الحاكم إذا حكم ثم ظهر أن الحق في خلافه ينقض حكمه ويرجع عنه )<sup>(٣)</sup> .

( وقد خص الحديث هذه الموارد لأنها كانت من ضروريات ذلك العصر . غير أن ضروريات الحياة الاجتماعية تختلف من بيئة إلى بيئة ومن عصر إلى عصر ، والقياس وهو أحد أصول التشريع في الإسلام ينفسح لسواها عند التطبيق مما هو في حكمها - على ألا يؤثر ذلك في القواعد الأساسية للنظام الإسلامي ، ولا يجرد الأفراد جميعاً من ملكياتهم الخاصة ليصبحوا أجراء عند الدولة ، فإن الدولة عند ذلك تملك إسترقاقهم ، واستذلال رقابهم بأشد مما يملك الأفراد والأثرياء لأنها تضم قوة المال إلى قوة السلطان )<sup>(٤)</sup> .

وقد قاس كثير من العلماء في الماضي ، والحاضر على ذلك المعادن وما إليها وأنها يجب أن تكون ممتلكات عامة .

- 
- (١) الماء العِد : أي مثل الماء الدائم الذي لا ينقطع والمراد تشبيهه الملح الذي اقطعه بالماء الذي لا ينقطع ، في أن كلا منهما يحصل بلا جهد ولا مشقة . سنن أبي داود ١٧٥/٣ تعليق محمد عبد الحميد
- (٢) سنن أبي داود ١٧٥/٣ باب في إقطاع الارضين / كتاب البيوع .
- (٣) بذل المجهود في حل أبي داود ، ١٤ / (١٤-١٥) .
- (٤) العدالة الاجتماعية ص (١٢٢) ( سيد قطب ) .

وقد بيّن الامام الشافعي رضى الله عنه في كتابه الأم بعض الأشياء التي لا يصح إقطاعها كالمح الذي يكون في الجبال ، وكذا الأنهار والماء الظاهر . فالناس فيه شرع والحكمة في عدم إقطاع مثل هذه الأشياء لفرد من الناس أنّ فيه تضييقاً عليهم لأنه إن أخذ عوضاً ضيق عليهم (١) لغلائه .

وقال الكاساني : ( وأرض الملح ، والقار ، والنفط ، ونحوها مما لا يستغني عنها المسلمون لا تكون أرض موات حتى لا يجوز للإمام أن يقطعها لأحد ، لأنها حق لعامة المسلمين ، وفي الإقطاع إبطال حقهم وهذا لا يجوز ) (٢) .

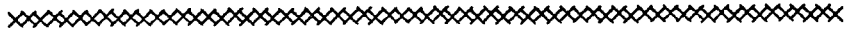
قال القاضي أبو يعلى ، فإن اقطعت هذه المعادن الظاهرة ، لم يكن لقطاعها حكم ، وكان المقطوع وغيره فيها سواء ، وجميع من ورد أسوة يشتركون فيها ، فإن منعهم المقطوع كان بالمنع متعدياً وكان لما أخذه مالكا ، لأنه متعد بالمنع لا بالأخذ ، وكف عن المنع وصرف عن مداومة العمل لئلا يثبت إقطاعاً بالصحة ، أو يصير معه في حكم الأملاك المستقرة والمعادن الظاهرة فما كان جوهرها المستودع فيها بارزاً كمعادن الكحل والملح ، والنفط ، فهو كالماء الذي لا يجوز إقطاعه (٣) .

---

(١) الأم ٣ / (٢٦٥ - ٢٦٦) ( الشافعي ) .  
 (٢) بدائع الصنائع (٦ / ١٩٤) طبعة ثانية .  
 (٣) الأحكام السلطانية للقاضي أبو يعلى (٢٣٦) .

” الفصل الثالث ”

(( الوجوه المنوعه في إنفاق المال ))



## ” انفاق المال في محاربة الاسلام ”

اتفق أهل الكفر على اختلاف مللهم على محاربة الاسلام بشتى الوسائل والطرق .

وبما أن المال عنصر خطير في حياة الانسان ، فقد استطاع أعداء الإسلام أن يستخدموه على نطاق واسع في افساد سلوك وأخلاق كثير من المسلمين ، بل والأدهى من ذلك أن أصبح كثير من هؤلاء المسلمين والمضللين أيدي خفية لملل الكفر ، والطغيان ، وأصبحوا هم أنفسهم الذين يحاربون دينهم بقصد أو بغير قصد .

والكل منا يعرف ما تكنه ملل الكفر من يهود ، ونصارى ، وملحديين من مقت للإسلام ، وأهله ، ولا يخفى علينا أيضا كم أنفقوا وينفقون من أموال طائلة لمحاربة الاسلام والصد عن سبيل الله ، فمنهم من يحارب الإسلام عن طريق التضليل والتشكيك باختلاق شبه وطعون ، تشويه الاسلام وتهزه في نفوس أبنائه ، ولم يدخروا جهدا في سبيل نشر هذه الأباطيل ، فنشروها عبر أجهزة الاعلام المختلفة المسموعة ، والمرئية وفي الصحف والمجلات والكتب ، وبيرونها بصور غير مباشرة أغلب الأحيان لتكون فعاليتها أقوى ، وتنطلي على كثير ممن لا يفقهون أمور دينهم الحنيف ، فيكونون بذلك كمن يدس السم في العسل ، ويدلوا في ذلك الأموال الطائلة ، والجهود الجبارة ، وذلك للصد عن سبيل الله واعلاء كلمته ، لأنهم يعلمون أن ظهور الاسلام سيمنع عليهم حياة البذخ والفساد التي يحيونها ، وهذا شأنهم منذ زمن النبوة ، وحتى عصرنا الحاضر .

وقد أخبر الله سبحانه وتعالى أن أموالهم التي ينفقونها لمحاربة هذا الدين ، والصد عن سبيل الله تعالى لا تغني عنهم شيئا ، ولا يجنون من انفاقها سوى الحسرة في الدنيا والعذاب في الآخرة ، قال عز من قائل :

( إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَنْفِقُونَ أموالَهُمْ لِيَصُدَّوْا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ، فَسَيَنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ، وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ .

لِيَمَيِّزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ  
جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (١) .

قال ابن كثير :-

( نزلت في أهل بدر ، وعلى كل تقدير فهي عامة ، وإن كان سبب نزولها  
خاصا ، فقد أخبر تعالى أن الكفار ينفقون أموالهم ليصدوا عن اتباع  
طريق الحق ، فسيفعلون ذلك ثم تذهب أموالهم ، ثم تكون عليهم حسرة  
أي ندامة ، حيث لم تجد شيئا ، لأنهم أرادوا إطفاء نور الله وظهور  
كلمتهم على كلمة الحق ، والله متم نوره ولو كره الكافرون ، وناصر دينه ،  
ومعلن كلمته ، ومظهر دينه على كل دين ، فهذا الخزي لهم في الدنيا  
ولهم في الآخرة عذاب النار ، فمن عاش منهم رأى بعينه وسمع بأذنه  
ما يسوءه ، ومن قتل منهم أو مات فالى الخزي الأبدى والعذاب السرمدي ،  
ولهذا قال : ( فسيفقونها ثم تكون عليهم حسرة . ثم يغلبون ، والذين  
كفروا الى جهنم يحشرون ) وقوله تعالى : ( لِيَمَيِّزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ )  
أي إنما ابتليناكم بالكفار وأقدرناهم على إنفاق الأموال ، وبذلها فـي  
ذلك - أي الصد عن سبيل الله - ( لِيَمَيِّزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ ) ويجمع  
الخبِيث على بعضه البعض فيجعلهم في جهنم وهؤلاء هم الخاسرون فـي  
الدنيا والآخرة (٢) .

فإنفاق المال في محاربة الاسلام خسارتان كما أكد لنا الله عز وجل ،  
الأولى فقدان أموالهم في الدنيا دون جدوى ، والثانية أن جهنم  
ستكون مآلهم في الآخرة .

على أن إنفاق المال للصد عن سبيل الله من الكفار كاليهود  
والنصارى والملاحدة ليس بغريب ، بل هو الحاصل منذ قيام الدعوة  
الاسلامية ، ولكن المستغرب والمستهجى أن يكون هذا الإنفاق منا نحن  
المسلمين حيث اتبعنا في ذلك خطوات اليهود ، والنصارى ، والملاحدة

(١) الأنفال (٣٦ - ٣٧) .

(٢) ابن كثير ٢ / (٣٠٨ - ٣٠٩) بتصرف طفيف .

في محاربة الاسلام والصد عن سبيل الله بقصد، أو دون قصد ، فأصبح بعض من يسمون أنفسهم قادة الفكر فينا يدعون الناس إلى المذاهب الاقتصادية ، والسياسية الهدامة المستمدة من شرع البشر ، بحجة أن التشريع الاسلامي لا يتمشى مع تطورات العصر ، وتقدم العلم ، والتكنولوجيا ، ودعوا الناس إلى السفور، والإختلاط وغير ذلك من الدعوات الهدامة ، وقد سخرُوا في ذلك كافة امكانياتهم المالية ، والفكرية لترسيخ هذه الأفكار المسمومة في نفوس المسلمين ، فاتبعوا بذلك سنة اليهود والنصارى في حرب الاسلام .

وقد علم الرسول صلى الله عليه وسلم بذلك وأخبر عنه ، فقصد روى البخاري بسنده عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ( لَتَتَّبِعَنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ شَيْبَرًا شَيْبَرًا وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جَحْرًا ضَبَّ تَبِعْتُمُوهُمْ ، قلنا : يارسول الله ، اليهود والنصارى قال : فمن ؟ )<sup>(١)</sup> .

ذكر في الفتح : ( أعلم النبي صلى الله عليه وسلم أن أمته ستتبع المحدثات من الأمور والبدع ، والأهواء .

والشير، والذراع، والطريق ودخول الجحر تمثيل للأقتداء بهم في كل شيء مما نهى الشرع عنه وذمه )<sup>(٢)</sup> .

وقد نشأ مثل هذا الجيل في صفوف المسلمين لعدة أسباب ، منها :  
- التعلم في المدارس النصرانية ، والتي هي بمثابة مراكز تبشيرية تتستر باسم تدريس اللغات الأجنبية ، ويدفع الأهل لقاء ذلك الأموال الكثيرة ، وهذا من أعظم الانفاق ضرا ، حيث يعود الطفل إلى أبويه يرتل التراتيل المسيحية بدلا من أن يقرأ فاتحة الكتاب كما كان يحدث فيما مضى -  
وان تنبه بعض المسلمين الغيورين على دينهم لذلك - وأكثر من ذلك

(١) الحديث خرج في مقدمة البحث ضمن السبب الرابع .

(٢) فتح الباري ١٣ / ٢٥٦ باب قول النبي صلى الله عليه وسلم لتتبعن سنن من كان قبلكم / كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة .

أنهم يغرسون في نفس الطفل الإعجاب بالدين المسيحي بأن يصوره له بأنه دين المحبة ، والعطاء ، ويستغلون في ذلك بعض أعيادهم فيوزعون الهدايا على الأطفال ويدعون أن ( بابا نويل ) أو ( سانت كلوز ) أحضرها لهم، مع أن ثمن تلك الهدايا يكون من الأهل المغفلين الفرحين بمثل تلك المظاهر، ولا يعلمون أن طفلهم هذا سيكون أشد خطرا على دينه ووطنه من الأعداء أنفسهم ، بسبب ما تغرسه مثل تلك المدارس في عقل الطفل ووجدانه .

- وكذلك ابتعثت الطلاب إلى الدول الأجنبية لتلقي العلم فيها مع عدم وضع الضوابط للطلاب وتحصينهم - فكريا بفهم الاسلام فهما واعيا ، وجسديا : بالزواج - فإن ذلك يؤدي بهم الى مزالق كثيرة منها ارتكاب المعاصي ، إلى جانب ما نلاحظه في كثير من المبتعثين الذين يحصلون على المؤهلات العالية ، اذ لا يكون منهم ولا لأوطانهم ، فانفاق المال على مثل هؤلاء رافق ممنوع ،

ولأريد أن يفهم من كلامي هذا معاداتي للعلم الحديث ، بل ان على المسلم أن يطلب العلم أينما وجد اذا كان نافعا للاسلام والمسلمين . فعن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( الكلمة الحكمة ضالة المؤمن ، حيثما وجدها فهو أحق بها ) .<sup>(١)</sup> والمسلمون مطالبون بأن ينجوا عقولهم بالعلوم الحديثة ، فإن تأخر المسلمين في العلم جعلهم هدفا للمطامع من كل الجهات وكل ذلك بسبب تقصيرهم في العلوم الحديثة مما جعلهم يتخلفون عن النهضة العلمية ، والصناعية الجبارة في هذا العصر ، ولكن القصد من كلامي أنه عند ابتعثات أبنائنا إلى الدول الأجنبية علينا أن نلاحظ أنهم سيذهبون إلى مجتمع كافر فيجب تحصينهم ووضع الضوابط التي تحميهم من الانحراف حتى لا نخسر بذلك أبنائنا وأموالنا .

(١) رواه ابن ماجه في كتاب الزهد ١٣٩٥/٢ ( باب الحكمة ) .



( انفاق المال فيما حرم الله تعالى )

(١) انفاق المال في الخمر والمخدرات :

ومن انفاق المال المحرم إنفاقه في تعاطي الخمر ، والمسكرات القديمة والحديثة ، كالحشيشة ، والهرويين ، والأدوية المخدرة ، فإن في ذلك بلاء كبيراً على الفرد والمجتمع ، فالنسبة للفرد فإن تعاطي هذه الأشياء يدمر أخلاقه ويهدم كيانه ويحجبه عن طاعة ربه ، ويجعله هدفاً للشيطان في كل وقت ، وبالنسبة للمجتمع فإن هؤلاء الأفراد ينقلبون إلى أناس غير أسوياء مرضى وعاطلين ، يجهدون الدولة ويكلفونها إيجاد المستشفيات والأطباء ، كما يكلفون أهليهم الأموال الطائلة المطلوبة لسد حاجاتهم الضرورية من الطعام واللباس ، والشراب والعلاج ، وقد أجمل الله سبحانه وتعالى هذه المضار في آية الخمر والميسر من سورة المائدة ، فقال تعالى :

( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلُمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ . إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنتُمْ مُنْتَهُونَ (١) .

والمتبع لمعاني الخمر يجد أنها تدور بين التغير والستر ، قال ابن الأعرابي : سميت الخمر خمراً لأنها تركت فاختمت واختتمتها : تغير ريحها (٢) .

وقال القرطبي : ( الخمر من خمراً إذا ستر ومنه خمارة المرأة ، وكل شيء غطي شيئاً فقد خمره ، فالخمر تخمر العقل أي تغطيه ، وقيل : إن الخمر سميت خمراً لأنها تخالط العقل من المخامرة وهي المخالطة (٣) .

والخمر هو ماء العنب إذا غلى ، وكل شيء خامر العقل من غير العنب فهو في حكمه .

(١) المائدة ( ٩٠ - ٩١ ) .

(٢) الصحاح : المجلد الأول ص ( ٣٧١ ) ( تجديد صحاح العلامة

الجوهري ) دار الحضارة العربية - بيروت - لبنان .

(٣) الجامع لأحكام القرآن ٥١/٣ القرطبي .

والخمر عند الجمهور : هي كل شراب مسكر ، وجميع هذه المعاني ظاهره في الأشربة المسكرة كلها من العنب ، والزبيب ، والتمر ، والشعير والذرة ، والعسل ، والحنطة ، والتفاح ، ولبن الجوز الهندي وسائر الأنواع الحادثة في هذا العصر<sup>(١)</sup> .

ل فيصح إطلاق اسم الخمر على كل مسكر ، والمقصود أن الخمر يشمل كل مسكر ، سواء كان موجودا في عصر النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضوان الله عليهم ، أو كان حادثا في عصرنا أو ما يحدث في المستقبل<sup>(٢)</sup> ويدل على ذلك ما رواه مسلم بسنده عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : ( قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( كل مسكر خمر ، وكل مسكر حرام )<sup>(٣)</sup> .

قال الدكتور محمد علي البار : ( وواقع الأمر أن الخمر تغطي المناطق العليا وهي الموجودة في القشرة لفضي الخ ، وهي مراكز الإرادة ، والأخلاق ، والفكر والروية ، أي ما يعرف باسم العقل ، وكلمة عقل في اللغة العربية من ( عقل الناقة ) أي شدها وربطها و ( كأنما نشط من عقال ) أي انطلق من رباط ووثاق .

فالعقل هو الرباط وهو الوثاق الذي يمنع الانسان من الانقياد للهوى والرغبات ، ووظيفة الخمر هي (إزالة تلك الموانع ) بالتأثير على العقل أو بضعافه - فما أبدع اللغة العربية فقد سمت ذلك المسكر خمرًا ، وهي تلك التي تزين على العقل وتواريه )<sup>(٤)</sup> .

(١) الجامع لأحكام القرآن ٥٢/٣ .

(٢) أنظر فتح الباري ٣٨/١٠ كتاب الأشربة ، باب ما جاء في أن الخمر ما خامر العقل . وانظر نيل الاوطار ٥٢/٩ - ٥٣ / كتاب الاشربة والجامع لأحكام القرآن ٥٢/٣ ( سورة البقره ) .

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي ١٧٢/١٣ باب بيان أن كل مسكر خمر / كتاب الأشربة .

(٤) ( الخمر بين الطب والفقہ ) ص ( ١٣ ) د . محمد علي البار دار الشروق .

وتحريم الخمر ثابت بالكتاب والسنة وإجماع الأمة :-

فمن الكتاب :-

( قوله تعالى : ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ  
وَالْأَزْجَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ ) (١) .

قال الزمخشري :

( أكد تحريم الخمر والميسر وجوها من التأكيد منها : تصدير  
الجملة بإنما ومنها أنه قرنهما بعبادة الأصنام ، ومنه قوله صلى الله عليه  
وسلم : ( شارب الخمر كعابد الوثن ) ومنها أنه جعلهما رجساً كما قال  
تعالى : فاجتنبوا الرجس من الأوثان - ومنها : أنه جعلهما من عمل الشيطان  
والشيطان لا يأتي منه إلا الشر ومنها أنه أمر بالاجتناب . ومنها أنه جعل  
الاجتناب من الفلاح ، وإذا كان الاجتناب فلاحاً كان الارتكاب خيبة محققة  
ومنها : أنه ذكر ما ينتج منهما من الوبال وهو وقوع التعادي ، والتباغض  
بين أصحاب الخمر ، والقمار، وما يؤديان اليه من الصد عن ذكر الله وعن  
مراعاة أوقات الصلاة (٢) .

وقال الشوكاني :

(في هذه الآية دليل على تحريم الخمر لما تضمنه الأمر بالاجتناب من  
الوجوب وتحريم الصد، ولما تقرر في الشريعة من تحريم قربان الرجس  
فضلاً عن جعله شراباً يشرب (٣) .

الأدلة على تحريم الخمر من السنة :-

وردت في السنة المطهرة أحاديث كثيرة تفيد تحريم الخمر منها ما  
ما صرح بالتحريم ومنها للترهيب الشديد والوعيد الأكيد ، منها :-  
روى البخاري بسنده عن عائشة رضی الله عنها قالت :

( سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البتغ ، وهو شراب العسل ،  
وكان أهل اليمن يشربونه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ( كل شراب

(١) المائدة (٩٠) .

(٢) الكشاف - ١ (٦٤١-٦٤٢) .

(٣) فتح القدير ٧٤/٢ ( الشوكاني ) .

أَسْكِرَ فَهُوَ حَرَامٌ (١) .

فالنبي صلى الله عليه وسلم لم يكتفِ بتحريم البتغ بل أتى بحكم عام يشملُه ويشمل كل مسكر عرف أو لم يعرف .

وروى مسلم بسنده عن جابر أن رجلا قدم من جيشان ، وجيشان من اليمن ، فسأل النبي صلى الله عليه وسلم عن شراب يشربونه بأرضهم من الذرة يُقال له المُرُّ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أَوْ مُسْكِرٌ هُوَ ؟ قال : نعم ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " كُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ ، إِنَّ عَلَى اللَّهِ عِزَّ وَجَلَّ عَهْدًا لِمَنْ يَشْرَبُ الْمُسْكِرَ أَنْ يَسْقِيَهُ مَنْ طِينَةَ الْخَبَالِ ، قالوا : يارسول الله وما طينة الخبال ؟ قال : عَرَقُ أَهْلِ النَّارِ ، أَوْ عَصَاةُ أَهْلِ النَّارِ (٢) .

وروى الحاكم بسنده عن أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

ثلاثة لا يدخلون الجنة ، مُدٌّ مِنْ خَمْرٍ ، وَقَاطِعُ رَحِمٍ ، وَمُصَدِّقٌ بِالسَّحْرِ وَمَنْ مَاتَ مِنْ خَمْرٍ سَقَاهُ اللَّهُ مِنْ نَهْرِ الْغَوْطَةِ ، قيل : وما نهر الغوطة ؟ قال : نهرٌ يخرجُ من قروحِ المومساتِ يؤذي أهلَ النَّارِ بريحِ فروعهن (٣) .

أما الإجماع : فقد أجمعت الأمة الإسلامية من حين نزول آيات تحريم الخمر على أنها محرمة .

ومع ذلك ومع هذه الأدلة القاطعة في تحريم الخمر ، فقد ابتليت الأمة الإسلامية بهذه البلية إلى حد استثمار الأموال في افتتاح الحانات الفاخرة والتي تحوى كل أسباب الوقوع في الحرام من تعاطى الخمر ولعب القمار والزنا ، وأصبح منظر السكارى لا يثير دهشة الناظرين ، حتى أنك لترى رجلا سكران يترنح في الطرقات فلا تستطيع أن تنصحه ، لأنك ستكون بذلك أنت المذنب الذي يتعرض لحرية الأفراد ، وقد أنتحلست

(١) فتح البارى ١٠ / ٣٤ باب الخمر من العسل وهو البتغ / كتاب الأشرية .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي ١٣ / ١٧٨ باب بيان ان كل مسكر خمر كتاب الأشرية .

(٣) المستدرک ٤ / ١٤٦ كتاب الاشرية .

لهذه المحرمات والتي سماها الله رجساً مبررات بأنها مورد من الموارد الاقتصادية الهامة للدولة ، لذا فإننا نرى في كثير من البلدان الاسلامية ان العنب والشعير لا يزرعان فيها لمنفعة الأكل ، ولكن ليصنع منها الخمر ، مع أن الرسول صلى الله عليه وسلم حرم التجارة في الخمر في صورها كافة .

روى سلم بسنده عن عائشة رضي الله عنها قالت : ( لما أنزلت الآيات من آخر سورة البقرة في الربا قالت : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المسجد فحرم التجارة في الخمر )<sup>(١)</sup> .

بل وإن الله سبحانه وتعالى لعن كل من يتعامل بها :-

روى الإمام أحمد بسنده عن ابن عباس قال :

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ( أتاني جبريل عليه السلام فقال : ( يا محمد : إن الله لعن الخمر وعاصرها ومعتصرها ، وبائعها ومبتاعها وشاربها وآكل ثمنها وحاملها والمحمولة اليه وساقها ومستقيها )<sup>(٢)</sup> .

وفي رواية زيادة ( وآكل ثمنها ) .

إن هذه المجتمعات التي سمحت بوجود الحانات الخاصة لشرب الخمر وعرضها أمام الناظرين صراحة في المحلات التجارية هي في الواقع مجتمعات ماتت فيها قيم الخير ، وأعجز من أن تقاوم عدوا .

ومع ما فيها من قبح ظاهر فقد ألفتها المجتمعات الإسلامية وأصبحت لا ترى فيها استغراباً إلا ما كان من بعض أصحاب الضمائر الحية والذين تحاول بعض الحكومات باستمرار إسكاتهم ، بكل مaldiها من وسائل .

وقد ابتدع الاستعمار مسميات أخرى لهذه الخبائث ، وتد أولها المسلمون ، فسموها بغير اسمها ، فاطلقوا عليها اسم مشروبات روحية

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ٥/١١ باب تحريم بيع الخمر / كتاب المساقاة والمزارع .

(٢) مسند الامام أحمد ٣١٦/١ و ٩٧/٢ .

وهي أبعد ما تكون عن هذا الأسم ، بل إنها مشروبات شيطانية زينها شياطين الإنس والجن للناس لسلب الأموال ، والصحة والصد عن ذكر الله ، ولقد صدق الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه حين أخبر عن تسمية الخمر بغير اسمها منذ أربعة عشر قرنا فيما رواه النسائي بسنده عن ابن محيريز يحدث عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

( يشربُ ناسٌ من أمتي الخمرَ يسمونها بغير اسمها ) (١) .

إن الحضارة ليست باقامة صروح المحرمات والأخذ بالمخالفات كما يعتقد بعض الناس ، إنما الحضارة نشر المعاني الفاضلة والقيم العليا ، وقد فهم المسلمون الأول ذلك فاستمسكوا به أشد ما يكون الاستمساك ، ففتحت لهم البلاد على مصاريعها ودانت لهم الشعوب بالطاعة عن حب وولاء ، ودخل غير العرب في هذا الدين العظيم وانتصروا له ، لا بالشعبوية ولا بالعصبية الاقليمية ، بل بالإسلام ، وأمتلاء قلوبهم بحبه ، والذود عنه والتفاني في اعلائه .

ولما تخلى المسلمون عن مبادئهم والاعتزاز بدينهم والعمل على اعلائه أصبحوا هدفا لكل عدو ، حيث إنَّ الله تعالى أودع في البلدان الاسلامية الثروات التي لا تنضب ، فعرف الاستعمار كيف يسلبهم رايها ، وذلك بنشر الخمر بينهم كأحد الأسلحة الفتاكة التي يحاربون بها المسلمين ، ولأعدائنا في ذلك أقوال :

نقل الدكتور حجر أحمد قول ( هنرى الفرنسى ) في كتابه ( خواطر وسوانح في الاسلام ) ( إن أحدَّ سلاح يستأصل به الشرقيون وأمضى سيف يقتل به المسلمون هو الخمر وإدخالها عليهم ، ولقد جربنا هذا السلاح على أهل الجزائر حين دخلناها ، فأبت شريعتهم أن يتجرعوه ، فتضاعف نسلهم وكثر عددهم ، ولو أنهم آستقبلونا كما آستقبلنا قوم من منافقيهم بالتهليل والترحيب وشربوها لأصبحوا أذلاء لنا كتلك القبيلة التي تشرب خمرنا وتحملت اذلالنا ) (٢) .

(١) سنن النسائي ٣١٢/٨ منزلة الخمر / كتاب الأشربة .

(٢) الخمر ص (١١٦) حجر أحمد حجر .

لذا فان انفاق المال في تعاطي الخمر أياً كان نوعه إنفاق قبيح محرم لما ينتج عنه من أضرار بالغة في البدن ، والنفس ، والعقل ، والمال وفي التعامل ، وفي ارتباط الناس بعضهم ببعض .

وقد عدد الدكتور حجر أحمد حجر الحاصل على دكتوراه في الطب الباطني من أمريكا الأضرار الصحية لشرب الخمر في كتابه ، قال :-  
 ( الأضرار الصحية الناتجة عن شرب الخمر المزمن كثيرة ، أهمها :-  
 ( إتلاف الكبد ، إتلاف البنكرياس ، إضعاف القلب وإخلال حركته ، إتلاف بعض خلايا المخ والأعصاب ، وما ينتج عن ذلك من اختلال في التفكير وضعف الذاكرة وعدم القدرة على المشي باتزان ، كذلك فإن الخمر يسبب فقر الدم ، إضعاف عضلات الجسم ، وسوء التغذية ، كما أنه يضعف حصانة الجسم وقدرته على مكافحة الجراثيم كجرثومة السل .

والجدير بالذكر أن الأمراض المذكورة تنتج بعد شرب الخمر لمدة طويلة لذلك فإن الشخص الذي يشرب الخمر يستطيع أن يتجنب تلك الأمراض إذا أقلع عن الشرب قبل فوات الأوان (١) .

ولكن ، وللأسف الشديد نجد أن الخمر في هذه الأيام إحدى زينات العصر ، وإحدى لوازمه الضرورية ، ولقد عم بلاؤها وانتشر وباءها في الأوساط التي تزعم الاسلام وترفع شعاره ، واستوى في تعاطيها المسلم وغير المسلم ، وقلَّ أن يُقام احتفال في أوساط الكثيرين لا تهدر فيه أنهار من مختلف أنواع الخمور ، ولقد أصبح الكثير من المسلمين المترفين يعنون أول ما يعنون عند تأثيث منازلهم بما يسمى ( البار ) وهندسته وحجمه ، ومكانه ، ويفاخرون أندادهم وأقرانهم به .

ومع أن الغرب هو الذي بعث لنا بهذه الخبائث الا أن هذه الدول الغربية عرفت مساوئ الخمر الجمة فعملت جاهدة على مكافحته ومحاربه عند هم ، وللأطباء الغربيين منشورات كثيرة في بيان مضار الخمر وآثاره السيئة على الفرد والمجتمع .

(١) الخمر ص (١٢٠) .

أفلا يجدر بنا ونحن المسلمون ديننا الإسلام ودستورنا القرآن الكريم -الذي حرم علينا الخمره وشرح لنا مضارها الدينية والدنيوية - أن نتعاون على محاربة هذا الداء الفتاك الذي يوقع بين الناس العداوة والبغضاء ويصد عن ذكر الله وعن الصلاة ، ويضعف العقول والأجسام ، ويذهب الأموال ، ويعين على كل رذيلة ، فإن من شرب الخمر لا يتورع أن يزنسى أو يسرق أو يقتل ، ذلك لأن الخمره بلا شك هي أم الخبائث . ويؤكد ذلك ما جاءت به السنة المطهرة .

روى النسائي بسنده عن عبد الرحمن بن الحرث قال : ( سمعت عثمان رضى الله عنه يقول : اجتنبوا الخمر فإنها أم الخبائث إنه كان رجل ممن خلا قبلكم تعبد فعلقته<sup>(١)</sup> امرأة غوية ، فأرسلت إليه جاريتها فقالت له : إننا ندعوك للشهادة ، فأنطلق مع جاريتها فطفت كلما دخل باباً أغلقته دونه حتى أفضى إلى امرأة وضيئة عندها غلام وباطية خمير ، فقالت : يا ربى والله ما دعوتك للشهادة ولكن دعوتك لتقع علي أو تشرب من هذه الخمره كأساً أو تقتل هذا الغلام ، قال : فأسقينى من هذا الخمر كأساً فسقته كأساً قال : زيدونى ، فلم يرم حتى وقع عليها وقتل النفس ، فأجتنبوا الخمر فإنها والله لا يجتمع الإيمان وإدمان الخمر إلا ليوشيك أن يخرج أحدهما صاحبه )<sup>(٢)</sup> .

فالأجدر بمن ينفقون أموالهم على اقتناء الخمر في منازلهم متباهين متفاخرين بها أن ينفقوها على شيء لا يضرهم كما تضرهم الخمر في أموالهم وعيالهم ، حيث قد يضيع من يعولهم من أهل وعيال ، وذلك بسبب ما يصرفه من ماله على شرب الخمر مما يؤدي الى خسارة المادية وحرمان عياله .

(١) فعلقته : عشقته وأحبته / حاشية السندى على سنن النسائي ٨ / ٣١٥ .

(٢) سنن النسائي ٨ / ٣١٥ باب ذكر الآثام المتولدة عن شرب الخمر كتاب الأشرطة .



ومعروف ما هي أهمية المال في المجتمع ، حيث هو عصب الحياة وقوامها ، وهو في أيدي الأفراد قوة للأمة كلها ، ولذا وجبت المحافظة عليه ، وحرام إنفاقه في إضرار نفسه ومجتمعه علاوة على عصيان ربه .

### (( انفاق المال في الميسر ))

(الميسر : مأخوذ من اليسر ، وهو وجوب الشيء لصاحبه ، يقال يسرتـه اذا قمرته ، واشتقاقه من اليسر لأنه اخذ مال الرجل بيسر وسهولة والياسر : اللاعب بالقداح .

والميسر هو : القمار بأي نوع كان من نرد وشطرنج كذا اللعب بالجـوز والكعب <sup>(١)</sup> والبيض ، وكذا المخاطرة فهي من القمار ، وقد خاطر أبو بكر الصديق المشركين حين نزلت ( ألم غلبت الروم ) وقال له النبي صلى الله عليه وسلم زد في الخطر وأبعد في الأجل ثم حظر ذلك ونسخ بتحريم القمار <sup>(٢)</sup> . وهو جميعه من أكل أموال الناس بالباطل الذي نهى الله تعالى عنه بقوله :

( ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل ) .

دليل تحريم الميسر :- ثبت تحريم الميسر بالكتاب ، والسنة ،

وإجماع العلماء من الكتاب قوله تعالى :-

( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ ، وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْكَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ) <sup>(٣)</sup> .

" دليل تحريم الميسر من السنة " :-

ما رواه مسلم بسنده في باب تحريم اللعب بالنرد شير عن سليمان

ابن بريدة عن أبيه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

( مَنْ لَعِبَ بِالنَّرْدِ شِيرَ فَكَأَنَّمَا صَبَغَ يَدَهُ فِي لَحْمِ الْخَنزِيرِ وَدَمِهِ ) <sup>(٤)</sup> .

(١) الكعب : فصوص النرد .

(٢) الجامع لأحكام القرآن ٣ / ٥٢ (سورة البقرة) وأحكام القرآن للجصاص

٣٢٩ / ١ والكشاف ١ / ٣٥٦ وروح المعاني ٢ / ١١٣ .

(٣) المائة (٩٠) .

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي ١٥ / ١٥ باب تحريم اللعب بالنرد شير كتاب الشعر .

أما الإجماع : ( فقد اتفق العلماء على تحريم ضروب القمار وأنها من الميسر المحرم لقوله تعالى : ( قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ ) فكل لعب يكون فيه ربح لفريق ، وخسارة لآخر هو من الميسر المحرم ، سواءً كان اللعب بالنرد أو الشطرنج ، أو غيرهما ، ويدخل فيه في زماننا مثل ( اليانصيب ) سواء منه ما كان بقصد الخير ( اليانصيب الخيري ) ، أو بقصد الربح المجرد فكله ربح خبيث ( وإن الله تعالى طيب لا يقبل الا طيباً )<sup>(١)</sup> .

يقول الشيخ السائس : ( والميسر الذى ذكره الله وحرمه هو ضرب القداح على أجزاء الجزور قماراً ، ثم قد يقال للنرد ميسر على طريق التشبيه لأنه يضرب عليها بفضين كما يضرب على الجزور بالقداح ، ولأنه قمار كما أن الميسر قمار ، وكل القمار من الميسر .

ويقول أيضا : ولسنا ندرى أكان العرب في زمن التنزيل لا يطلقون اسم الميسر إلا على ضرب القداح على أجزاء الجزور فتكون الآية في ذلك فقط ، ويكون تحريم ضروب القمار بالقياس ، أم كان اسم الميسر يطلق على ذلك وعلى سائر ضروب القمار ، فيكون تحريم ضروب القمار بالآيات التي حرمت الميسر . وأياً كان فقد اتفق العلماء على تحريم ضروب القمار )<sup>(٢)</sup> .

وإنفاق المال أو اكتسابه عن طريق الميسر هو إنفاقٌ واكتسابٌ محرمان ، فإن مكتسب اليوم ألاف من الميسر فقير غداً ، حتى وإن لم يصبه فقر في الدنيا فهذا من شدة غضب الله عليه ، فإن الله إذا غضب على عبد سهل له طريق الحرام ، وهو فقير يوم القيامة ، والمستفيدون من لعب الميسر هم الذين يديرون أندية القمار ، والمرابون الذين يذهبون إلى نوادي القمار ويجلسون بجانب المقامر ليمدوهم بالمال اللازم للاستمرار في قمارهم كما يحدث في بعض البلدان .

ومع أن تحريم القمار نص عليه صراحة في الشريعة الإسلامية إلا أننا نرى أندية القمار تملأ شوارع البلدان الإسلامية ، حيث تجرى

(١) روائع البيان تفسير أحكام القرآن للصابوني ١ / ٢٨٠ .

(٢) تفسير أحكام القرآن للسائس مقرر السنة الأولى ص ( ١١٩ - ١٢٣ ) .

في المقاهى الشعبية وفي حانات الخمر و دور اللهو وأندية السباق .

والغريب في الأمر أنّ لاعب القمار يحرم أبناءه و عياله من المال وهم بأمس الحاجة إليه وينفقهم على موائد القمار ليرضي نزعات نفسه ، وقد يضطر اللاعب لبيع أمتعة بيته وقد يسرق المتاع الخاص لزوجته ليقامر به ، ليتوصل إلى اكتساب الأموال .

وإنفاق المال في الخمر والميسر إضاعة للعقل من جهة وإضاعة للمال من جهة أخرى ، بالإضافة إلى ذلك فإنها تلهيه عن أداء العبادة المفروضة عليه ، وقد نهى الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام عن إضاعة المال في غير وجوهه الشرعية فيما رواه البخارى بسنده عن المغيرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

( إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ عُقُوقَ الْأُمَّهَاتِ ، وَمَنْعَ وَهَاتِ ، وَأَدَّ الْبَنَاتِ ، وَكُفْرَهُ لَكُمْ قِيلَ وَقَالَ وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ وَإِضَاعَةَ الْمَالِ ) (١) .

والانسان العاقل لا ينفق ماله إلا فيما يعود عليه بنفع سواء أكان نفعا يتعلق بزيادة المال بالطرق الشرعية ، أو الحصول على أشياء مباحة بطريق المال . وكما ذكرت فإن إنفاق المال في الخمر والميسر وسائر المحرمات ، علاوة على أنه إضاعة للمال دون جدوى ، فهو أيضا قضاء على العقل ، وهذه سفاهة واضحة يجب علينا معالجتها بأن لانمكن مثل هؤلاء من المال إلا حين نستوثق من توبتهم وعدم العود لمثل هذه الأمور التي من شأنها هدم صرح حضارات الأمم .

وقد أمرنا الله سبحانه وتعالى أن لانمكن السفهاء من أموالنا حيث قال تعالى :

( وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيْلِمًا ) (٢) .

وإننا نرى شيوع هذه الأشياء بين المترفين والذين طفحت جيوبهم

(١) صحيح البخارى ٧٠/٧ باب عقوق الوالدين من الكباير/ كتاب الأب

(٢) النساء (٥) .

وخزائهم بالأموال الكثيرة وأنهم لطرقهم هذه السبل حُرِّموا من نعممة  
إنفاق أموالهم في سبيل الله .

فمن حرص الإسلام على المال امتدت حمايته إلى صاحب المال نفسه  
فيراقيه بحيث يحمي المال الذي بين يديه ، فإذا غلب على الشخص سوء  
التصرف في ماله وجب الحجر عليه ، وله من هذا المال ما يسد حاجته .

ولقد بلغ من استبشاع الإسلام للقمار أن أمر الرسول صلى الله عليه  
وسلم بعدم السلام عليهم وشبههم بالكلاب جاء في كتاب الكبائر :  
روى أبو بكر الآجري بإسناده عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله  
صلى الله عليه وسلم قال :-

( إذا مررتم بهؤلاء الذين يلعبون الأزام ، النرد ، والشطرنج  
وما كان من اللهو فلا تسلموا عليهم فإنهم إذا اجتمعوا وأكبوا عليها  
جاءهم الشيطان بجنوده فأحدق بهم كلما ذهب واحد منهم يصرف بصره  
عنها لكزه الشيطان بجنوده ، فلا يزالون يلعبون حتى يتفرقوا كالكلاب  
اجتمعت على جيفه فأكلت منها حتى ملأت بطونها ثم تفرقت ولأنهم  
يكذبون عليها فيقولون شاه مات ) (١) .

لا شك اذن في تحريم جميع أنواع اللعب على وجه القمار . الا أن -  
العلماء اختلفوا في جواز اللعب بالشطرنج إذا لم يكن على وجه القمار .

ولقد أسهب القرطبي في هذا الموضوع عند تفسير قوله تعالى :-  
( فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ ) (٢) .

( قال : روى عبد الله بن عبد الحكم وأشهب عن مالك في قوله تعالى :  
( فماذا بعد الحق إلا الضلال ) قال : اللعب بالشطرنج  
والنرد من الضلال ، وروى يونس عن ابن وهب أنه سئل عن الرجل يلعب في  
بيته مع امرأته بأربع عشرة فقال مالك : ما يعجبني وليس من شأن المؤمنين  
يقول الله تعالى : ( فماذا بعد الحق الا الضلال ) وروى يونس

(١) الكبائر ص ( ٩٢ ) للذهبي . وقد بحثت عن الحديث فيما وقع تحت يدي  
من كتب فلم أعر عليه ، وقد قال المنذري في الترغيب ٤ / ٧٥ هـ في  
الترهيب من اللعب بالشطرنج : ( وقد ورد ذكر الشطرنج في أحاديث  
لا أعلم لشيء منها أسنادا صحيحا ولا حسنا والله أعلم . وقد نقل  
أيضا الذهبي كلام المنذري عند روايته لهذا الحديث .  
(٢) يونس ( ٣٢ ) .

عن أشهب قال : سئل - يعنى مالكا - عن اللعب بالشطرنج فقال :  
لا خير فيه وليس بشيء وهو من الباطل ، واللعب كله من الباطل ،  
وانه لينبغى لذى العقل أن تنهأ اللحية والشيب عن الباطل ، وقال  
الزهري لما سئل عن الشطرنج : هي من الباطل ولا أحبها .  
ويقول القرطبي أيضا :  
اختلف العلماء في جواز اللعب بالشطرنج وغيره إذا لم يكن  
على وجه القمار .

فتحصيل مذهب مالك وجمهور الفقهاء في الشطرنج أن من لم يقامر  
بها ولعب مع أهله في بيته مستترا به مرة في الشهر أو العام ، لا يطلع  
عليه ولا يعلم به أنه معفو غير محرم عليه ولا مكروه له ، وأنه إن تخلع <sup>(١)</sup> به  
واشتهر فيه سقطت مروءته وعدالته وردت شهادته .

وأما الشافعي فلا تسقط في مذهب أصحابه شهادة اللاعب بالنرد  
والشطرنج إذا كان عدلاً في جميع أصحابه ولم يظهر منه سفه ولا ريبية  
ولا كبيرة إلا أن يلعب به قماراً ، فإن لعب بها قماراً وكان بذلك معروفاً  
سقطت عدالته وسفه نفسه لأكله المال بالباطل .

وقال أبو حنيفة : يكره اللعب بالشطرنج ، والنرد ، والأربعة عشر  
وكل اللهو ، فإن لم تظهر من اللاعب بها كبيرة وكانت محاسنه أكثر من  
مساوية قبلت شهادته عندهم .

قال ابن العربي : قالت الشافعية إن الشطرنج يخالف النرد لأن  
فيه إكباد الفهم ، واستعمال القريحة ، والنرد قمار غرر لا يعلم ما يخرج  
له كما لا تنقسم بالأزلام .

قال علماءنا : النرد قطع مملوءة من خشب البقس ومن عظم الفيل ،  
وكذا هو الشطرنج إذا هو أخوه عُدِّي بلبانه .

(١) تخلع : انهمك فيه ولا زمه ليلاً ونهاراً .

والنرد هو الذي يعرف بالبابل ويعرف بالكعب ويعرف في الجاهلية أيضاً بالأرن ويعرف أيضاً بالنرد شير . وفي صحيح مسلم عن سليمان بن بريدة عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " من لعب بالنردشير فكأ نما غمس يده في لحم خنزير ودمه (١) . قال علماؤنا : ومعنى هذا أي هو كمن غمس يده في لحم الخنزير يهيه لأنه يأكله ، وهذا الفعل في الخنزير حرام لا يجوز ، بَيَّنَّه قوله صلى الله عليه وسلم ( ( من لعب بالنرد فقد عصى الله ورسوله ) رواه مالك وغيره من حديث أبي موسى الأشعري وهو حديث صحيح ، وهو يحرم اللعب بالنرد جملة واحده ، وكذلك الشطرنج لم يستثن وقتا من وقت ولا حالا من حال ، وأخبر أن فاعل ذلك عاص لله ورسوله ، إلا أنه يحتمل أن يكون المراد باللعب بالنرد المنهي عنه أن يكون على وجه القمار ، لما روى من إجازة اللعب بالشطرنج عن التابعين على غير قمار .

وَحَمَلَ ذلك على العموم قمارا وغير قمار أولى وأحوط إن شاء الله . قال أبو عبد الله الحلبي في كتاب منهج الدين : ومما جاء في الشطرنج حديث يروى فيه كما يروى في النرد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ( من لعب بالشطرنج فقد عصى الله ورسوله ) .

وعن علي رضي الله عنه أنه مر على مجلس من مجالس بني تميم وهم يلعبون بالشطرنج فوقف عليهم فقال : " أما والله لغير هذا خلقتم ! أما والله لولا أن تكون سنة لضربت به وجوهكم " . وعنه رضي الله عنه أنه مر بقوم يلعبون بالشطرنج فقال : ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون ، لأن يمس أحدكم جميرا حتى يطفأ خير من أن يمسها . وسئل ابن عمر رضي الله عنه عن الشطرنج فقال :

هي شر من النرد . وقال أبو موسى الأشعري : لا يلعب بالشطرنج الا خاطئ .

(١) الحديث خرج في أدلة تحريم الميسر من السنة .

(٢) الموطأ للإمام مالك ٢ / ٩٥٨ باب ما جاء في النرد / كتاب الرؤيا .

وسئل أبو جعفر عن الشطرنج فقال : دعونا من هذه المجوسية  
وفى حديث طويل عن النبي صلى الله عليه وسلم : " وأن من لعب  
بالنرد ، والشطرنج والجوز ، والكعب مقته الله ومن جلس إلى من يلعب  
بالنرد والشطرنج لينظر إليهم مُحيت حسناته كلها وصار ممن مقته الله " .  
وهذه الآثار كلها تدل على تحريم اللعب بها بلا قمار ، والله أعلم .

وقد ذكرنا في " المائدة " بيان تحريمها ، وأنها كالخمر في التحريم  
لاقترانها به ، والله أعلم .

قال ابن العربي في قيسه : وقد جوزة الشافعي ، وانتهى حال  
بعضهم إلى أن يقول : هو مندوب إليه ، حتى اتخذوه في المدرسه ،  
فاذا أعيأ الطالب من القراءة لعب به في المسجد . وأسندوا إلى قوم من  
الصحابة والتابعين أنهم لعبوا بها ، وما كان ذلك قط ! وتالله  
ما مستها يد تقى .

ويقولون : إنها تشحذ الذهن ، والعيان يكذبهم ، ما تبخر فيها قط  
رجل له ذهن .

سمعت الإمام أبا الفضل عطاء المقدسي يقول بالمسجد الأقصى في  
المناظرة :

انها تعلم الحرب . فقال له الطُّرُطُوشِيّ : بل تفسد تدبير الحرب ، لأن  
الحرب المقصود منها الملك واغتياله ، وفي الشطرنج تقول : شاه إياك ؛  
الملك نحه عن طريقى ، فاستضحك الحاضرين .

وتارة شدد فيها مالك وحرمها وقال فيها ( فماذا بعد الحق الا الضلال )  
وتارة استهان بالقليل منها والأهون ، والقول الأول أصح والله أعلم .

فإن قال قائل : روى عن عمر ابن الخطاب رضى الله عنه أنه سئل  
عن الشطرنج فقال : وما الشطرنج ؟ فقيل له : إن امرأة كان لها ابن وكان  
ملكاً فأصيب في حرب دون أصحابه ، فقالت : كيف يكون هذا ؟ أرونيـه  
عيانا ، فعمل لها الشطرنج ، فلما رأتها تسلت بذلك - ووصفوا الشطرنج  
لعمر رضى الله عنه فقال : لا بأس بما كان من آلة الحرب ، قيل له : هذا  
لا حجه فيه لأنه لم يقل لا بأس بالشطرنج وإنما قال لا بأس بما كان  
من آلة الحرب . وإنما قال هذا لأنه شُبِّه عليه أن اللعب بالشطرنج

مما يستعان به على معرفة أسباب الحرب ، فلما قيل له ذلك ولم يحط به علمه قال : لا بأس بما كان من آله الحرب ، ان كان كما تقولون فلا بأس به ، وكذلك من روى عنه من الصحابة أنه لم ينه عنه ، فان ذلك محمول عنه على أنه ظن أن ذلك ليس مما يتلهى به ، وإنما يراد به التسبب إلى علم القتال والمضاربه فيه ، وأعلى أن الخبر المسند لم يبلغهم .

قال الحلبي : ولذا صح الخبر فلا حجة لأحد معه ، وإنما الحجة فيه على الكافية <sup>(١)</sup> .

هذا وقد ذهب الشافعية إلى جواز اللعب بالشطرنج ، قال النووي عند شرح حديث : من لعب بالنرد شيرفكأنا صبغ يده في لحم هُنزير ودمه " .

( هذا الحديث حجة للشافعي ، والجمهور في تحريم اللعب بالنرد شير ، وقال أبو اسحاق المروزي من أصحابنا يكره ولا يحرم ، وأما الشطرنج فمذهبننا أنه مكروه ليس بحرام وهو مروى عن جماعة من التابعين ) <sup>(٢)</sup> .

وقال زين الملة أبو يحيى الشافعي :

( المسابقة على الأقدام ، والسباحة في الماء والزوارق ، والبقر ونحوهما كالكلاب ، والطيور ، والصراع ، والمشابكة باليد وكل ما ينفع في الحرب كلعب شطرنج ، وخاتم ، وكرة صولجان ، ورمي ببندق ووقف على رجل ، ومعرفة ما في يد من شفع ووتر ، فيجوز بلا عوض ، لأنه صلى الله عليه وسلم تسابق هو وعائشة رضى الله عنها على الأقدام وقيس به البقية ) <sup>(٣)</sup> .

- 
- (١) الجامع لأحكام القرآن ٨ / ( ٣٣٧ - ٣٤٠ ) القرطبي .  
 (٢) شرح النووي على صحيح مسلم ١٥ / ١٥ باب تحريم اللعب بالنرد شير كتاب الشعر .  
 (٣) شرح روض الطالب وبهامشه حاشية الشيخ ابو العلى الرملى ٢٩٩ / ٤ كتاب السبق .



## "الرأى الراجح " :

هو رأى الشافعية فلا أقول بحرمة اللعب بالشطرنج ما دمننا  
تجنبنا المقامرة ولم نهمل في أداء الطاعات كعدم تفويت أوقات الصلاة ،  
ولكن أقول إن اللعب بمثل هذه الأشياء هو مكروه وخلاف الأولى ،  
لأن الأولى صرف الوقت في النظر إلى معالى الأمور فإنني أعتقد  
أن الشيء المحرم فعله في العلن محرم في الخلوة ، كذلك العكس ، حيث  
إن الامام مالك في أحد قوله يبيح اللعب به في الخلوة .

وقد قرر الإمام النووي في صحيح مسلم عند كلامه على حديث  
اللعب بالنرد شير ما قرره من كراهية اللعب بالشطرنج مما يقوى ما ذهب  
إليه وذلك من سماحة الإسلام وهو الاقتصاد في المحرمات أما اللعب  
بالنرد شير ففيه نص صريح عن النبي صلى الله عليه وسلم ولكن اللعب  
بالشطرنج لم يرد فيه نص ، وقياس المباح على الحرام لا يصح والشافعية  
يمنعون القياس لا خلاف العلة " .

### ” إنفاق المال في الزنى ”

ورد تحريم الزنى والأمر بعقوبة فاعله في غير موضع من الكتاب والسنة .  
وقد أجمعت الأمة على تحريم الزنى .

قال تعالى : ( وَلَا تَقْرَبُوا الزَّانِيَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا <sup>(١)</sup> ) .

قال الشوكاني :

( في النهي عن قربانه بمباشرة مقدماته نهى عنه بالأولى فإن الوسيلة إلى الشيء إذا كانت حراماً كان المتوسل إليه حراماً بفحوى الخطاب <sup>(٢)</sup> ) .

ف فعل الزنا من أقبح الفواحش ، ولا خلاف في كونه من كبائر الذنوب لما يسبب من هتك لأعراض الناس وارتكاب الجرائم ، واختلاط الأنساب وعدم استقرارها ، وقطع لأواصر المحبة بين الناس ، وسرقة لعواطف الآباء وأموالهم على حد سواء . وفي السنة المشرفة أحاديث كثيرة تدل على أن -  
المؤمن لا يأتى الزنى وهو مؤمن .

روى البخاري بسنده عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

( لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ ، وَلَا يَشْرَبُ الخمر حين يشرب <sup>(٣)</sup> وهو مؤمن ) .

وقد أمر الله تعالى في محكم كتابه بعقاب الزانية ، والزانى ، قسماً :  
تعالى :

( الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ <sup>(٤)</sup> ) .

وما دام الزنى حراماً قطعاً فإن إنفاق المال فيه أيضاً حرام ، ومع ذلك ومع علم المسلمين لهذه الحقائق الشرعية ، وهي حرمة الزنى وحرمة إنفاق المال فيه ؛ إلا أننا نجد أن المسلمين اجتهدوا في تقليد غيرهم من الدول الكافرة ، مما يقود إلى هذا العمل الفاحش ، فسرى

(١) الاسراء ( ٣٢ ) . (٢) فتح القدير ٣ / (٣) صحيح البخارى ٨ / ١٣ باب الزنا وشرب الخمر / كتاب الحدود . (٤) النور ( ٢ ) .

داء الأختلاط العام بين الرجال ، والنساء في كل المجالات ، وزافق ذلك العري ، والسفور ، والتسابق في إنفاق المال على الملابس والأزياء المبتعثة من أوروبا ، وأصبحت غالبية النساء همهن الوحيد هو اتخاذ وسائل إغراء الرجال ، علاوة على إنفاق الأموال في شراء واقتناء أشرطة الجنس التي تعرض فيها الصور الفاضحة والأفعال المشينة ، والتي تعرض في البيوت فيراها الرجال ، والنساء وربما يراها أبنائهم فيتعلمون منها سوء الأخلاق والأفعال ، بالإضافة إلى ذلك فإن الإنفاق على أي داعٍ من دواعي الزنى هو إنفاق محرم كإنفاقه على دور اللهو ، والمسارح التي تعرض فيها الأفلام الخليعة ، والنساء العاريات ، والغناء الذي يثير الغرائز ويلهب العواطف ، كل ذلك إنفاق محرم لأنه مضيعة للدين والمال .

ومعروف أن الشارع الحكيم لم يینه عن إتيان الزنى فقط ، بل عن كل شيء يمكن أن يكون باعثاً من بواعثه ، فأمر النساء بالاحتشام والحجاب ونهى عن الاختلاط بين الأجنب من الرجال والنساء ، وينهى عن النظرة الآثمة فأمر الرجال والنساء بغض الأبصار ودعى إلى تسهيل أمور الزواج ، إلى جانب العقوبات الرادعة التي يجب إقامتها على كل من يأتي هذه الجريمة النكراء .

ويلاحظ في المجتمعات المختلطة المترفة الماجنة تسخير الأموال الضخمة على موائد الترف والخمر والقمار وهتك أعراض النساء ، فأصبحوا يجلبونهن إلى الفنادق ليراقصن الرجال ويوقعن من يوقعن في حبالهن وقد يهاجر بعض المسلمين المترفين لطلب هذه القبائح في الخارج لأنهم يحسون بالتحمة في جيوبهم فيؤلمهم أن تبقى أموالهم في مواطنهم فينفقوا الأموال الطائلة في الدول الكافرة التي تمتص ثرواتنا التي هي عصب حياتنا ومنبع قوتنا ، فيكون بذلك إغناء للدول الكافرة وإفقار للأمة الإسلامية .

والسبب في ذلك كله بعد أولئك المترفين عن الإسلام فهماً وتطبيقاً وإن كانوا منسوبين إليه ، وكذلك تهاون الحكام المسلمين في إقامته

الحدود ، وتهاون المجتمعات المسلمة في ردع مثل أولئك السفهاء كإقامة الحجر على أموالهم .

وبما أدخله الغرب علينا من دعاوي الأختلاط ، وطرح الأفلام الخليعة والصور الفاضحة التي تحرك الغرائز، وتسهل سبل الفاحشة انزلق الكثير من الشباب والشابات إلى هذه الرذيلة ، بل ولقد وصل الأمر إلى إيجاد دور للدعارة لممارسة مثل هذه الجريمة النكراء ، وتتبنى بعض الدول رعاية مثل هذه البيوت بحكم تقليد الدول الكافرة وتسخر الأطباء للكشف على العواهر بحجة الحفاظ على الناس من الأمراض ، ومع ذلك نسمع عن أمراض جديدة فتاكه أسبابها الانحلال الجنسي ذلك لأن الزنى فاحشة شنيعة وسالك سبيله له العقاب في الدنيا والآخرة . قال تعالى : ( إِنَّهُ كَانَ فَاخِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا <sup>(١)</sup> ) .

---

(١) الاسراء ( ٣٢ ) .

(( إنفاق المال في التوسع في المباحات ))

XXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXX

للإسلام نظرة عادلة في انفاق المسلم على نفسه وعلى من يعول فلاشرف ، والتبذير ، وحياة الترف ممقوته في الإسلام ، لما ينتج عنها من آثار سيئة على الفرد والجماعة .

والمأمور به سلوك طريق الاسلام وهو الطريق الوسط والنهج الأقوم .

ومن الوجوه التي يجب أن يحترز الإنسان من كثرة الانفاق فيها التنعم في المباحات والأستغراق فيها ، وأنا أعتبر هذا ممنوعاً لأن صرف المال الكثير في المباحات حرام ، ولكن لأن الإنسان إذا تعودها باستمرار فنقصت عليه ولم يجدها بعد ذلك قد لا يصبر على ما تعوده من النعيم ، فيضطر إلى إقتحام كثير من المصاعب ، أما بدین مخرج ليتوصل به إلى تنعمه ، وإمسا باللجوء إلى المحرمات فيستبيح لنفسه ما حرمه الله ، فإن كان تاجراً قد يضطر إلى الغش والاحتكار وعدم ايفاء الكيل قال تعالى :

( وَيَلُومُ الْمُطَّفِّينَ الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ، وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ) (١) .

أو قد يكون موظفاً أو عاملاً في أي مجال فيضطر إلى قبول الرشوة ومعروف أن الرشوة محرمة بالاجماع ، كما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حرم هدايا العمال (٢) - أو غير ذلك من ضروب جمع المال بوجوه غير مشروعة للتوصل إلى ما يبيغيه من حياة الترف وقد سبق أن تكلمت عن بعض الضروب المحرمة في الفصلين السابقين .

فالإغراق في الملذات والمغالاة في توفير أسباب وسائل الراحة ، وما لذ وطاب من الطعام والشراب ، والاسترسال في اقتناء فاخر المسكين والملبس والمركب حذر الإسلام منه ، لأن الاستغراق فيه يفضي إلى الهلاك

(١) المطففين (١ - ٣) .

(٢) الحديث ذكر بتمامه في مبحث الرشوة في الفصل الثاني .

وفي كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ما هو واضح فسي التحذير من الترف .

قال تعالى :

( وَأَتَّبِعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أَتُّرَفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ ) (١) .

والمعنى : أن الذين ظلموا أنفسهم بالكفر ، وارتكاب المعاصي شغلوا عن الحق واتباعه بما أغرقوا أنفسهم فيه من الملاذ والنعم التي أبطرتهم وأقسى قلوبهم فكانوا بهذا الاتباع مجرمين ، أو انهم بطبيعتهم مجرمون فلا يستغرب منهم أن يتبعوا ما اترفوا فيه تاركين هدى الله الذي بعث به رسله عليهم الصلاة والسلام اليهم .

قال الشوكاني :

( أي صاروا تابعين للنعم التي صاروا بها مترفين من خصب العيش ورفاهية الحال وسعة الرزق ، وآثروا ذلك على الاشتغال بأعمال الآخرة ، واستغرقوا أعمارهم في الشهوات النفسانية ) (٢) .

وقال تعالى :

( فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا ) (٣) .

والمعنى : فخلف من بعد هؤلاء الكرام من الأنبياء ، والصالحين ، والمذكورين في الآيات التالية من قوله تعالى :

( وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا . . . إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى : أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ) (٤) .

(١) هود (١١٦) .

(٢) فتح القدير ٢ / ٥٣٤ ( تفسير سورة هود ) .

(٣) مريم (٥٩) .

(٤) سورة مريم من (٤١ - ٥٨) .

ومعنى قوله ( أضعوا الصلاة ) : - أى أهملوها جحودا لها أو كسلا عنها ، وهم لا يزالون مؤمنين .

( واتبعوا الشهوات ) : من المباحات الزائدة ، والمحرمات التي تهتم عنها الشرائع .

قال النسفيّ : أي ملاذ النفوس وعن علي رضي الله عنه من بنى المشيد وركب المنظور ، ولبس المشهور ، وعن قتادة رضي الله عنه هو في هذه الأمة (١) ( فسوف يلقون غيا ) : أي عذابا شديدا وقيل الغي واد فسي جهنم تستغيث منه جهنم .

وهناك آيات وأحاديث كثيرة ستمر بنا في هذا الموضوع من خلال البحث .

والمتأمل للأحاديث الواردة عن خير الأنام في البعد عن الملابس الفاخرة وأواني الذهب ، والفضة ، ولبس الذهب والحريير للرجال يرى فيها توجيهاً فعلياً في منع التوسع في المباحات .

روى البخاري بسنده عن حذيفة قال : ( نهانا النبي صلى الله عليه وسلم أن نشرب في آنية الذهب والفضة وأن نأكل فيها ، وعن لبس الحرير والديباج وأن نجلس عليه ) (٢) .

بالإضافة إلى الأحاديث التي وردت في السنه المطهرة والتي ترغب في العيش الكفاف والاقتصاد في الانفاق ، والقناعة بما في اليد ، كل ذلك يدل على كراهية الاسلام التوسع في المباحات لأنه نوع من الإسراف ، وهذا منهي عنه في الكتاب والسنة وسأفرد فصلاً خاصاً عن الإسراف في الباب الأخير من هذا البحث .

ومما يدلنا على أن الاقتصاد في المباحات من المطعومات والملبوسات

(١) تفسير النسفي ٣ / ٣٩ .

(٢) صحيح البخاري ٧ / ٤٥ باب افتراش الحرير / كتاب اللباس .

والمشروبات مطلب شرعى حديث الخميصة ، فقد روى البخاري بسنده عن عائشة رضى الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى فى <sup>(١)</sup> خَمِيصَةٍ لها أعلامٌ ، فنظر إلى أعلامها نظرةً ، فلما انصرف قال : <sup>(٢)</sup> إِذْ هَبُوا بِخَمِيصَتِي هَذِهِ إِلَى أَبِي جَهْمٍ وَائْتُونِي بِأَنْبِجَانِيٍّ أَبِي جَهْمٍ فَإِنَّهَا الْهَتْنِيَّ أَنْفَاعٌ عَنِ صَلَاتِي ، <sup>(٤)</sup> وَقَالَ هِشَامُ بْنُ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : كُنْتُ أَتُنْظَرُ إِلَى عِلْمِهَا وَأَنَا فِي الصَّلَاةِ فَأَخَافُ أَنْ تَفْتِنَنِي . <sup>(٥)</sup>

وللعلماء فى هذا الحديث مباحث كثيرة . والذي يعيننى أن الخميصة ليست محرمة ولا ضرر فى لبسها ، لكن النبي صلى الله عليه وسلم لما نظر إليها فى صلاته فشغل بالنظر إلى أعلامها أخرجها عن يده وبعث بها إلى أبي جهم ، ولو كانت حراما ما بعث بها إلى أبي جهم ، إذ لا يعقل أن يحرم رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا ثم يبيحه لبعض الأمة ، وإنما أراد النبي صلى الله عليه وسلم بهذا العمل أن يوقفنا على خطورة التوسع فى المباحات ، وأنها وإن أبيحت شرعا لكن ينبغى الاقتصاد فيها ، ويتأكد ذلك عندما تلهى فى طاعة ، ويتحتم تركها عندما تشغل عن الطاعة .

وإذا أخذنا فى اعتبارنا رواية هشام التي فيها أن النبي صلى الله عليه وسلم خشى أن يفتن بها لا أنه تلهى بها فعلا ، تبين لنا خطورة التوسع فى المباحات ، وأن انفاق الأموال الطائلة فى فنونها وجلبها ليس محموداً فى الشرع ، لأن المال فى نظر الإسلام له وظائف كثيرة أهم من إنفاقه فى مثل ذلك .

- 
- (١) الخميصة : كساء مربع له علمان .  
 (٢) الانبجانية : كساء غليظ لا علم له .  
 (٣) الهتنى : شغلتنى .  
 (٤) عن صلاتى : عن كمال الحضور فيها بمعانى الالفاظ من فتح البارى .  
 (٥) فتح البارى بشرح صحيح البخارى ١ / ٣٨٤ باب اذا صلى فى ثوب له أعلام ونظر الى علمها / كتاب الصلاة .



وإذا أمعنا النظر في حياة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه  
رضى الله عنهم وجدنا أنها كانت تقوم على البساطة والاكتفاء بالقليل  
وترك التوسع ومقاومة النفس ومنعها من كثير مما تشتهي بقصد امتلاك  
زمامها حتى يمكن تسخيرها فيما أمر الله به من الجهاد وقيام الليل  
وغير ذلك من الفرائض التي لا تتأتى إلا بترويض النفس .

روى الامام مسلم رحمه الله بسنده عن عائشة رضي الله عنها قالت :  
( مَا شَبِعَ آلُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ خُبْزِ شَعِيرٍ يَوْمَئِذٍ  
مُتَّابِعِينَ حَتَّى قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ) (١) .

فأنت ترى من صريح هذا الحديث أن آل النبي صلى الله عليه وسلم  
ما شبعوا من قوت الشعير الذي أصبح اليوم مأكول الحيوانات أو بعضها  
يومين متتاليين حتى لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه ، لا عجزاً  
عن إحضار البرء ولكن أكتفاء بما هو موجود ، وإيثاراً لما عند الله في  
الآخرة ، فإن الذي يتوسع في اللذائذ والطيبات في هذه الدنيا يحرمها  
في الآخرة ، أو قد يصل إليها بعد مشقة شديدة ، فان الفقراء يدخلون  
الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم ، (وإن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون) (٢) .

ولا يفهم من قولي هذا أنني أحرم المباحات ، كلا ، فتحريم المباح  
إفتراء على الله مالم يقل وقول على الله تعالى بغير علم فإن من أقبح  
الذنوب وأفحشها عند الله أن نقسم رزق الله الذي آتانا إلى حلال ،  
وإلى حرام بدون إذن شرعي قال تعالى :

( قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا  
قُلْ أَرَأَيْتُمْ أَمْ عَلَيَّ اللَّهُ تَقْتَرُونَ ) (٣) .

والآية خطاب للكفار ، وإنما أردت بما ذكرت أن أحارب التوسع  
والانهماك في الملاذ ، لأن ذلك شغلنا عن ديننا ، وجعلنا نركن إلى

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ١٠٦/١٨ ( كتاب الزهد ) .

(٢) الحج ( ٤٧ ) .

(٣) يونس ( ٥٧ ) .

الماديات ومؤثر الراحة ونعومة الأيدي على الجهاد في سبيل الله تعالى فاستبيحت أوطاننا وديست حرماننا، وهتكت أعراضنا، وأصبحنا نستقبل كل يوم بلية جديدت يسبب ما نحن فيه من ترف وأنشغال في جمع لذائذ النفوس وأهوائها، ما تشيب له الولدان فالمباح مباح، ولكن الإسراف فيه حرام وسأعود إلى ما هو أوفى من ذلك عند ما أتكلم عن الإسراف .

### (( الْجَوْرُ فِي إِنْفَاقِ الْمَالِ ))

ومِنْ الجور في إنفاق المال :

تفضيل الأولاد بعضهم على بعض في الهبة .

"معنى الهبة" :

( الهبة في اللغة : التفضيل على الغير ولو بغير مال قال تعالى :

( فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ) .

(١)

أما معناها في اصطلاح الفقهاء: (فهو تمليك في الحياة بلا عوض) .

وهذا وجه من الوجوه الممنوعة في إنفاق المال ، وهو أن يهب الرجل بعض أولاده ويترك آخرين ، وفي ذلك جور شديد وظلم ظاهر يترك أثراً سيئاً في نفوس الأبناء تجاه بعضهم بعضاً من جهة ، وتجاه الوالد من جهة أخرى ، فهو يؤدي إلى التحاسد بين الأخوة وكذلك يولد الحقد في نفوس الأبناء الآخرين نحو آبائهم فيعقونهم فيعصون الله بعقوقهم للآباء ، كما أنه يؤدي إلى قطيعة الرحم التي أمر الله بوصلها وقطع الرحم والعقوق محرمان فما يؤدي إليهما يكون محرماً .

قال تعالى :

( فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ ) (٢) .

وقد نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن هبة بعض الأبناء وأمـر

(١) الفقه على المذاهب الأربعة ٢٨٧/٣ . والآية من مريم (٥) .

(٢) محمد (٢٢) .

بردها أو باعطاء الآخرين مثلها ، ويتجلى لنا ذلك في قصة سيدنا النعمان ابن بشير رضي الله عنه والتي رواها الشيخان وغيرهما من أصحاب السنن وقد روى البخاري بسنده عن عامر قال :

( سَمِعْتُ النعمان بن بشير رضي الله عنهما وهو على المنبر يقول : أعطاني أبي عطية . فقالت عمرة بنت رواحة : لا أرضى حتى تُشَهِدَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فقال : إِنِّي أُعْطِيتُ أَبْنِي مِنْ عَمْرَةَ بِنْتِ رَوَاحَةَ عَطِيَّةً فَأَمَرْتَنِي أَنْ أُشْهَدَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قال : أُعْطِيتَ سَائِرَ وَلَدِكَ مِثْلَ هَذَا قال : لا ، قال : فَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْدِلُوا بَيْنَ أَوْلَادِكُمْ قال : فَرَجَعَ فَكُرِدَ عَطِيَّتَهُ )<sup>(١)</sup> .

وفي رواية لمسلم ( فَأِنِّي لَا أُشْهَدُ عَلَى جَوْرٍ )<sup>(٢)</sup> .  
ورواية أخرى عند مسلم ( فَأَشْهَدُ عَلَى هَذَا غَيْرِي )<sup>(٣)</sup> .

وقد اختلف العلماء في تفضيل بعض الأولاد على بعض :-  
١- ( فقال جماعة بوجوب التسوية في عطية الأولاد ، ويكون التفضيل حرام ) منهم البخاري ، والثوري والامام أحمد بن حنبل واسحاق وبعض المالكية ، وقالوا بوجوب ردها إن أدت إلى التفاضل بين الأولاد ولم يمكن تعميمها إلى الجميع .

وقد استدلوا على هذا القول بحادثة النعمان بن بشير رضي الله عنه حيث رد الرسول صلى الله عليه العطية وأنكر على بشير فعلته ، وامتنع عن الشهادة عليها ، وقال ( لَا أُشْهَدُ عَلَى جَوْرٍ ) .

والجور هو الظلم وتجاوز الحدود .

قال : ابن قدامة :

وهو حديث صحيح متفق عليه ، وهو دليل التحريم لأنه سماه جورا —

(١) صحيح البخاري ٣ / ١٣٤ باب الاشهاد في الهبة / كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها .  
(٢) ، (٣) صحيح مسلم بشرح النووي ١١ / ٦٨ كراهة تفضيل بعض الأولاد في الهبة / كتاب الهبات .

وأمر برده وامتنع عن الشهادة عليه ، والجور حرام ، والأمر يقتضى الوجوب  
ولأن تفضيل بعضهم يورث بينهم العداوة ، والبغضاء وقطيعة الرحم  
فمنع منه كتزويج المرأة على عمتها أو خالتها (١) .

٢ - وقال جمهور العلماء : إن الهبة لبعض الأولاد ليست حراماً بل  
مكروهة واستحبت المبادرة إلى التسوية أو الرجوع .

قال النووي :-

( الصحيح المشهور أنه يسوى بينهما بالظاهر من الحديث فلو  
فضل بعضهم ، أو وهب لبعضهم دون بعض فمذهب الشافعي ومالك وأبي  
حنيفة أنه مكروه وليس بحرام ، والهبة صحيحة .

وقد احتج الشافعي وموافقوه بقوله صلى الله عليه وسلم ( أشهد  
على هذا غيري ) قالوا : ولو كان حراماً أو باطلاً لما قال هذا الكلام  
فإن قيل : قاله تهديداً ، قلنا : الأصل في كلام الشارع غير هذا ، ويحتمل  
عند اطلاقه صيغة أفعل على الوجوب أو الندب ، فإن تعذر ذلك فعلى  
الإباحة ، وأما قوله صلى الله عليه وسلم " لا أشهد على جور " فليس فيه  
أنه حرام لأن الجور هو الميل عن الاستواء والاعتدال ، وكل ما خرج عن  
الاعتدال فهو جور سواء كان حراماً أو مكروهاً (٢) .

( كذلك استدل العلماء القائلون بالكراهة لا بالتحريم بما ثبتت  
من عمل الخليفين أبي بكر ، وعمر رضي الله عنهما ، فقد روى في الموطأ  
عن مالك بإسناد صحيح عن عائشة رضي الله عنها أن ابا بكر قال لها في مرض موته :  
( إني كنت نحلكتك نحلاً فلو كنت اخترتيم لكان لك وإتما هو اليوم  
للوارث ) (٣) وأما عمر فذكره الطحاوي وغيره أنه نحل ابنه عاصماً دون سائر  
ولده (٤) .

- 
- (١) نيل الاوطار ٦ / ١١٠ باب التعديل بين الأولاد في العطية / كتاب  
الهبة والمغني والشرح الكبير ٦ / ٢٦٣ باب المفاضلة بين الأولاد في  
العطية / كتاب الهبة والعطية .
- (٢) شرح النووي على صحيح مسلم ١١ / ٦٧ كراهة تفضيل بعض الأولاد على  
بعض في الهبة / كتاب الهبات .
- (٣) الحديث طويل رواه مالك بتمامه في الموطأ ٢ / ٧٥٢ باب ما لا يجوز  
من النحل / كتاب الاقضية .
- (٤) فتح الباري ٥ / ١٦٤ باب الأشهاد في الهبة / كتاب الهبة والتحريض  
عليها .

فبذلك استدل الجمهور على الكراهة وأن ذلك خلاف الأولى، إذ لو كان حراما ما فكر الصديق، ولا عمر فيه فضلا عن الاقدام عليه، وهـذا دليل على أن الأمر في الحديث ليس للوجوب ولكن للندب، ولا مانع أن يخالف الانسان المفضل إلى الأفضل .

على أن ابن حجر قال في الفتح : إن عروة أجاب عن قصة عائشة بأن إختوتها كانوا راضين بذلك، ويجاب بمثل ذلك عن قصة عمر<sup>(١)</sup>.

قال ابن قدامة ردآ على الاحتجاج بقول أبي بكر في القول بالكراهة :  
( وقول أبي بكر لا يعارض قول النبي صلى الله عليه وسلم، ولا يحتج به معه ويحتمل أن أبا بكر رضي الله عنه خصها بعطيته لحاجتها وعجزها عن الكسب والتسبب فيه، مع اختصاصها بفضلها وكونها أم المؤمنين زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم وغير ذلك من فضائلها، ويحتمل أن يكون قد نحلها ونحل غيرها من ولده أو نحلها وهو يريد أن ينحل غيرها فأدركه الموت قبل ذلك، ويتعين حمل حديثه على أحد هذه الوجوه لأن حمله على مثل محل النزاع منهي عنه، وأقل أحواله الكراهة، والظاهر من حال أبي بكر اجتناب المكروهات )<sup>(٢)</sup>.

نرى من عرض وجهتى نظر العلماء أن شقة الخلاف فواسعة بين الأئمة فى التسوية بين الأولد فبعضهم قال بتحريم هبة بعض الأولد دون بعض، وآخرون قالوا بکراهتها، إلا أن الظاهر من وصفه بالجور الذى هو ظلم ما يجعل ظاهراً الأمر التحريم .

ومما يقوى رأي القائلين بالحرمة أن سيدنا النعمان رضي الله عنه وأرضاه كان يكرر ذلك في كل مناسبة، بدليل أنه رواه على المنبر ليكون الأمر مسموعاً، حتى لا يقع فيه بعض الناس، فاجتهاد سيدنا النعمان رضي الله عنه في نشر هذا الأمر وقوله إياه على المنبر مما يقوى رأي القائلين بالحرمة . وأنا معهم، إلا أن يدعو لذلك داع شرعي كأن يكون الموهوب له ذاعاهة أو اعاقاة آخرته عن اخوته، فيجوز للأب أن يهب مثل هـذا

(١) فتح البارى ٥ / ١٦٤ باب الاشهار والهبة / كتاب الهبة .

(٢) المغنى والشرح الكبير ٦ / ٢٦٥ تخصيص بعض الأولد بالعطية لمعنى يقتضى ذلك / كتاب الهبة .

الأبن مايعينه على العيش ، وكذلك فان الوالد مطالب بالنفقة على أبنائه حتى البلوغ ، فإن كانوا زمني ، فهو مطالب بالنفقة عليهم حتى يموت أو أن يحرم بعضهم لفسوتهم ، وهذه أحكام تؤخذ من نصوص الشرع العامة .

قال ابن قدامه في المغنى :

( فان خص بعضهم بحاجة ، أو زمانة ، أو عمى ، أو كثرة عائلة ، أو — اشتغاله بالعلم أو نحوه من الفضائل أو صرف عطيته عن بعض ولده لفسقه أو بدعته ، أو لكونه يستعين بما يأخذه على معصية الله أو ينفقه فيها فقد روى عن أحمد ما يدل عن جواز ذلك لقوله في تخصيص بعضهم بالوقف لا بأس به إذا كان لحاجة ، وأكرهه إذا كان على سبيل الأثرة ، والعطية في معناه ، ويحتمل ظاهر لفظ المنع من التفضيل والتخصيص على كل حال لكون النبي صلى الله عليه وسلم لم يستفصل بشيرا في عطيته ، والأول أولى إن شاء الله لحديث أبي بكر ، ولأن بعضهم أختص بمعنى يقتضى العطية فجاز أن يختص لها كما لو اختص القرابة )<sup>(١)</sup> .

ويرى الحنابلة : أن قوله صلى الله عليه وسلم ( أشهد على هذا غيري ) ليس المراد به جواز اشهاد غير النبي صلى الله عليه وسلم على صحة هذه الهبة ، بل المراد تهديد بشير رضى الله عنه ، وبيان خطورة فعله ، إذ لا يتصور أن مسلما يعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم امتنع عن الشهادة على هذه الهبة ثم يفعل هو خلاف ما فعل النبي صلى الله عليه وسلم ، فقوله صلى الله عليه وسلم :

( أشهد على هذا غيري ) :

اسلوب عربى مشهور يسوقه قائله ليستدل به على تقبيح الفعل لا على جواز تنحية الفعل عن أحد الى أحد .

وقد مر بك أن الجمهور حملوا هذه الرواية على حقيقتها ، وأن امتناعه صلى الله عليه وسلم عن الشهادة على هذه الهبة هو لأن مقامه الشريف لا يصح أن يدخل في مثل ذلك .

(١) المغنى والشرح الكبير ٦/٢٦٥ تخصيص بعض الأولاد بالعطية لمعنى "يقتضى ذلك" / كتاب الهبة .

والجمهور مع حملهم هذه الرواية على حقيقتها يقولون بالكراهه اذا لم تدع لذلك داعية ، وبالجواز إذا دعت اليه داعية ، وهم يعتبرون رواية ( لا أشهد على جور ) ليست نصاً في الحرمة لأن الجور الميل ، والميل يكون بالحرام والمكروه ، والحكم المستفاد من هذا الخلاف : أن الجمهور يعتبرون هذه الهبة نافذة مع الكراهة ، ولا يملك أحد ابطالها الا أن — يتعفف الموهوب له ، فهي حقه وقد تنازل عنه . ويرى الحنابلة أنها باطلة ولا تنفذ إلا ما كان منها لحاجة وقد قررتة آنفا .

لذا فمن الواجب العدل بين الأولاد في الهبة ، والمعاملة ، وقد كان الأولون يعدلون بين أولادهم حتى في القبل ليسود التآلف بين الأخوة فلا يقع بينهم ما يورث البغضاء أو العقوق للآباء ، فمن يتق الله ويخفف عقابه يعدل بين أبنائه .

ومما يرى واضحاً في عصرنا أن كثيراً من الآباء يصنعون ما هو أبلى من ذلك ، وهو بيع ما يملكون بيعاً صورياً في حياتهم لأبنائهم الذكور ، ليؤول الطك من بعدهم إلى الذكور من الأبناء وحرمان بناتهم من حقهن في الإرث ، وهذا تحايل واضح على الدين وظلم عظيم للإناث وهي عادة الجاهلية الأولى ، حيث كانوا لا يورثون الجوارى ولا الضعفاء من الغلمان وهذه حيل لا تغني عنهم يوم القيامة شيئاً ، وإنفاق محرم لأنهم خالفوا أمر الله وتناسوه حيث قال تعالى :

( ١ ) ( يُوَصِّيْكُمْ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ ) .

فهو يعصي وصية الله سبحانه وتعالى في الورثه كأن يحرم بعضهم أو يوصي لبعضهم .

قال النسفي عند تفسيره لهذه الآية الكريمة ( يوصيكم الله . . . الآية ) يعهد إليكم ويأمركم في شأن ميراث أولادكم وهذا إجمال تفصيله ( للذكر مثل حظ الأنثيين ) لأنهم كانوا يورثون الذكور دون الإناث

وهو السبب لورود الآية ، فقيل كفى الذكور أن ضعف لهم نصيب الإناث  
فلا يتماذى في حظهن حتى يحرم من مع إدلائهن من القوابة بمثل  
ما يدلون به (١) .

وقد أخرج ابن ماجة بسنده عن أنس رضي الله عنه قال : قال  
رسول الله صلى الله عليه وسلم :  
( مَنْ قَرَّ مِنْ مِيرَاثٍ وَارِثَهُ قَطَعَ اللَّهُ مِيرَاثَهُ مِنَ الْجَنَّةِ ) (٢) .

كما أن الوصية بأكثر من ثلث المال في مرض الموت من أنواع  
الوجوه الممنوعة في إنفاق المال .

فقد ثبت في الصحيحين وغيرهما من حديث سعد بن أبي وقاص  
الذي اشترى إليه في مبحث غنى النفس أن الوصية لا تجوز بأكثر من الثلث ،  
بل لقد استكثر الرسول عليه الصلاة والسلام الثلث لأنه يرى صلوات الله  
وسلامه عليه أن الورثة أحق بمال والدهم من غيرهم .

—————

(١) النسفي ١/٢١٠ .

(٢) ابن ماجة ٢/١٥٦ باب الحيف في الوصية / كتاب الوصايا  
( طبعة أولى ) .



(( انفاق المرأة من مال زوجها بغير اذنه ))

وأوجب الاسلام نفقة المرأة على الزوج حسب قدرته وحاله من اليسار والإعسار ، وأباح لها الشرع أن تستمتع بمال زوجها في المأكل والمشرب والملبس ، والمسكن في حدود قدرته المالية .

أما تصرف المرأة بغير إذن زوجها في هبة ، أو هدية ، أو صدقة فلا يجوز ، وهو من الوجوه الممنوعة في إنفاق المال .

روى مسلم بسنده عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

( إِذَا أَنْفَقَتِ الْمَرْأَةُ مِنْ طَعَامِ بَيْتِهَا غَيْرَ مُسَدِّةٍ كَانَ لَهَا أَجْرُهَا بِمَا أَنْفَقَتْ وَلِزَوْجِهَا أَجْرُهُ بِمَا كَسَبَ وَلِلْخَازِنِ مِثْلُ ذَلِكَ لَا يَنْقُصُ بَعْضُهُمْ أَجْرَ بَعْضٍ شَيْئًا ) (١) .

قال النووي تعقيبا على هذا الحديث الشريف :

( ومعلوم أنها إذا أنفقت من غير إذن صريح ولا معروف من العرف فلا أجر لها بل عليها وزر فتعين تأويله ، واعلم أن هذا كله مفروض في قدر يسير يعلم رضا المالك به في العادة ، فإن زاد على المتعارف لم يجز ، وهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم :

( إِذَا أَنْفَقَتِ الْمَرْأَةُ مِنْ طَعَامِ بَيْتِهَا غَيْرَ مُسَدِّةٍ ) فأشار صلى الله عليه وسلم إلى أنه قدر يعلم رضی الزوج به في العادة ، ونبه بالطعام أيضا على ذلك لأنه يسمح به في العادة بخلاف الدراهم والدنانير في حق أكثر الناس ، وفي كثير من الأحوال ، واعلم أن المراد بنفقة المرأة ، والعبد والخازن ، النفقة على عيال صاحب المال ، وغلماؤه ، ومصالحه ، وقاصديه من ضيف وابن سبيل ، ونحوها وكذلك صدقتهم المأذون فيها بالصريح أو العرف والله أعلم ) (٢) .

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ١١١/٧ أجر الخازن والمرأة إذ تصدقت من بيت زوجها / كتاب الزكاة .

(٢) المرجع السابق ١١١ / ٧ .

خلاصة كلام النووي أنه لا يجوز للمرأة أن تتصرف في أنواع المال إلا بإذن زوجها صراحةً أو ضمناً وإن أنفقت بعد إذنه فإنما يكون الإنفاق من الطعام في الغالب وبدون توسع وإسراف ، فإنها إن فعلت ذلك فهي تعصى الله بالإسراف المنهي عنه وتضر زوجها بذلك وهذا معنى قوله غير مفسدة ، ومع ذلك فإن هذا الإنفاق يكون في محيط البيت على عيال ، وضيوف ، وسائلين وجيران والله أعلم .

وقد يفهم البعض أن تصرف المرأة في مال زوجها من غير أمره جائز وذلك ظاهر الحديث الذي رواه البخاري بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

( لا يحل للمرأة أن تصوم وزوجها شاهد<sup>(١)</sup> إلا بإذنه ، ولا تأذن في بيته إلا بإذنه ، وما أنفقت من نفقة عن غير إمره فإنه يؤدي إليه شطره<sup>(٢)</sup> ) .<sup>(٣)</sup>

قال ابن حجر موضحاً لمعنى الحديث الشريف :-

( فيه رد على من عينه فيما إذن لها في ذلك ، والأولى أن يحمل على ما إذا أنفقت من الذي يخصها به إذا تصدقت به بغير استئذانه فإنه يصدق كونه من كسبه فيؤجر عليه وكونه بغير أمره ، ويحتمل أن يكون إذن لها بطريق الإجمال ، لكن المنفي ما كان بطريق التفصيل ، ولا بد من الحمل على أحد هذين المعنيين ، وإلا فحيث كان في ماله بغير إذن لا إجمالاً ولا تفصيلاً فهي مأزورة بذلك لا مأجورة . وقد ورد فيه حديث عن ابن عمر عند الطيالسي وغيره ، وأما قوله في حديث أبي هريرة فلها نصف أجره فهو محمول على ما إذا لم يكن هناك من يعينها على تنفيذ الصدقة بخلاف حديث عائشة رضي الله عنها ففيه أن للخادم مثل ذلك أو المعني بالنصف في حديث أبي هريرة أن أجره وأجرها إذا جمعا كان لها النصف من ذلك فلكل منهما أجر كامل وهما اثنان فكأنهما<sup>(٤)</sup> نصفان ) .

(١) شاهد : حاضر .

(٢) شطره : نصفه

(٣) صحيح البخاري ١٥٠/٦ باب لا تأذن المرأة في بيت زوجها لأحد إلا بإذنه / كتاب النكاح .

(٤) فتح الباري ٢٤١/٤ باب قوله انفقوا من طبيبات ما كسبتن / كتاب البيوع .

رأينا من كلام النووي وابن حجر أن انفاق المرأة بغير إذن زوجها  
إنفاق محرم حيث تأثم عليه إذا لم يصرح لها زوجها بذلك .

وقد قال ابن حجر أن الأحاديث التي ورد فيها أن للرجل نصف  
الأجر في إنفاق المرأة بغير إذنه : أن هذا الانفاق يكون من قوتها الذي  
يخصها به زوجها ، أو أنها تنفق من الطعام الذي يتسارع إليـه  
الفساد . على أن الخطابي خالف الجمهور القائلين بأن مراد قوله :  
(يؤدى إليه شطره ) هو نصف الأجر، وحمله على المال المنفق وأنه  
يلزم المرأة إذا انفقت بغير أمر زوجها زيادة على الواجب لها أن تغرم  
القدر الزائد وأن هذا هو المراد بالشرطي في الخبر .

والخطابي حمل اللفظ على ظاهره ، فإذا انفقت المرأة بغير إذن  
الزوج كان عليها أن تغرم نصف ما أنفقته .<sup>(١)</sup>

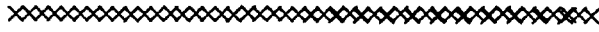
وان كان كلام الخطابي معارض من قبل الجمهور إلا أنه عالم عظيم  
وكلامه معقول ، فكما أن الرجل إذا أنفق من مال إمرأته بدون إذنها يغرم،  
فلن نقل على المرأة المتصرفه بمال زوجها بغير إذنه بالتغريم فلا أقل  
أن نقول بالتحريم .

وقد اتفق الخطابي وجمهور العلماء على أن تصرف المرأة من غير  
إذن زوجها حرام ، ومع أنني أوافق الجمهور في رأيهم الذي بدا من كلام  
النووي وابن حجر : إلا أنني بسطت رأي الخطابي لأحذر المرأة من  
خطورة تصرفها في مال زوجها من غير إذنه ، وأن التزام المرأة بذلك ، وعدم  
التصرف في مال زوجها بغير أمره يؤدي إلى حسن العشرة بينهما ، ويؤدي  
إلى اطمئنان الرجل لزوجته ومحبته لها حيث يدرك أنها لا تفضل أحدا عليه ،  
وأنها ترعاه في ماله كما ترعاه في سائر النواحي الأخرى ، فتكون بذلك محلا  
لثقتة وبالتالي سيسمح لها بالتصرف في بعض المال ، أو ربما جميعه إذا  
لمس حسن تصرفها ، وعدم إسرافها في الانفاق ، أما اذا فعلت عكس ذلك

(١) انظر فتح الباري ٩ / ٢٤٣ / باب لا تأذن المرأة في بيت  
زوجها الا بإذنه / كتاب النكاح .

فإنها قد تحرجه ، وتعطل عليه مصالح له ، كأن ينوي أن يعالج بالمال مشكلة صديق ، أو يصل به رحماً فتندم بذلك ثقة الزوج .

والغريب في الأمر أن كثيراً من النساء ينفقن ويسرين من مال الزوج على أقربائهن ، أو معارفهن دون علمه ، ومن غير إذنه ، سعيدات بذلك مسرورات به ، علماً بأنه لا يحل لهن ذلك ولا للآخذ أيضاً ، لأنهم استحلوا مال امرئ مسلم بغير طيب نفس منه ، أما إذا أنفق الأزواج على ذوي أرحامهم فإنهن تثور ثائرتهن ويغضبن ، وربما يؤذين الزوج وأقاربه بكلامهن — وليست هذه صفة المرأة المسلمة ، لأن المرأة المسلمة لا تنفق من مال زوجها إلا بإذنه وفي حد ود اليسير الذي تطيب به نفس الزوج ، ذلك أنه لا يحل مال امرئ مسلم إلا بطيبة نفس منه وإن كان هذا المال هو مال الزوج ، وإذا كان بعض العلماء يرى أن المرأة لا يحق لها أن تتصرف من مالها إلا بإذنه وقد اختلف العلماء في ذلك ، وليس هنا مجال نقل الخلاف إلا أنني أستأنس به في أن تصرف المرأة بمال زوجها من غير إذنه هو إنفاق مُحَرَّم .



## الباب الثاني

موقف المترفين من العقيدة

ويتضمن أربعة فصول

الفصل الأول : موقف المترفين من عقيدة التوحيد وذكر

شبههم والرد عليها .

الفصل الثاني : موقف المترفين من دعوة الرسل وذكر

شبههم والرد عليها .

الفصل الثالث : موقف المترفين من عقيدة البعث وانكار الجزاء

وذكر شبههم والرد عليها .

الفصل الرابع : موقف المترفين من القرآن الكريم مع ذكر

شبههم والرد عليها .

## ” الفصل الأول ”

” تمهيد ”

التوحيد هو قاعدة العقيدة منذ أن بعث الله الرسل للناس ، والغرض من بعث الرسل هو الدعوة إلى عبادة الله ، وإقامة دينه ، والرسول كافة قبل سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم دعوا هذه الدعوة وجاهدوا عليها وأفنوا أنفسهم في سبيلها .

يقول تعالى :

( وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ) (١)

قال ابن كثير :

( كل كتاب أنزل على كل نبي أرسل ناطقا بأنه لا اله إلا الله ، ولكن انتم أيها المشركون لا تعلمون الحق فأنتم معرضون عنه ولهذا قال :  
( وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ) كما قال : ( وَسَأَلُ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِلَهًا يَعْبُدُونَ ) (٢) وقال : ( وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطُّغُوتَ ) (٣) فكل نبي يدعو إلى عبادة الله وحده لا شريك له ، والفطرة شاهدة بذلك أيضا ، والمشركون لا يبرهان لهم وحتتهم داحضة عند ربهم وعليهم غضب ولهم عذاب شديد ) (٤)

قال أبو السعود :

( قوله تعالى : وما أرسلنا من قبلك . . . الآية استئناف مقرر لما أجمل قبله من كون التوحيد مما نطقت به الكتب الآلهية ، وأجمعت عليه الرسل عليهم السلام ) (٥)

فصيغة المضارع في قوله تعالى : نوحى إليه لاستحضار ما غاب عن

(١) الانبياء (٢٥) .

(٢) الزخرف (٤٥) .

(٣) النحل (٣٦) .

(٤) ابن كثير ١٧٧/٣ الانبياء .

(٥) تفسير أبي السعود ٦٣/٦ .

الانسان بالكفر ، أو النسيان ، وهو التوحيد ، دعوة جميع الرسل ، وأنه أول ما أوحى الله تعالى به إلى أنبيائه وأنه أول ما أخبر به الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أممهم .

ففي غمرة هذه الدنيا الغاتنة يرتفع صوت النبوة لينبه الناس إلى ما سهوا عنه وليحذروهم مما اتخذوا به وليذكروهم بالزاد الذي يقدمون على ربهم به ، وقد فصل القرآن ما أجمل في هذه الآية في آيات كثيرة ، فكل رسول دعا قومه لتوحيد الله وعبادته منذ نوح عليه السلام .

قال نوح لقومه ما حكاه الله تعالى عنه :  
( لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يٰقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنِّ<sup>(١)</sup>  
إِلَهٍ غَيْرِهِ إِنِّي خَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ) .

وقال :  
( وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يٰقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنِّ<sup>(٢)</sup>  
إِلَهٍ غَيْرِهِ أَفَلَا تَتَّقُونَ ) .

وقد بين الله تعالى أن نوحا عليه السلام كرر هذه الدعوة على قومه مرارا في قصص سيدنا نوح عليه السلام .

وقال تعالى :  
( وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يٰقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنِّ<sup>(٣)</sup>  
إِلَهٍ غَيْرِهِ إِن أَنْتُمْ إِلَّا مَفْتَرُونَ ) .

وقال تعالى :  
( وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يٰقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنِّ<sup>(٤)</sup>  
إِلَهٍ غَيْرِهِ هُوَ أَنشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ  
إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ) .

(١) الأعراف (٥٩) .

(٢) المؤمنون (٢٣) .

(٣) هود (٥٠) .

(٤) هود (٦١) .

فقد أقام صالح عليه السلام الدليل عليهم من إنشائهم في الأرض .

وقال تعالى :

( وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَبْقُومُ ۖ اٰعْبُدُوا اللّٰهَ مَا لَكُمْ مِّنَ اللّٰهِ غِيْرَةٍ ) (١) .

وقال تعالى :

( وَلَقَدْ اَرْسَلْنَا مُوسٰى بِآيٰتِنَا اِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلٰٓئِهٖ فَقَالَ اِنِّى رَسُوْلُ رَبِّ الْعٰلَمِيْنَ ) (٢) .

قال أبو السعود :

( ( اَرْسَلْنَا مُوسٰى بِآيٰتِنَا ) ملتبسا بها ( اِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلٰٓئِهٖ فَقَالَ اِنِّى رَسُوْلُ رَبِّ الْعٰلَمِيْنَ ) أريد بأقتصاصه تسليية رسول الله صلى الله عليه وسلم والاستشهاد بدعوة موسى عليه السلام إلى التوحيد إثر ما أشير إلى إجماع جميع الرسل عليهم السلام عليه ) (٣) .

وقال تعالى :

( وَلَمَّا جَاءَ عِيسٰى بِالْبَيِّنٰتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيْهِ فَاتَّقُوا اللّٰهَ وَأَطِيعُوا اللّٰهَ وَرَبَّكُمْ فَاعْبُدُوْهُ هٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيْمٌ ) (٤) .

يقص الله سبحانه وتعالى عن رسوله عيسى عليه السلام حيث أرسله الله تعالى إلى بني إسرائيل بالانجيل والشرائع الواضحة ، والمعجزات ليعلمهم شرع الله ، ودينه ، وما يختلفون فيه من أمور العقيدة والتوحيد ويطلب منهم أن يطيعوه فيما جاء به من ربه لأنه هو الطريق المؤدي إلى رضى الله وسالكة لا يضل أبداً (٥) .

وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم جاء مؤكدا لدعوات الرسل

(١) الأعراف ٨٥ . (٢) الزخرف (٤٦) .

(٣) تفسير أبى السعود ٤٩/٨ .

(٤) الزخرف (٦٣ - ٦٤) .

(٥) تفسير أبى السعود ٥٣/٨ .



جميعها ومجدداتها ، والقرآن كله ينطق بتوحيد الله وشريعتنا الغراء  
شعارها أنه لا إله إلا الله .

قال تعالى :  
( يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ، وَدَاعِيًا إِلَى  
اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ) (١) .

قال الشوكاني :  
( أرسل الله سبحانه النبي محمدا شاهدا على أمته بالتبليغ إليهم ،  
وعلى سائر الأمم بتبليغ أنبيائهم إليهم ، ومبشرا للمؤمنين برحمة الله  
وبما أعدّه لهم من جزيل الثواب ونذيرا للكافرين والعصاة وبما أعدّه  
الله لهم من عظيم العقاب ، وداعيا عباد الله إلى التوحيد ، والإيمان  
بما جاء به بأمر الله وتقديره ) (٢) .

وجميع الرسل عليهم الصلاة والسلام أرسلوا دعوة أقوامهم إلى  
التوحيد وما من رسول إلا لاقى العذاب ، والاضطهاد والصد من قومه  
ودائما وأبدا كان المعاندون للحق هم المترفون ، فمنذ عهد نوح عليه  
السلام والمترفون والكبراء هم الذين يتصدون لمحاربة دعوات الرسل ومنع  
الناس من الإيمان بهم .

قال تعالى :  
( وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهُمْ  
إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ ) (٣) .

قال البيضاوي :  
( تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ودلالة على أن التقليد  
في نحو ذلك ضلال قديم وأن متقدميهم أيضا لم يكن لهم سند منظر  
إليه ، وتخصيص المترفين إشعار بأن التنعم ، وحب البطالة صرفهم عن  
النظر إلى التقليد ) (٤) .

- 
- (١) الأحزاب (٤٥-٤٦) .  
(٢) فتح القدير ٢٨٨/٤ .  
(٣) الزخرف (٢٣) .  
(٤) تفسير البيضاوي ومعه حاشيه الشيخ زاده ٢٩٤/٤ .

ولنا في قصص الأنبياء مع أقوامهم أكبر برهان على عتو المترفين ، وصد هم لدعوة التوحيد .

(( موقف المترفين من دعوة التوحيد على لسان نوح عليه السلام )) :

( كان قوم نوح عليه السلام قد أشركوا بالله واتخذوا الأصنام آلهة من دون الله يعبدونها واعتقدوا أنها تضر ، وتنفع تستطيع أن تجلب لهم الخير ، وتدفع عنهم السوء ، وهم أول قوم عبدوا الأصنام وأشركوا بالله ولهذا بعث إليهم نوحا عليه السلام بالإنذار والتخويف )<sup>(١)</sup> .

وقد مكث سيدنا نوح عليه السلام يدعو قومه سنين طويلة يعرفهم بربهم ويبين لهم آيات الله الدالة على وحدانيته في أنفسهم وفيما حولهم من الشواهد الكونية ، وخلق السموات والأرض ، ومع كل الأدلة والبراهين الدالة على وجود الإله الخالق الواحد ، إلا أنهم بالغوا في العناد والكفر .

قال تعالى على لسان نوح عليه السلام مخاطبا لقومه :  
 ( مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ، وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ، أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ، وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ، ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ، وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطًا ، لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا )<sup>(٢)</sup> .

قال الزمخشري :

( نبههم على النظر في أنفسهم أولا ، لأنها أقرب منظور فيهم منهم ، ثم على النظر في العالم ، وما سوى فيه من العجائب الشاهدة على الصانع الباهرة قدرته ، وعلمه من السموات ، والأرض ، والشمس ، والقمر في السماء الدنيا )<sup>(٣)</sup> .

(١) النبوة والأنبياء ( ١٣٦ ) . . . ( الصابوني ) .

(٢) نوح ( ١٣ - ٢٠ ) . . .

(٣) الكشاف ٤ / ١٦٣ .

ينكر سيدنا نوح عليه السلام على قومه كيف يقصرون في الايمان بمن خلقهم على هذه الأطوار البديعة ، حيث خلقهم تعالى على أطوار مختلفة نطفا ، ثم مضغا ، ثم عظاما ، ولحوما ثم أنشأهم خلقا آخر ، فإن التقصير في توفير من هذه شؤونه القدرة القاهرة ، والاحسان التام مع العلم بها مما لا يكاد يصدر عن العاقل ، وبينه نوح قومه إلى كيفية خلق الله للسماوات السبع كل سماء مطبقة على الأخرى كالقباب وخلق معها الشمس ، والقمر فجعل فيها القمر كالمصباح لوجه الأرض في ظلمة الليل وجعل الشمس سراجا تملأ الآفاق ضياء وتزيل ظلمة الليل ، ليتوصلوا بذلك إلى التصرف فيما يحتاجون إليه من المعاش .

كما ينبههم عليه السلام كيف أن الله تعالى أنشأهم من أديم الأرض ، وعبر بالانبات عن الانشاء لكونه أدل على الحدوث والتكوين ، ومنشؤهم هو الذي يعيدهم إليها بالدفن عند موتهم وسيخرجهم منها عند البعث والحشر يوم القيامة .

وهذه الأرض التي فيها نشأتم وإليها ستعودون مهدها الله لكم وفرشها لكم وجعلها كالبساط وجعل لكم فيها الطرق الواسعة لتنتقلوا من مكان إلى آخر بيسر ، وسهولة (١) .

وكل هذه المخلوقات لا بد أن يكون لها خالق ، هذا ما خاطب به نوح عليه السلام المترفين أن يؤمنوا بخالقهم وخالق هذا الكون الذي حولهم ، ولم يكن هذا هو كل الخطاب من سيدنا نوح عليه السلام ذلك أنه لم يترك سبيلا إلا طرقها مع قومه ، فأتاهم من حيث تهوى الأنفس وما تبغيها من المنافع العاجلة .

( فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ، يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ، وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيُنِينٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ) (٢) .

(١) فتح القدير ٢٩٨/٥ ، تفسير أبي السعود ٣٨/٩ ( بتصرف ) .

(٢) نوح ( ١٠-١٢ ) .

قال الزمخشري :

( أمرهم بالاستغفار الذي هو التوبة عن الكفر ، والمعاصي ، وقدم إليهم الموعد بما هو أوقع في نفوسهم ، وأحب إليهم من المنافع الحاضرة ، والفوائد العاجلة ، ترغيباً في الإيمان وبركاته ، والطاعة ونتائجها من خير الدارين ، كما قال :-

( وَأُخْرَى تَحِبُّونَهَا تَصْرَمَنَّ مِنَ اللَّهِ - (١) وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ - (٢) فوعدهم أنهم إن آمنوا رزقهم الله تعالى الخصب ودفع عنهم ما كانوا فيه ، حيث إنهم لما كذبوه بعد طول تكرير الدعوة ، - حبس الله عنهم القطر ، وأعقم أرحام نسائهم أربعين سنة ) (٣) .

وقد مكث سيدنا نوح عليه السلام يدعو قومه مدة طويلة لم يبلغها نبي بعده وقد فصل لنا القرآن طول المدّة التي قضاها نوح يدعو قومه المترفين .

قال تعالى :

( وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا ) (٤)  
يدعوهم إلى الله ومع طول هذه السنين ، والجهد المضني والكفاح المرير ، لم يؤمن به عليه السلام إلا قليلاً قال تعالى :-  
( وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ) (٥) .

وأكبر عدد ورد في روايات المفسرين أنهم ثمانون نفساً مع أنه عليه الصلاة والسلام سلك كل طريق يمكن أن يسلك واستنفذ كل الوسائل ومع ذلك بقي القوم على كفرهم وأصروا عليه .

قال تعالى على لسان نوح عليه السلام :

( قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ، فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصْوَابَهُمْ فِي عَادَاتِهِمْ وَاسْتَعْشَبُوا شِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ، ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ، ثُمَّ إِنِّي

- |                    |                     |
|--------------------|---------------------|
| (١) الصف (١٣) .    | (٢) الأعراف (٩٦) .  |
| (٣) الكشاف ٤/١٦٢ . | (٤) العنكبوت (١٤) . |
| (٥) هود (٤٠) .     |                     |

أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا (١) .

قال الزمخشري :

( فعل عليه السلام كما يفعل الذي يأمر بالمعروف ، وينهى عن المنكر في الابتداء بالأهون والترقي في الأشد فالأشد ، فافتتح بالمناصحة في السر ، فلما لم يقبلوا ، ثنى بالمجاهرة ، فلما لم تؤثر ، ثلث بالجمع بين الاسرار ، والاعلان ، وقد عبر بثُمَّ للدلالة على تباعد الأحوال ، لأن (٢) الجهار أغلظ من الاسرار ، والجمع بين الأمرين أغلظ من أفراد أحدهما ) .

( ومع كل هذه الطرق لم يزد دعاء نوح عليه السلام إلا تباعداً من الايمان ، وإسناد الزيادة إلى الدعاء لكونه سببها ) (٣) .

بل إنهم أصروا على الكفر ، وكانوا كلما كان يدعوهم نوح عليه السلام يسدون آذانهم بأيديهم ويغطون وجوههم بثيابهم لئلا يروه وفي ذلك منتهى العداوة والبغض والصد لنوح عليه السلام ودعوته والامعان في الضلال والكفر .

وبعد أن يئس نوح عليه السلام من إيمان قومه وبعد أن عرف من طول مكثه ، أنه لا فائدة ترجى من إيمانهم أو إيمان ذريتهم ، حيث إن الله تعالى أوحى إليه أنه لن يؤمن به غير الذين آمنوا . فقد قال تعالى :

( وَأَوْحَىٰ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِن دُونِ قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدَّامَنَّا فَالَّا تَبْتَسِرُ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ) (٤) .

قال ابو السعود :

( هو إقناط له صلى الله عليه وسلم من إيمانهم وإعلام لكونه كالمحال الذي لا يصح توقعه ) (٥) .

حين ذاك توجه إلى الله سبحانه وتعالى يشكو إليه عصيانهم له وعدم الايمان بدعوته . وانقيادهم لمترفيهم الذين أبطرتهم أموالهم

(١) نوح (٥-٩) . (٢) الكشاف ١٦٢/٤ .

(٣) فتح القدير ٢٩٧/٥ . (٤) هود (٣٦) .

(٥) تفسير أبي السعود ٢٠٥/٤ .

وغرتهم أولادهم ، والذين هذا حالهم مع جميع الأنبياء لا يؤمنون  
ويمنعون أتباعهم من الايمان بدعوات الرسل .

قال تعالى :

( قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالَهُ وَوَلَدَهُ  
إِلَّا خَسَارًا ، وَمَكَرُوا مَكْرًا كَبِيرًا ، وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا  
سَوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ، وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا )<sup>(١)</sup>

والمعنى :

( شكاهم نوح عليه السلام إلى الله عز وجل ، وأخبر بأنهم عصوه  
ولم يتبعوه وهو أعلم بذلك ، واستمر الأصاغر على اتباع رؤسائهم  
وأهل الثروة منهم الذين لم يزدهم كثرة المال والولد إلا ضلالا في الدنيا  
وعقوبة في الآخرة ، فصاروا أسوة لهم في الخسارة وفي وصفهم بذلك أي  
الأتباع إشعار بأنهم إنما اتبعوهم لو جاهتهم الحاصلة لهم بسبب الأموال  
والأولاد لا لما شاهدوا فيهم من شبهة مصححة للاتباع في الجملة .

ومكروا لنوح عليه السلام مكرا عظيما ، والماكرون هم الرؤساء حيث  
إنهم يحرشون سفلتهم على قتل نوح وغروا الناس بما أوتوا من المال  
والولد واحتالوا في الدين ومن أمرهم أي الكبراء والمترفون لأتباعهم  
لا تتركوا الهتكم )<sup>(٢)</sup> .

قال تعالى :

( وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سَوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ  
وَنَسْرًا ، وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا ، وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا )

قال أبو السعود :

( خصوصها بالذكر مع اندراجها فيما سبق لأنها كانت أكبر أصنامهم  
وأعظمها عندهم وهو أمر من الرؤساء المترفين لسفلتهم التابعين لهم

(١) نوح ( ٢١-٢٤ ) .

(٢) نقل بتصرف عن أ- فتح القدير ٥ / ٣٠٠ . ب- أبو السعود ٩ / ٤٠ .

ج- النسفي ٤ / ٢٩٦ .

لمجرد كثرة أموالهم ، وأولادهم لعدم ترك آلهتهم ، على العموم وخصوصاً المسميات بالذكر لأنها أكبر آلهتهم .

والمشهور عند المفسرين أن عبادة هذه الأصنام انتقلت عنهم إلى العرب إذ أنها كانت أسماء رجال صالحين كانوا بين آدم ونوح عليهما السلام فنشأ بعدهم قوم يعتقدون بهم في العبادة فزين لهم إبليس تصويرهم وعبادة هذه (١) التصاوير .

وقد روى البخاري بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما :  
 ( صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعد ، أما ودد كانت  
 لكلب بدومة الجندل ، وأما سواع كانت لهذيل وأما يعقوب فكانت لمراد ثم  
 لبني عطف بالجوف عند سبأ وأما يعوق فكانت لهمدان وأما نسر فكانت  
 لحمير لآل ذي الكلاع أسماء رجال صالحين من قوم نوح فلما هلكوا أوْحَى  
 الشيطان إلى قومهم أن أنصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصاباً  
 وسموها بأسمائهم ففعلوا فلم تعبده حتى إذا هلك أولئك وتَنَسَّخَ الْعِلْمُ  
 عِدَّتْ ) (٢) .

" موقف المترفعين من دعوة التوحيد على لسان ابراهيم عليه السلام "

دعوة ابراهيم عليه السلام لأبيه آزر :

قص علينا القرآن الكريم دعوة ابراهيم عليه السلام لأبيه آزر ولقومه ،  
 فقد كان أبوه مشركاً يعبد الأصنام ، وأحق الناس بإخلاص النصيحة هو  
 أبوه ، وقد كان ابراهيم عليه السلام في دعوته لأبيه مثالا للولد البار  
 الذي يريد الخير لأقرب الناس إليه ، فلم يقس على أبيه في دعوته ، ولم  
 يعنفه بل كان يخاطبه بكل أدب ووقار ليبين له بطلان ما هو عليه من  
 عبادة أصنام لا تضر ولا تنفع أحداً بل أنها لا تستطيع أن تجلب لنفسها نفعاً

(١) تفسير ابي السعود ٩ / ٤٠ ، والقرطبي ١٨ / ٣٠٨ / وروح المعاني

٢٩ / ٧٧ ، وابن كثير ٤ / ٤٢٧ .

(٢) صحيح البخاري ٦ / ٧٣ ( تفسير سورة انا أرسلنا ) / كتاب التفسير .

أو تدفع عنها ضررا ، وهكذا استمر حاله عليه السلام ينصحه بكل أدب ، —  
ووقار ، ويخاف عليه من عذاب الله تعالى باتباعه لخطوات الشيطان  
ومع هذا لم يعتبر الأب بمنطق الحجة والبرهان بل استمر على الضلال  
والفساد .

قال تعالى :

( وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ، إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ  
يَأْبَتَ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ، يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ  
جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ، يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ  
الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ، يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ  
عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ) (١) .

قال أبو السعود :

( سلك عليه السلام في دعوته أحسن وأقوم سبيل واحتج عليه أبدع  
احتجاج بحسن أدب وخلق جميل لئلا يركب متن المكابرة والعنـاد  
ولا ينكب بالكلية عن محجة الرشاد ، حيث طلب منه علة عبادته لما يستخف  
به عقل كل عاقل من عالم ، وجاهل ويأبى الركون إليه ، فضلا عن عبادته  
التي هي الغاية القاصية من التعظيم مع أنها لا تحقق إلا لمن له الاستغناء  
التام ، والإنعام العام الخالق الرازق المحيي والمميت المشيب المعاقب  
ونبه على أن العاقل يجب أن يفعل كل ما يفعل لداعية صحيحة وغرض  
صحيح ، والشئ لو كان حيا مميذا سميحا بصيرا قادرا على النفع والضرر  
مطيقا بإيصال الخير والشر لكن كان ممكنا لاستنكف العقل السليم من عبادته وان كان  
أشرف الخلائق لما يراه مثله في الحاجة والانقياد للقدرة القاهرة الواجبة  
فما ظنك بجماد مصنوع من حجر ، أو شجر ليس له أوصاف الأحياء عيـن  
ولا أثر ثم دعاه الى أن يتبعه ليهديه الى الحق المبين لما أنه لم يكن  
محظوظا من العلم الإلهي مستقلا بالنظر سوى مصدرا لدعوته بما مر  
من الاستمالة ، والاستعطاف حيث قال :



( يا أبتِ إني قد جأني من العلم ما لم يأتك ) ولم يسم أباه بالجهل المفرط وإن كان في أقصاه ، ولا في نفسه بالعلم الفائق وإن كان كذلك ، بل أبرز نفسه في صورة رفيق له أعرف بأحوال ما سلكاه من الطريق فاستماله برفق حيث قال : ( فَاتَّبَعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ) أي مستقيماً موصلاً إلى أسنى المطالب منجياً عن الضلال المؤدي إلى مهاوي الردى — والمعاطب ثم شبطه عما كان عليه بتصويره بصورة يستنكرها كل عاقل ببيان أنه مع عرائه عن النفع المرة مستجلباً لضرر عظيم فإنه في الحقيقة عبادة الشيطان لما أنه الأمر به فقال : ( يَا أبتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ ) فإن عبادتك للأصنام عبادة له إذ هو الذي يسولها لك ويغريك عليها وقوله : ( إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ) تعليل لموجب النهي وتأكيد له ببيان أنه مستعصي على ربك الذي أنعم عليك بفنون النعم ولاريب في أن المطيع للعاصي عاص وكل من هو عاص حقيق بأن يسترد من النعم وينتقم منه والإظهار في موضع الإضمار لزيادة التقرير والاقتضال على ذكر عصيانه من بين سائر جناياته لأنه ملاكها أو لأنه نتيجة معاداته لآدم عليه السلام وذريته فتذكيره ذاع لأبيه إلى الاحتراز عن موالاته ، وطاعته والتعرض لعنوان الرحمانية لإظهار كمال شناعة عصيانه ، وقوله : ( يا أبتِ إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن ) تحذير من سوء عاقبة ما كان عليه من عبادة الشيطان وهو ابتلاؤه بما ابتلى به معبوده من العذاب الفظيع فتكون قرينا للشيطان في اللعن المخلد وذكر الخوف للمجامله وإبراز الاعتناء بأمره (١) .

ومع كل هذا النصح المؤدب من إبراهيم عليه السلام لأبيه ودعوته لترك عبادة الأوثان والتوجه على عبادة الله الواحد القهار ، إلا أن أباه لم يستجب لهذا النصح بل هدد ولده بالقتل والضرب فيما إذا ذكر الآلهة المزعومة بالسوء ، أو الشر وأنكر على ابنه ترك آلهة أبيه :

(١) تفسير أبي السعود ٢٦٧/٥ .

( قَالَ : أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنِ الْهَيْتِ يَا بَرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَه لَأَرْجَمَنَّكَ  
 وَأَهْجُرَنِي مَلِيًّا )<sup>(١)</sup> .

( قال مصرا على عناده : أمعرض ومنصرف أنت عنها بتوجيه الإنكار  
 إلى نفس الرغبة مع ضرب من التعجب كأن الرغبة عنها محال لا يصدر  
 عن العاقل فضلا عن ترغيب الغير عنها فوالله لئن لم تنته عما كنت عليه  
 من النهي عن عبادتها لأرجمنك بالحجارة ، أو باللسان فاحذرنى  
 واتركنى زمانا طويلا )<sup>(٢)</sup> .

وذكر الشوكاني في معناه : ( اعتزلني سالم العرض لاتصيبك منى  
 معرفة )<sup>(٣)</sup> .

وقال النسفي :

( قال آزر توبيخا : أترغب عن عبادتها فنأداه باسمه ولم يقابل  
 يا أبتِ بيا بئني وقدم الخبر على المبتدأ لأنه كان أهم عنده )<sup>(٤)</sup> .

—————

(١) مريم (٤٦) .  
 (٢) تفسير أبي السعود ٢٦٨/٥ بتصرف .  
 (٣) فتح القدير ٣٣٦/٣ .  
 (٤) النسفي ٣٦/٣ .



قال صاحب الدر اللقيط :-

وفى قوله ( مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ ) تحقير لها وتصغير لشأنها وتجاهل بها مع علمه بها وبتعظيمهم لها ، وفي خطابه لهم بقوله ( أَنْتُمْ ) راستهانسة وتوقيف على سوء صنيعهم ، والتماثل الصورة المصنوعة مشبهة لمخلوق من مخلوقات الله (١) .

وعبر عن عبادتهم لها بـ(عَاكِفُونَ) الذي هو عبارة عن المواظبة والاستمرار على عبادتها .

( فيأي معنى استحقت منكم هذا الأختصاص ، وإنما هي مثال للحي في الصورة وهو أعلى منها بالحياة التي أفاضها الله عليه ) (٢) .

ويبين هنا عجز القوم عن الإتيان بسبب مقلع لعبادتها فكان جواب القوم المعروف الذي هو حجة المشركين ، والمترفين مع جميع الرسل وهو تقليد الآباء ( قَالُوا : وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ ) . فأنكر عليه السلام تقليدهم الأعمى للآباء الذين سننوا لهم هذه السننة الباطلة ( لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ) .

قال النسفي :

( أَرَادَ أَنْ الْمُقَلِّدِينَ وَالْمُقَلِّدِينَ مَنْخَرَطُونَ فِي سَلَكِ ضَلَالٍ ظَاهِرٍ لَا يَخْفَى عَلَى عَاقِلٍ ) (٣) .

( ومعنى ) كنتم مطلق استقرارهم على الضلال لا استقرارهم الماضي الحاصل قبل زمان الخطاب المتناول لهم ولآبائهم ، أي والله لقد كنتم مستقرين على ضلال عظيم ظاهر لعدم استناده إلى دليل ما والتقليد وإنما يجوز فيما يحتمل الحقيقة في الجملة ) (٤) .

قال الفخر الرازي في رد ابراهيم عليه السلام على قومه :

( بين أن الباطل لا يصير حقا بسبب كثرة المتمسكين به ، فلما حقق

(١) الدر اللقيط من البحر بهامش البحر المحيط ٦ / ٣١٩ / تاج الدين

الحنفي .

(٢) نظم الدرر ٤٣٤ / ١٢ للبقاعي .

(٣) النسفي ٨١ / ٣ .

(٤) تفسير أبي السعود ٧٢ / ٦ .

عليه السلام ذلك عليهم ولم يجدوا من كلامه مخلصا ورأوه ثابتا على الإنكار قوي القلب فيه وكانوا يستبعدون أن يجرى مثل هذا الإنكار عليهم مع كثرتهم وطول العهد بمذهبيهم فعند ذلك قالوا له ( أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ ) موهمين بهذا الكلام أنه يبعد أن يقدم على الإنكار عليهم جادا في ذلك فعندها عدل صلى الله عليه وسلم إلى بيان التوحيد (١) .

وكعادة الرسل عليهم الصلوات والسلام في بيان حقيقة الإله الخالق لقومهم وتعريفهم به بالمنطق ، والبرهان ذلك أن الله سبحانه وتعالى يرسل الرسل لكيلا يكون للناس حجة على الله بعدهم ، فخاطبهم إبراهيم قائلا كما ورد في القرآن الكريم :

( قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ مِّنَ الشَّاهِدِينَ ، وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ ، فَجَعَلَهُمْ جُذَاذَا (٢) إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ (٣) ) .

قال الفخر الرازي :

[ اعلم أن القوم لما أوهموا أنه إنما يمازح بما خاطبهم به في أصنامهم أظهر عليه السلام ما يعلمون به أنه مجد في إظهار الحق الذي هو التوحيد وذلك بالقول أولا وبالفعل ثانيا ، أما الطريقة القولية فهي في قوله :

( بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ ) .

وهذه الدلالة تدل على أن الخالق الذي خلقها لمنافع العباد هو الذي يحسن أن يعبد لأن من يقدر على ذلك يقدر على أن يضر ، وينفع في الدار الآخرة بالعقاب والثواب ، فيرجع حاصل هذه الطريقة إلى الطريقة التي ذكرها لأبيه في قوله :

( يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ) [ (٤) ]

(١) التفسير الكبير ٢٢/١٨١ .

(٢) جذاذا : قطعا أو حطاما .

(٣) الأنبياء ( ٥٦ - ٥٨ ) .

(٤) التفسير الكبير ٢٢/١٨١ .

وقال أبو السعود :

( هو إضراب عن كونه لاعبا بإقامة البرهان على ما ادعاه وضميرهن  
للسموات والأرض ووصفه تعالى بإيجادهن إثر وصفه تعالى بربوبيته تعالى  
لهن تحقيقا للحق وتنبيها على أن ما لا يكون كذلك بمعزل من الربوبية  
أي أنشأهن بما فيهن من المخلوقات التي من جملتها أنتم وآباؤكم  
وما تعبدونه من غير مثال يحتذيه ولا قانون ينتحيه ورجع الضمير إلى  
التمثيل أدخل في تضليلهم وأظهر في إلزام الحجة عليهم لما فيه من  
التصريح المغني عن التأمل في كون ما يعبدونه من جملة المخلوقات  
( وَأَنَا عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ ) الذي ذكرته من كون ربكم رب السموات والأرض فقط  
دون ما عداه كائنا ما كان من العالمين به على سبيل الحقيقة المبرهنيين  
عليه (١) .

ولما لم تجد مع قومه الطريقة القولية عدل عليه السلام إلى الطريقة  
الفعلية وهي الاحتيال لتكسير الأصنام مع صعوبة ذلك لوجود النمرود  
قال ما حكاه عنه تعالى :  
( وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُولُوا مُدْبِرِينَ فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا  
رَالًا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ رَالِيَهُ يَرْجِعُونَ ) .

قال الفخر الرازي :

( لما لم ينتفع القوم بالدلالة العقلية عدل إلى أن أراهم عديم  
الفائدة في عبادتها ) (٢) .

وذلك ليريبهم أنها لا تدفع عن نفسها ضررا ، أقسم إبراهيم عليه  
السلام أن يجتهد في تكسير الأصنام التي اتجه قومه لعبادتها بسد  
عبادة خالقهم وخالق أصنامهم .

وقد ذكر المفسرون أنه عليه السلام قال ذلك سرا أو أن رجلا سمع  
قوله .

(١) تفسير أبي السعود ٧٣/٦ .

(٢) التفسير الكبير ١٨٢/٢٢ .

وقد ذكر الشوكاني قصة تكسيره عليه السلام للأصنام قال :

{ أخرج ابن أبي حاتم عن ابن مسعود قال :

لما خرج قوم إبراهيم عليه السلام إلى عيدهم مروا عليه ، فقالوا

يا إبراهيم ألا تخرج معنا ؟ قال إني سقيم ، وقد كان بالأمس ، قال :

( تَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُولُوا مُدْبِرِينَ ) فسمعه أناس منهم ،

فلما خرجوا انطلق إلى أهله فأخذ طعاما إلى آلهتهم فقدمه إليهم

فقال ألا تأكلون .

فكسرها إلا كبيرهم ، ثم ربط في يده الذي كسره به آلهتهم ، فلما

رجع القوم من عيدهم دخلوا فإذا هم بآلهتهم قد كسرت ، وإذا كبيرهم في

يده الذي كسره الأصنام ، قالوا : من فعل هذا بآلهتنا فقال الذين

سمعوا إبراهيم يقول ( تَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ ) ، ( سَمِعْنَا فَتَى يَذُكُرُهُمْ ) ،

فجادلهم عند ذلك إبراهيم <sup>(١)</sup> .

حيث إنه كان يتوقع أن يرجعوا إليه في السؤال عن كسرها لما سمعوه

من مقالته فيهن ، فيريهم بالدليل الفعلي أن هذه التماثيل التي لم

تستطع الدفاع عن نفسها غير جديرة بالعبادة .

قال تعالى :

( قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ، قَالُوا سَمِعْنَا فَتَى

يَذُكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ، قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَيْنَا لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ

قَالُوا أَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ، قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا

فَسَلُّوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ) <sup>(٢)</sup> .

قال أبو السعود :

( سلك عليه السلام مسلكا تعريضا يؤديه إلى مقصده الذي هو

الزامهم الحجة على أطف وجه وأحسنه بحملهم على التأمل في شأن

آلهتهم مع ما فيه من التوقي من الكذب ، حيث أبرز الكبير قولاً فـ

(١) فتح القدير ٣/٤١٥ .

(٢) الانبياء ( ٥٩ - ٦٣ ) .

معرض المباشر للفعل بإسناده إليه كما أبرزه في ذلك المعرض فعلا بجعل الفأس في عنقه . وقد قصد إسناده إليه بطريق التسبب حيث كانت تلك الأصنام غاظته عليه السلام حين أبصرها مصطفة مرتبة للعبادة من دون الله سبحانه وتعالى ، وكان غيظ كبيرها أكبر وأشد حسب زيادة تعظيمهم له فأسند الفعل إليه باعتبار أنه الحامل عليه ، وقيل هو حكاية لما يقود إلى تجويزه مذهبهم كأنه قال لهم : ما تنكرون أن يفعله كبيرهم فإن من حق من يُعبد ويدعى بالسما أن يقدر على ما هو أشد من ذلك ، ويحكى أنه عليه السلام قال : فعله كبيرهم هذا ، غضب أن تعبد معه هذه الصغار وهو أكبر منها ، فيكون تمثيلا أراد به عليه السلام تنبيههم على غضب الله تعالى عليهم لإشراكهم بعبادته الأصنام .

ولا ريب في أن مراده عليه السلام من إسناد الكسر إلى الصنم ليس مجرد تقريره لنفسه ولا تجهيلهم في سؤالهم لابتناؤه على احتمال صدوره عن الغير عندهم ، بل إنما مراده عليه السلام توجيههم نحو التأمل في أحوال أصنامهم كما ينبيء عنه قوله ( فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ) أي إن كانوا ممكنا أن ينطقوا وإنما لم يقل عليه السلام إن كانوا يسمعون أو يعقلون مع أن السؤال موقوف على السمع والعقل أيضا لما أن نتيجة السؤال هو الجواب وإن عدم نطقهم أظهر وتبكيتهم بذلك أدخل (١) .

لقد كان سيدنا إبراهيم حكيما عند ما واجههم بهذا الأسلوب حيث أنه وجههم إلى مقصدة وجرهم بطريقة غير مباشرة إلى جواب لم يقصدوه ليلزمهم الحجة لعلمهم يعرفون الطريق الصائب ، حيث أنهم تنبهوا لما هم عليه من ضلال وراجعوا عقولهم أن من لم يقدر أن يدفع الضرر عن نفسه أو إيداء من أراد به سوء غير جدير بالعبادة .

فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون أن عبدا مثل هذه الأصنام ( فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ ) (٢) .

(١) تفسير أبي السعود ٧٤/٦ .

(٢) الانبياء (٦٤) .



ولكن هذا هو حال المترفين المستكبرين في كل زمان ومكان وممع كل رسول أو داعية شأنهم دائما العناد والمكابرة ذلك أنهم يأبسون إلا أن يكونوا عبيدا لشهواتهم وأموالهم ، وأتباع الحق والمضي في طريقه يقضي على استغراقهم في شهواتهم وترفهم ، فما لبثوا أن عادوا إلى العناد .

قال تعالى :

( ١ ) ( ثُمَّ نَكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنطِقُونَ ) .

قال الفخر الرازي :

( في المعنى وجوه : أحدها : أن المراد استقاموا حين رجعوا إلى أنفسهم وأتوا بالفكرة الصالحة ، ثم انتكسوا فقلبوا عن تلك الحالة فأخذوا ( في ) المجادلة بالباطل وأن هؤلاء مع تقاصر حالها عن حال الحيوان الناطق آلهة معبودة .

وثانيها : قلبوا على رؤوسهم حقيقة لفرط إطراقهم خجلا وانكسارا وانخذالا مما بهتهم به إبراهيم عليه السلام فما أحاروا جوابا ، إلا ما هو حجة عليهم .

وثالثها : أي قلبوا في الحجة واحتجوا على إبراهيم عليه السلام بما هو الحجة لإبراهيم عليه السلام عليهم فقالوا ( لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنطِقُونَ ) فأقروا بهذه للحيرة التي لحقتهم<sup>(٢)</sup> .

وقال النسفي :

( أجرى الله تعالى الحق على لسانهم في القول الأول ثم أدركتهم الشقاوة أي ردوا إلى الكفر بعد أن أقروا على أنفسهم بالظلم ، يقال نكسته قلبته فجعلت أسفله أعلاه ، أي استقاموا حين رجعوا إلى أنفسهم وجاءوا بالفكرة الصالحة ثم انقلبوا عن تلك الحالة فأخذوا في المجادلة بالباطل والمكابرة .

(١) الانبياء ( ٦٥ ) .

(٢) التفسير الكبير ٢٢ / ١٨٦ .

فقالوا : ( لَقَدْ عَلِمْتَمَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ) فعلمت يا إبراهيم  
 أن لنطق ليس من شأن هذه الأصنام فكيف تأمرنا بسؤالهم (١) .  
 حينذاك ظهرت حجة إبراهيم عليه السلام واضحة وضوح الشمس وهي  
 إقرارهم بعجز الآلهة ، وأي حجة لإبراهيم عليه السلام أقوى من أن هؤلاء  
 لا ينطقون .

فرأى عليه السلام الفرصة سانحة لإلزامهم بالمنطق السوي السليم  
 فأخذ يبكتهم على جهلهم ، ويوبخهم على استمرارهم على باطلهم وقال لهم :  
 ما حكاة الله تعالى بقوله جل وعلا :  
 ( قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ، أَفِ لَكُمْ  
 وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ) (٢) .

قال أبو السعود :

( أي أتعلمون ذلك فتعبدون ( مِن دُونِ اللَّهِ ) متجاوزين عبادته  
 تعالى ( مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا ) من النفع ولا يضركم ، فإن العلم بحاله المنافية  
 للألوهية مما يوجب الاجتناب عن عبادته قطعاً ) (٣) .  
 ضجر منهم عليه السلام مما رأى من ثباتهم على عبادتها بعد انقطاع عذرهم  
 وبعد وضوح الحق ، ووزهوق الباطل فتأفف بهم وبآلهتهم وقال لهم ألا تتفكرون  
 فتعقلون قبح صنيعكم فإن من صفته العجز عن الدفاع عن نفسه وعن النطق  
 لا يجوز أن يكون إلهها .

فلما غلبوا على أمرهم وخاف كبار قومه ومترفوهم افتضاح حالهم عند  
 الاتباع والعامه بأنه لم تبق لهم حجة ، أو شبهة يكابرون بها ، عمدوا  
 إلى القوة يسترون بها هزيمتهم فقالوا : ( حَرَّ قَوْهُ وَانصُرُوا ءَالِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ  
 فَاعِلِينَ ) (٤) .

(١) النسخة ٨٣/٣

(٢) الانبياء ( ٦٦-٦٧ ) .

(٣) تفسير أبي السعود ٧٦/٦ .

(٤) الانبياء ( ٦٨ ) .

(( محاجة ابراهيم عليه السلام للنمرود ))

عاش سيدنا إبراهيم في زمن عصب ، حيث ان الناس تضافروا على الشرك بالله . وعبدوا ما عبدوا من أوثان وكواكب والشمس والقمر . وإبراهيم عليه السلام الذي آمن بالله وحده كان لا يترك فرصة إلا ويحاور فيها قومه ويجادلهم في معبوداتهم . ويقم عليهم الأدلة الواضحة والحجج الدافعة على وجود الله واحد خالق لهم ولما يعبدون . ولما كان معارضو دعوات الرسل دائما هم الكبراء والمترفون الذين أبطرتهم النعمة فقد كان ممن عادى سيدنا إبراهيم ملك جبار ظهر في زمانه عليه السلام اسمه النمرود بن كنعان ، وقد ادعى هذا لنفسه الربوبية ونصب نفسه لها من دون الله تعالى يريد بذلك أن ينازع الله سبحانه وتعالى في سلطانه وقدرته .

( وقد ذكر المؤرخون أن ملك بابل واسمه النمرود بن كنعان بن كوش بن سام بن نوح ، وذكروا أن نمرود هذا استمر في ملكه أربعمائيه سنة وكان قد طغى ، وبغى ، وتجبر ، وعتى ، وآثر الحياة الدنيا ، وادعى لنفسه الربوبية ) (١) .

فلما بلغته دعوة إبراهيم عليه السلام التي تقوم على عبادة الإله الخالق وحده ونبذ ما عداه من معبودات ، بعث هذا الملك في طلب الخليل بعد أن كسر أصنام قومه ، ودار بينهما حوار انتهى بأن الخليل عليه السلام أبطل حجة الجبار ، وسفه عقله .

قال تعالى :

( أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ) (٢) .

(١) البداية والنهاية لابن كثير ١/١٤٨ الطبعة الثانية .

(٢) البقرة ( ٢٥٨ )

ينكر الله سبحانه وتعالى على ذلك المتجبر سؤاله لإبراهيم عن صفات ربه الذي يدعو إليه إذ أنه أنكر أن يكون إلها غيره .

قال ابن كثير :

( حاج إبراهيم بوجود ربه وذلك أنه أنكر ثم إلها غيره كما قال بعده فرعون لملئه ( ما عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي ) وما حمله على هذا الطغيان والكفر الغليظ والمعاندة الشديدة إلا تجبره وطول مدته في الملك ولهذا قال ( أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ ) وكان طلب من إبراهيم دليلا على وجود الرب الذي يدعو إليه ، فقال إبراهيم عليه السلام ( رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ ) أي إنما الدليل على وجوده حدث هذه الأشياء المشاهدة بعد عدمها وعدمها بعد وجودها ، وهذا دليل على وجود الفاعل المختار ضرورة ، لأنها لم تحدث بنفسها فلا بد لها من موجد أوجدها ، وهو الرب الذي أدعوا إلى عبادته وحده لا شريك له )<sup>(١)</sup> .

وقال الألوسي :

( أراد عليه السلام - بِيُحْيِي ، وَيُمِيتُ - يخلق الحياة والموت في الأجساد وأراد اللعين غير ذلك فقد روى عنه أنه أتى برجلين فقتل أحدهما وترك الآخر وقال ما قال )<sup>(٢)</sup> .

( أَنَا أَحْيِي وَأُمِيتُ ) قال ابن كثير :

( والظاهر والله أعلم أنه ما أراد هذا لأنه ليس جوابا لما قال إبراهيم ولا في معناه لأنه غير مانع لوجود الصانع وإنما أراد أن يدعي لنفسه هذا المقام عنادا ومكابرة ويوهم أنه الفاعل لذلك - وأنه هو الذي يحيى ويميت )<sup>(٣)</sup> .

فالحياة والإماتة التي استدل بهما إبراهيم عليه السلام ليست كدعواه الباطلة تلك وإنما الإحياء هو إيجاد الحياة .

(١) ابن كثير ٣١٤/١ بتصرف .

(٢) روح المعاني للألوس ١٧/٣ .

(٣) ابن كثير ٣١٤/١ .

فلما علم إبراهيم وهو من لديه الحجة ، والبرهان القوي بوجـود الخالق الواحد ومن له الخبرة في نفوس البشر استدل بالشمس وليس ذلك لأنه لم يقنع خصمه في بطلان ادعائه بالإحياء ، والإيماء بل لأنه عليه السلام رأى انحطاط عقل خصمه فأراد أن يمثل له قدرة ربه الذي يدعوه إليه بإتيان الشمس من المشرق ليلزمه الحجة بما لا يستطيع فعله كما قال عن نفسه من قبل أنا أحسى وأميت .

قال الألوسي :

( ولما كان هذا بمعزل عن المقصود وكان بطلانه من الجلاء والظهور بحيث لا يخفى على أحد والتعرض لإبطال فعل ذلك من قبيل السعى في تحصيل الحاصل ، أعرض الخليل عليه الصلاة والسلام عن إبطاله وأتى بدليل آخر أظهر من الشمس <sup>(١)</sup> ) .

قال تعالى :

( قَالَ إِبْرَاهِيمُ إِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ) .

رانتقل الخليل بالنمرود إلى هذا الدليل الذي لا يمكنه الجدل فيه لأنه أمر قاطع يلجم كل معاند جبار ولا يجدى معه المكابرة . فإن كنت حقا لها فغير نظام الكون والحياة واجعل الشمس تطلع من المغرب .

قال الألوسي :

( استدل عليه السلام بأنه لا بد للحركة المخصوصة والمتحرك بها من محرك لأن حاجة المتحرك في الحركة إلى المحرك بديهية وبديهية أنه ليس بنمرود فقال : هذا هوربي فإن ادعيت أنك الذي تفعل ( فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ ) .

(١) روح المعاني ٣ / ١٧ .

( فَبَيَّنَتِ الَّذِي كَفَرَ ) غلب وصار مبهورا عن الكلام متحيرا لاستيلاء  
الحجة عليه ، ولم يصب طريق الحق مع وضوح الحجة لأن ظلمه ، وطغيانه  
وترفه منعه من الاهتداء ، ولأن قضاء الله في الظالمين أنه لا يهديهم  
الى خير ولا يوفقهم الى رشده .  
(١)

---

” دعوة التوحيد على لسان موسى عليه السلام للطاغية فرعون ”

XXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXX

ولد سيدنا موسى عليه السلام في عهد فرعون عدو الله ولست بحاجة لأن أذكر طغيان فرعون ، وجبروته فكفى بآيات الله الكريمة التي تبين ظلمه ، وكفره وعتوه في الأرض حيث كان يحيى حياة البذخ ، والترف على حساب المستضعفين الذين أذلهم في خدمته . قال تعالى حاكيا عن فرعون :  
( إِنْ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَذَّبِحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ) (١) والمعنى ( أن فرعون علا في الأرض أي في أرض مملكته فقد طغى فيها و جاوز الحد في الظلم ، والعسف وجعل أهلها فرقا يشيعونه على ما يريد ويطيعونه لا يملك أحد منهم أن يلوي عنقه ) (٢) .

وذكر القرطبي في معنى الآية :-

( علا في نفسه عن عبادة ربه بكفره وادعى الربوبية وقيل : بملكه ، وسلطانه فصار غالبا على من تحت يده ) (٣)

أقول : وكلا المعنيين صحيح ، فظلم فرعون معروف لبني إسرائيل من القرآن الكريم وكذلك كفره وادعاءه الألوهية .

قال تعالى :

( وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي ) (٤) .

قال الشوكاني :

( تمسك اللعين بمجرد الدعوى الباطلة مغالطة لقومه منه وقد كيان يعلم أن ربه الله عز وجل ) (٥) .

جاء في البحر :

( ونفى فرعون علمه بإله غيره للملأ ويريد بذلك نفي وجوده أي مالكم من إله غيري ويجوز أن يكون غير معلوم عنده إله لهم ولكنه مظنون فيكون النفي على ظاهره ويدل على ذلك قوله وإنى لأظنه من الكاذبين وهو الكاذب في انتفاء علمه بإله غيره ) (٦) .

(١) القصص (٤) . (٢) الكشاف ١٦٤/٣ .

(٣) الجامع لاحكام القرآن للقرطبي ٢٤٨/١٣ .

(٤) القصص (٣٨) . (٥) فتح القدير ١٧٢/٤ .

(٦) البحر المحيط لأبي حيان ١٢٠/٧ .

هذا هو حال فرعون هذا الجبار المترف المستكبر عن عبادة الله  
ومنع قومه من أن يتخذوا إلها غيره .

وقد أرسل الله سبحانه وتعالى سيدنا موسى عليه السلام لدعوة  
فرعون إلى الإيمان بالله ، خالقه ، وخالق كل شيء .

قال تعالى :

( وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنِ اتَّبِعْ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ )<sup>(١)</sup>  
يذكر الله سبحانه وتعالى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بموسى عليه  
السلام حيث أرسله الله تعالى إلى فرعون وقومه يندرهم ويحذرهم عقاب  
الله إن لم يؤمنوا .

قال الزمخشري :

( سجل عليهم الظلم بأن قدم القوم الظالمين ثم عطفهم عليهم  
عطف البيان كأن معنى القوم الظالمين وترجمته قوم فرعون . وقصد  
استحقوا هذا الاسم من جهتين : من جهة ظلمهم أنفسهم بالكفر ، وشرارتهم  
ومن جهة ظلمهم لبني إسرائيل باستعبادهم لهم )<sup>(٢)</sup> .

وقد وقف فرعون من موسى عليه الصلاة والسلام موقف العناد والاستكبار  
رغم الآيات الظاهرة التي أيد الله بها نبيه موسى عليه الصلاة والسلام  
فلم يقتنع فرعون بمحاورة نبي الله موسى عليه السلام له بالدليل العقلي ،  
والمادي معا حيث سأل سؤال المترفين :

( وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ؟ ) .

قال تعالى :

( قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ )<sup>(٣)</sup> .

وهو لا يريد بهذا السؤال البحث عن الحقيقة وإنما يريد الاستكبار .

قال أبو حيان في البحر :

(١) الشعراء (١٠-١١) .

(٢) الكشاف ١٠٦/٣ نقل بتصريف .

(٣) الشعراء (٢٣) .



( أخذ فرعون يستفهم عن الذي ذكر موسى أنه رسول من عنده والظاهر أن سؤاله إنما كان على سبيل المباهة ، والمكابرة وكان عالماً بالله ويدل عليه : لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات والأرض بصائرها ولكنه تعامى عن ذلك طلباً للرياسة ، ودعوى الإلهية واستفهم ( بِمَآ ) استفهماً عن مجهول الأشياء<sup>(١)</sup> .

فرق به موسى عليه السلام ولم يلتفت لغروره كأسلوب من أساليب الدعوة إذ على الداعي ألا تخرجه أخلاق المدعين السيئة عن حلمه وورزانتسه فأجابه عليه السلام بما حكاه الله على لسانه :

( قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ )<sup>(٢)</sup> .

لأن السموات ، والأرض ، وما بينهما مخلوقات لم تخلق نفسها ولم يدع فرعون ولا أحد من قبله ولا من بعده القدرة على خلقها ، كما أن فرعون وقومه ممن بين السموات والأرض فهم لله مربوبون وحقه عليهم توحيدهم وإفراده بالعبادة ، لكن القلوب إذا خلت من اليقين أنكرت البدّهيات ولذا ختمت هذه الآية بقوله تعالى :

( إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ) .

جاء في الكشاف :

( فأجاب بما يستدل به عليه من أفعاله الخاصة ليعرفه أنه ليس بشيء مما شوهد وعرف من الأجرام ، والأعراض وأنه شيء مخالف لجميع الأشياء (ليس كمثل شيء) وإما أن يريد به أي شيء هو على الإطلاق فتفتيشاً عن حقيقة الخاصة ما هي ؟ فأجابه بأن الذي إليه سبيل وهو الكافي في معرفته معرفة ثباته بصفاته استدلالاً بأفعاله الخاصة على ذلك . وأما التفتيش عن حقيقة الخاصة التي هي فوق فطر العقول فتفتيش عمماً لاسبيل إليه ، والسائل عنه متعنت غير طالب للحق ، والذي يليق بحال فرعون ويدل عليه الكلام أن يكون سؤاله هذا إنكاراً لأن يكون للعالمين رب سواه لادعائه الإلهية<sup>(٣)</sup> .

(١) البحر المحيط ١٢/٧ . والآية من سورة الاسراء (١٠٢) .

(٢) الشعراء (٢٤) .

(٣) الكشاف للزمخشري ١٠٩/٣ .

وقد أثار هذا الاستدلال في نفس فرعون الغضب ، والكبر وكذلك المترفون في كل عصر فقال لمن حوله من قومه من الأتباع ، والأشراف ما حكاه الله تعالى :

( قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ )<sup>(١)</sup> .

أي ألا تستمعون لهذا القول العجيب في نظره من موسى عليه السلام والذي يطعن به موسى عليه السلام فرعون في صميمه لأنه أوهم قومه بأنه ربهم الأعلى فكيف يسلم لمجرد هذا الدليل بأنه مربوب ، وأنه مطالب بعبادة الله الواحد الأحد .  
قال أبو السعود :

( قال فرعون عند سماع جوابه عليه السلام خوفا من تأثيره في قلوب قومه وإذعانهم له وهم أشراف قومه مراثيا لهم أن ما سمعوه من جوابه عليه الصلاة والسلام مع كونه مما لا يليق بأن يعتد به أمر حقيق بأن يتعجب منه كأنه قال : ألا تستمعون ما يقوله فاستمعوه وتعجبوا منه حيث يدعى خلاف أمر محقق لا اشتباه فيه يريد ربوية نفسه ، قال ابن عباس رضي الله عنهما : كانوا - أي أشراف قوم فرعون خمسمائة عليهم الأساور وكانوا للملوك خاصة )<sup>(٢)</sup> .

ثم أخذ كعادة المترفين يطعن في شخص من يدعو بما لا يجعله مسموع الكلمة لأن آذان من حوله لو صغت إلى ما قاله موسى عليه السلام لتألبت عليه ، وخرجت عن طاعته ، فاتهم كلهم بالجنون .

قال تعالى :

( قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ )<sup>(٣)</sup> .

فقد أضاف رسالة موسى عليه السلام إلى من حوله مخرجا نفسه منهم لأنه أكبر من أن يرسل إليه رسول ، اتهمه بالجنون لأنه يعلم أن المجانين لا يعول على قولهم بحال .

(١) الشعراء (٢٥) .

(٢) أبو السعود ٢٣٩/٦ .

(٣) الشعراء (٢٧) .

وفرعون كغيره ممن سبقوه ومن لحقوه غاية ما يطعنون به الرسول  
السحر ، والجنون ، وقد زاد مشركو مكة على هذين الطعنين الشعر  
والكهانة ، بالنسبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم هروبا من تأثير  
القرآن فيهم .

وإنما فعل فرعون ذلك مع موسى عليه السلام لأن فرعون لما عجب  
من حوله من هذا الدليل الواضح قال نبي الله موسى عليه السلام  
لفرعون ولمن حوله :

( قَالَ رَبِّكُمْ رَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ) (١)

فلما اتهمه فرعون بالجنون لم يضق به كليم الرحمن بل قال ما حكاها  
الله عنه :

( قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ) (٢)

قال الزمخشري :

( إن قلت ذكر السموات ، والأرض وما بينهما قد استوعب به الخلائق  
كلها فما معنى ذكرهم وذكر آبائهم بعد ذلك وذكر المشرق والمغرب ؟  
قلت : قد عمم أولا ثم خصص من العام للبيان أنفسهم وآبائهم لأن أقرب  
المنظور من العاقل نفسه ومن ولد منه وما شاهد وعان من الدلائل  
على الصانع والناقل من هيئة إلى هيئة وحال إلى حال من وقت ميلاده ،  
إلى وقت وفاته ثم خصص المشرق ، والمغرب لأن طلوع الشمس من أحد  
الخافتين وغروبها من الآخر . على تقدير مستقيم في فصول السنة وحساب  
مستو ، من أظهر ما استدل به ولظهوره انتقل إلى الاحتجاج به خليل  
الله عن الاحتجاج بالإحياء والإيماءة على نمرود بن كنعان ) (٣)

وزاد النسفي :

( وقيل سأله فرعون عن الماهية جاهلا عن حقيقة سؤاله فلما أجاب  
موسى بحقيقة الجواب وقع عنده أن موسى حاد عن الجواب حيث سأله  
عن الماهية وهو يجيب عن ربوبيته وآثار صنعه فقال معجبا لهم من جواب

(١) الشعراء ( ٢٦ ) .

(٢) الشعراء ( ٢٨ ) .

(٣) الكشاف ( ٣ / ١١٠ ) .

موسى ألا تستمعون ، فساد موسى إلى مثل قوله الأول فجنه فرعون زاعما أنه حاد عن الجواب فعاد ثالثا إلى مثل كلامه الأول مبينا أن الفسرد الحقيقي إنما يعرف بالصفات وأن السؤال عن الماهية محال وإليه الإشارة في قوله تعالى : ( إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ) (١) أى إن كان لكم عقل علمكم أنه لا يمكن معرفته إلا بهذا الطريق .

وكعادة المترفين مع كل الأنبياء الاستكبار ، والتعالي والطاغية فرعون وملؤه رمز للمترفين الصادين لدعوات الرسل فهم أولا يرمون الرسل بالجنون ، والسحر ، ثم عندما لم يجد معهم ذلك ، يتخذون أسلوب التهديد ، والتعذيب فهي عادات المترفين يتوارثونها جيلا بعد جيل .

وهكذا فرعون المترف المستكبر لما رأى أن كليم الرحمن لن يتزحزح عن دعوته بسخرية ولا بطعن . سلك أسلوب التهديد فخاطب موسى عليه السلام مخاطبة المستكبرين المتجبرين بما حكاه الله تعالى في قوله : ( قَالَ لِيْنِ اتَّخَذَتِ الْهَأْ غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ) (٢) .

قال أبو السعود :

( اللام في المسجونين للعهد أى لأجعلنك ممن عرفت أحوالهم في سجوني حيث كان يطرحهم في هوة عميقة حتى يموتوا ولذلك لم يقل لأسجننك ) (٣) .

إن موسى عليه السلام من أولى العزم من الرسل جاهد جهادا مضنيا وصبر صبورا جميلا على أذى فرعون وجبروته ، ومع أن فرعون هددته بالسجن إلا أن موسى عليه السلام لم ييأس ولم يخف ، والله سبحانه وتعالى يؤيد رسله بالمعجزات لتكون دليلا على قدرته من جهة وعلى صدق رساله من جهة أخرى .

قال تعالى حاكيا قول موسى : ( أَوْلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ ) (٤) .

(١) تفسير النسفي ١٨٢/٣ .

(٢) الشعراء ( ٢٩ ) .

(٣) تفسير أبو السعود ٢٤١/٦ .

(٤) الشعراء ( ٣٠ ) .

والمعنى ( قال على جهة التلطف به والطمع في إيمانه أتفعل ذلك - أي أتسجننى ولو جئتك بشئ مبین أي موضح لصدق دعواه يريد به المعجزة فإنها جامعة بين الدلالة على وجود الصانع وحكمته وبين الدلالة على صدق دعوى من ظهرت على يده والتعبير عنها بشئ للتهويل ، ولو للبيان تحقيق ما يفيد الكلام السابق من الحكم على كل حال مفروض من الأحوال المقارنة له على الإجمال بإدخالها على أبعد ما منه وأشد ما منافاة له ليظهر تحققه مع ما عداه من الأحوال بطريق الألوويه - أي أتفعل فسى ذلك حال عدم مجيئي بشئ مبین وحال مجيئي به وتصدير المجيء بـ (١) دون إن ليس لبيان استبعاده في نفسه بل بالنسبة إلى فرعون ) .

ويوافق فرعون موسى أن يأتيه بالآية .  
 ( قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ . فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ ) (٣) .

" اتهم موسى عليه السلام بالسحر " .

فزع فرعون لما رأى معجزات موسى عليه السلام وبدلا من أن يؤمن بالله موسى الذي اتضحت عظمته ، وقدرته اتهم موسى بأنه ساحر ماهر .

قال تعالى :

( قَالَ لِلْمَلَأِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ) (٣) .

قال أبو السعود :

( بهره سلطان المعجزة ، وحيره حتى حطه عن ذروة ادعاء الربوبية إلى حضيض الخضوع لعبيده في زعمه والامتنال بأمرهم أو إلى مقام مؤامرتهم ومشاورتهم بعد ما كان مستقلا في الرأي والتدبير وأظهر استشعار الخوف من استيلائه على ملكه ونسبة الإخراج عن الأرض إليهم

(١) روح المعاني ١٩ / ٧٤ بتصرف .

(٢) الشعراء ( ٣١ - ٣٣ ) .

(٣) الشعراء ( ٣٤ - ٣٥ ) .

لتنفيرهم من موسى عليه السلام (١) .

قال الفخر الرازي :

( أراد فرعون تعمية هذه الحجة على قومه فذكر فيها أحوالا ثلاثة :  
أحدها : قوله ( إِنْ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ )  
إِنَّ الزمان كان زمان السحرة وكان عند كثير منهم أَنَّ الساحر قد يجوز  
أن ينتهي بسحره إلى هذا الحد فلهذا روج عليهم هذا القول .

وثانيها : قوله ( يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ ) وهذا يجري  
مجري التنفير عنه لئلا يقبلوا قوله ، والمعنى يريد أن يخرجكم من أرضكم  
بما يلقيه بينكم من العداوات فيفرق جمعكم ومعلوم أن مفارقة الوطن  
أصعب الأمور فنفرهم عنه بذلك وهذا نهاية ما يفعله المبطل في التنفير  
عن المحق .

وثالثها : قوله لهم ( فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ) أي فما رأيكم فيه وما الذي  
أعمله ، يظهر من نفسه أنني متبع لرأيكم ومنقاد لقولكم ومثل هذا الكلام  
يوجب جذب القلوب وانصرافها عن العدو (٢) .

فلما لجأ فرعون إلى مشورة من حوله من الملائكة أشاروا عليه أن يمهلهم  
وأخاه ولا يعرض لهما بأذى وأمروه أن يبعث في المدائن حاشرين يجمعون  
له السحرة من كل مكان على عجل ليناثوا بسحرهم معجزة موسى عليه  
السلام التي ظنها الملائكة سحرا .

قال تعالى :

( قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ ) أي أمهلهم ولا تعاقبهما .  
( وَأَبْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ يَا تُوَكُّ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ) (٣)

وقد تولت سورة طه موعد لقاء موسى بالسحرة بتفصيل يلزم ذكره هنا .

(١) تفسير أبي السعود ٢٤١/٦ .

(٢) التفسير الكبير للرازي ١٣٢/٢٤ .

(٣) الشعراء (٣٦-٣٧) .

قال تعالى :

( قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَىٰ ، فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِ فَأَجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلَفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى ، قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى ، فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَىٰ ) قَالَ لَهُمْ مُوسَىٰ وَيَلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَيَّ اللَّهُ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنْ افْتَرَىٰ (٢) .

يقول ابن كثير :

( يقول تعالى مخبرا عن فرعون أنه قال لموسى حين أراه الآية الكبرى وهي إلقاء عصاه فصارت شعبانا عظيما ونزع يده من تحت جناحه فخرجت بيضاء من غير سوء ، فقال هذا سحر جئت به لتسحرنا وتستولى به على الناس فيتبعوك ، وتكاثرنا بهم ولا يتم هذا معك فإن عندنا سحرا مثل سحرك فلا يغررك ما أنت فيه ( فَأَجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا ) أي يوما نجتمع نحن وأنت فيه فنعارض ما جئت به بما عندنا من سحر في مكان معين ، ووقت معين فعند ذلك ( قَالَ ) لهم موسى ( مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ ) وهو يوم عيدهم ، وتفرغهم من أعمالهم واجتماع جميعهم ليشاهد الناس قدرة الله على ما يشاء ويروا معجزات الأنبياء وبطلان معارضة السحر لخوارق العادات النبوية ولهذا قال ( وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ) أي جميعهم ( ضُحًى ) أي ضحوة من النهار ليكون أظهر وأجلى وأبين وأوضح . وهكذا شأن الأنبياء كل أمرهم بين واضح وليس فيه خفاء ولا ترويح ، ولهذا لم يقل ليلا ولكن نهارا ضحى . قال ابن عباس :

وكان يوم الزينة يوم عاشوراء . وقال السدى ، وقتاده وابن زيد :

كان يوم عيدهم .

عندئذ شرع فرعون في جمع السحرة من مدائن مملكته كل من ينسب إلى السحر في ذلك الزمان ، وقد كان السحر فيهم كثيرا ناقصا جدا كما قال تعالى :

(١) لا نخلفه نحن ولا أنت مكانا سوى : أي لا نخلف ذلك الوعد لا من

جهتنا ولا من جهتك ويكون بمكان معين ووقت معين .

(٢) طه ( ٥٧ - ٦١ ) .

( وَقَالَ فِرْعَوْنُ أَتَأْتُونِي بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ ) ثم أتى أي اجتمع الناس لميقات يوم معلوم وهو يوم الزينة . و جلس فرعون على سرير مملكته واصطف له أكابر دولته ووقفت الرعايا يمنا ، وبسرة وأقبل موسى عليه الصلاة والسلام متوكئا على عصاه ومعه أخوه هارون ووقفت السحرة بين يدي فرعون صفوفاً وهو يحرضهم ويحثهم ويرغبهم في إجادة عملهم في ذلك اليوم ويتمنون عليه وهو يعدهم ويمنيهم يقولون ( أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ) ( قَالَ لَهُمْ وَيَلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ) أي لا تخيلوا للناس بأعمالكم إجاداً أشياء لا حقائق لها وأنهما مخلوقة وليست مخلوقة فتكونوا قد كذبتم على الله ( فيسحتكم بعذابٍ ) أي يهلككم بعقوبة هلاكا لا بقية له (١) .

هزتهم موعظة موسى عليه السلام هذا أدى بهم إلى أن يتنازعوا أمرهم بينهم وخافوا أن يطلع موسى على خلافهم ، فتناجوا بما يفعلونه معه ولكن الباطل قد غلب عليهم فأصروا على أنه وأخاه ساحران يريدان أن يخرجاكم من أرضكم بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى وهى تفوقه عليكم في هذا الباب ، وقد نصحهم فرعون بذلك استشارة لهم وصرفا لهم عن هذا التنازع وأمرهم أن يأتوا بأقصى ما عندهم من حيل السحر ومكايده وأن يكونوا صفا واحدا لأن الفلاح لمن استعلى وأظهر صدقه في هذا اليوم . قال تعالى :

( فَتَنَّا زُجْرًا وَأَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسْرُوا النَّجْوَى ، قَالُوا إِنْ هَذَا إِلَّا لَسِحْرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى فَأَجْمَعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ أَتَوُا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنْ اسْتَعْلَى ) (٢) .

قال الزمخشري :

( والظاهر أنهم تشارروا في السحر ، وتجادبوا أهداب القول ثم قالوا : إن هذان لساحران ، فكانت نجواهم في تلفيق هذا الكلام وتزويره خوفا من غلبتهما ، وتشبيطا للناس عن اتباعهما ) (٣) .

(١) تفسير ابن كثير ١٥٧/٣ - ١٥٨ .

(٢) طه (٦٢-٦٤) .

(٣) الكشاف ٥٤٣/٢ .



( يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثَلَّى  
فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ آتُوا صَفًا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنْ أَسْتَعْلَى ) .

قال أبو السعود :

( يريدان إخراجكم من أرض مصر بالاستيلاء عليها بسحرهما الذي  
أظهراه من قبل ويذهبا بمذهبكم الذي هو أفضل المذاهب وأمثلها  
بإظهار مذهبهما وإعلاء دينهما يريدون به ما كان عليه قوم فرعون لا طريقة  
السحر فإنهم ما كانوا يعتقدونه ديناً ، ولذا كان الأمر كما ذكر من كونهما  
ساحرين يريدان بكم ما ذكر من الإخراج ، والإذهاب فآزمعوا كيدكم  
واجعلوه مجمعا عليه ، بحيث لا يتخلف عنه واحد منكم ، وارموا عن قوس واحدة  
وقرئ ( فَأَجْمِعُوا ، من الجمع ويعضده قوله تعالى : " فجمع كيده " )  
أي فآزمعوا أدوات سحركم ورتبوها كما ينبغي ( ثُمَّ آتُوا صَفًا ) أي مصطفىين  
أمروا بذلك لأنه أهيأ في صدور الرائيين وأدخل في استجلاب الرهبة  
من المشاهدين ) .<sup>(١)</sup>

" لقاء موسى عليه السلام والسحره عند فرعون " :

ثم أعود مرة أخرى إلى سورة الشعراء لأكمل ما جرى بين السحرة  
وموسى عليه السلام .

اجتهد فرعون في حمل الناس على حضور الموعد المضروب بينه وبين  
موسى عليه الصلاة والسلام إلى حد أن هذا الحدث شغل أذهان  
قوم فرعون جميعهم ، فكان الواحد منهم يستحث صاحبه بأسلوب استفهامي  
يقصد منه حمل المدعو على حضوره مبينا له أهميته هذا الحضور باتباع  
السحرة باعتبارهم منهم إن كانوا هم الغالبين .

قال تعالى :

( فَجَمَعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ ، وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ  
لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمْ الْغَالِبِينَ ) .<sup>(٢)</sup>

(١) أبو السعود ٢٥/٦ - ٢٦ .

(٢) الشعراء ( ٣٧ - ٤٠ ) .

وتأمل معنى كلمة (لَعَلَّ) وكلمة (إِنْ) فإنهما تعنيان عن تشككك الناس في انتصار السحرة على نبي الله موسى عليه السلام وتشككات في أن يكون الغلب للسحرة ، لأن معجزة موسى عليه السلام قد قلبت نفوس قوم فرعون إلى حد أنهم استبعدوا أن تكون هذه المعجزة من السحر المتعلم .

وقد بينت سورة الأعراف أن السحرة خيروا موسى عليه السلام أن يبدأ هو بالقاء عصاه ، أو يبدأوا هم بالقاء سحرهم .

قال تعالى :

( قَالُوا يَنْمُوسَىٰ إِنَّآ أَنَا نَحْنُ الْمَلِئِينَ <sup>(١)</sup> ) .

وهذا التخيير يدل على اهتزاز السحرة واستشعارهم العجز مسبقاً عن مقابلة تلك المعجزة بسحرهم .

قال النفسى :

( تخييرهم إياه أدب حسن راعوه معه كما يفعل المتناظرون قبيل أن يتحاوروا الجدال وقد سوغ لهم موسى عليه السلام ما رغبوا فيــــه ازدياء بشأنهم وقلة مبالاة بهم واعتمادا على أن المعجزة لن يغلبها سحر أبدا <sup>(٢)</sup> ) .

وقد بين الله تعالى في سورة الأعراف فظاعة ما أتوا به من سحر أشرفى أعين الناس ، وملاهم رهبة كما وصفه الله بالعظمة ، وشدة التأثير ، ولرئــــما أراد الله ذلك لتأثير معجزة موسى عليه السلام على هذا السحر العظيم فلا تبقى له أثرا فينمحق الباطل ويزهق ويعلو الحق ويثبت .

قال تعالى :

( قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا <sup>(٣)</sup>

بِسِحْرِ عَظِيمٍ ) .

(١) الأعراف (١١٥) .

(٢) تفسير النفسى ٦٩/٢ .

(٣) الأعراف (١١٦) .

## ذكر أبو حيان :

( وصف السحر بعظيم لقوة ما خيل ، أو لكثرة آلاته من الحبال  
والعصى روى أنهم جاءوا بحبال من آدم وأخشاب مجوفة مملوءة زيبقا  
وأوقدوا في الوادي نارا فحميت بالنار من تحت وبالشمس من فوق فتحركت  
وركب بعضها بعضا <sup>(١)</sup> ) .

قال ابن اسحق :

( صف خمسة عشر ألف ساحر مع كل ساحر حباله ، وعصيه وفرعون  
في مجلسه مع أشرف مملكته فكان أول ما اختطفوا بسحرهم بصر موسى عليه  
السلام وبصر فرعون ثم أبصار الناس بعد ثم ألقى كل رجل منهم ما في يده  
من العصي ، والحبال فإذا هي حيات كأمثال الجبال قد ملأت الوادي يركب  
بعضها بعضا <sup>(٢)</sup> ) .

قال تعالى :

( وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ <sup>(٣)</sup> ) .

قال أبو السعود :

( ألقاها فصارت حية فإذا هي الآية وإنما حذف للإشعار بمسارعة  
موسى عليه السلام إلى الإلقاء وبغاية سرعة الانقلاب كأن لقفها لمسا  
يا فكون قد حصل متصلا بالأمر بالإلقاء . وصيغة المضارع لاستحضار صورة  
اللقف الهائلة ، والإفك الصرف والقلب عن الوجه المعتاد وما موصوله  
أو موصوفه والعائد محذوف أي ما يأفكونه ، ويزوزونه ، وروى إنها لمسا  
تلقت ملء الوادي من الخشب والحبال ورفعها موسى فرجعت عصا كما  
كانت وأعدم الله تعالى بقدرته الباهرة تلك الأجرام العظام أو فرقها  
أجزاء لطيفة ، قالت السحرة لو كان هذا سحر لبقيت حبالنا وعصينا <sup>(٤)</sup> ) .

( فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ، فَغَلَبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا <sup>(٥)</sup>

صَافِرِينَ ) .

(١) البحر المحيط لأبي حيان ٣٦٢/٤ .

(٢) الطبری ٢٨/١٣ .

(٣) الاعراف ( ١١٧ ) .

(٤) تفسير أبي السعود ٢٦٠/٣ . (٥) الاعراف ( ١١٨-١١٩ ) .

قال الرازي :

( قال أهل المعاني : الوقوع ظهور الشيء بوجوده نازلا إلى مستقره  
وسبب هذا الظهور أن السحرة قالوا : لو كان ما صنع موسى سحرا  
لبقيت حبالنا وعصينا ولم تفقد ، فلما فقدت ثبت أن ذلك إنما حصل بخلق  
الله سبحانه وتعالى وتقديره ، لا لأجل السحر فهذا هو الذي لأجله  
تميز المعجز عن السحر : قال القاضي :  
قوله : ( فَوَقَعَ الْحَقُّ ) يفيد قوة الثبوت وظهوره بحيث لا يصح  
فيه البطلان كما لا يصح في الواقع أن يصير لا واقعا .

والمراد أن مع ثبوت هذا الحق زالت الأعيان التي أفكوها وهي  
تلك الحبال ، والعصي ، فعند ذلك ظهرت الغلبة ولهذا قال تعالى :  
( فَغَلَبُوا هُنَاكَ ) لأنه لا غلبة أظهر من ذلك ( وَأَنْقَلَبُوا صَاعِرِينَ )  
لأنه لا ذل ولا صغار أعظم في حق المبطل من ظهور بطلان قول  
وحجته ، على وجه لا يمكن فيه حيلة ولا شبهة أصلا (١) .

عند ذلك ما كان من السحرة إلا أن سلموا بأن ما جاء به موسى هو  
من عند رب الأرباب فخروا سجدا .

قال تعالى :

( وَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَجْدِينَ ) (٢)

قال الألوسي :

( المراد من ( أَلْقَى السَّحَرَةَ ) أنهم خروا ساجدين وعبر بذلك دونه  
تنبيهها على أن الحق بهرهم واضطرهم إلى السجود بحيث لم يبق لهم  
تمالك فكأن أحدا دفعهم وألقاهم أو أن الله تعالى ألهمهم ذلك وحملهم  
عليه فالملقى هو الله تعالى بإلهامه لهم حتى ينكسر فرعون بالذي  
أراد بهم كسر موسى عليه السلام وينقلب الأمر عليه (٣) .

( قَالَوَأَمَّا رَبُّ الْعَالَمِينَ ، رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ) (٤)

(١) التفسير الكبير ١٤ / ٢١٣ - ٢١٤ .

(٢) الاعراف ( ١٢٠ ) .

(٣) روح المعاني ٩ / ٢٦ .

(٤) الاعراف ( ١٢١ - ١٢٢ ) .

أعلن السحرة إيمانهم بما لك أمرهم ، والمتصرف فيهم وهو رب العالمين  
رب موسى وهارون .

وحين علم فرعون أن موسى عليه السلام أعجزه أراد أن يخفي هزيمته  
ويستعيد هيئته وأنكر على السحرة كيف يؤمنون بموسى عليه السلام من  
غير أن يسمح لهم بذلك وادعى أن هذه حيلة بين موسى عليه السلام والسحرة  
ليخرجوا أهل مصر من أرضهم .

قال تعالى :

( قَالَ فِرْعَوْنُ ، أَمْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ أَدْنَى لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكْرَتُمُوهُ  
فِي الْمَدِينَةِ لَتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ) (١) .

قال أبو السعود :

( وهاتان شبهتان ألقاهما إلى أسماع عوام القبط عند معاينتهم  
لارتفاع أعلام المعجزة ومشاهدتهم لخضوع أعتاق السحرة لها وعدم  
تما لكهم في أن يؤمنوا بها ليمنعهم بهما عن الإيمان بنبوة موسى عليه السلام  
بإراءة أن إيمان السحرة مبني على المواضعة بينهم وبين موسى عليه السلام  
وأن غرضهم بذلك إخراج القوم من المدينة ، وإبطال ملكهم ، ومعلوم  
أن مفا رقة الأوطان المألوفة والنعمة المعروفة مما لا يطاق . فجمع  
اللعين بين الشبهتين تثبيتا للقبط على ما هم عليه وتتهيجا لعداوتهم  
له عليه الصلاة والسلام ثم عقبهما بالوعيد ليريبهم أن له قوة وقدرة على  
المدافعة فقال :

( فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ) : أي عاقبة ما فعلتم (٢) .

وكعادة الجبابرة الطغاة الذين يتعاصون عن رؤية الحقائق  
وتصديقها فيلجأون إلى العقاب والتعذيب لمن ترك الانقياد لهم .

" تهديد فرعون للسحرة " :

أخذ فرعون يهدد السحرة بتقطيع أيديهم ، وأرجلهم من خلاف

(١) الاعراف (١٢٣) .

(٢) أبو السعود ٢٦١/٣ .

وتصليبهم في جذوع النخل إن هم بقوا على دين موسى عليه السلام ولم يعلنوا البراءة منه .

قال تعالى حاكيا قوله :

( لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ ثُمَّ لَأَضِلَّيَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ) (١)

وبنظرة تأملية في هذه الآية نجد أنها استخدمت أسلوب القسم فـي الوعيدين للدلالة على أن فرعون فقد صوابه إذ ليس من المألوف من الملوك إذا أرادوا إنزال عقوبة بأحد من رعاياهم أن يواجهوه بمثل هذا التهديد لأن ذلك لا يتفق مع سلطانهم .

فاللام في قوله تعالى : ( لَأَقْطَعَنَّ ) هي الموطئة للقسم وجملتها ( لَأَقْطَعَنَّ ) هي جواب القسم ، وقد جاء الجواب مؤكدا بنون التوكيد الثقيلة برها نا على ما قررته من قبل . وكذلك اللام والنون في قوله تعالى : ( ثُمَّ لَأَضِلَّيَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ) .

وقد اختار اللعين هذا الأسلوب من التهديد لعلمه بحرص الإنسان على أطرافه وأنه لا يخاطر بضياعها ، كما أن تقطيع الأيدي والأرجل من خلاف من شأنه أن يبطل حركة المقطوع فإذا ما صلب بعد ذلك على جذوع النخل كما ذكرته سورة طه مات موتا بطيئا . لأنه أصبح عاجزا عن إبداء حركة ما بعد هذا القطع ، تخلصه من هذا الصلب .

وقد أمل فرعون بهذا التهديد الذي لم يسبقه غيره من الظلمة أن ينصرف السحرة عن الدين الحق ليرفعوا عنه هذا الخذلان ، وتلك المهانة ، لكن إيمان السحرة كان أكبر من تهديده ، فقالوا ما حکاه الله عنهم :

( قَالُوا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ) (٢)

(١) الاعراف (١٢٤) .

(٢) الاعراف (١٢٥) .

أي إنك هددتنا بالموت الذي هو نهايتنا ونهايتك فنحن إليهم  
صائرون آمناء ، أو لم نؤمن ، فأحق وأولى ما نسير به إليه ما جاءنا من الهدى  
من عند ربنا .

ويجوز أن يكون المعنى إنا وأنت منقلبون إلى ربنا فيثبتنا على  
إيماننا ، وينزل بك على ما فعله بنا أشد العقاب فلا نبالي بما  
فعله بنا ، ولن نؤثرك على ما جاءنا من البينات .

قال تعالى في سورة طه : ( قَالُوا ) : أي السحرة المؤمنون : ( لَنْ  
نُؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ ) أي لن نفضلك ( وَالَّذِي فَطَرَنَا ) أي —  
والله الذي فطرنا وخلقنا لا أنت فهمما هددتنا فلن نلتفت لذلك .  
( فَأَقْضِي مَا أَنْتَ قَاضٍ ) .

ثم بينوا له تفاهة ما يهددهم به وأنه في جنب الدار الآخرة  
التي هي الحيوان شيء يسير لا تحرص عليه قلوب المؤمنين . إذا تعارض  
مع إيمانهم ، وعقيدتهم ( إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ) ( إِنَّا ءَامَنَّا  
بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَنَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ) .

وهذا يدلنا على أن السحرة كانوا يفعلون السحر قبل هدايتهم  
مكرهين لأن السحر من آثاره خفة شخصية الساحر ، واضطرابه في أقواله  
وأفعاله ، وإصابته بالعمى في آخر حياته غالباً ( وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ )  
لأن عنده من الرحمة والنعيم ما لا تملكه ولأنه الحي الباقي الحقيقي بأن  
يعبد والحقيق بأن تبذل في سبيل مرضاته المهج والأرواح ، ولمعاننا  
من السحرة في التواضع ونكران الذات وإن صبرهم على هذا البلاء  
فيض من الله عليهم ما كان لهم أن يحصلوه بأنفسهم لولا توفيق الله ،  
واستشعارا منهم بفداحة ما سيلقى عليهم من عقاب طلبوا من ربهم  
أن يفرغ عليهم صبرا عظيما يهون عليهم هذا البلاء قال تعالى في  
سورة الأعراف :

( وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ ءَامَنَّا بِمَا نَزَّلَتْ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَنَا ) (٢) .

(١) طه ( ٧٢ - ٧٣ ) .

(٢) الأعراف ( ١٢٦ ) .

وهذا في حقيقته يدعو إلى اِكْبَارنا واحترامنا لكن أهل الترف والفجور والكفر بالواحد يقلبون الحقائق ويلبسون الحق ثوب الباطل وقد ختمت هذه الآية بقوله تعالى :-

( رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ) أي ثبتنا على ما هديتنا إليه ، ولا تردنا إلى دين فرعون وقومه ، ولقد أصاب هذا الرد قلب فرعون وعقله ففت في عضده وخلخل إصراره على هذا التهديد ، لكن ملأه أهل النفاق والضلالة حاولوا أن يستنهضوا همته لتنفيذ ما هدد به ، وآفة الحكام في كل عصر بطانة السوء التي تلوذ بهم وتسخرهم للإفساد في الأرض ومحاربة أهل التوحيد ، قال تعالى :

( وَقَالَ الْمَلَأُ مِنَ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَدْرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ لِيَفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتِكَ ، قَالَ سَنَقْتِلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ ) (١)

ويتبادر لنا في هذا المقام سؤال ، فكيف يقول ملأ فرعون له ويذرك وآلهتك وكان فرعون يقول ( أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى ) (وما علمت لكم من إله غيري ) .

قال الرازي :

( وأما قوله ( وَآلِهَتِكَ ) قال أبو بكر الأنباري : كان ابن عمر رضى الله عنهما ينكر قراءة العامة ويقرأ : ( إلهتك ) أي عبادتك ، ويقول إن فرعون كان يعبد ولا يعبد . قال ابن عباس :

أما قراءة العامة ( وآلهتك ) فالمراد جمع إله وعلى هذا التقدير : فقد اختلفوا فيه ف قيل : إن فرعون كان قد وضع لقومه أصناما صغارا وأمرهم بعبادتها وقال : ( أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى ) .

وقال الحسن : كان فرعون يعبد الاصنام .

وأقول : الذي يخطر ببالي أن فرعون إن قلنا : إنه ما كان كامل العقل لم يجز في حكمة الله تعالى إرسال الرسول إليه ، وإن كان عاقلا لم يجز أن يعتقد في نفسه كونه خالقا للسماوات والأرض ، ولم يجز في الجمع العظيم من العقلاء أن يعتقدوا فيه ذلك لأن فساده معلوم بضرورة العقل بل الأقرب أن يقال : إنه كان دهريا ينكر وجود الصانع ، وكان يقول مدبر هذا العالم السفلي هو الكواكب ، وأما المجدى في هذا العالم للخلق ،



ولتلك الطائفة والمربي لهم فهو نفسه ، فقلوه : ( أنا ربكم الأعلى )  
 أي مربيكم والمنعم عليكم والمطعم لكم . وقلوه : ( ما علمت لكم من إله غيري )  
 أي لا أعلم لكم أحدا يجب عليكم عبادته إلا أنا . وإذا كان مذهبه ذلك لم  
 يبعد أن يقال إنه كان قد اتخذ أصناما على صور الكواكب ، ويعبدها ويتقرب  
 إليها على ما هو دين عبدة الكواكب . وعلى هذا التقدير : فلا امتناع  
 في حمل قوله تعالى : ( وَيَذَرَكُ وَالْهَتَكَ ) على ظاهره (١) .

ولم يستطع فرعون أن يعجل العقاب لموسى عليه السلام ومن آمن  
 معه لأن ما أتى به موسى من المعجزة كما أسلفت قد حجب فريقا من قومه  
 إلى الايمان ، وأصاب فرعون ومن بقى معه على الكفر حيرة شديدة وبلاء  
 عظيم اضطر معهما فرعون إلى تأجيل العقاب لأنه رأى التعجيل به قد  
 يهيج عليه نفوس من بقى معه لقوة معجزة موسى عليه السلام كما قلت أكثر  
 من مرة فأخذ يورد الشبهة تلو الشبهة التي يحاول بها نفي أن يكون هنالك  
 إله غيره لأنه علم ممن معه التزعزع والتحير .

وتصور آية من سوره القصص ذلك فيقول الله تعالى ، ما حكاه عنه :  
 ( وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي  
 يَهُنَّ عَلَى الطِّينِ فَأَجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي  
 لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ ) (٢)

ظن فرعون بقصر عقله أن إله موسى لا بد وأن يعاين وأن يوصل إليه  
 وإلا لا يكون إلهها ، فكلف وزيره أن يطبخ له الحجارة ليبنى له صرحا عاليا  
 يبلغ به أسباب السماء .

وقد كررت قصة أمر فرعون لوزيره هامان ببناء الصرح في سوره غافر  
 حيث قال تعالى :

( وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هُنَّ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ،  
 (٣) (٤) أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِفِرْعَوْنَ

(١) التفسير الكبير ١٤ / ٢٢٠ .

(٢) القصص ( ٣٨ ) .

(٣) الصرح : البناء الظاهر الذي لا يخفى على الناظر وان بعد .

(٤) المراد بأسباب السموات طرقها وابوابها وما يؤدي إليها ، وكل  
 ما أداك إلى شيء فهو سبب كالرشاد ونحوه .

سُوِّ عَمَلِهِ وَصَدَّ عَنِ السَّبِيلِ ، وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ (١) (٢) .

قال الفخر الرازي :

( والذي عندي في تفسير هذه الآية أن فرعون كان من الدهرية وغرضه من ذكر هذا الكلام إيراد شبهة في نفي الصانع ، وتقديره أنه قال : إنا لا نرى شيئا نحكم عليه بأنه إله العالم فلم يجز إثبات هـذا الإله ، أما إنه لا نراه فلأنه لو كان موجودا لكان في السماء ونحن لا سبيل لنا إلى صعود السموات فكيف يمكننا أن نراه ، ثم إنه لا يمكنه صعود السموات ( قَالَ يَا هَامَانَ ابْنِ لِي صِرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ) والمقصود أنه لما عرف كل أحد أن هذا الطريق ممتنع كان الوصول إلى معرفة وجود الله بطريق الحس ممتنعا ، ونظيره قوله تعالى : ( فَإِنْ أَسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ ) (٣) . وليس المراد منه أن محمدا صلى الله عليه وسلم طلب نفقا في الأرض أو وضع سلما إلى السماء بسبل المعنى أنه لما عرف أن هذا المعنى ممتنع فقد عرف أنه لا سبيل لك إلى حصول ذلك المقصود ، فكذا ههنا غرض فرعون من قوله :

( يَا هَامَانَ ابْنِ لِي صِرْحًا ) يعنى أن الاطلاع على إله موسى عليه السلام لما كان لا سبيل إليه إلا بهذا الطريق وكان هذا الطريق ممتنعا ، فحينئذ يظهر منه أنه لا سبيل إلى معرفة الإله الذي يثبته موسى فنقول هذا ماحصلته في هذا الباب . وأعلم أن هذه الشبهة فاسدة لأن طرق العلم ثلاثة : الحس ، والخبر ، والنظر ، ولا يلزم من انتفاء طريق واحد وهو الحس انتفاء المطلوب . وبذلك لأن موسى عليه السلام كان قد بين لفرعون أن الطريق في معرفة الله تعالى إنما هو الحجة ، والدليل كما قال : ( رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ) إلا أن فرعون لخبثه ، ومكره تغافل عن ذلك الدليل ، واللقى إلى الجهال أنه لما كان لا طريق إلى الاحساس بهذا الإله وجب نفيه (٤) .

والإمام لا يريد أن الصرح لم يبين وإنما أراد أن يبين أن فرعون سلك طريقا تعجيزيا في نظره ، ليصرف قوم فرعون عن مطاوعة موسى عليه السلام . وقد ذكر الطبري في تفسيره أن هامان بنى له الصرح كما طلب وذكر ذلك غيره أيضا من المفسرين :

(١) تباب : الهلاك والخسران . (٢) غافر ( ٣٦ - ٣٧ ) .

(٣) الانعام ( ٣٥ ) .

(٤) التفسير الكبير للرازي ٦٦/٢٧ .

قال الطبرى :

( فكان من قصته ، وقصة ارتقائه ، ما حدثنا موسى قال : ثنا عمرو  
قال ثنا أسباط عن السدى قال : ( قال فرعون لقومه يا أيُّها الملأُ ما  
علمتُ لكم من إله غيري فأوقد لي ياها مانُّ على الطين فأجعل لي صرحاً ،  
لعلِّي أذهب في السماء فأنظر إلى إله موسى ، فلما بنى له الصرح ارتقى  
فوقه فأمر بنشابة فرمى بها نحو السماء ، فردت إليه وهي متلخطة دما فقال  
قد قتلت إله موسى ، تعالى الله عما يقولون )<sup>(١)</sup> .

—————

---

(١) الطبرى ٢٠ / ٧٨ .

” موقف المترفين من توحيد الله تعالى على لسان محمد صلى ”

” الله عليه وسالم ”

XXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXX

كل رسول من الرسل قبل محمد صلوات الله وسلامه عليه وعليهم  
أجمعين أرسل لأمة معينة في أوقات معينة . وكلهم دعوتهم واحدة هي  
أن لا إله إلا الله .

على أن خاتم الرسل والنبين سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم  
لم تكن رسالته لقومه وزمانه فقط . بل هي الرسالة الخالدة لكل الناس  
ولكل الأزمان حتى يرث الله الأرض ومن عليها .

وغني عن التعريف شمول شريعتنا الغراء وصلاحياتها لكل العصور  
وقاعدة ديننا الحنيف ، وعنوانه هو ، توحيد الله سبحانه وتعالى وشعار  
ديننا أن لا إله إلا الله ، ولا يؤمن من لم يقرب هذه القاعدة التي تقوم عليها  
أصول الدين وفروعه .

ولا يخفى على أحد مجاهدة نبينا صلى الله عليه وسلم وصبره وتحمله  
الأذى في سبيل نشرها وما لاقى من المشقة من صناديد قريش ومترفيهم .

وقد أنزل الله سبحانه وتعالى الآيات الكثيرة التي تدل على وحدانية  
الله والتي نجابه بها المنكرين للوحدانية في كل زمان ومكان ، على  
أن الذين عميت قلوبهم عن معرفة الحق ماتوا وهم بها كافرون ، أما من  
شرح الله صدره للإيمان فقد ملأت وجدانهم ونورت لهم طريق النور  
والهداية .

ومعروف أن قريشا كانت تعبد الأصنام ولا تعتقد بأن هناك إلهاً  
واحداً له التصرف المطلق في ملكه ، وأنه أوجده وهو الذي يجب إفراده  
بالعبادة ، وأنه لا يصح أن تكون له تماثيل في الأرض هي الأصنام . . وقد  
رسخت هذه العقيدة في قلوبهم رسوخاً جعلهم يعجبون من سيدنا محمد  
صلوات الله وسلامه عليه حين يجيؤهم بخلافها ويبين ذلك قوله تعالى في

سورة (ص) :

( أَجْعَلُ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ ، وَأَنْطَلِقَ الْمَلَأُ  
مِنْهُمْ أَنْ أَمْشُوا وَأَصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ، مَا سَمِعْنَا بِهَذَا

فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَافٌ (١)

وبنظرة تأملية في هذه الآيات نجد أن الكفار قد سلخوا عدة وسائل لتثبيت عقيدتهم ، وتوهين عقيدة التوحيد :-

أولها : قوله تعالى : ( أَجْعَلُ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا ) وهم يعنون محمداً صلى الله عليه وسلم . وقد سلخوا مسلك الاستفهام الإنكاري الذي معناه النفي والذي لا يخلو من التعجب إمعاناً في هذا الباطل واطمئناناً إلى أن أغلب القوم يشاركونهم في هذا الإنكار ، لأن القائلين أجعل الآلهة إلهاً واحداً هم ملائم قريش كما سأذكر قريباً .

وثانيها : قوله تعالى : ( إِنْ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ ) مستخدمين أسلوب التأكيد بأن وتسمية هذا الجعل شيئاً ووصفه بعجاب وهو الشيء البليغ في العجب ، أو الشيء الذي لا مثل له كما ذكره المفسرون . ثم انهم لم يغفلوا أن دعوة محمد صلى الله عليه وسلم إلى توحيد الله وإفراده بالعبادة قد مست شغاف قلوب فريق منهم فأسلموا ، رغم ما يلقاه معظمهم من التعذيب ، والإهانة وأنها لم تعد تقتصر على المستضعفين بل آمن بها من أشرفهم وكرمائهم من لا يخطر على بالهم دخولهم فيها كحمزة وعمر رضي الله عنهما ولذا حكى القرآن عنهم مسلكهم الثالث :

( وانطلق الملائمة ) أي كبارهم ، وساداتهم ، محذرين قومهم من دعوة التوحيد ، ومن محاكاة من دخل منهم في دين محمد صلى الله عليه وسلم : ( أَنْ آمَسُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ ) أي قائلين اتركوا محمداً صلى الله عليه وسلم ، ولا تلتفتوا إلى دعوته واصبروا على عبادة آلهتكم فلا تتزعزعوا عنها لما يدعوكم إليه لأننا نعبدها بحكم الله وهذا ممن أغرب ما يروى عنهم .

فإنهم كانوا يعلمون أن الله سبحانه خالق كل شيء وكانوا يعتقدون مع ذلك انه هو الذي أمرهم بعبادة هذه الآلهة .

أو المعنى اصبروا على عبادة آلهتكم التي ورثتموها عن آباءكم وأنتم تعلمون رجاحة عقولهم ، فلو كان هناك خير منها لاهتدوا إليه وخلصوا أنفسهم منها .

وهذه مغالطة لأنهم يعلمون أن دين أبيهم إبراهيم هو التوحيد الخالص وأن عبادة الأصنام فيهم لها تاريخ معروف يرجع إلى ما صنعه عمرو بن لحي<sup>(١)</sup> .

والمسلك الرابع : قول الله تعالى عنهم :

( إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُّ ) أي يصنع ويقصد لتصرفوا به عن دين آباءكم فتتبعوا هذا الرجل فيكافركم بكم غيركم وليس الأمر دين وعقيدة كما يزعم .

وخامسها :- وهو أسوأها - استشهادهم بحال النصارى في تثبيت قولهم على الضلالة ، والنصارى أهل كتاب ونبينهم آخر الأنبياء الذي لم يسمع بنبي بعده إلى ظهور نبوة سيدنا محمد صلوات الله وسلامه عليه ( ما سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ ) أي في ملة النصارى فإن منهم من يقول عيسى ابن الله ومنهم من يقول عيسى إله مع الله . فهم مثلثون مع انتسابهم إلى كتاب سماوى ، فلو كان ما يدعو إليه محمد حقا ما كانت ملة النصارى على خلافه ، وليست هذه الآية الوحيدة التي استشهاد بها المشركون بحال النصارى بل هناك آيات أخرى ربما عرضت لها .

(١) قال ابن هشام حدثني بعض أهل العلم : أن عمرو بن لحي خرج من مكة إلى الشام في بعض أموره . فلما قدم مؤثبا من أرض البلقاء ، وبها يومئذ العماليق - وهم ولد عملاق . ويقال عمليق بن لاوذين سام بن نوح عليهم السلام - رأهم يعبدون الأصنام ، فقال لهم : ما هذه الأصنام التي أراكم تعبدون ؟ قالوا له : هذه أصنام نعبدها ، فنستمطرها فتمطرنا ، ونستنصرها فتنصرنا ، فقال لهم : أفلا تعطوني منها صنما ، فأسير به إلى أرض العرب ، فيعبدوه ؟ فاعطوه صنما يقال له هبل ، فقدم به مكة فنصبه وأمر الناس بعبادته وتعظيمه / سيرة ابن هشام ٧٧/١ .

( بئس ما أهدى لحي قومه جاءهم بالويل في هذا الصنم )

( إنَّ هَذَا رَأْيًا آخْتِلاقٌ ) أي افتراءٌ وزعمٌ زعمه محمدٌ من عند نفسه لا

بوحى من ربه .

قال النسفى عند تفسير هذه الآيات :

( ولم يقل وقالوا اظهرا للغضب عليهم ودلالة على أن هذا القول لا يجسر عليه إلا الكافرون المتوغلون في الكفر المنهمكون في الغي إذ لا كفر أبلغ من أن يسموا من صدقه الله كاذبا ، ساحرا ، ويتعجبوا من التوحيد وهو الحق الأبلج ، ولا يتعجبوا من الشرك وهو باطل لجلج ، وروى أن عمر رضي الله عنه لما أسلم فرح به المؤمنون وشق على قريش فاجتمع خمسة وعشرون نفسا من صناديدهم ومشوا إلى أبي طالب وقالوا : أنت كبيرنا وقد علمت ما فعل هؤلاء السفهاء ، يريدون الذين دخلوا فسي الإسلام وجئناك لتقضي بيننا وبين ابن أخيك ، فاستحضر أبو طالب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا ابن أخى هؤلاء قومك يسألونك السواء فلا تمل كل الميل على قومك ، فقال عليه السلام :

ماذا يسألونني ؟ فقالوا ارفضنا وارفض ذكر آلهتنا وندعك وإلهك فقال عليه السلام : أتعطوني كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم ؟ قالوا نعم وعشرا أي نعطيها وعشر كلمات معها فقال : قولوا لا إله إلا الله . فقاموا وقالوا : ( أجعل الآلهة إلهها واحداً ) أي : أصير ، إنَّ هذا لشيء عجاب (١) .

وسأعرض لبعض الآيات التي تناقش الكفار في وحدانية الله تعالى ولست بصدد حصرها لأن القرآن الكريم كله شاهد على وحدانية الله تعالى وهذه الآيات ليست فقط لمترفي قريش وحدهم ومن عاصر الرسول صلى الله عليه وسلم بل لكل مترفي العالم ، وفي كل زمان ، ومكان .

ووقتنا الحالى مليء بالمترفين من الكفار ، وأشباههم من المسلمين الذين شغلتهم دنياهم عن نصره دينهم وعن تطبيق أغلب أحكامه فسي حياتهم ، وأعمالهم ، وسلوكهم ، مما عاد على المسلمين بالبلاء الشديد

وهو انهم على اعدائهم فليتكفر كل هؤلاء فيما أصاب المترفين المستكبرين عن عبادة الله والخضوع التام لأوامره . وما جره على أتباعهم المستضعفين من الويلات ، والخذلان .

وإليك بعض النماذج القرآنية الدالة على توحيد الله عز وجل والحاكمة له بالتقديس ، والتنزيه ، وإفراده بالعبادة وهي نماذج تملأ الوجدان يقينا بالله عز وجل وترد إلى العقلاء عقولهم ، وتوقظ العقل النائم الذي حجبه الشيطان بضلالته وأوهامه فتبدلت لديه الحقائق .

الأنموذج الأول من سورة النمل :

( قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ ، ءَاللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا يُشْرِكُونَ ، أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا ءَأَلَهُ مَعَ اللَّهِ ، بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ، أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيًا وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ، ءَأَلَهُ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ، أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ءَأَلَهُ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ ، أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلِ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ءَأَلَهُ مَعَ اللَّهِ تَعَلَّى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ، أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ءَأَلَهُ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١) .

جاء في القرطبي :

(قيل للوط عليه السلام) قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ ( على هلاكهم ، وخالف جماعة من العلماء في هذا وقالوا : هو مخاطبة لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، أي قل الحمد لله على هلاك كفار الأمم الخالية ، قال النحاس : وهذا أولى لأن القرآن منزل على النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، وكل ما فيه فهو مخاطب به عليه السلام إلا ما لم يصح معناه إلا لغيره . وقيل المعنى ، أي



( قل ) يا محمد ( الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى ) يعنى  
 أمته عليه السلام . وقيل : أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتلو  
 هذه الآيات الناطقة بالبراهين على وحدانيته وقدرته على كل شيء وحكمته  
 وأن يستفتح بتحميده والسلام على أنبيائه والمصطفين من عباده (١) وأرى أن  
 الأخير هو الأولى .

وأما قوله تعالى : ( إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ )

قال أبو السعود :

( أي الله الذي ذكرت شئونه العظيمة خير أم ما يشركونه به تعالى  
 من الأصنام ، ومرجع التردد إلى التعريض بتبكيث الكفرة من جهته تعالى ،  
 وتسفيه آرائهم الركيكة والتهكم بهم إذ من البين أن ليس فيما أشركوه به  
 تعالى شائبة خير ما حتى يمكن أن يوازن بينه وبين من لا خير إلا خيره  
 ولا إله غيره ، وقرئ تشركون بالتاء الفوقانية بطريق تلوين الخطاب وتوجيهه  
 إلى الكفرة وهو الأليق بما بعده من سياق النظم الكريم المبني على  
 خطابهم (٢) .

قال الفخر الرازي :

( ثم أعلم أنه سبحانه تكلم بعد ذلك في عدة فصول :  
 الفصل الأول : في الرد على عبدة الأوثان ، ومدار هذا الفصل على  
 بيان أنه سبحانه وتعالى هو الخالق لأصول النعم ، وفروعها ، فكيف  
 تحسن عبادة مالا منفعة منه البتة ، ثم إنه سبحانه وتعالى ذكر أنواعا  
 من النعم :

النوع الأول : ما يتعلق بالسموات .

قوله تعالى ( أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً  
 فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَلَيْسَ  
 بِاللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ) .

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢٢٠/١٣ .

(٢) تفسير أبي السعود ٢٩٣/٦ .

بين تعالى أنه الذي اختص بأن خلق السموات ، والأرض ، وجعل السماء مكانا للماء ، والأرض للنبات ، وذكر أعظم النعم وهي الحقائق ذات البهجة ، ونبه تعالى على أن هذا الإنبات في الحقائق لا يقدر عليه إلا الله تعالى ، لأن أحدنا لو قدر عليه لما احتاج إلى غرس ومصابة على ظهور الثمرة وإذا كان تعالى هو المختص بهذا الإِنعام وجب أن يخص بالعبادة<sup>(١)</sup> .

وتأمل معي قوله تعالى : ( لَكُمْ ) فإنها كررت في هذه الآية مرتين . الأولى : لبيان عظيم إِنْعامه وزائد فضله ورحمته ، فإنه تعالى أنزل لنا ، ومن أجلنا من السماء ماء كثيرا تتوقف عليه حياتنا ولا نستغنى عنه بحال ، وإنما كثرة تعالى ليسهل على طالبيه ولو كان الأمر على خلاف ذلك لقتل الناس بعضهم بعضا عليه ، ثم إنه تعالى نبه على بعض آثار الماء في حياتنا ، وهو إِنْباته تعالى به الحقائق ذات البهجة ، فإن للقلوب راحتها وللأعين سرورها بما تشهده من الخضرة الزاهية ، والأشجار المتنوعة ، لاسيما وأنها أشجار تحمل لنا أنواع الثمار ولذيذها من حلو ، ومز ، وكل نوع منهما له في نماء الجسم وإعانتته على ما يفعل في هذه الحياة ما لا يخفى على ذي عقل .

والثانية : ذكرت في الآية للتعجيز والإفحام فإن أشق شيء على النفس أن تشعر بحاجتها إلى شيء ما ، وهي في غاية العجز عنه فإذا تكرم به ربها عليها دون إلزام له ولا إجبار على ما فعل فإن من القبيح أن يعرض عنه إلى غيره من الآلهة العجزة .

ولذا أضرب عن الخطاب معهم إلى بيان أقبح صفاتهم وهي دوام العدول عن الحق إلى الباطل أو أنهم يعدلون بالله الخالق الرازق آلهة غيره عجزة لا تسمع ، ولا تبصر ، ولا تغنى عنهم شيئا .

والنوع الثاني : ما يتعلق بالأرض :-

(١) التفسير الكبير ٢٤/٢٠٥ - ٢٠٦ بتصرف .

وفي معنى قوله تعالى :

( أَمْ نَجْعَلُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلْ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلْ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلْ  
بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَلَمْ نَعْلَمْ مَعِ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ) .

يقول الفخر الرازي :

( ثُمَّ إِنَّهُ سَبَّحَانَهُ لَمَا بَيْنَ أَنَّهُ هُوَ الْمُخْتَصُّ بِالْقَدْرَةِ عَلَى خَلْقِ الْأَرْضِ الَّتِي  
فِيهَا الْمَنَافِعُ الْجَلِيلَةُ وَجِبَانَ يَكُونُ هُوَ الْمُخْتَصُّ بِالْإِلَهِيَّةِ وَنَبَهُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى :  
( بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ) عَلَى عَظِيمِ جَهْلِهِمْ بِالذَّهَابِ عَنْ هَذَا  
التَّفَكُّرِ )<sup>(١)</sup> .

إن المتأمل لهذه الآية لا يملك قلبه الوله بربه حين يسمع ( قراراً )  
أي مستقرة بحيث لا يضطرب ما عليها ولا يحرك ساكن ، إلا بمحرك ، ولو كانت  
على خلاف ذلك أكانت حياتنا تستقر عليها ؟ وتأمل قوله تعالى :  
( وجعل خلالها أنهاراً ) فإن ذلك يحمل ذوى العقول على التوحيد  
الخالص ، لأن الكيفية التي تفيض بها الأنهار بالمياه لا يقدر عليها  
مخلوق ، ولا أظن كيفية تبخر الماء من البحار وصعوده إلى طبقات الجو  
العليا ليتكثف من جديد ويعود ماء يسيل من أعلى قمم الجبال فتجرى  
به الأنهار ، ثم يرد منه ما يرد إلى البحار بخاف على أحد ، وقد وفرت  
تلك الأنهار الجارية للإنسان والحيوان أقواتا ، وسهلت أرزاقا ، وكم قام  
على ضفافها من دول وحضارات منها ما باد ، ومنها ما بقي ، فهل يليق  
بعاقل يتأمل ذلك أن يجهل ربه أو يعدل به غيره ؟ .

كما أن قوله تعالى :

( وجعل بين البحرين حاجزاً ) أي بين الماء العذب والملح حاجزاً  
باليابسة فجعل البحار بمستوى أخفض من مجاري الأنهار ، ولولا ذلك  
لطفى البحر على النهر وتخلل الماء الملح باطن الأرض مما ينهي حياتنا  
على هذه الأرض .

(١) التفسير الكبير ٢٤ / ٢٠٨ .

( أَلَهُ مَعَ اللَّهِ ) فعل شيئاً من ذلك أو في قدرته أن يفعل ؟  
كلا ، ثم كلا !!

النوع الثالث : كما ذكره الرازي<sup>(١)</sup> ما يتعلق باحتياج الخلق إليه سبحانه  
قوله تعالى :  
( أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خَلَائِفَ  
الْأَرْضِ أَلَهُ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ ) .

يقول النسفي :

( الاضطراب افتعال من الضرورة وهي الحالة المحوجة إلى اللجأ  
يقال : اضطره إلى كذا ، والمضطر الذي أحوجه مرض ، أو فقر أو نازلة  
من نوازل الدهر إلى اللجأ والتضرع إلى الله أو المذنب إذا استغفر  
أو المظلوم إذا دعا أو من رفع يديه ولم ير لنفسه حسنة غير التوحيد وهو  
منه على خطر )<sup>(٢)</sup> .

وأزيد فأقول : من المسلمات أن من يغيث المهفوف من الناس يظل  
المهفوف يحتفظ له بالود ، والامتنان ومن يخرج على هذه المسلمات  
فهو لثيم الطبع ، فإذا حدث ذلك من مخلوق لمخلوق فأوجب أن يحدث  
من المخلوق للخالق وأن يسبح العبد بحمده وتقديسه ، كما أن استمرار  
عمارتنا ، واستخلافنا في الأرض نعمة جليلة من نعمه ، وذلك لا يتم  
إلا بالتزوج ، والتوالد ، فهل هدت الأصنام إلى ذلك أم الله الواحد  
الأحد ؟ ومن يخلق الأجنة في بطون أمهاتها ، إنها أمور تدعو إلى  
التذكر المستمر وإلى خلع الأنداد من دون الله عز وجل ، لكن الكفر  
حجابه كثيف على القلوب ، والعقول ولذا قال تعالى :

( إِنْ أَلَّ اللَّهُ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ  
وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا )<sup>(٣)</sup> .

(١) التفسير الكبير ٢٤ / ٢٠٨ .

(٢) النسفي ٣ / ٢١٨ .

(٣) النساء ( ٤٨ ) .

الدليل الرابع : على كمال ألوهيته واستحقاقه للعبادة واختصاصه بالتوحيد والتنزيه قوله تعالى :

( أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلِ الرِّيحَ بِشُورًا  
بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَلَمْ يَعْزِزْ اللَّهُ مَعَهُ اللَّهُ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ) .

وهذه الآية الكريمة تحكي حاجة خاصة في أوقات خاصة وفي أماكن خاصة فيها من سنة الله و خلقه، وتكوينه ما هو مصلحة ونفع لعموم الخلق لكنه في نفس الوقت صعوبة ، ومشقة على بعضهم ، كالساري في البر فـ في ظلمات الليل ، فلولا أن الله جل وعلا ألهمه التعرف على الطرق ، والمسالك بالعلامات الأرضية ، ويصيص أضواء النجوم السماوية ، ما كان يستطيع السير وللإنسان حاجته التي يضطر إلى مباشرتها بالليل في الليل المظلم ، كما يباشرها في النهار المضيء فأنى له أن يصل إليها في ظلمات الليل لولا هداية الله تعالى له ، وربابنة السفن الذين يمخرون عباب البحار ولا تقع أبصارهم على شواطئ ، ولا على معالم ، وهم يقطعونها ليلا ونهارا فلولا ضياء الشمس بالنهار ، وضوء النجوم بالليل لضلوا في مكان لا يسعفون فيه بحال ولذا إذا نزل الضرب سائر في البحر فإنه ينسى كفره ، وما ألهمه وما بذل نفسه دفاعا عنه من الباطل ولا يذكر إلا الله الواحد الأحد .

قال تعالى :

( فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفَلَكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ) (١)

وقال :

( وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوَّجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ) (٢)

وقد تكرر هذا المعنى في آيات كثيرة غير هاتين الآيتين ، تركتها طلبا للاختصار .

ثم تأمل ساكن الصحراء الذي يلقي بذره منتظرا المطر لرئيه كـ

(١) العنكبوت (٦٥)

(٢) لقمان (٣٢) .

تكون فرحته عند ما تهب الرياح المبشرة بالمطر ، أَلَهُ مع الله فعل ذ لك  
أو شيئاً منه ؟ تعالى الله وتقدس وتنزه عما يشركون معه من الآلهة .

( النوع الخامس : ما يتعلق بالحشر ، والنشر .

قوله تعالى :

( أَمَّنْ يَبْدُو الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَلَهُ مَعَ  
اللَّهِ ، قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ) .

اعلم أنه تعالى لما عدد نعم الدنيا أتبع ذلك بنعم الآخرة .  
بقوله ( أَمَّنْ يَبْدُو الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ) لأن نعم الآخرة بالثواب لا تتم  
إلا بالإعادة بعد الابتداء ، والإبلاغ إلى حد التكليف .

فقد تضمن الكلام كل هذه النعم ومعلوم أنها لا تتم إلا بالأرزاق —  
فلذلك قال : ( ومن يرزقكم من السماء والأرض ) ثم قال : ( أَلَهُ مَعَ  
اللَّهِ ) منكر لما هم عليه ، ثم بين بقوله ( قل هاتوا برهانكم إن كنتم  
صادقين ) أن لا برهان لكم فإذن هم مبطلون ، وهذا يدل على أنه لا بد  
في الدعوى من الدليل ، وعلى فساد التقليد ، فإن قيل كيف قيل لهم :  
( أم من يبدو الخلق ثم يعيده ) وهم منكرون للإعادة ؟ ، ( جوابه )  
كانوا معترفين بالابتداء ، ودلالة الابتداء على الإعادة دلالة ظاهرة  
قوية ، فلما كان الكلام مقروناً بالدلالة الظاهرة صاروا كأنهم لم يبيح  
لهم عذر في الإنكار ، وههنا آخر الدلائل المذكورة على كمال قدرة الله  
تعالى (١) .

وقال القرطبي في قوله تعالى :

( أَمَّنْ يَبْدُو الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ) ( كانوا يقولون أنه الخالق الرازق  
فألزمهم الإعادة ، أي إذا قدر على الابتداء فمن ضرورته القدرة على  
الإعادة ، وهو أهون عليه ) ( أَلَهُ مَعَ اللَّه ) يخلق ويرزق ويبدئ ويعيد :  
( قل هاتوا برهانكم ) أي حجبتكم أن لي شريكاً ، أو حجبتكم في أنفسه

(١) التفسير الكبير ٢٤ / ٢١٠ .

صنع أحد شيئا من هذه الأشياء غير الله : ( إن كنتم صادقين ) ( ١ ) .

وقد أعجبنى تناول الإمام الألويسي في تفسيره لهذه الآيات فاثبتته تماما للفائدة .

قال الألويسي :

( هذا وفي الكشف أنّ مبنى هذه الآيات الترقّي لأن الكلام في إثبات أن لا خيرية في الأصنام مع أن كل خير منه تبارك وتعالى ، فأجمل أولا بذكر اسمه سبحانه الجامع في قوله تعالى ( ءالله ) ثم أخذ في المفصل فجعل خلق السموات ، والأرض تمهيدا لإنزال الماء ، وإنبيات الحدائق لا بل للأخير ، يدل عليه الإلتفات هنالك والتأكيد بقوله تعالى : ( ما كان لكم أن تُنبِتُوا ) كأنه سيذكر سبحانه ما فيها من المنافع الكثيره لونا وطعما ورائحة واسترواح ظل .

ولما أثبت أنه فعله الخاص أنكر أن يكون له شريك وجعلهم عادلين عن منهج الصواب أو عادلين به سبحانه من لا يستحق ، والأول أظهر ، ثم ترقى منه إلى ما هو أكثر لهم خيرا وأظهر في نفعهم من جعل الأرض - قرارا وما عقبه ، فذكر جل وعلا ما لا يتم الإنبيات المذكور إلا به مع منافع يتصاغر لديها منفعة الإنبيات وعقبه بجهلهم المطلق المنتج للعدول المذكور وأسوأ منه وأسوأ ، ثم بالغ في الترقى فذكر ما هو لصيق بهم دون واسطة من دفع أو نفع فخص إجابتهم عند الاضطراب ، وعم بكشف السوء والمضار ، هذا فيما يرجع إلى دفع المحذور وإقامتهم خلفاء في الأرض ينتفعون بها وبما فيها كما أحبوا ، وهذا أتم من الأولين ، وأعم ، وأجل موقعا وأهم ، ولهذا فصل بعدم التذكر ويبلغ فيه تلك المبالغات ، وأما ذكر الهداية في ظلمات البر والبحر وذكر إرسال الرياح المبشرة استطرادا لمناسبة حديث الرياح مع الهداية في البحر ، فمن متمات الخلافة وإجابة المضطر وكشف السوء فافهم، ونبه على هذا بأنه فصل بقوله تعالى :

( ١ ) الجامع لاحكام القرآن ٢٢٥ / ١٣ .

( تعالى الله عما يشركون ) ثم ختم ذلك كله بالاضراب عن هذا الأسلوب بتذكير نعمتي الایجاد والاعادة ، فكل نعمة دونهما لتوقف النعم الدنيوية والأخروية عليها ، وعقبه بإجمال يتضمن جميع ما عدده أولاً وزيادة أعنسى رزقهم من السماء والأرض ، وأدمج في تأخيريه أنه دون النعمتين ، ولهذا بكتهم بطلب البرهان وسجل بكذبهم دلالة على تعلقه بالكل وأن هذه الخاتمة ختام مسكى ، والمعرض عن تشام نفحاته مسكى ، وعن هذا التقرير ظهر وجه الإبدال مكشوف النقاب والحمد لله تعالى المنعم الوهاب ( ١ ) .

النموذج الثاني من سورة البقرة : قال تعالى :  
 ( وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ، إِنْ فِي خَلْقِ  
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَآخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفَلَكَ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ  
 بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا  
 وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ  
 وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ) ( ٢ ) .

لما نظرت في تفسير هذه الآيات في كتب التفسير أعجبت بما قال  
 الزمخشري في تفسيره " الكشاف " وبما قاله الفخر الرازي في تفسيره  
 " الكبير " وإليك ما قاله الزمخشري :

قال الزمخشري ( لما ذكر سبحانه التوحيد بقوله وإلهكم إله واحد عقب  
 ذلك بالدليل الدال عليه وهو هذه الأمور التي هي من أعظم صنعته  
 الصانع الحكيم مع علم كل عاقل بأنه لا يتهاى من أحد من الآلهة التي  
 أثبتها الكفار ، أن يأتي بشيء منها أو يقتدر عليه ، أو على بعضه ، وهي  
 خلق السموات ، وخلق الأرض ، وتعاقب الليل والنهار ، وجرى الفلك في  
 البحر ، وإنزال المطر من السماء ، وإحياء الأرض به ، وبث الدواب منها  
 بسببه ، وتصريف الرياح ، فإن من أمعن نظره وأعمل فكره في واحد منها  
 انبهر له ، وذاق ذهنه عن تصور حقيقته وتحتم عليه التصديق بأن صانعه  
 هو الله ( ٣ ) .

( ١ ) روح المعاني ٨ / ٢٠ .

( ٢ ) البقرة ( ١٦٣ - ١٦٤ ) .

( ٣ ) الكشاف ١ / ١٦٣ .



وقال الرازي :

( اعلم أنه سبحانه وتعالى لما حكم بالفردانية والوحدانية ذكر ثمانية أنواع من الدلائل التي يمكن أن يستدل بها على وجوده سبحانه وتعالى أولا ، وعلى توحيده ، وبرائه من الأضداد والأنداد ثانياً وتقرير ذلك من وجوه :

أحدها : أن كل واحد من هذه الآيات يدل على مدلولات كثيرة فهي من حيث أنها لم تكن موجودة ثم وجدت ، دلت على وجود المؤثر وعلى كونه قادراً ، لأنه لو كان المؤثر موجبا ، لدام الأثر بدوامه فما كان يحصل - التغيير ، ومن حيث أنها وقعت على وجه الإحكام والإتقان ، دلت على علم الصانع ، ومن حيث أن حدوثها اختص بوقت دون وقت ، دلت على إرادته الصانع ، ومن حيث أنها وقعت على وجه الاتساق والانتظام من غير ظهور الفساد فيها ، دلت على وحدانية الصانع على ما قال تعالى ( لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا )<sup>(١)</sup>.

وثانيها : أنها كما تدل على وجود الصانع وصفاته ، فكذلك تدل على وجوب طاعته ، وشكره علينا عند من يقول بوجوب شكر المنعم عقلا ، لأن كثرة النعم توجب الخلوص في الشكر .

وثالثها : أن كل واحد من هذه الدلائل الثمانية أجسام عظيمة فهي مركبة من الأجزاء التي لا تتجزأ ، فذلك الجزء الذي يتقاصر الحس والوهم والخيال عن ادراكه قد حصل فيه جميع هذه الدلائل فإن ذلك الجزء من حيث إنه حادث ، فكان حدوثه لا محالة مختصا بوقت معين ، ولا بد أن يكون مختصا بصفة معينة ، مع أنه يجوز في العقل وقوعه على خلاف هذه الأمور ، وذلك يدل على الافتقار إلى الصانع الموصوف بالصفات المذكورة . وإذا كان كل واحد من أجزاء هذه الأجسام ومن صفاتها شاهدا على وجود الصانع ، لا جرم قال : إنها آيات ، وحاصل القول أن الموجود إما قديم ، وإما محدث ، أما القديم فهو الله سبحانه وتعالى ، وأما المحدث فكل ما عداه ، وإذا كان في كل محدث دلالة على وجود الصانع كان كل ما عداه شاهدا على وجوده مقرا بوحدانيته ، معترفا بلسان الحال

(١) الأنبياء : ( ٢٢ ) .

بِإِلَهِيَّتِهِ ، وهذا هو المراد من قوله : ( وَلَئِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا لِيَسْبَحَ بِحَمْدِهِ  
وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ )<sup>(١)</sup> .

أما قوله تعالى : ( لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ) فإنما خص الآيات لهم لانهم الذين يتمكنون من النظر فيه والاستدلال به على ما يلزمهم من توحيد ربهم وعدله وحكمه ليقوموا بشكره ، وما يلزم من عبادته وطاعته .

واعلم أن النعم على قسمين ، نعم دنيوية ، ونعم دينية ، وهذه الأمور الثمانية التي عدها الله تعالى نعم دنيوية في الظاهر ، فإذا تفكّر العاقل فيها واستدل بها على معرفة الصانع ، صارت نعمًا دينية ، لكن الانتفاع بها من حيث أنها نعم دينية لا يكمل إلا عند سلامة العقول وانفتاح بصر الباطن فلذلك قال :

( لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ) قال القاضي عبد الجبار : الآية تدل على أمور : ( أحدها ) أنه لو كان الحق يدرك بالتقليد واتباع الآباء والجرى على الألف ، والعادة ، لما صح ذلك .

( وثانيها ) : لو كانت المعارف ضروريةً وحاصلةً بالإلهام ، لما صح وصف هذه الأمور بأنها آيات ، لأن المعلوم بالضرورة لا يحتاج في معرفته إلى الآيات .

( وثالثها ) : أن سائر الأجسام والأعراض وان كانت تدل على الصانع فهو تعالى خص هذه الثمانية بالذكر ، لأنها جامعة بين كونها دلائل وبين كونها نعمًا على المكلفين على أوفر حظ ، ونصيب ، ومتى كانت الدلائل كذلك ، كانت أنجع في القلوب ، وأشد تأثيرًا في الخواطر<sup>(٢)</sup> .

والقرآن الكريم يزخر بكثير من هذه الآيات التي توجه العقل البشري إلى التفكير فيها ، وبالتالي يستدل بها على وجود الصانع ومع ذلك مضى الجبابرة في عتوهم ، وأصروا على عنادهم ، واستكبارهم عن رؤية الحق

(١) الاسراء ( ٤٤ ) .

(٢) التفسير الكبير ٤ / ( ٢٢٤ - ٢٢٥ ) .

وسمعه . بل إن الجبابرة المستكبرين والمنافقين يعدون الإيمان بالله ورسوله سفاهة .

قال تعالى :

( وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ (١) .

وكما هو معروف فإن غالب من تبع الرسول عليه السلام الضعفاء من الفقراء ، والعبيد ، وقليل من أصحاب العقول من الأغنياء ، والسادة فكان السادة يستنكفون أن يتبعوا محمدا صلى الله عليه وسلم كما اتبعه الضعفاء ، والعبيد ويعتبرونها سفاهة ، وقلة علم .

وللأسف هذا حال كثير من الناس اليوم ، يعتقدون أن الإيمان ، والإسلام تخلف ورجعية ، والإلحاد أو الشرك بأي نوع من العبادة وعدم الأخذ بشرع الله ، حضارة وتقدمية .

ودعوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم كدعوة كل رسول هي إخلاص العبادة لله وحده ونبذ ما عداها من العبادات .

وكما هو معروف إن العرب كانوا يتخذون أصناما كثيرة للعبادة ونصبوها آلهة مع الله وكان العجب ، والاستنكار حين نادى الرسول عليه الصلاة والسلام بوحدانية الله فلنعد مرة أخرى إلى سورة (ص) .

قال تعالى :

( ص وَالْقُرْءَانَ ذِي الذِّكْرِ ، بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ، كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنَادُوا وَاوَلَاتِ حِينٍ مَنَاصٍ ، وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكٰفِرُونَ هَذَا سَلْحَرٌ كَذَّابٌ ، أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ ءَعْجَابٌ ، وَأَنْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ آمَسُوا وَأَصْبَرُوا عَلَىٰ إِلٰهٍ تَكْفُرُونَ )

(١) البقرة (١٣) .

(٢) (ولات حين مناص) : أى استعاشوا حين لا ترجى الاستغاثة .

إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ (١) .

فما كفر الذين كفروا ، إلا استكبارا منهم واستنكافا عن اتباع الحق  
وعن توحيد الله .

( أَجْعَلُ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ ) .

قال الألوسي في معنى قولهم أجعل الآلهة . . . الآية . . .  
( بأن نفي الألوهية عنها ، وقصرها على واحد فالجعل بمعنـي  
التصيير وليس تصييرا في الخارج بل في القول والتسمية كما في قوله تعالى  
( وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنْثَاءً ) (٢) .  
وليس ذلك من باب إنكار وحدة الوجود في شيء ليقال إن الله سبحانه نعى  
على الكفرة ذلك الإنكار فتثبت الوحدة فإنه عليه الصلاة والسلام ما قال  
باتحاد آلهتهم معه عز وجل في الوجود ) (٣) .

( إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ ) بليغ في العجب ، تعجب المشركون من  
دعوى الرسول عليه الصلاة والسلام لأنه سيغير نمط حياتهم ولأنه خلاف  
ما توارثوه عن الآباء ، والأجداد جيلا بعد جيل ، ولذا كانوا يحاولون أن  
يصدوا الناس عن اتباع رسالة محمد صلى الله عليه وسلم بإثارة النزعات ،  
والأهواء ذلك أن الانسان يعتز بما يرثه عن الآباء .

قال تعالى :

( وَإِذَا تَطَلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجْلٌ يُرِيدُ  
أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانُ يَعْبُدُ آبَاءَكُمْ وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا إِفْكٌ مُفْتَرٍ وَقَالَ  
الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ) (٤) .

قال أبو السعود : في تعجبهم من دعوى الرسول بتوحيد الله ونبذ  
ما عداه من آلهه :

وذلك لأنه خلاف ما ألفوا عليه آباءهم الذين أجمعوا على ألوهيتهم

(١) ص ( ١ - ٦ ) . ( ٢ ) الزخرف ( ١٩ ) .

(٣) روح المعاني ١٦٦ / ٢٣ .

(٤) سبأ ( ٤٣ ) .

وواظبوا على عبادتهم كإبراهيم عن كابر فإن هذا مدار كل ما يأتون ، وما يذرون من أمور دينهم هو التقليد والاعتقاد فيعدون ما يخالف ما اعتادوه عجيبا ، بل محالا ، وأما جعل مدار تعجبهم عدم وفاء علم الواحد وقدرته بالأشياء الكثيرة ، فلا وجه له لما أنهم لا يدعون أن لآلهتهم علما وقُدرة ومد خلا في حدوث شيء من الأشياء حتى يلزم من نفي الوهيتهم بقضاء الآثار بلا مؤثر<sup>(١)</sup> .

ثم إن المشركين لا يجدون مناصا من الاعتراف بأن خالق السموات والأرض هو الله . فهذه السموات والأرض قائمة ، وأوصافها وأحجامها وحركاتها وخواصها وصفاتها مقدرة تقديرا لا يخفى على ذي لب القصد فيه ، ولا يدعى أحد أن خالقا غير الله شارك فيها ، أما الذين يدعون بأن هذا الكون وجد تلقائيا أو مصادفة فأن الفطرة تنكره ، وترده .

والمشركون الذين جادلوا في وحدانية الله وأكثروا فيها الجدل — لا يملكون حين سؤالهم من خالق السموات والأرض إلا الإقرار له سبحانه بالربوبية :

قال تعالى :  
( وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ )<sup>(٢)</sup> .

قال النسفي في معنى الآية الكريمة :

( الزام لهم على إقرارهم بأن الذي خلق السموات ، والأرض هو الله وحده وأنه يجب أن يكون له الحمد والشكر وأن لا يعبد معه غيره ، ثم قال ( بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ) أن ذلك يلزمهم وإذا نهبوا عليه لم يتنبهوا )<sup>(٣)</sup> .

(١) تفسير أبي السعود ٧ / ( ٢١٤ - ٢١٥ ) .

(٢) لقمان ( ٢٥ ) .

(٣) النسفي ٣ / ٢٨٣ .

وقال الرازي :

( الآية متعلقة بما قبلها من وجهين : ( أحدهما ) أنه تعالى لما استدل بخلق السموات بغير عمد ، وبنعمه الظاهره والباطنة بيّن أنهم معترفون بذلك غير منكرين له وهذا يقتضي أن يكون الحمد كله لله ، لأن خالق السموات والأرض يحتاج إليه كل ما في السموات والأرض ، وكون الحمد لله يقتضي أن لا يعبد غيره لكنهم لا يعلمون هذا .

( الثاني ) أن الله تعالى لما سأل قلب النبي صلى الله عليه وسلم بقوله ( فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرَهُ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَانصَبْ ) (١) أي لا تحزن على تكذيبهم فإن صدقك وكذبهم يتبين عن قريب عند رجوعهم إلينا ، قال وليس لا يتبين إلا ذلك اليوم بل هو يتبين قبل يوم القيامة ، لأنهم معترفون بأن خلق السموات ، والأرض من الله ، وهذا يصدق في دعوى الوحدانية ويبين كذبهم في الاشرار ( فقل الحمد لله ) على ظهور صدقك وكذب مكذبيك ( بل أكثرهم لا يعلمون ) أي ليس لهم علم يمنعهم من تكذيبك — مع اعترافهم بما يوجب تصديقك (٢) .

ومع اعترافهم وإقرارهم أن الخالق لهذا الكون هو الله إلا أنهم يشركون معه في العبادة أوثانا وأصناما لا تضر ، ولا تنفع ويقولون في تبرير عبادتها : وإنا نعبدها لتقربنا إلى الله زلفى .

وقد ذكر الله سبحانه هذه الشبهة ليبيطلها :

فقال تعالى :

( إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ، أَلَا لِلَّهِ الدِّينَ الْخَالِصُ ، وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ، إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ، إِنْ أَلَّ اللَّهُ لِيَأْخُذَ مِنْ هُوَ كَذِبٌ كَفَّارٌ ) (٣) .

(٢) التفسير الكبير ٢٥ / ١٥٦ .

(١) لقمان : ( ٢٣ ) .

(٣) الزمر ( ٢ ، ٣ ) .

قال الألوسى :

( قوله تعالى : ) وَالَّذِينَ آتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ( تحقيق لحقيقة التوحيد ببطلان الشرك ليعلم منه حقيقة الإخلاص ، وبطلان تركه ، وفيه من ترغيب المخلصين وترهيب غيرهم ما لا يخفى ، والموصول عبارة عن المشركين من قريش ، وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن الآية نزلت في ثلاثة أحياء : عامر ، وكنانة وبنى سلمة ، كانوا يعبدون الأوثان ويقولون : الملائكة بنات الله فالموصول إما عبارة عنهم ، أو عبارة عما يضمهم وأضرابهم من عبدة غير الله سبحانه وهو الظاهر فيكون الأولياء عبارة عن كل معبود باطل كالملائكة ، وعيسى عليهم السلام ، والأصنام ) (١) .

فهؤلاء المشركون الذين اتخذوا تلك المعبودات الباطلة ، وأشركوها مع الله في العبادة حجتهم أنهم إنما عبدوها ، ليجعلوها واسطة بينهم ، وبين الله أوليتقربوا بها إلى الله تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا .  
( إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ) .

قال الزمخشري :

( المعنى أن الله يحكم بينهم بأنه يدخل الملائكة ، وعيسى عليهم السلام الجنة ويدخلهم النار مع الحجارة التي نحتوها وعبدوها من دون الله يعذبهم بها حيث يجعلهم وإياها حصب جهنم ، واختلافهم أن الذين يعبدون موحدون وهم مشركون وأولئك يعادونهم ويلعنونهم وهم يرجون شفاعتهم وتقريبهم إلى الله زلفى . وقيل كان المسلمون إذا قالوا لهم : من خلق السموات والأرض ؟ أقروا ، وقالوا : الله ، فإذا قالوا لهم : فما لكم تعبدون الأصنام ؟ ! قالوا : ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى فالضمير في بينهم عائد إليهم وإلى المسلمين ، والمعنى : أن الله يحكم يوم القيامة بين المتنازعين من الفريقين ) (٢) .

(١) روح المعانى ٢٣٥/٢٣ .

(٢) الكشاف ٣٨٦/٣ .

ويستمر نقاش سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم للمشركين بما ينزله الله عليه من آيات بينات ، والتي تعدد نعم الله التي لا تحصى على الإنسان ، والحيوان ، وأنها نعم حقيقية ملموسة لا يستطيع عاقل أن يجدها بحال من الأحوال ، ومع ذلك فالمشركون المترفون صم بكـ لا يسمعون .

ولكن الله سبحانه وتعالى يأمر سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم بأن لا يتركهم في طغيانهم يعمهون ، بل الواجب عليه مناقشتهم في وحدانية الله تعالى ، والبرهنة لهم على أن ما اتخذوه آلهة مع الله لا يصح ولا يصدر عن ذوى الألباب .

قال تعالى :  
 ( قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ أَتُنُونِي بِكِتَابٍ مِّنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ، وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ )<sup>(١)</sup> .

هاتان الآيتان حجة للموحدين ورد على المشركين الذين يعبدون الأصنام ، وغيرها ، وهي تعجيز للمشركين الذين عبدوها من دون الله ، أو أشركوها مع الله في العبادة فهل يعقل أن يضاف إلى هذه المعبودات خلق جزء ولو يسير من هذا العالم من إنسان ، أو حيوان أو أى شئ من مخلوقات الأرض ؟ أم هل يعقل القول أنها شاركت الله سبحانه وأعانته في خلق السموات ؟ فإن كان ذلك فأين الدليل ؟ فالمعروف أن الأتباع لمبدأ ما يكون إما بحجة عقلية أو نقلية ، فطال بهم القرآن بإحدى هاتين الحجتين .

فإذا عجزوا عن ذلك ، فهذا للعمري من أعظم الأدلة على سفاهة الكافرين ، لأن العاقل لا يتبع مبدأ ، أو عقيدة إلا إذا كان له مستند

(١) الأحقاف ( ٤ ، ٥ ) .



من عقل أو نقل .

فلما أثبت القرآن للسامع عجزهم عن الإتيان بأي دليل حكم عليهم أنهم في غاية الضلال ، لأنهم عبدوا من هو أعجز منهم ، حيث قدم لهم القرآن أقرب الأدلة فإذا ما علموا أن الذين يدعون من دون الله لا يشعرون بدعائهم واستمروا بعبادتهم ، فهم إذاً مَوْصُوفُونَ بغاية الضلال .

ويواصل القرآن الكريم بيان الأدلة العقلية التي تظهر عجز الأصنام ، وغيرها من المعبودات التي عبدها العرب وغيرهم وبيان حالها من القصور ، فهي لا تملك للإنسان شيئاً إن دعاها ، أو تضرع لها أو إن أهملها ، وكفر بها ذلك أنها مخلوقة مملوكة ، والإنسان العاقل لا يتخذ مثل هذه الجمادات آلهة وهي دون الأنسان في الخلق ، والقدرة بإذنها لا تملك السمع ، ولا البصر ، ولا تستطيع أن تجلب لها ، أو لغيرها نفعاً أو تدفع عنها أو عن غيرها مضره .

قال تعالى :

( وَإِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَلُكُمْ فَأَدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ، أَلَمْ يَمْشَوْا بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبِطْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ، قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُوا فَلَا تُنظِرُونَ ) (١) .

هاتان الآيتان نوع آخر من الأدلة ، والبراهين المسوقة للدلالة على قبح الاشتغال بعبادة الأصنام ، والجمادات التي لا شأن لها في الخلق ولا تملك من أمرها ، أو أمر غيرها شيئاً البتة .

فقد بين الله سبحانه وتعالى في الآية الأولى أن هذه الأصنام المدعوة من دون الله عباد مخلوقة أمثال عابديها فكيف يعبد المخلوق مخلوقاً مثله ، هذا لعمر الله سفة ما بعده سفة ! ! .

(١) الأعراف ( ١٩٤ - ١٩٥ ) .

ثم طلب الله في الآية الأولى أيضا أن يدعوا آلهتهم بقصد أنها تسمعهم ، وتستجيب لهم والعابدون يعلمون تمام العلم أنها لا تسمعهم ولا تستجيب لهم فأمر العابدين بدعائهم بهذا القيد تعجيز بالغ وتحقير للداعين وتسفيه لعقولهم ، ولذا اختتم الله سبحانه هذه الآية بقوله :  
 ( إن كنتم صادقين ) . أي فادعوهم على أنهم سَمِعُونَ مستجيبون وترك القرآن للسامع استنتاج عدم دعائهم لهذا المعنى لأنه أوضح من أن يذكر .

ثم ذكر في الآية الثانية عجز الآلهة التام إذا قيست بعباديهما فعبادوها لهم أيد يبطنونها بها ، ولهم أرجل يمشون بها ، ولهم أعين يبصرون بها ، ولهم آذان يسمعون بها ، وهى خلون من ذلك كله ، فكيف يعبد من زوده الله تعالى بما يمكنه من الفعل والاستجابة من لا قدرة له على شيء من ذلك ، لأنه أصلا مخلوق غير مزود بهذه الأعضاء الممكنة من الفعل والاستجابة، فإذا أضيف إلى علم العابدين أن أعضاءهم التي زودوا بها يفعلون بها ويستجيبون بها ليست من خلقهم ، ولا هي من صنع الأصنام المعبودة إذ لو كان ذلك في مقدورهم لصنعوها لأنفسهم بل هى منحة الله الودود الرحيم ، علموا أن الحقيق في العبادة الخالصة هو الله الذي خلقهم ، وخلق أصنامهم وخلق كل شيء فقدره تقديرا .

ولذا أمعن القرآن في التهكم بالعبادين والمعبودين فقال :  
 ( قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ) أي أصنامكم منتصرين بها على كيدي ، ونبذ دعوتى فهل تفيدكم ؟ وهل انضمامها إليكم يغنيكم شيئا إن كان فافعلوا ، ولا تخبروني ، وتنظروني بفعلكم ، فإنني على يقين بعجز آلهتكم عجزا تاما في أن تعينكم بشيء ، على أن هذه الآلهة لو قدر لها أن تخاطبكم لسفحت أحلامكم وتبرأت من عبادتكم لها ، وقد حجب الله ذلك عنهم في الدنيا فأصنامهم تلعنهم وهم لا يسمعون ، وكشفها لهم في الآخرة نكاية بهم وتحسيرا لهم على أعمالهم وجهودهم التي بذلوها في نصرة ما لا ينتصر به ، ونفورهم عن عبادتهم ، قال تعالى في بيان نفور الأصنام من عابديها يوم القيامة :-

( وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَأَنْتُمْ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ ، قَالُوا سُبْحَانَكَ ) (١) .

- منزهين ربهم أن يشرك به ومتبرئين أن يكونوا شركاء له -  
 ( مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ ) (٢) .  
 - أي لو حملتنا أمانة التكليف التي حملتها للانس والجن ما قبلنا أن نتخذ من دونك أولياء ، فكيف نرضى أن نعبد من دونك أو نشرك معك في العبادة ؟ - .

ثم بينت الأصنام سبب ضلال العابدين وجرأ تهم على ما فعلوه :  
 ( وَلَكِنْ تَتَعَتَّبُهُمْ وَاَبَاءَهُمْ ) (٣) - أي بصنوف النعم التي أنستهم شرك ، وأوصلتهم إلى هذه السفاهة -  
 ( حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ ) (٤) - أي الكتب المنزلة المبينة لضلال من يعبد الأصنام من دونك أو نسوا آياتك الكونية الدالة على أنه لا إله إلا الله ( وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا ) (٥) - أي عارين عن كل خير ولذا صدر منهم ما صدر أو هالكين لأنهم أتوا من العظام مالا يتجرأ عليه ذو عقل .

ومن شبه بالمترفين على عقيدة التوحيد :

شبهة اتخاذ الله تعالى ولدا .

لم تكن نسبة الولد لله تعالى بدعة في النصرى كما هو شائع عند الكثير من الناس بل لقد سبقهم إليها اليهود وبعض الكفار من الأمم التي خلت قبل اليهود ، كقدماء المصريين ، وقد كشفت لنا آيات سورة التوبة ذلك عن النصرى ، واليهود ، ومن قبلهم ، وقد كشف التاريخ الحديث عن معجزة للقرآن تدل على أن اليهود اقتبسوا عن قدماء المصريين نسبة الولد لله تعالى وحاكاهم بعد ذلك النصرى ومشركو العرب .

( ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ) : سورة الفرقان ( ١٧ - ١٨ ) .

جاء في كتاب مناهل العرفان تحت عنوان " معجزة يكشف عنها التاريخ الحديث )) :-

( قال العلامة صاحب مجلة الفتح الغراء :- في سورة التوبة نقرأ هذه الآية الكريمة : (( وَقَالَتِ الْيَهُودُ عَزِيزٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِيهِمْ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ ، قَتَلْتَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ )) (١) .

فصدر هذه الآية وهو جملة (( وقالت اليهود عزيز ابن الله )) يتضمن من وقائع التاريخ وحقائق العلم أمرا لم يكن أحد يعرفه على وجه الأرض في عصر نزول القرآن . ذلك أن اسم عزيز لم يكن معروفا عند بني إسرائيل إلا بعد دخولهم مصر ، واختلاطهم بأهلها ، واتصالهم بعقائد هـا وثنيتها . واسم عزيز هو ( أوزيرس ) كما ينطق به الإفرنج أو ( عوزر ) كما ينطق به قدماء المصريين ، وقدام المصريين منذ تركوا عقيدة التوحيد ، وانتحلوا عبادة الشمس ، كانوا يعتقدون في ( عوزر ) أو ( أوزيرس ) انه ابن الله . وكذلك بنو إسرائيل في دور من أدوار حلولهم في مصر القديمة استحسنوا هذه العقيدة . عقيدة أن أوزيرس ابن الله ( وصار اسم أوزيرس أو عوزر ( عزيز ) من الأسماء المقدسة التي طرأت عليهم من ديانة قدماء المصريين وصاروا يسمون أولادهم بهذا الاسم الذي قدسوه كفرا وضلالا . فعاب الله عليهم ذلك في القرآن الحكيم ، ودلهم على هذه الوقائع من تاريخهم الذي نسيه البشر جميعا .

إن اليهود لا يستطيعون أن يدعوا في وقت من الأوقات ان اسم عزيز كان معروفا عندهم قبل اختلاطهم بقدام المصريين ، وهذا الاسم في لغتهم من مادة ( عوزر ) وهي تدل على الألوهية ، ومعناه الإله المعين ، وكانت بالمعنى نفسه عند قدماء المصريين في اسم ( عوزر ) أو ( أوزيرس ) الذي كان عندهم في الدهر الأول ، بمعنى الإله الواحد ، ثم صاروا يعتقدون أنه ابن الله عقب عبادتهم للشمس . واليهود أخذوا منهم هذا الاسم في الطور الثاني عندما كانوا يعتقدون ان اوزيرس ابن الله .

فهذا سر من أسرار القرآن لم يُكشَفْ إلا بعد ظهور حقيقة ما كان عليه قدماء المصريين في العصر الحديث . وما كان شئ من ذلك معروفا

في الدنيا عند نزول القرآن ! حتى إن أعداء الإسلام كانوا يصوغون من هذه الحقيقة التاريخية شبهة يُلطخون بها وجه الإسلام ويطعنون بها في القرآن ، فقال اليهود منهم : إن القرآن يُقولنا ما لم نقل ولا فـي عقائدنا .

وأتى دعاة النصرانية منهم بما شاء لهم أدبهم من السب ، والطعن والزراية بالقرآن ودين الاسلام ونبيي (١) الإسلام ) .

وفي تفسير الآيات السابقة قال أبو حيان :-

( بين تعالى إلحاق اليهود ، والنصارى بأهل الشرك ، وإن اختلفت طرق الشرك فلا فرق بين من يعبد الصنم ، وبين من يعبد المسيح وغيره ، لأن الشرك هو أن يتخذ مع الله معبودا ، بل عابد الوثن أخف كـفـرا من النصراني لأنه لا يعتقد ان الوثن خالق العالم والنصراني يقول بالحلول والاتحاد ، وقال ذلك نفر من اليهود كانوا بالمدينة ، قال ابن عباس : قالها أربعة من أبحارهم :

سلام ابن مشكم ، ونعمان بن أوفى ، وشاس بن قيس ، ومالك بن الصيف . قيل والدليل على أن هذا القول كان فيهم أن الآية تليت عليهم فـمـا أنكروا ولا كذبوا مع تهالكهم على التكذيب ، وسبب هذا القول أن اليهود قتلوا الأنبياء بعد موسى عليه السلام ، فرفع الله عنهم التوراة ومحاها من قلوبهم ، فخرج عزيز وهو غلام يسيح في الأرض ، فأتاه جبريل ، فقال له : إلى أين تذهب ؟ قال : أطلب العلم ، فحفظه التوراة ، فأملاها عليهم عن ظهر لسانه لا يخرم حرفا ، فقالوا : ما جمع الله تعالى التوراة في صدره وهو غلام إلا أنه آبنه . وظاهر قول النصارى المسيح ابن الله بنوة النسل كما قالت العرب في الملائكة . ويقال إن بعضهم يعتقدها بنوة حنو ورحمة ، وهذا القول لم يظهر إلا بعد النبوة المحمدية وظهور دلائل صدقها ، وبعد أن خالطوا المسلمين وناظروهم ، فرجعوا عما كانوا يعتقدونه فـي عيسى .

(١) مناهل العرفان في علوم القرآن ٢٧٨/٢ للزرقاني ( دار احياء الكتب العربية ) .

ومعنى (بأفواههم ) انه قول لا يعضده برهان ، فما هو إلا لفظ فارغ يفوهون به كالألفاظ المهمة . وقيل : معنى بأفواههم إلزامهم المقالة والتأكيد كما قال يكتبون الكتاب بأيديهم ولا طائر يطير بجناحيه<sup>(١)</sup> .

وقوله تعالى : ( يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلِ ) أي يشبهون في مقالاتهم قول الذين كفروا من قبلهم ، والمضاهاة المماثلة ، والمشابهة والمحاكاة ، فهم في نسبة الولد لله مقلدون لمن قبلهم من الأمم .

والذين كفروا من قبل من هم ؟

يقول عبد الكريم الخطيب : ( يمكن أن يكون هؤلاء الذين كفروا من قبل مراداً بهم آباؤهم الأولون الذين غيروا في دين الله وتأولوا آياته وكلماته هذا التأويل الذي صار بهم إلى الكفر . فهؤلاء الكافرون من اليهود والنصارى الذين يخاطبهم القرآن هذا الخطاب هم متابعون لآبائهم الأولين محاكون لهم ، ويمكن أن يكون الذين كفروا من قبل ، كل من سبق اليهود والنصارى من الذين كانوا يدينون بهذا المعتقد الذى يجعل لله إبناً يُعبد من دون الله أو يُعبد مع الله ، مثل تلك المعتقدات التى كان يعتقد ها اليونان في توليد الآلهة بعضهم من بعض ، وكما كان يعتقد الفراعنة في آلهتهم وإضافة ملوكهم إلى آلهة سماويه علوية ، وكما يعتقد المعتقدون في (بوذا) وانه مولود إلهي<sup>(٢)</sup> .

أما قوله تعالى : ( قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ) فهو دعاء عليهم ولعنة من الله وتعجب كيف يصرفون عن الحق والصواب<sup>(٣)</sup> .

فإن الله سبحانه وتعالى عَجَبَ نبيه صلى الله عليه وسلم من تركهم الحق وإصرارهم على الباطل .

وقد ورث النصارى هذه العقيدة عن اليهود وتشبثوا بها ، وآمنوا

(١) البحر المحيط ٥ / ٣١ .

(٢) التفسير القرآنى للقرآن ١٠ / ٧٤٢ عبد الكريم الخطيب .

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل ٢ / ٧٤ ( محمد بن جزى الكلبى ) .

بها حتى وقتنا الحالي ، وقد تكلم القرآن عن عقيدة النصارى هذه وعن غلوهم في المسيح ، ذلك أن ولادة المسيح عليه السلام من غير أب جعلتهم يعتقدون أنه مادام كذلك فهو ابن الله ، تعالَى الله عما يقولون علواً كبيراً .

وقد خلقوا لهم عقيدة غريبة ، هي أَنَّ الله مركب من ثلاثة أقانيم : الأب ، والابن ، والروح القدس ، أرادوا بذلك نفي الولادة بطريق التزواج ، لان عقول البشر لا تقبل منهم مفهوم الإله على أنه كواحد من البشر يولد له بطريق التزواج والتناسل ، فهم بذلك كذابون ، مدلسون يفترون على الله ما لا يعلمون ، ويحاولون أن يلقوا في أوهام المصدودين والمصروفين عن الهدى التشبث بهذه العقيدة .

ومن البدهي أن عقيدة النصارى المعروفة لم يقلها المسيح عليه السلام ولم يعلمها ، وهي غلو النصارى فيه وتأليهه .

وقد انقسمت النصارى إلى فرق ، وطوائف عديدة كل منها لها آراءها وأقوالها المخالفة للأخرى في عقيدتهم القائمة بالتثليث .

وأكبر هذه الفرق وأشهرها ثلاث ، هي : الملكانية ، والنسطورية واليعقوبية وقد تفرعت عنها الكثير من الطوائف .

وسأذكر بإيجاز كلام تلك الفرق عن حقيقة السيد المسيح لايضاح مذهبهم الذي يعتقدونه .

#### ( ١ ) الملكانية :-

قالوا ان الكلمة اتحدث بجسد المسيح وتدرعت بنا سوته ويعنون بالكلمة أقنوم العلم ، ويعنون بروح القدس أقنوم الحياة ، ولا يسمون العلم قبل تدرعه به ابناً ، بل المسيح مع ما تدرع به ابن وصرحت الملكانية بأن الجوهر غير الأقانيم ، وقالوا : ان المسيح ناسوت كلي لا جزئي ، وهو قديم أزلي من قديم أزلي ، ولقد ولدت مريم عليها السلام إليها أزيلاً ، وأطلقوا لفظ الأبوة والنبوة على الله عز وجل وعلى المسيح .<sup>(١)</sup>

(١) الملل والنحل ٢/ ٦٢ : ٦٥ للشهرستاني ومعه (الفصل في الملل والنحل) .

فانظر كيف قالت هذه الفرقة كلاماً لا يقبله العقل بحال من الأحوال إذ يحيل العقل أن يولد إله أزلي ، كما أنهم يحاولون تبرير ضلالهم بتسمية أقنوم العلم معنى تدرعه بناسوت المسيح ابنا ، وهم ينسبون ذلك العلم إلى الله عز وجل قبل التدرع بناسوت المسيح ، ومعنى هذا عندهم أن علم الله قبل التدرع بناسوت المسيح معطلا ، وأن كل ما كان يجري في الكون لا يعلمه الله . إذ لو كان علم الله محيطاً بالأشياء قبل التدرع بناسوت المسيح فما الحاجة إلى حلوله في جسد المسيح وتدرعه بناسوته كما يسمون أقنوم الحياة روح القدس ونفس النقد الذي نقدت به فهمهم — لأقنوم العلم أنقد به فهمهم لما يسمى عندهم بأقنوم الحياة ( روح القدس ) ولولا خشية الإطالة لأفضت في نقد هذه الفرقة وأقمت البراهين المتعددة على ضلالها .

( ٢ ) النسطورية :-  
سسسسسسسسسسسس

قالوا : إن الله تعالى واحد ذو أقانيم ثلاثة : الوجود ، والعلم ، والحياة وهذه الاقانيم ليست زائدة على الذات ولا هي هو واتحدت الكلمة بجسد عيسى عليه السلام لا على طريق الامتزاج كما قالت الملكانيّة ولا على طريق الظهورية كما قالت اليعقوبية ، ولكن كإشراق الشمس في كوة أو على بلور ، ومنهم من أطلق القول بأن كل واحد من الأقانيم الثلاثة هي ناطق إله ، وزعموا ان الابن لم يزل متولداً من الأب ، وإنما تجسد واتحد بجسد المسيح حين ولد ، والحدوث راجع إلى الجسد ، والناسوت، فهو اله وانسان اتحدا وهما جوهران أقنومان طبيعتان جوهر قديم وجوهر محدث ، إله تام وانسان تام ، ولم يبطل الاتحاد قدم القديم ولا حدوث المحدث لكنهما صارا مسيحاً واحداً مشيئة واحدة<sup>(١)</sup>

وقد استشعرت هذه الفرقة بطلان قول الفرقة السابقة ، وأن من السهل على كل ذى عقل نقده وإبطاله . فحاولت ان تقرب عقيدتها إلى العقل فضلت وتناقضت ، حيث جعل بعضهم إله واحداً والأقانيم

(١) الملل والنحل ٢/٦٢ : ٦٥ للشهرستاني ومعه ( الفصل في



الثلاثة صفات زائدة على الذات ، فلا هي هو ولا هي غيره وحاول بعضهم أن يجعل كل صفة من هذه الصفات إلهاً حياً ناطقاً وهذا عين التناقض من فريقى هذه الفرقة ، فلا يعقل أن يكون واحداً زائد ثلاثة واحداً ، بل المعقول أن واحد زائد ثلاثة يساوى أربعة ، كذلك تناقض بعضهم فى تسمية كل أقنوم بالإله الناطق الحي ، فوقعوا فى التناقض الظاهر كالمكانية ولم يغنهم تغليفهم تناقضهم بمحاولة تقريبهم فهمهم الباطل هذا إلى العقل ، وصدق الله العظيم اذ يقول :

( مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ ، سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ )<sup>(١)</sup> .

فالإله الحقيقي لا بد وأن يكون قادراً ولا بد أن يكون له السلطان التام على ما يوجد ويخلقه ، ولا يكون إلهاً مادام يعلوه غيره أو يساويه فقولهم هذا ضلال ظاهر ، إذ لا حاجة بنا إلى مثل ذلك لأنه مهمما برره لا يوفر التفزيه ، والسلطان المطلق لله عز وجل ، بل هو يثبت العجز ، والحاجة ، حيث شعت الأقانيم على المسيح كأشعة الشمس على المرأة أو على الكوة ، وهم يريدون أن هذه الأقانيم قد استغرقت عيسى واتحدت به فتجسدت فيه للبشر ، لأنهم لا يفهمون الإله إلا جسداً . ولأمسك القلم عن الإطالة فى نقد هذه الفرقة حتى لا أخرج عن هدف البحث .

( ٣ ) اليعقوبية :-  
—————

قالوا بالأقانيم الثلاثة ، إلا أنهم قالوا : انقلبت الكلمة لحماً ودماً فصار الإله هو المسيح وهو الظاهر بجسده بل هو هو ، فمنهم من قال المسيح هو الله ، ومنهم من قال ظهر اللاهوت بالناسوت فصار ناسوت المسيح مظهر الحق لا على طريق حلول جزء فيه ولا على سبيل اتحاد الكلمة التي هي فى حكم الصفة بل صار هو هو .<sup>(٢)</sup>

(١) المؤمنون (٩١) .

(٢) الملل والنحل ٦٦/٢ الشهرستاني ومعه ( الفصل فى الملل والنحل )

وأيضاً هذه الفرقة تحاول كسابقاتها أن تحشر هذا الهراء في عقل البشر بما تحاوله من وسائل عاجزة لا يمكن أن توصل إلى شيء . ولأسألهم سؤالاً واحداً ، لماذا اتحدت الكلمة بالمسيح ؟ ولماذا تجسدت في المسيح ؟ ما حاجة الله بذلك ؟ وأي شيء طرأ على العالم من نواميس جديدة في نظام الكون بعد هذا الاتحاد يتميز عما قبل هذا الاتحاد ؟ هذا إله هو الضلال المبين ؟ بل نظام الكون وقوانينه سارية فيه منذ خلقه الله ، وقبل خلق عيسى عليه السلام بدهور وقرون لا يحيط بها الإحصاء ولا أعني بها قدم العالم ، بل أعني تطاول الزمن الذي مضى على هذه النواميس قبل خلق عيسى عليه السلام وهي كذلك بعد خلق عيسى عليه السلام ، فلم يفد اتحاد الكلمة بالناسوت ، أو انقلاب الكلمة جسداً كما يقولون ولا يسع المؤمن بعد أن يطالع هذا الضلال إلا أن تنادي كل ذرة فيه لا إله إلا الله محمد رسول الله وسائر الأنبياء رسل الله ، بعثهم الله لتوحيد الله عز وجل : ( وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيهِ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ) (١) .

والجدير بالذكر أن أول من قال بأن المسيح ابن الله هو ، (شاول) الذي يعد بحق واضع أسس المسيحية المعروفة حالياً ومدون قوانينها كما يرى أكثر الباحثين الغربيين ، وشاول هذا الذي عرف فيما بعد باسم (بولس) يهودي متعصب لديانته ، وكان يحارب الكنيسة ، ويضطهد من يصادفه من مسيحيين كأعنف ما يكون الاضطهاد .

يقول الدكتور أحمد شلبي :

( ويبدو وأنه كان من وسائل بولس لتدمير المسيحية أن يحط بمعتقداتها واتجاهاتها المقدسة ، ووضع لذلك طريقة تكفل له الوقوف في وجه معارضيها عندما يظهر بأفكاره الجديدة ، فادعى (شاول) أن السيد المسيح بعد نهايته على الأرض ظهر له وصاح فيه وهو في طريقه إلى دمشق : لماذا تضطهدني ؟ فخاف شاول وصرخ : من أنت يا سيد ؟

(١) الأنبياء (٢٥) .

قال : أنا يسوع الذي تضطهده ، قال شاول : ماذا تريد أن أفعل؟  
قال : قم وكرز بالمسيحية .

ويقول لوقا في ختام هذه القصة جملة ذات بال غيرت وجه التاريخ  
هي : ( وللوقت جعل يكرز في المجامع بالمسيح أنه ابن الله ) !

وهكذا وضع بولس لنفسه سياجا يحتمي به لأنه كان يدرك أن معارضة  
قوية ستهب في وجهه وتنكر هذه المعتقدات الجديدة التي جاء بها  
وهي القول بتعدد الآلهة ، وأن عيسى ابن الله نزل ليضحي بنفسه  
للتكفير عن خطيئة البشر (١) .

وفعلا قامت الثورات العديدة في وجه هذه المسيحية الوثنية المثلثة  
وقاوم أهل التوحيد ذلك المد الجارف ، ولما لم يستطيعوا الوقوف  
أمامه فرّوا بدينهم إلى الصحارى وشواطئ البحار كما نلاحظه في  
مصر ، وفلسطين وغير ذلك .

والقرآن الكريم بين لنا عقائد النصارى مفصلة وبين أن محور عقيدتهم  
يدور حول ثلاثة أقوال أو معتقدات .

أولاً : منهم من يعتقد أن المسيح هو الله تجسم في صورة يسوع ونزل  
إلى الأرض .

ثانياً : ومنهم من يعتقد بأن المسيح هو ابن الله لأنه خلق من روحه .

ثالثاً : ومنهم من يعتقد بالتثليث : الأب ، والابن ، والروح القدس  
وأن الثلاثة واحد والواحد ثلاثة .

وقد كفر الله تعالى النصارى الذين اعتقدوا هذه العقيدة الفاسدة  
التي انحرفوا بها عما جاء به رسول الله عيسى عليه السلام من توحيد .  
وآيات سورة المائدة ترد على هذه العقيدة وتدحضها .

---

(١) مقارنة الأديان / المسيحية ص ٢٩٤ ( د . أحمد شلبي ) طبعه  
خامسة .

قال تعالى : ( لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ، يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ) (١) .

بين الله سبحانه وتعالى لأصحاب هذه العقيدة أن عيسى قابل لنزول الهلاك به ، وأن الله عز وجل لو أراد أن يهلكه هو وأمه لا يقدر هـو أو أمه أو أحد من البشر رد هذا الهلاك . فكيف يكون عيسى إليها وهو قابل للهلاك ، فمن يعجز عن دفع الهلاك عن نفسه أعجز أن يدفعه عن غيره .

قال النسفي في معنى الآية الكريمة :-

( معناه بت القول على أن الله هو المسيح لاغير ، قيل كان فسي النصارى قوم يقولون ذلك ، أولأن مذهبهم يؤدي إليه حيث إنهم اعتقدوا أنه يخلق ويحيي ويميت فمن يمنع من قدرته ومشئته شيئا إن أراد أن يهلك من دعوه إليها من المسيح وأمه يعني أن المسيح عبد مخلوق كسائر العباد ، وعطف من في الأرض جميعا على المسيح وأمه لإبانه أنهما من جنسهم لا تفاوت بينهما ، وبينهم ، والمعنى أن من اشتمل عليه رحم الأمومية متى يفارقه نقص البشريه ؟ ومن لاحت عليه شواهد الحديثية أنى يليق به نعت الربوبية ؟ ولو قطع البقاء عن جميع ما أوجد لم يعد نقص إلى الصمدية ) (٢) .

ولم يكتف القرآن بهذه الآية في بيان ضلال عقيدتهم بل كرر الحديث

عنها في نفس سورة المائدة حيث يقول جل من قائل :-

( لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنِي إِسْرَائِيلَ ۖ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ، لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَنْ إِلَهٌ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ

(١) المائدة (١٧) .

(٢) النسفي ١ / (٢٧٦-٢٧٧) .

الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ، أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ، مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَأَنَّا بِكُلَّانِ آلِطَّعَامٍ أَنْظَرُ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ نَنْظُرُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ، قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ، قُلْ يَا أَهْلَ الْكُتُبِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ (١) .

هذه الآيات الكريمة تقيح لأفعال النصارى ولإبطال لأقوالهم الفاسدة التي ألهمت عيسى عليه السلام ، والحال أن عيسى عليه السلام يعترف بالعبودية لله تعالى ، وكان يكفي الحكم عليهم بالكفر ، لكن الله تعالى ذكر قول عيسى عليه السلام لهم في هذه الآية لزيادة تقيح أحوالهم وتكذيب أقوالهم . فقله تعالى :

( قال المسيحُ يا بني إسرائيل اعبدوا اللهَ ربِّي وربُّكم . . . . . ) دعوة من المسيح لعبادة الله الواحد الذي هو رب المسيح ورب المخلوقات كافة ، لأن من كفر بالله أو أشرك به أحدا في العبادة أو فيما يختص به من صفات الألوهية فقد حرم الله عليه الجنة ، لأنها دار الموحديين (ومأواه النارُ) فإنها دار الكافرين ومستقرهم ( وهذا بيان ابتلائهم بالعقاب اثر بيان حرمانهم من الثواب .

(وما للظالمين من أنصار) : أي مالهم من أحد ينصرهم بإنقاذهم من النار لما بطريق المغالبة أو بطريق الشفاعة ، والجملة تذييل لما قبله ، وهو إما من تمام كلام عيسى عليه السلام ولما وارد من جهته تعالى تأكيدا لمقالته عايه السلام وتقريراً لمضمونها ، وقد قيل إنه من كلامه عز وجل على معنى أنهم ظلموا وعدلوا عن سبيل الحق فيما تقولوا على عيسى عليه السلام ، فلذلك لم يساعدهم عليه ولم ينصر قولهم وردة وأنكره وإن كانوا معظمين له بذلك ورافعين من مقداره ، أو من قول عيسى عليه السلام

(١) المائة (٧٢ - ٧٧) .

على معنى لا ينصركم أحد فيما تقولون ولا يساعدكم عليه لاستحالته وبعده  
عن المعقول (١) .

ويستأنف القرآن الكريم الكلام لبيان عقيدة بعض فرق النصارى وهم  
القائلون بالتثليث ، ويبين كفرهم واضطرا بهم فيما اعتقدوه ، فيقول  
تعالى : ( لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثٌ ثَلَاثٌ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ  
وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ )  
والمراد بثالث ثلاثة : أى واحد من ثلاثة .

قال الشوكانى :

( والمراد بالثلاثة : الله سبحانه وتعالى ، وعيسى ، ومريم عليهم  
السلام ، كما يدل عليه قوله : ( عَمَّا أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذْ وْنِي وَأُمَّيَّ سَيِّ  
إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ ) (٢) وهذا هو المراد بقولهم ثلاثة أقانيم : أقنوم  
الأب ، وأقنوم الابن ، وأقنوم روح القدس ، ثم رد الله سبحانه عليهم لهذه  
الدعوى الباطلة فقال :

( وما من إله إلا إله واحد ) أى ليس في الوجود إلا الله سبحانه وتعالى  
وهذه الجملة حالية : والمعنى قالوا تلك المقالة والحال أنه لا موجود  
إلا الله (٣) .

فمن لم يكف ويرجع عن هذا الكذب والافتراء الذي هو كفر محض سيكون  
مصيره العقاب الأليم والعذاب الشديد في الآخرة ، فمن كرمه تعالى وجوده  
ولطفه ، ورحمته بخلقه من هذا الذنب العظيم وهو الافتراء على الله  
وعلى رسوله عيسى بأقوال باطلة ومعتقدات فاسدة يدعوهم سبحانه إلى  
التوبة بالكف عن هذه الأقوال واستغفار ربهم وتوحيده ، فكل من تاب  
تاب الله عليه وأسبغ عليه رحمته .

ويسوق الله تعالى الآيات التي تبين حقيقة المسيح عليه السلام وأمه  
مريم رضی الله عنها بالإشارة إلى أن المسيح لا يعد وحاله حال من

(٢) المائدة (١١٦) .

(١) تفسير ابي السعود ٦٦/٣ .

(٣) فتح القدير ٦٤/٢ .

سبقه من الرسل الكرام ، نظرا لأن النبوة هي من أعلى مراتب الكمال البشري وعيسى عليه السلام كمن سبقوه من الرسل الذين اصطفاهم الله سبحانه لتلك المراتب . ويصف الله عز وجل أمه مريم بأنها صديقة وهي أيضا من أعلى ما تصل إليه النساء من مراتب عند الله ، ثم بعد ذلك يبين أن حالهم كحال باقي البشر في كل ما يحتاجونه ، فقال تعالى :

( ما المسيحُ آبنُ مريمَ إلاَّ رسولٌ قد خلتَ من قبله الرسلُ ، وأمه صديقةٌ <sup>(١)</sup> )

كانا يأكلانِ الطعامَ ، انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنتي يؤفكون .

فما عيسى عليه السلام إلا رسول من جنس الرسل الذين سبقوه جاء بآيات ومعجزات من الله كما أتوا بأمثالها .

يقول الزمخشري :

( أي فما منزلتهما إلا منزلة بشرين أخذهما نبي والآخر صحابي فمن أين اشتبه عليكم أمرهما حتى وصفتموهما بما لم يوصف به سائر الأنبياء وصحابتهم ، مع أنه لا تمييز ، ولا تفاوت بينهما وبينهم بوجه من الوجوه ثم صرح ببعدهما عما نسب إليهما في قوله ( يأكلانِ الطعامَ ) لأن من احتاج إلى الاغتذاء وما يتبعه من الهضم والنفذ لم يكن إلا جسما مركبا من عظم ، ولحم ، وعروق ، وأعصاب ، وأخلاق ، وأمزجة مع شهوة وقرم وغير ذلك مما يدل على أنه مصنوع مؤلف مدبر كغيره من الأجسام <sup>(٢)</sup> ) .

ويعجب الله تعالى رسوله عليه السلام من حال هؤلاء الذين يجعلون تلك الأوصاف مستلزمة للالهية ، ويغفلون عن كونها موجودة في من يقولون بأنه إله في قوله تعالى : ( انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنتي يؤفكون ) ويكرر الله سبحانه وتعالى لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم الأمر بالنظر ، للمبالغة في التعجب من حال أهل الكتاب ، وكيف أنهم يصرفون عن الحق بعد هذا البيان ويتبعون الباطل والكذب ، وقد عبر ( بثم ) لظهار ما بين العجبين من تفاوت .

(١) قيل سميت مريم صديقة لأنها صدقت بآيات ربها وبكل ما أخبر عنه ولها أو أنها صدقت جبريل عندما أتاها لينفخ فيها من روح الله وكذلك لبعدها عن المعاصي وشدة جدها واجتهادها في إقامة شعائر العباداة . التفسير الكبير ١٢ / ٦٥ .

(٢) الكشاف ١ / ٦٣٥ .

قال الرازى :

( اعلم أن المقصود من ذلك : الاستدلال على فساد قول النصارى

من وجوه :

الأول : أن كل من كان له أم فقد حدث بعد أن لم يكن ، وكل من كان كذلك كان مخلوقا لا إلهيا .

الثانى : أنهما كانا محتاجين لأنهما كانا محتاجين الطعام اشد الحاجة والإله هو الذي يكون غنيا عن جميع الأشياء فكيف يعقل أن يكون إلهيا .

الثالث : ان الإله هو القادر على الخلق ، والإيجاد فلو كان إلهيا لقدر على دفع ألم الجوع عن نفسه بغير الطعام والشراب ، فلما لم يقدر على دفع الضرر عن نفسه كيف يعقل أن يكون إلهيا للعالمين ؟ .  
وبالجملة ففساد قول النصارى أظهر من أن يحتاج فيه إلى دليل (١) .

ثم يأتى السياق القرآنى بصيغة الأمر من الله سبحانه وتعالى لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم ومنكرا على من عبد غيره من الأنداد ، والأوثان ومبيناً أنها لا تستحق شيئا من العبودية فقال : ( قل أتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا والله هو السميع العليم ) .

(أمر الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وسلم أن يقول هذا القول وإلزاما لهم وقطعا لشبهتهم : أي أتعبدون من دون الله متجاوزين إياه ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا ؟ بل هو عبد مأمور وما جرى على يده من النفع أو من دفع الضر فهو بإقدار الله سبحانه وتعالى له ، وتمكينه منه وأما هو فهو يعجز عن أن يملك لنفسه شيئا من ذلك فضلا عن أن يملكه لغيره . ومن كان كذلك فكيف تتخذونه إلهيا وتعبدونه ؟ وأي سبب يقتضى ذلك ؟ والمراد هنا المسيح عليه السلام ، وقدم سبحانه الضر على النفع لأن دفع المفسد أهم من جلب المصالح فكيف تعبدون من لا يملك

(١) التفسير الكبير ١٢ / ٦٥ .



ضرا ولا نفعا والحال أن الله هو السميع العليم ومن كان كذلك فهو القادر على الضر والنفع لاحاطته بكل مسموع ومعلوم ، ومن جملة ذلك مضاركم ومنافعكم (١) .

ويعد أن بين الله سبحانه وتعالى عقيدة النصارى وأبطلها ورد على شبهها ، وقد تكلم أيضا عن فساد عقيدة اليهود وأبطلها فسي صدر سورة المائدة ، خاطب بعد ذلك كلا الطرفين من يهود ونصارى فقال :

( قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سُبُلِ السَّبِيلِ ) .

في الآية السابقة ينهى الله عز وجل أهل الكتاب عن مجاوزة الحق وتخطيه بالاعراض عن الأدلة واتباع الشبه والأهواء كتأليه عيسى كما يقول النصارى ، أو التقيح عليه كما قالت اليهود ، فان كل ذلك من الغلو المذموم وهو الافراط أو التفريط وقوله ( غير الحق ) أي لا تغلوا فسي دينكم غلوا غير الحق لأن الغلوفى الدين نوعان : غلوا باطل كغلوا النصارى ، وغلوا حق وهو المبالغة في بذل الجهد لتقرير أمر الدين وتأكيده وتحصيل حججه .

ثم قال تعالى :

( ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل ) .

والخطاب لأهل الكتاب حيث تهاهم عن الاقتداء بمذهب أسلافهم الخاطيء .

(١) فتح القدير ٢/ ٦٥ .

(٢) في بيان عقيدة اليهود قال تعالى ( وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ ) وَأَحِبُّوا قُلُوبَهُمْ فَلِمَ يُعَذِّبُهُمْ بِذُنُوبِهِمْ بَلِ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ . المائدة ( ١٨ ) .

وقد وصفهم الله تعالى بثلاث درجات من درجات الضلال :-  
 فيبين أنهم كانوا ضالين من قبل البعثة المحمدية وكانوا أيضا مضليين  
 لغيرهم من الناس ثم أنهم استمروا على حالهم من الضلال بعد البعثة  
 المحمدية .<sup>(١)</sup>

وقد يحتج النصارى أن عيسى عليه السلام خلق من غير أب ، والمعهود  
 أنه لا ولديه الا بأبوة حقيقية من جنس المولود ، فاذا ظهر عيسى السى  
 الوجود دون أن يكون له أب من البشر وهذا لا يختلف فيه اثنان فأبوه  
 اذن هو الله تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا .

وأرد على هذا الزعم أن الولادة بأب مقدور لله عز وجل . والولادة  
 بغير أب مقدور لله عز وجل ، والأمران فى قدرته متساويان ، وتوقف التوالد  
 على الأبوة عجز يتنزه عنه القادر المقتدر ، وقد وصف نفسه تعالى بأنه  
 اذا أراد شيئا قال له كن فيكون ، فخلق الأشياء يكفى فيها ارادة الله  
 خلقها بسبب أو بغير سبب ، والأسباب لا تحكم على الله عز وجل بل هى  
 المحكومة بايجاده لها ، واذا كانت الولادة من غير أب تقتضى البتة لله  
 تعالى؛ فأدم عليه السلام أولى بذلك ، لانه خلق ابتداءً من غير أب ، ولا أم  
 ومع ذلك لم يقل ببنته أحد من بنى آدم ، فعيسى عليه السلام مثله  
 فى ذلك بالكلمة ، فالكل سبب للايجاد متى أراد الله أن يكون مسببا عنه  
 قال الله تعالى :

( ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن  
 فيكون )<sup>(٢)</sup>

قال النسفى فى تفسير هذه الآية :

( أى ان شأن عيسى ، وحاله الغربية كشأن آدم عليه السلام ) خلقه  
 من تراب ) قدره جسدا من طين وهى جملة مفسرة لحالة ، شبه عيسى  
 بأدم ، ولا موضع لها ، أى خلق آدم من تراب ولم يكن ثمة أب ولا أم فكذلك

(١) انظر التفسير الكبير ٦٧/١٢ وفتح القدير ٦٥/٢ .

(٢) آل عمران (٥٩) .

حال عيسى ، مع أن الوجود من غير أب وأم أغرب وأخرق للعادة الوجود في غير أب ، فشبه الغريب بلا أغرب ليكون أقطع للخصم ، وأحسم لمادة شبهته اذا نظر فيما هو أغرب مما استغربه ، وعن بعض العلماء أنه أسر بالروم فقال لهم : لم تعبدون عيسى ؟ قالوا : لأنه لا أب له ! قال : فآدم أولى لأنه لا أبوين له ! قالوا : كان يحيى الموتى ! قال فحزقييل أولى لأن عيسى أحى أربعة نفر وحزقييل ثمانية آلاف ! فقالوا : كان يبرئ الأكمه والأبرص ، قال : فجرجيس أولى لأنه طبخ وأحرق ثم قام سالماً (١) .

وقال ابن تيمية :

( أعتى بقوله : ( مثل عيسى ) إشارة الى البشرية المأخوذة من مريم الطاهرة ، لأنه لم يذكر هنا اسم المسيح انما ذكر عيسى فقط ، وانه سبحانه خلق هذا النوع البشرى على الأقسام الممكنة ليبين عموم قدرته ، فخلق آدم من غير ذكر ولا أنثى وخلق زوجته حواء من ذكر بلا أنثى كما قال : ( وخلق منها زوجها ) وخلق المسيح من أنثى بلا ذكر وخلق سائر الخلق من ذكر وأنثى ، وكان خلق آدم وحواء أعجب من خلق المسيح ، فان حواء خلقت من ضلع آدم ، وهذا أعجب من خلق المسيح في بطن مريم ، وخلق آدم أعجب من هذا وهذا وهو أصل خلق حواء .

فهذا شبهه الله بخلق آدم الذى هو أعجب من خلق المسيح فاذا كان سبحانه قادراً أن يخلقه من تراب ، والتراب ليس من جنس بدن الانسان ، أفلا يقدر أن يخلقه من امرأة هى من جنس بدن الانسان ؟ وهو سبحانه خلق آدم من تراب ثم قال له كن فيكون لما نفخ فيه من روحه فكذلك المسيح نفخ فيه من روحه وقال له كن فيكون .

ولم يكن آدم بما نفخ من روحه لا هوتا وناسوتا ، بل كله ناسوت ، فكذلك المسيح كله ناسوت ، والله تبارك وتعالى ذكر هذه الآية فى ضمن

(١) النسفى ١ / ١٦٠ .

الآيات التي أنزلها في شأن النصارى لما قدم على النبي صلى الله عليه وسلم وفد نصارى نجران ( ١ ) .

هذا هو عيسى عليه السلام ( ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ) ( ٢ ) .

وسيخاطب الله تعالى عبده عيسى عليه السلام يوم القيامة بحضرة من اتخذه واهباً للهين من دون الله منكراً عليهم هذا الفعل الشنيع .

قال تعالى :  
( وَلِذَٰلِكَ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَىٰ ابْنُ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذْ وِثْيِي وَأُمِّسِي ۗ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ ، قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ ۗ إِن كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ۗ إِنَّكَ أَنْتَ عَٰلِمُ الْغُيُوبِ ) ( ٣ ) .

قال الفخر الرازي :  
في قوله تعالى ( ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذْ وِثْيِي وَأُمِّسِي ) من دون الله ( سؤالان : أحدهما : أن الاستفهام كيف يليق بعلام الغيوب ؟ .  
وثانيهما : أنه كان عالماً بأن عيسى عليه السلام لم يقل ذلك فلم خاطبه به ؟  
فان قلت : الغرض توبيخ النصارى وتقريعهم فنقول إن أحداً من النصارى لم يذهب إلى القول بالهية عيسى ومريم عليهما السلام مع القول بنفي الهية الله تعالى ، فكيف يجوز أن ينسب هذا القول إليهم مع أن أحداً منهم لم يقل به ؟ .

والجواب : عن السؤال الأول : أنه استفهام على سبيل الإنكار .  
والجواب عن السؤال الثاني : أن الإله سبحانه هو الخالق والنصارى يعتقدون أن خالق المعجزات التي ظهرت على يد عيسى ومريم هو عيسى عليه السلام ومريم ، والله تعالى ما خلقها البتة ، ولذا كان كذلك فالنصارى

( ١ ) الجواب الصحيح لمن يدل دين المسيح ٢٩٣/٢ ابن تيمية .

( ٢ ) مريم ٣٤ - ٣٥ .

( ٣ ) المائدة ( ١١٦ ) .

قد قالوا : إنَّ خالق تلك المعجزات هو عيسى ومريم عليهما السلام والله تعالى ليس خالقها ، فصح أنهم أثبتوا في حق بعض الأشياء كون عيسى ومريم إلهين له مع أن الله تعالى ليس إلهاً له ، فصح بهذا التأويل هذه الحكاية والرواية . ولم يكن جواب عيسى عليه السلام بالنفسي أو الإيجاب بل قال : سبحانك ما ينبغي لي أن أقول ما ليس لي بحق أو أن أدعى لنفسى ما ليس من حقها فإنك تعلم ما أريد ، ولا أعلم ما تريد<sup>(١)</sup> .

وقد سرت هذه الشبهة إلى العرب وتولاها المشركون بالقبول ، فلم يكتفوا بأن نسبوا لله تعالى الولد ، بل لقد أنثوا الملائكة وادعوا أنهم بنات الله ، فكانت فريتهم في منتهى البشاعة . حيث إنهم جمعوا في عقيدتهم هذه ثلاث قبائح وهي نسبة الولد لله سبحانه وتعالى ، ثم تأنيث الملائكة من غير علم ولا دليل ، وخص الله بأخص الجنسين في نظرهم ، إذ نسبوا لله تعالى البنات وهم لهن محتقرون ، وخصوا أنفسهم بالذكور .

وقد تكلم القرآن الكريم في ذلك في عدة مواضع وساق الشبه بأسلوب الاستنكار لقولهم والاستهزاء بآرائهم في أغلب المواضع التي عرض فيها لهذا الموضوع .

قال تعالى :

( فَاسْتَفْتِهِمُ الرِّبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ ، أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ ، أَلَا إِنَّهُمْ مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ، وَلَدَ اللَّهُ وَلَدًا وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ ، مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ، أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ، أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُّبِينٌ ، فَاتُوا بِكِتَابِكُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ، وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ، سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ )<sup>(٢)</sup> .

(١) التفسير الكبير ١٢/١٤٢ .

(٢) الصافات ١٤٩-١٥٩ .

قال الزمخشري :

( أمر الله تعالى رسوله باستفتاء قريش عن وجه القسمة الضيبي التي قسموها ، حيث جعلوا لله الإناث ولأنفسهم الذكور في قولهم : ( الملائكة بنات الله ) مع كراحتهم الشديدة لهن ووأدهم واستنكافهم من ذكرهن .

ولقد ارتكبوا في ذلك ثلاثة أنواع من الكفر :-

احدهما : التجسيم لأن الولادة مختصة بالأجسام .

والثاني : تفضيل أنفسهم على ربهم حين جعلوا أوضاع الجنسين لله تعالى وأرفعهما لهم كما قال : ( وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهَهُ مَسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ، أَوْ مَنْ يَنْشَأُوا فِي الْجُلِيِّةِ وَهُوَ فِيهِ الْخِصَامُ غَيْرٌ مُبِينٌ ) (١) .

والثالث : أنهم إستهانوا بأكرم خلق الله عليه وأقربهم إليه حيث أنشوههم ولو قيل لأقلمهم ، وأدناهم فيك أنوثة أو شكلك شكل النساء للبس لقائله جلد النمر ولا نقلت حمايقيه وذلك في أهاجيهم بين مكشوف (٢) .

وينتقل القرآن الكريم إلى ضرب آخر من ضروب التبكيت والاستهزاء بآرائهم السخيفة وأقوالهم الركيكة فيقول تعالى ( أم خلقنا الملائكة إناثا وهم شاهدون ) ( خض علم المشاهدة لأن أمثال ذلك لا يعلم إلا به ، فإن الأنوثة ليست من لوازم ذاتهم ليتمكن معرفته بالعقل الصافي مع ما في ذكر المشاهدة من الاستهزاء بهم كما إذا أخبر بعض السفلة عن فعل سلطان فقلت له أكنت عنده لما فعلت ؟ ، وفرط الجهل لقطعهم بما لم يروه قطع من هو بمرأى ومسمع منه ) (٣) .

لذلك فهم مفترون أفاكون فيما ذهبوا إليه من أن الملائكة ولده تعالى وكذبهم واضح صريح لا ريب فيه لأن قولهم لم يرافقه دليل ولا شبهة قطعا ، فيقول تعالى : ( أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ رِافِكِهِمْ لَيَقُولُونَ وَلَدَ اللَّهُ وَلَهُمْ

(١) الزخرف (١٧-١٩) . (٢) الكشاف ٣/٣٥٤ .

(٣) تفسير البيضاوي - وحاشية الشهاب عليه ٧/٢٨٨ .

لكاذبون ) .

ولثباتا لإفكهم وتقريراً لكذبهم فيما قالوا استفهم على طريق التقرير والتوبيخ والإنكار لأمر بين الاستحالة هو أصطفاه تعالى البنات على البنين فقال تعالى :

( أصطفى البنات على البنين ) ؟

والاصطفاء هو اختيار صفوة الشيء لنفسه .

( مالكم كيف تحكمون ) ؟ بهذا الحكم الفاسد الذي يقضي ببطلانه بديهة العقل ، لأنه سبحانه وتعالى أفضل الموجودات وأكملها ، والأفضل والأفضل لا يليق به اصطفاء الأخرس ، ونسبة الأفضل إلى الأفضل أقرب إلى منطق العقل من نسبة الأخرس إلى الأفضل ، لذا كان ما ذهبت إليه باطلا بطلانا صريحا . ( أفلا تذكرون ) ؟ فتلاحظون بطلانه الذي يلاحظه الذكي ، والغبي على حد سواء .

( أم لكم سلطان مبين ، فأتوا بكتابكم إن كنتم صادقين ) .

قال الخطيب الشربيني ( ترك الاستدلال على فساد مذهبهم وطالبهم بإثبات الدليل الدال على صحة مذهبهم ، فإذا لم يجدوا دليلا ظهر بطلان مذهبهم وهذا هو المراد بقوله تعالى : ( أم لكم سلطان مبين ) أي حجة واضحة أن لله ولدا<sup>(١)</sup> ) .

وأسلوب الطلب أسلوب تعجيز لهم ، لأنه سبحانه يعلم أن دعواهم باطلة ، وأنهم ادعوا دون أن يكون لهم مستند حسي ، أو عقلي ، أو نقلي وفيه ما يشعر بالسخط العظيم ، والإنكار الفطري لأقاويلهم وتسفيه آرائهم وتعجيب من جهلهم .

وقد عقد الكفار نسبا بين الله تعالى وبين الجن ، حيث إن عقولهم المحدودة صورت لهم أنه لا تكون ولدية إلا من ذكر وأنثى ولكي يردوا على

(١) السراج المنير ٣ / ٣٣١ ( الخطيب الشربيني ) ومع أنوار التنزيل للبيضاوي ( المطبعة الخيرية ) .

هذه الاسئلة التي تكذبهم وتدحض دعواهم ، ادعوا أن الله صاهر الجنّ وتزوج منهم فانجبوا له الملائكة .

قال تعالى حاكيا عنهم :

( وجعلوا بينه وبين الجنة نسيا ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون ) .

وسميت الملائكة جنة لأنهم مستورون عنا ، والمراد بمادة الجن الاستتار وفي قوله تعالى : ( ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون ) يقول ابو السعود : ( أي وبالله لقد علمت الجنة التي عظموها بأن جعلوا بينها وبينه تعالى نسيه ، وهم الملائكة أن الكفرة لمحضرون النار معذبون بهـ لـ كـذبهم وافتراءهم في قولهم ذلك ، والمراد به المبالغة في التكذيب ببيان أن الذي يدعى هؤلاء لهم تلك النسبة ، ويعلمون أنهم أعلم منهم بحقيقة الحال يكذبونهم في ذلك ويحكمون بأنهم معذبون لأجله حكما مؤكدا . وقد نزه الله سبحانه وتعالى جنابه الأقدس عما نسبته إليه مشركو العرب فقال : " سبحان الله " أي تنزه وتعالى وتقـسـدس ( عما يصفون ) أي عما يصفونه به من نسبة الولد إليه ومصاهرته الجن ) (١) .

وقد كرر الله سبحانه وتعالى افتراء مشركي العرب عليه في ادعائهم أنه اتخذ له بنات في مواضع عديدة من الكتاب العزيز ، وكلها تدور على الاستهزاء بقولهم وتسفيهه ، حيث جعلوا له سبحانه ما يكرهون ولأنفسهم ما يحبون .

قال تعالى :

( وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ ، وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ، يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ) (٢) .

(١) تفسير ابي السعود ٢٠٨/٧ .

(٢) النحل (٥٧ - ٥٩) .



ويعالج القرآن الكريم أسطورة تأنيث الملائكة ونسبتها إلى الله تعالى وعبادتهم لها ، ثم يحاجهم بمنطقهم وعرفهم ، ويسخر من سخف دعواهم فإذا كان الله سبحانه وتعالى متخذاً أبناءً فما له يُصغِيهم بالبنين ويتخذ لنفسه البنات ، وهم أنفسهم يستنكفون من ولادة البنات ويستاءون منهن ويفضح الله أحوالهم في سورة الزخرف فيقول تعالى :

( وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جِزًّا إِنْ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ، أَمْ آتَّخَذَ مِنْ مَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَلَكُمْ بِالْبَنِينَ ، وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ، أَوْ مَنْ يَنْشَأُ فِي الْحُلِيِّةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ . وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنثًا أَشْهَدُوا وَخَلَقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ ، وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَا لَهُمْ مِمَّا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ، أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ ، بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّهْتَدُونَ (١) .

لوتأملنا في أوائل سورة الزخرف لوجدنا أنّ الله سبحانه وتعالى أخبر ان الكفار اعترفوا أنّ خالق الكون هو الله سبحانه وتعالى ، ومع ذلك نسبوا له البنين والبنات .

جاء في حاشية الشيخ زاده على تفسير البيضاوي :-  
( وقد جعلوا له بعد ذلك الاعتراف أي اعتراف الممكنات بأسرها بأنه ذو العزة البالغة ، والعلم المحيط ، ولعل الوجه في التعبير عن المولد بالجزء الدلالة على استحالته على الواحد الحق ، كما سمي الولد بضعا لكونه بضعة من والده ، قال صلى الله عليه وسلم : فاطمة بضعة مني ، والبضعة بفتح الباء القطعة من اللحم ، فإن الولد ينفصل منه جزء من أجزائه ، ثم ينزل ذلك الجزء ويتولد منه شخص آخر يماثل الوالد ، فولد الرجل جزء منه ، فأثبت الولد له تعالى يستلزم التركيب لأن كل ماله جزء فهو مركب ، وكل مركب ممكن والإمكان ينافي الوجوب الذاتي ، والتركيب

ينافي الوحدة الذاتية ، فيكون التعبير بالجزء عن الولد مشعرا باستحالة إثبات الولد لمن هو متصف بالوحدة الذاتية ، ومنزه عن الإمكان والاحتياج إلى الغير ، فالجعل ههنا بمعنى الحكم بالشئ والاعتقاد به ، كما في قوله تعالى : ( وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا ) أي حكموا به ووصفهم بالأنوثة ، ويحتمل أن يكون ههنا بمعنى التعبير القولبي ثم إنه تعالى أضرب عن الإخبار بأنهم جعلوا له ولدا ، وأخذ فيما هو أهم وهو الإنكار عليهم والتعجب من شأنهم حيث لم يقنعوا بأن جعلوا له ولدا حتى جعلوا ذلك الولد شر الولدين ، وهو الإناث ، فإنهن أفضى الأولاد عندهم ، ولو كان الأمر كما زعموا ، وهو أن اتخذ لنفسه البنات وأصفى عباده بالبنين للزم أن يكون حال العبد أكمل وأفضل من حال المولى الخالق لكل شئ ، وذلك ما تستحيله بديهة العقل ، يقال أصفيت فلانا بكذا ، إذا أثرته به ، بحيث حصل له ذلك على سبيل الصفاء من غير أن يكون له فيه مشاركة (١) .

ثم بين تعالى بطلان نسبة البنات إليه بأسلوب استفهامي إنكاري ليهيئ العقل بهذا الأسلوب ، والقلب لليقين ببطلان قولهم هذا ، ثم وصف النساء بوصفين اقتضتهما طبيعتهن ، لكن العرب كانوا لا يفرحون لوجود هذين الوصفين فيهن ، أولهما : أنهن ينشأن في الحلية ، والزينة ورقيق اللباس ، ومأواهن البيوت ، والظل ، فهن لا يرفعن سيفا على عدو ، ولا ينصرن قبيلة .

وثانيهما : أنهن إذا تكلمن لا يملكن من الفصاحة ما يقهرن به خصمهن ، فكيف يخص الله نفسه بأخص النوعين في نظر المشركين ثم يصفهم بأفضلهما إنَّ ذلك يجافي العقل تماما ، فحكم العقل يقول : لمن صنع شيئا متفاوتا في كمال الصنعة وأراد أن يصطفى لنفسه مما صنع اختار لنفسه أكمل مصنوع ، فكيف يصح في العقل أن يختار لنفسه أدنى النوعين وهو الخالق لهما جميعا ، والعالم بخصائص كل منهما ، قال تعالى :

(١) حاشية الشيخ زادة على تفسير البيضاوي ٢٩١/٤ .

( أَوْ مِنْ يَنْشَأُ فِي الْحَلِيقَةِ ) أَي يَرَبِّي فِي الزَّيْنَةِ ، وَالنَّعِيمِ ، وَنَعُومَةِ الْأَظْفَارِ وَرَقَةِ الْجِلْدِ ، ( وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مَبِينٍ ) أَي فِي الصَّحَاجَةِ وَالْجِدَالِ مَعَ الْخِصْمِ غَيْرِ ظَاهِرِ الْحِجَّةِ ، وَلَا قَوَى الْمُنْطِقِ ، فَكَيْفَ يَصْطَفِيهِ اللَّهُ لِنَفْسِهِ ؟ .  
تَعَالَى اللَّهُ عَنِ ذَلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا .

وَلَمَّا سُئِلَ الْعَرَبُ عَنِ الْبِنَاتِ الْمُنْسُوبِينَ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، قَالُوا : إِنَّهُمْ الْمَلَائِكَةُ لَعَلَّمَهُمْ أَنْ سَاطَرَ النِّسَاءَ مِنَ الْبَشَرِ لِهِنَّ أَبٌ ، وَأُمٌّ ، فَالْقَوْلُ بِنَسْبَةِ بَعْضِهِنَّ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ زُورٌ وَكَذِبٌ لَا يَخْفِيَانِ عَلَيَّ مِنْ لَهْ أَدْنَى عَقْلٍ ، وَلِذَا نَسَبُوا ذَلِكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ لِأَنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ قَدْ هَدَدَهُمْ بِقُوَّةِ الْمَلَائِكَةِ عَلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَأَنَّ النَّارَ الَّتِي أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ (عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غَلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ) (١) وَانْهَمَ لَمَّا هَدَدَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَتْلِهِ ، وَالتَّنْكِيلِ بِهِ إِنْ لَمْ يَنْتَهَ عَنِ دَعْوَتِهِ وَكَانَ الْمَهْدَدُ ( أَبَا جَهْلٍ ) وَقَوْمُهُ مُقْرَوَةٌ عَلَيَّ ذَلِكَ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ (لِإِنَّ لَمْ يَنْتَهَ لَنْسَفَعَا بِالنَّاصِيَةِ ، نَاصِيَةٍ كَذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ، فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ) (٢) أَي أَهْلُهُ ( سَنَدَعُ الزَّيْبَانِيَةَ ) أَي مَلَائِكَةَ النَّارِ . مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ قَالُوا : إِنْ الْمَلَائِكَةُ إِنَّمَا يَقْصِدُونَ أَنَّهُمْ أَعْجَزُ مِنْ أَنْ يَنْالُوا مِنْ عَدُوِّهِمْ شَيْئًا . وَهَذِهِ فَرِيَةٌ عَظِيمَةٌ قَالَهَا الْمُشْرِكُونَ بِإِبْرَاهَانَ ، قَالَ تَعَالَى : ( وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنِاثًا ) أَي حَكَمُوا بِهِ ، وَاعْتَقَدُوا بِهِ إِبْرَاهَانَ يَسْتَنْدُونَ إِلَيْهِ ، أَوْ قَالُوا بِالْأَسْنَتِمْ لِحَاجَا . وَعِنَادَا وَقُلُوبِهِمْ تَكْذِبُ الْأَسْنَتِمْ ، وَلِذَا كَذَّبَهُمُ اللَّهُ فِي دَعْوَاهُمْ هَذِهِ بِالْبِرْهَانِ الَّذِي لَا يَمْلِكُونَ دَفْعَهُ وَلَا دَعْوَاهُ فَقَالَ : ( أَشْهَدُ وَأَخْلَقَهُمْ ) ؟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ لَمْ يَشْهَدُوا وَخَلَقُوا الْمَلَائِكَةَ ، ثُمَّ هَدَدَهُمْ بِأَنَّهُ سَيَكْتُبُ عَلَيْهِمْ قَوْلَهُمْ هَذَا وَسَيَحَاسِبُهُمْ عَلَيْهِمْ أَشَدَّ الْحَاسِبَةِ .

( سَتَكْتُبُ شَهَادَتَهُمْ وَيَسْأَلُونَ ) الْكُتُبُ هُنَا قَصْدُ بِهِ إِعْلَامُهُمْ أَنَّ قَوْلَهُمْ هَذَا لَنْ يُنْسَى لَهُمْ وَهُوَ مُسَطَّرٌ عَلَيْهِمْ وَسَيَلَا حَقَّهُمْ فِي يَوْمِ يَتَمَنُّونَ الْبِرَاءَةَ مِنْ هَذَا الْقَوْلِ بِكُلِّ وَسِيلَةٍ وَلَا يَمْلِكُونَ . فَاللَّهُ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى غَنِيٌّ بِتَنْزِهِ عَنِ النِّسْيَانِ ، وَبِإِحْاطَتِهِ بِكُلِّ شَيْءٍ عُلَمَا عَنِ الْحَاجَةِ إِلَى الْكِتَابِ .  
( وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَا هُمْ ) .

(١) التحريم : (٦) .

(٢) العلق : (١٥ - ١٨) .

قال أبو السعود :

( بيان لفن آخر من كفرهم ، أي لو شاء الله عدم عبادتنا للملائكة مشيئة ارتضاء ما عبدناهم ، أرادوا بذلك بيان أن ما فعلوه حق مرضي عنده تعالى ، وأنهم إنما يفعلونه بمشيئته تعالى إياه منهم مع اعترافهم بقبحه ، ومبنى كلامهم الباطل على مقدمتين :

أحدهما : أن عبادتهم لهم بمشيئته تعالى .

والثانية : أن ذلك مستلزم لكونها مرضية عنده تعالى ، ولقد أخطأوا في الثانية حيث جهلوا أن المشيئة عبارة عن ترجيح بعض الممكنات على بعض كائنا ما كان من غير اعتبار الرضا ، أو السخط في شيء من الطرفين .

ولذلك جهلوا بقوله تعالى : ( ما لهم بذلك ) أي بما أرادوا بقولهم ذلك من كون ما فعلوه بمشيئة الارتضاء لا بمطلق المشيئة فإن ذلك محقق ينطق به ما لا يحصى من الآيات الكريمة ( من علم ) يستند إلى سند ما ، ( إن هم إلا يخرصون ) يتمحلون تمحلا باطلا ، وقد جوز أن يشار بذلك إلى أصل الدعوى ، كأنه لما أظهر وجوه فسادها وحكى شبههم المزيفة ، نفى أن يكون لهم بها علم من طريق العقل . ثم أضرب عنه إلى إبطال أن يكون لهم سند من جهة النقل فقيل : ( أم آتيناهم كتاباً من قبل القرآن أو من قبل ادعائهم ينطق بصحة ما يدعونه ) فهم به ( بذلك الكتاب ( مُسْتَمْسِكُونَ ) وعليه معولون ، فلم يأتوا بحجة عقلية أو نقلية بل اعترفوا بأن لا سند لهم سوى تقليد آباءهم الجهلة مثلهم ) ( بل قالوا ) ( بل وجدنا آباءنا ) ( وهم أرجح منا عقولا وأصح أفهاما ) ( على أمة ) أي - طريقة عظيمة يحق لها أن تقصد وتؤم ( ولنا على آثارهم ) أي خاصة لا على غيرها ونحن في غاية الاجتهاد والقص للآثار ، ( مهتدون ) أي نحن ، فإذا ثبت بهذا الكلام المؤكد أنا ما أتينا بشيء من عند أنفسنا ولا غلطنا في الاتباع واقتفاء الآثار ، فلا اعتراض علينا بوجه ، هذا قوله في الدين بل في أصوله التي من ضل في شيء منها هلك ، ولو ظهر لأحد منهم خلل في سعي أبيه الدنيوي الذي به يحصل الدينار ، والدرهم ما اقتدى به أصلا

وخالفه أي مخالفة ، ما هذا إلا للمحض الهوى ، وقصور النظر (١) .

ولقد ناقش القرآن الكريم شبهة اتخاذ الله للولد في مواضع عديدة في كتابه العزيز ، فتارة يجمل أقوالهم وصنوفهم ، وتارة يفصلها وفي كل ذلك يخاطبهم بالمنطق القريب من العقول والأفهام ، قال تعالى في سورة الأنعام ( وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ ، بَدِيعَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ) (٢) .

من المعروف أن هناك فرقاً وطوائف أثبتت الشريك لله فبعضهم عبدة الأصنام وهم يقولون إن الأصنام شركاء في العبودية ، وبعضهم يدعون أن مدبر هذا العالم هو الكواكب ، وبعضهم من ادعى ان للكون إلهين ، أحدهما خالق الناس والخيرات والآخر خالق إبليس والشـرور جاء في التفسير الكبير عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : قوله تعالى ( وجعلوا لله شركاءَ آجِنَّ ) نزلت في الزنادقة الذين قالوا : ( إن الله وإبليس أخوان ، فالله تعالى خالق الناس ، والدواب ، والأنعام والخيرات وإبليس خالق السباع والحيات والعقارب والشرور .

وقوله تعالى : ( وَخَلَقَهُمْ ) أي أحدثهم ، فكل من يوصف بالحدوث فلا بد من محدث له ، وهؤلاء إبليس ، والجن محدثون ، وقد نقل عن الأكثرين ممن اتخذوهم شركاء اعترافهم بأن إبليس ليس بقديم بل هو محدث (٣) ويكون المعنى على ذلك : ( أنهم علموا أن الله خالقهم دون الجن ولم يمنعهم علمهم أن يتخذوا من لا يخلق شريكاً للخالق ) (٤) .

أو ( أنهم أطاعوا الجن فيما سولت لهم من شركهم فجعلوهم شركاء لله وقد خلق الجن ، فكيف يكون المخلوق شريكاً لخالقه ) (٥) .

(١) نظم الدرر ١٧ / ٤١٠ (البقاعى) الطبعة الأولى .

(٢) الأنعام ( ١٠٠ - ١٠١ ) .

(٣) التفسير الكبير ١٣ / ١١٩ .

(٤) الكشاف ٢ / ٤ .

(٥) النسفي ٢ / ٢٦ .

( وخرقوا له بنين وبناتٍ بغيرِ علمٍ سبحانه وتعالى عما يصفون ) .  
 والمعنى : أنهم اشتقوا واختلقوا لله بنين وبنات ، فقالت اليهود  
 عزيز ابن الله ، وقالت النصارى المسيح ابن الله ومشركو العرب ادعوا  
 أن الملائكة بنات الله ، وهذا الافتراء منهم جميعا إنما قالوه عن  
 جهل خالص ، وبغير دليل ولا حجة ، والله ينزه نفسه ويتعالى عن هذا  
 الافتراء المحض وعن كل معتقد باطل ، فمن كان خالق الموجودات كلها ،  
 لا يليق بحقه هذه الادعاءات فقال تعالى : ( بديع السموات والأرض أنسى  
 يكون له ولدٌ ولم تكن له صاحبةٌ وخلق كلَّ شيءٍ وهو بكلِّ شيءٍ عليمٌ ) :

قال الألوسي :

( والمعنى أنه تعالى مبدع لقطري العالم العلوي ، والسفلى بلا  
 مادة فاعل على الإطلاق ، منتزه عن الانفعال بالكلية ، والوالد عنصر  
 الولد ، منفعل بانتقال مادته عنه ، فكيف يمكن أن يكون له ولد ؟  
 ( ولم تكن له صاحبةٌ ) حال مؤكدة للاستحالة المذكورة ضرورة أن الولد  
 لا يكون بلا والده أصلاً ، ولين أمكن وجوده بلا والد ، أي من أين وكيف يكون  
 له ولد والحال انه ليس له صاحبة يكون الولد منها ) (١) .

وللفخر الرازي كلام أعجبني في هذا الموضوع في الرد على من ادعى  
 لله تعالى الولد ، خلاصته ( أن من زعم أن لله ولدا أحدثه تعالى  
 على سبيل الإبداع من غير تقدم نطفة ووالد فباطل ، ورد بأن خلقه  
 للسموات و الأرض من غير سابق مادة ولا مدة فيلزم كونه مبدعا لهما كونه  
 والدهما .

ولن أريد ما هو المعروف من الولادة في الحيوانات رد بأن ذلك  
 لا يصح إلا ممن كانت له صاحبة وشهوة ، وهذا منفي عن الله تعالى وأيضاً  
 فإن تحصيل الولد بذلك الطريق إنما يصح في حق من لا يكون قادراً على  
 الخلق ، والإيجاد ، والتكوين دفعة واحدة ، أما من كان خالقا لكل الممكنات  
 قادراً على كل المحدثات فاذا أراد إحداث شيء قال له كن فيكون ،

فيمتنع منه إحداث شخص بطريق الولادة .

وأما إثبات الولد لله تعالى بناءً على احتمال ثالث فذلك باطل لأنه غير متصور ولا مفهوم عند العقل ، فكان القول بإثبات الولادة بناءً على هذا الاحتمال الذي هو غير متصور خوفاً في محض الجهالة ، وأنه باطل (١) .

( ولا شك أنه تعالى عالم بكل شيء فإما أن يعلم أن له في تحصيل الولد كمالات أو نفعاً أو يعلم أنه ليس كذلك ، فإن كان الأول ، فلا وقت يفرض إلا والداعي إلى إيجاد هذا الولد كان حاصلًا قبله ، وهو يوجب كونه أزلياً وهو محال ، وإن كان الثاني وجب أن لا يحدث البتة في وقت من الأوقات وهذا مقتضى قوله تعالى وهو بكل شيء عليم (٢) .

وقال تعالى في موضع آخر يهددهم ويتوعددهم من شناعة ما أتوا

به من قول :

( وَقَالُوا آتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ، لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ، تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ، أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ، وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ، إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا ، لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ، وَكُلُّهُمْ دَاتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ) (٣) .

فقرر أنه الرب العظيم الذي لا نظير له ، ولا شبهة له وأن جميع الأشياء غيره مخلوقة له مربوبة ، فكيف يكون له من مخلوقاته ولد .

ولهذا روى البخاري عند تفسير هذه الآية من سورة البقرة بسنده (عن

ابن عباس رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

قَالَ اللَّهُ كَذَّبَنِي ابْنُ آدَمَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ ، وَشَتَمَنِي وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ فَأَمَّا تَكْذِيبُهُ إِيَّايَ ، فَرَعَمَ أَنِّي لَا أَقْدِرُ أَنْ أُعِيدَهُ كَمَا كَانَ ، وَأَمَّا شَتْمُهُ

(١) التفسير الكبير ٢٣ / (١٢٤-١٢٥) .

(٢) روح المعاني ٢٤٣ / ٧ ( والفقرة المنقولة من روح المعاني لخصها

الالوسى كاستشهاد ( بقول الامام الرازي ) .

(٣) مريم (٨٨-٩٥) .

رَأْيَايَ ، فَقَوْلُهُ لِي وَلَدٌ فَسَبَّحَانِي أَنْ أُتَّخِذَ صَاحِبَةً أَوْ وَلَدًا (١) .

قال العيني عند شرحه للحديث :

( ( وَشَتَمَنِي ) من الشتم وهو توصيف الشخص بما هو أزرأ وأنقص فيه وإثبات الولد له كذلك ، لأن الولد إنما يكون عن والدة تحمله ثم تضعه ويستلزم ذلك سبق النكاح ، والناكح يستدعي باعثاً له على ذلك ، والله سبحانه وتعالى منزه عن جميع ذلك (٢) . ولم أقصد في هذا المبحث حصر جميع الآيات التي ناقشت اليهود والنصارى والمشركين في هذه القضية بل ذكر طرف من عقيدة المستكبرين المترفين من بعض الملل ، وكيف أن الترف وحب الدنيا قد أفسد عقول الناس في القديم والحديث إلى حد أن ينقلب الجهل علماً والعلم جهلاً .

—————

(١) صحيح البخارى ١٤٩/٥ - باب وقالوا اتخذ الرحمن ولدا / كتاب تفسير القرآن .

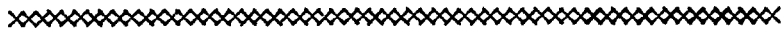
(٢) عمدة القاري بشرح صحيح البخارى ٩١/١٨ باب وقالوا اتخذ الله ولدا / كتاب التفسير .



” الفصل الثاني ”

” موقف المترفين من الرسل عليهم السلام

وذكر شبههم والرد عليها ”



تمهيد

من رحمة الله تبارك وتعالى بعباده ، ومن جميل لطفه بهم وإحسانه إليهم أن بعث إليهم الأنبياء والرسل مبشرين ومنذرين فما من أمة إلا بعث الله فيها نذيرا لينتقل بهم من الظلمات إلى النور ويخرجهم من الضلالة إلى الهدى وليطهر مجتمعه من أدران التحلل والفساد .

وقد اختار الله سبحانه وتعالى لمهمة النبوة ، والرسالة فريقا من صفوة البشر ممن هم أهل لحملها لأنها عبء ثقيل وتكليف عظيم لا يقدر عليه إلا الأشداء أولوالعزم من الرجال ، ولا تنال النبوة بكثرة الطاعة أو العبادة ، إنما هي هبة ربانية يهبها الله لمن يشاء من عباده الأخيار .

ولما كان أغلب الأنبياء والرسل قد اصطفاهم الله من غير أصحاب الملك ، والجاه ، والسلطان ، مما جعل مترفي كل أمة يستنكرون أن يكون الأنبياء من هم دونهم في المال ، والبنين والجاه والسلطان ، لذا كانوا يحملون لواء المعارضة والصد لدعوات الرسل لأنها لا تتناسب مع أهوائهم من جهة ، ولأنها لم تكن في أحد منهم من جهة أخرى ، فلم يبعث الله سبحانه وتعالى رسولا من الرسل إلا وقد واجهه المترفون من قومه بالصد والرفض بادئ ذي بدئ .

قال تعالى :

( وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ، وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ) (١) .

وهي عادة المترفين مع كل رسول ، إذ هو موقف مكرر ومعاد وكأنهم يتوارثونه أبا عن جد على مدار الدهور ، فإنه لم يرسل قط إلى قوم من نذير إلا قابلوه كما قابل مترفو مكة رسول الله محمدا صلى الله عليه وسلم ممن تفاخر عليه بكثرة الأموال ، والأولاد وأنه لا يليق ممن هو أعز ما لا ونفرا أن يتبع رجلا فقيرا لا يتبعه إلا الفقراء ، والضعفاء ، وذلك لأن المترفين

(١) سبأ ( ٣٤ - ٣٥ ) .

غلظت قلوبهم فاستكبروا على الهدى وأصروا على الباطل ، وخذعهم النعيم الزائل ، وغرهم ما هم فيه من ثراء ، وقوة ، وعزة ، واعتقدوا انهم ما أوتوا هذه الأرزاق ، والنعم من أموال ، وبنين ، إلا لأنهم كرموا على الله فحسبوا أن ذلك ما نعيم من عذابه .

قال الزمخشري :

( أرادوا أنهم أكرم على الله من أن يعذبهم نظرا إلى أموالهم في الدنيا ، وقد أبطل الله تعالى حسابهم بأن الرزق فضل من الله يقسمه كما يشاء على حسب ما يراه من المصالح ، وربما وسع على العاصي وضيق على المطيع ، وربما عكس ، وربما وسع عليهما وضيق عليهما فلا ينقاس عليه أمر الثواب الذي مبناه على الاستحقاق )<sup>(١)</sup> .  
فقال : ( قُلْ إِنْ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ )<sup>(٢)</sup> .

ولقد استعرض القرآن الكريم في قصص الأنبياء موقف الملأ من القوم وهم السادة والكبراء المترفون من أنبيائهم على مر العصور فما من نبي إلا لاقى منهم الطعون ، والاستهزاء ، والتعذيب وكل هذه القصص تسلية لرسولنا محمد صلى الله عليه وسلم وتثبيتا له على دعوته ، وعبارة لقومه مما حاق بالأمم السابقة نتيجة تعنتهم مع الرسل . ومن أبرز مطاعن المترفين للرسول :

- ( ١ ) الطعن في الرسل عليهم السلام لأنهم بشر .
- ( ٢ ) إلقاء المترفين شبهة السحر على الأنبياء عليهم السلام .
- ( ٣ ) تعنت المترفين مع الرسل عليهم السلام وطلب الخوارق .
- ( ٤ ) الاستهزاء بالرسول عليهم السلام .

(١) الكشاف ٣ / ٢٩٢ .

(٢) سبأ ( ٣٦ ) .

” الطعن في الرسل عليهم السلام لأنهم بشر ”

اتفقت كلمة المترفين بالطعن في الرسل على أنهم بشر وليسوا ملائكة وأنه من المستبعد في نظرهم أن يكون الرسول بشرا وهذا الطعن في الرسل عليهم السلام خلق المترفين في كل عصر .

قال تعالى :

( أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبُؤُا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ، قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِئَّةٌ عَلَى اللَّهِ شَكُّ قَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخْرِجَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ، قَالُوا إِن أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ، قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ فَحَنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلَكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ) (١) .

في هذه الآيات يقص الله سبحانه وتعالى خبر القرون الأولى ومنهم أقوام نوح ، عاد ، وشمود ، وغيرهم من الأمم الجمة الذين جاءتهم رسلهم بمعجزات ظاهرة وأدلة قاطعة تدل على صدق دعواهم ، وعلى الرغم من ذلك فقد كذبوهم [فقال : ( فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ ) أي جعلوا أيدي أنفسهم في أفواههم ليعضوها غيظا مما جاءت به الرسل كما في قوله تعالى ( عضوا عليكم الأفا من الغيظ ) (٢) ] .

( أو أنهم أشاروا إلى أفواه الرسل يأمرونهم بالسكوت عنهم لما دعوهم إلى الله عز وجل ) (٣) .

(١) ابراهيم ( ٩-١١ ) الخطاب يحتمل أن يكون من موسى لقومه أو من كلام الله سبحانه ابتداءً خطابا لقوم موسى و تذكيرا لهم بالقرون الأولى وأخبارهم ومجئ رسل الله إليهم ويحتمل انه ابتداءً خطاب من الله سبحانه لقوم محمد صلى الله عليه وسلم تحذيرا لهم عن مخالفته / فتح

القدير ٣ / ٩٦ .

(٢) فتح القدير ٣ / ٩٧ .

(٣) ابن كثير ٢ / ٥٢٥ .

وفي إتيانهم لهذه الحركة الغليظة التي لا أدب فيها ، ولا خلق  
 إمعانا منهم في الجهر بالكفر ، بل وصرحوا بكفرهم بكل وقاحة وبينوا أنهم  
 في شك عظيم من دعوة الرسل لهم ( وقالوا إنا كفرنا بما أرسلتم به وإننا  
 لفى شك مما تدعوننا إليه حريب ) ولا ينافي شكهم في ذلك كفرهم القطعي  
 بما أرسل به الرسل من البيئات فإنهم كفروا بها قطعاً حيث لم يعتدوا بها  
 ولم يجعلوها من جنس المعجزات ولذلك قالوا فأتونا بسُلطان (١) .  
 و( حريب ) الريب قلق النفس وعدم سكونها واطمئنانها بالشيء .

ولما كان الذي يدعوههم إليه الرسل هو توحيد الله ونبذ ما عـداه  
 من شركاء ، فإن الشك في هذه الحقيقة الجليلة - والتي تدل عليها  
 الفطرة السليمة ، وتدل عليها الآيات الظاهرة الماثورة في صفحات الكون  
 العريض بيد و مستنكرا ومستتهجنا .

( قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ  
 لَكُمْ وَيُخْرِجَكُم إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ) .

أفي الله شك والسموات ، والأرض تنطقان بأن الله هو المبدع والصانع  
 فالسموات والأرض آيتان هائلتان كل شيء ينطق فيهما على أنه الواحد ،  
 ويدعوهم إلى الإيمان المؤدي إلى المغفرة .

وهنا نستبين جهل الأقسام ، وموقفهم المتعنت من الرسل فلم يبيح  
 لهم حجة ، فالآيات واضحة والحجج دامغة على صدق المرسل والمرسل  
 فوجهوا الاعتراض إلى بشرية الرسل ، فكيف يكون هؤلاء الرسل بشرا وحالهم  
 كحال المدعويين في الهيئة والصورة .  
 يأكلون ويشربون كبقية الناس .

( قالوا إن أنتم إلا بشر مثلنا تريدون أن تصدونا عما كان يعبد  
 آباؤنا ) .

(١) تفسير ابي السعود ٣٦/٥ .

فبدلاً من أن يعتز البشر باختيار الله تعالى لواحد من جنسهم ليبلغه رسالته فإنهم لجهالتهم ينكرون هذا الاختيار ، ويجعلونه مثار ريبية في الرسل المختارين ويعللون دعوة رسلهم لهم بأنها رغبة في تحويلهم عما كان يعبد آباؤهم .

ويطبيعة الجمود العقلي كذلك لا يفكرون في الدعوة الجديدة ، إنما يطلبون خارقة ترغمهم على التصديق .

( فأتونا بسلطان مبين ) ويرد الرسل بتسليم أنهم بشر ولا ينكرون بشريتهم بل يقررونها ، ولكنهم يوجهون الأنظار إلى منة الله تعالى فسي اختيار رسل من البشر ، وفي منحهم ما يؤهلهم لحمل الأمانة الكبرى .  
( قالت لهم رسلهم : إن نحن إلا بشر مثلكم ولكن آله يمن على من يشاء من عباده وما كان لنا أن نأتيكم بسلطان إلا بإذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون ) .

وهي منة ضخمة لا على أشخاص الرسل وحدهم ولكن كذلك على البشرية التي تشرف بانتخاب أفراد منها لهذه المهمة العظيمة ، مهمة الاتصال والتلقي من الملأ الأعلى .

( فأما حكاية الإتيان بسلطان مبين ، وقوة خارقة فالرسل يبينون لقومهم أنها من شأن الله ليفرقوا في مداركهم المبهمة المظلمة بين ذات الله الإلهية وذواتهم هم البشرية ، وليمحصوا صورة التوحيد المطلق الذي لا يلبس بمشابهة في ذات ولا في صفة ، وهي المتاهة التي تاهت فيها الوثنيات كما تاهت فيها التصورات الكنسية في المسيحية عندما تلبست بالوثنيات الإغريقية والرومانية ، والمصرية ، والهندية ، وكانت نقطة البدء في المتاهة هي نسبة الخوارق إلى عيسى عليه السلام - بذاته واللبس بين ألوهية الله سبحانه وتعالى وعبودية عيسى عليه السلام )<sup>(١)</sup> .

قال النسفي :

( قالوا : أي القوم ( إن أنتم ) ما أنتم ( إلا بشر مثلنا ) لا فضل

بيننا وبينكم ولا فضل لكم علينا فلم تَحْصُونَ بالنبوة دوننا ، ( تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا ) يعني الأصنام ( فأتونا بسُلطان مبین ) بحجة بينة . وقد جاءتهم رسلهم بالبينات ولرنا أرادوا بالسُلطان المبین آية قد اقترحوها تعنتا ، ولجأنا ، ( قالت لهم رسلهم إن نحن إلا بشر مثلكم ) تسليم لقولهم أنهم بشر مثلهم ( ولكن الله يَمُنُّ على من يشاء من عباده ) بالإيمان والنبوة كما من علينا ( ما كان لنا أن نأتيكم بسُلطان إلا بإذن الله ) جواب لقولهم فأتونا بسُلطان مبین ، والمعنى أن الإتيان بالآية التي قد اقترحوها ليس إلينا ولا في استطاعتنا ولرنا هو أمر يتعلق بمشيئة الله تعالى ( وعلى الله فليتوكل المؤمنون ) أمر منهم للمؤمنين كافة بالتوكل ، وقصدوا به أنفسهم قصداً أولياً كأنهم قالوا : ومن حقنا أن نتوكل على الله في الصبر على معاندتكم ، ومعاداتكم ، وإيذاً لكم ( ١ ) .

ويفصل القرآن الكريم بعد هذا التعميم ، فيبين اعتراض المترفين على بشرية الرسل ، ويفصل ذلك بالنسبة لكل أمة .

( مواجهة المترفين نوحاً عليه السلام بهذه الشبهة ) :

قال تعالى :  
 ( وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنِّي إِلَّا غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ، فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آلِ إِبْرَاهِيمَ الْأَوَّلِينَ ) ( ٢ ) .

بعث الله سبحانه وتعالى نوحاً عليه السلام كما بعث غيره من الرسل لدعوة الناس لتوحيد الله ولتطهير معتقداتهم من رجس الوثنية وتعريفهم بخالقهم وخالق كل شيء ، والذي لا يصح أن يشرك معه بالعبادة أحداً .

( ١ ) النسفي ٢ / ٢٥٧ .

( ٢ ) المؤمنون ( ٢٣-٢٤ ) .

ومعروف أن الأشراف هم الذين يتصدون للرسول عليهم السلام ويعاندهم ودعواتهم ( فقال الملأ الذين كفروا من قومه ) .

قال الآلوسي :

( وصف الملأ بالكفر مع اشتراك الكل فيه للإيدان بكمال عراقتهم ، وشدة شكيمتهم فيه ، وليس المراد من ذلك إلا ذمهم دون التمييز عن أشراف آخرين آمنوا به عليه السلام ، إذ لم يؤمن به أحد من أشرافهم كما يفصح عنه قوله ( مَا نَرَاكَ آتَبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا أَنْ ) .

وقال الخفاجي :

يصح أن يكون الوصف بذلك للتمييز وإن لم يؤمن بعض أشرافهم وقت التكلم بهذا الكلام لأن من أهله عليه السلام المتبعين له أشرافاً (١) .

وهنا يثير الملأ المترفون الشبهة ، والطعن في الرسول للعوام ليردوهم عن اتباعه ( ما هذا إلا بشر مثلكم ) .

قال الفخر الرازي :

( وهذه الشبهة تحتمل وجهين : (أحدهما) أن يقال : إنه لما كان مساوياً لسائر الناس في القوة ، والفهم ، والعلم ، والغنى ، والفقراء ، والصحة ، والمرض ، امتنع كونه رسولا لله ، لأن الرسول لا بد وأن يكون عظيماً عند الله تعالى ، وحبباً له ، والحبيب لا بد وأن يختص عن غير الحبيب بمزيد الدرجة ، والمعزة فلما فقدت هذه الأشياء علمنا انتفاء الرسالة .

والثاني : أن يقال هذا الإنسان مشارك لكم في جميع الأمور ولكنه أحسب الرياسة والمتبوعية ، فلم يجد إليهما سبيلاً إلا بادعاء النبوة فصار ذلك شبهة لهم في القدح في نبوته ، فهذا الاحتمال متأكد بقوله تعالى خيراً عنهم ( يريد أن يتفضل عليكم ) أي يريد أن يطلب الفضل عليكم ويرأسكم كقول الله تعالى :

( وَتَكُونُ لَكُمْ أَلْكَبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ ) (٢) .

(١) روح المعاني ٢٥ / ١٨ .

(٢) التفسير الكبير ٩٢ / ٢٣ .



وليزيد الأشراف المترفون قوة الشبهة وجدّة الطعن يدعون أن الله لو أراد إرسال الرسل لإرشاد البشر لأرسل الملائكة رسلا ، ولأن الملائكة لعلو شأنهم ، وشدة سطوتهم فسوف ينقاد الخلق جميعهم إليهم ولا يمكن لأحد أن يشك في رسالتهم ، فلما لم يفعل ذلك علم لديهم أن مدعى النبوة ليسوا بصادقين في دعواهم ، ولأنهم أقوام يعولون على التقليد الأعصى ، والرجوع إلى قول الآباء حكموا بفساد قول نوح .  
فقالوا : ( مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ ) .

قال النسفي :

( أي بإرسال بشر رسولا ، أو بما يأمرنا به من التوحيد وسب آلهتنا ،  
(١)  
والعجب منهم أنهم رضوا بالألوهية للحجر ولم يرضوا بالنبوة للبشر ) .

” مواجبة نبي الله هود عليه السلام بالطعن في البشرية ”

وفي سورة (المؤمنون) طعن قوم هود عليه السلام في نبوته لأنه بشر مثلهم فلا سبيل لتميزه عليهم بالنبوة وهو بهذه الصفة .

قال تعالى :

( ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنَآءَ آخَرِينَ ، فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ لِيُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ ، فَأَكْفَرُوا بِهِ ، فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلُوفًا مِّنَ السَّمَاءِ ، فَوَسَوْا بِاللَّهِ يَكْفُرُوا بِالرَّسُولِ لَكِنَّا غَفُورٌ رَّحِيمٌ ، وَإِذْ قَالَ نُوحٌ رَبِّ اجْعَلْ لِّي ذُرِّيَّةً سَوِيَّةً ، إِنِّي أَخَافُ إِذَا سُقِّرْتُ ، وَأَخَافُ إِذَا بُعِثْتُ فِي الْأَرْضِ أَنْ أَعْتَبَسَ ، وَتَرْتَبِّسَ ، فَأَرْسَلْنَا نُوحًا فِي لَيْلٍ مُّبِينٍ ، وَأَنَّا نُرِي آيَاتِنَا لِلنَّاسِ إِن كَانُوا فِيهَا يَسْمِعُونَ ) .  
(٢)

أجمعت كتب التفسير على أن المعنيين في الآيات السابقة من سورة (المؤمنون) هم قوم عاد الذين بعث الله تعالى فيهم نبيه هوداً عليه السلام ليدعوهم إلى عبادة الله جل جلاله ويصلح من شأنهم .

(١) النسفي ٢/١١٧ .

(٢) المؤمنون (٣١ - ٣٤) .

وكان عليه السلام معروفا فيهم بالأخلاق ، والفضيلة ، وعلو النسب فلم يكن منهم إلا أن واجهوه بالعناد ، والمكابرة ، وكان اعتراض المترفين عليه بأنه بشر مثلهم يأكل مثلهم ، ويشرب مثلهم .

وقد وصف الله تعالى الذين خرجوا على هود عليه السلام وتزعموا قومهم بثلاث صفات من أسوأ ما يتصف بها قوم :

فوصفهم عز وجل بالكفر حيث أمعنوا في الكفر ، وأصرروا عليه ، ووصفه تعالى لهم بالكفر ، يبين أنه لا خير فيهم ، وأن من اتصف بالكفر ، لا تسمع له حجة ولا يقبل له قول .

ووصفهم عز وجل بأنهم كذبوا باليوم الآخر فلم يؤمنوا بالبعث ، ومن كذب بلفاء الآخرة ، لا ينتفع بوعده ، ولا وعيده ، ولا تصيب قلبه موعظة ولا يصغي لدعوة الحق .

الوصف الثالث : أنهم أترفوا في الحياة الدنيا أي أصابهم داء الترف الذي يعمي القلوب ويجعلها في أكنة من دعاء الخير وحتى لا يصل إليها شئ منه ، والقرآن الكريم تكلم عما كان عليه قوم عاد من نعم ، وقوة وحبهم للبخ ، وتشيد القصور الباهرة والأبنية الهائلة .

قال تعالى :

( أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ ، وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ، وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ) (٢) .

(١) قال ابن كثير : الريع المكان المرتفع كانوا يبنون عند الطرق المشهورة بنيانا محكما هائلا باهرا لمجرد اللهو واللعب ولظهار القوة ، ولهذا أنكر عليهم نبيهم عليه السلام ذلك لأنه تضييع للزمان وإتعب للأبدان وإشتغال بما لا يجد في الدنيا ولا في الآخرة وكانوا يبنون المنازل والقصور الفخمة وحسبوا أنهم سيخلدون في الدنيا فحب الدنيا قد استولى عليهم حتى خرجوا بذلك عن حد العبودية كما جعلهم يتجبرون في الناس دون أن تأخذهم بهم رافة أو رحمة / مختصر ابن كثير ٦٥٣/٢ .

(٢) الشعراء - ( ١٢٨ - ١٣٠ )

وقال تعالى :

( أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ إِرْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ، الَّتِي لَمْ يَخْلُقْ مِثْلَهَا  
فِي الْبَلَدِ ) .<sup>(١)</sup>

وهؤلاء الذين كفروا بالله واليوم الآخر وأترفوا في الحياة الدنيا أخذوا  
يكذبون رسول الله هود ويتهمونهم بالكذب ، ويحذرون القوم من اتباعه  
لأنه بشر فقالوا لهم :  
( مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ ) .

قال الألوسي :

( لا يخفى ما في قولهم ( ما هذا إلا بشر مثلكم ) من المبالغة فـي  
توهين أمر الرسول عليه السلام وبتهمينه قاتلهم الله ما أجهلهم وقوله تعالى :  
( يَا أَكْلٌ مِّمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ )<sup>(٢)</sup> تقرير للمماثلة ) .

ثم خافوا بعد أن ألقوا هذه الشبهة ألا يقنع العامة بقولهم ( ما هذا  
إلا بشر مثلكم ) لأنه معروف أن البشر درجات وطبقات فيهم الغني ،  
والفقير ، والقوي ، والضعيف ، لذلك زادوا إمعانا في قولهم :  
( يَا أَكْلٌ مِّمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ) فكيف نتبع من هو حاله  
كحالنا .

وأكدوا الطعن بهاتين الحججتين إنكم أيها الناس إن أطعتم بشرا مثلكم  
إنكم إذا لخاسرون عقولكم ومغبونون في آرائكم .

"" مواجهة نبي الله صالح عليه السلام بنفس الطعن "" :

ثمود قوم صالح عليه الصلاة والسلام وهم في الترف والتنعم في الدنيا  
والإمعان في الكفر كعاد ، لأنهم أيضا خلفاءهم وجاءوا من بعدهم .

قال تعالى :

( وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سَهُولِهَا

(١) الفجر (٦-٨) .

(٢) روح المعاني ٢٩/١٨ .

قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آيَاتَ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ -  
(١)  
مُفْسِدِينَ .

يذكر الله سبحانه وتعالى نعمه الكثيرة على ثمود قوم صالح وكيف أنهم كانوا يبنون القصور في كل موضع ، وينحتون في الجبال بيوتا ، ونحت الجبال وتهيئتها لهم بيوتا وإخراج ما بداخلها من الحجارة يدل على منتهى القوة التي وصل إليها ثمود ولما تمسكهم بالدنيا . ويأمرهم بحمد الله على نعمه وعدم الفساد في الأرض .

قال القرطبي :

( اتخذوا البيوت في الجبال لطول أعمارهم ، فإن السقوف والأبنية كانت تبلى قبل فناء أعمارهم ) .  
(٢)

ومع كل هذه النعم التي أسبغها الله عليهم من قوة ، وصحة ، وطول أعمار إلا أنهم تمادوا في كفرهم ، وغيهم ، وأذوا نبي الله صالح ولم يؤمنوا به بحجة أنه بشر مثلهم .

قال تعالى :

( كَذَبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ ، فَقَالُوا أَبَشْرًا مِثْلًا نَتَّبِعُهُ إِنَّا إِذَا لَفِئَتْ سُلَّالٍ وَسُعُرٍ ، أَهْلُ لَقَى الذِّكْرَ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَابٌ أَشْرٌ ) .  
(٣)

كذبت ثمود بالرسول كما كذبت عاد من قبلها غير معتبرة بمصرع عاد المشهور في الجزيرة العربية ، فالشبهة ، والطعن نفسه إلا أن أسلوب إلقاء ثمود يختلف عن أسلوب عاد ، فثمود يعجبون ويستنكرون أن تنقاد قبيلة بأسرها لفرد واحد لا يميزه عنهم شيء فهو الكبر الذي يورثه الترف أن لا ينظر الأشخاص إلى حقيقة الدعوة بل إلى شخص الداعي .

فمن وجهة نظرهم الجوفاء أن هذا الداعي غير جد ير أن يتبع لأنه ليس ممن انغمسوا في اللهو ، والترف أمثال ساداتهم وأشرافهم وما هي

(١) الأعراف (٧٤) .

(٢) القرطبي ٢٣٦/٧ .

(٣) القمر ( ٢٣ - ٢٥ ) .

إلا شبهة واهية لا يدعيها إلا أصحاب النفوس المنحرفة التي لا تريد أن تنظر إلى الحق ، والصواب فتتبعه ، ولكن تنظر إلى النذير فتستكبر عن اتباع أحد أفراد البشر خوفاً من أن يؤثر بتكريم أو تعظيم .

والعجب العجاب أن يصفوا أنفسهم بالضلال والجنون إن هم اتبعوا الهدى الذي جاء به النبي صالح .  
( فقالوا أبشرا منا واحداً نتبعه إننا إذا لفي ضلالٍ وسعيرٍ ) .

وقوم كهؤلاء يستكثرون ويستنكرون أن يختص الله شخصاً عادياً بالوحي فباعتقادهم أن ذلك إنما يكون للكبراء والمتنعمين .

وكعادة أهل البذخ والترف على مر العصور يتهمون رسل الله سبحانه بالكذب والطمع فيقولون ( أَلَلَّيْ آذِكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَابٌ أَشْرٌ ) (بل هو كذاب) أي كاذب في دعوة النبوة متجاوز في حد الكذب و (أشـر) شديد الطمع في اختصاص نفسه بالمكانة ، ( فكأنهم قالوا : إنه كـذب لا لضرورة وحاجة إلى الخلاص كما يكذب الضعيف ، وإنما تكبر ويطر وطلب الرياسة عليكم وأراد أن تتبعوه فكذب على الله فلا يلتفت إلى كلامه لأنه جمع بين رذيلتين الكذب ، والتكبر وكل منهما مانع من اتباعه ) (١) .

وبعد أن أثاروا هذا التساؤل تولى الله سبحانه وتعالى مواساة صالح عليه السلام بوعده ، ووعيد قومه بأخذهم بالعذاب .

قال تعالى :

( سَيَعْلَمُونَ غَدًا مِّنَ الْكَذَّابِ الْأَشْرِ ) (٢) .

والمراد بالغد وقت نزول العذاب الديني بهم ووقت عذابهم يوم القيامة وعلى قراءة ستعلمون من كلام صالح عليه السلام حيث دافع عن نفسه متوعداً إياهم أنهم سيعلمون أنه صادق وأمين وأنهم هم الكذابين الأشرون .

(١) صفوه التفاسير ٣ / ٢٨٧ .

(٢) القمر (٢٦) .

وهكذا كان موقف الكبراء المترفين من نبي الله شعيب عليه السلام وقد صور لنا القرآن الكريم موقفهم منه في سورة الشعراء .  
فقال تعالى :

( كَذَّبَ أَصْحَابُ لَيْكِكُمْ<sup>(١)</sup> الْمُرْسَلِينَ ، إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ، إِنْ نَسَى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ، وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ، أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ ، وَزِنُوا بِالْقِسْطِاسِ الْمُسْتَقِيمِ ، وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا<sup>(٢)</sup> فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ، وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ<sup>(٣)</sup> الْأُولِينَ ، قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسْحَرِينَ ، وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ<sup>(٤)</sup> ) .

قص الله تعالى علينا في هذه الآيات قصص شعيب عليه السلام مع أصحاب الأيكة وقد بعثه إليهم فنصحهم بإيفاء الكيل والميزان ونهاهم عن الفساد في الأرض بجميع ضروبه وأشكاله فقال : ( وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ) .

وبعد أن نهاهم عن الأفعال المشينة التي اتصفوا بها خوفهم سطوة الجبار الذي خلقهم وخلق من قبلهم ممن كانوا أشد منهم بطشا وعتوا فقال : ( وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الْأُولِينَ ) .  
أي وخافوا بأس الله الذي خلقكم من العدم للإصلاح في الأرض وخلق من قبلكم ممن كانوا أشد منكم قوة وأكثر مالا ، وأعز نفرا كقوم هود الذين قالوا من أشد منا قوة فأخذهم أخذ عزيز مقتدر .

(١) الأيكة : غيضة كثيرة الشجر قرب مدين بعث الله إلى أهلها شعيبا كما بعثه إلى أهل مدين ولم يكن منهم نسبا .

(٢) من المخسرين : أي المطففين الآخذين من الناس أكثر مما لكم .

(٣) القسطاس المستقيم : الميزان العدل .

(٤) ولا تعتوا : لا تفسدوا .

(٥) الجبله : الخلقة والطبيعة (معاني الالفاظ من تفسير ابن كثير

( ( قالوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمَسْحُورِينَ ) أي ما أنت إلا ممن سُحِرَ عقله مرة بعد أخرى فصار كلامه جزافا لا يعبر عن حقيقة ولا يصيب هدفا )<sup>(١)</sup> .

جاء في الفتوحات الإلهية في تفسير الآية الكريمة :

( أتوا بالواو للدلالة على أنه جامع بين وصفين منافيين للرسالة مبالغة في تكذيبه ، والوصفان هما كونه من المسحورين وكونه بشرا يعني أن كلا منهما كاف فكيف إذا اجتمعا ، وفي (السمين) وما أنت إلا بشرا مثلنا ، جاء في قصة هود ما أنت بغير واو وهنا وما أنت بالواو فقال الزمخشري إذا دخلت الواو فقد قصد معنيان كلاهما مخالف للرسالة عند هم التسيير ، والبشرية وأن الرسول لا يجوز أن يكون مسحورا ، ولا بشرا وإذا تركت الواو فلم يقصد إلا معنى واحد وهو كونه مسحورا ثم أكد بكونه بشرا )<sup>(٢)</sup> .

( ولئن نظنك لمن الكاذبين ) حكموا عليه بالكذب وأكدوا حكمهم باللام

في من الكاذبين .

( توجيهها لشبهة لموسى عليه السلام من فرعون ) :

بيّنت سورة المؤمنين هذه الشبهة التي طعن بها فرعون في نبوة موسى وأخيه هارون عليهما السلام وتذرع بهافي الامتناع عن قبول دعوتيهما .

قال تعالى :

( ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ، إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ ، فَقَالُوا أَنْتُمْ لِبَشَرِينَ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عِبْدُونَ )<sup>(٣)</sup> .

في هذه الآيات الكريمة يبين الله تعالى أنه أرسل موسى وهارون عليهما السلام ونص بكلمة ( أخاه هارون ) لبيان تبعية هارون في الرسالة لموسى عليه السلام .

(١) تفسير المراغي ١٩ / ١٠٠ .

(٢) الفتوحات الإلهية ٣ / ٢٩١ ( حاشية الجمل ) .

(٣) المؤمنون ( ٤٥-٤٧ ) .

والمراد بهذه الآيات الآيات التسع وهي :

- أولا : القحط ، والجذب ، وهو الذي عبر عنه القرآن ( بالسنين ) .
- ثانيا : النقص من الثمرات .
- ثالثا : الطوفان .
- رابعا : الجراد .
- خامسا : القُمَّل .
- سادسا : الضفادع .
- سابعا : السِّدْمُ .
- ثامنا : العَصَا .
- تاسعا : ( اليد ) .

والسلطان المبين : وهو الحجة القوية على صدق ما يدعوانه إليه .  
وقد أوضحت ذلك في الفصل السابق .

فاستكبروا عن إجابتهما وعا بعثهما الله تعالى إليهم وسبب استكبارهم  
وطغيانهم في الأرض وفترة النعم وانغماسهم في البذخ فكانوا قوما مستكبرين  
ومن كان هذا شأنهم فإنهم بعيدون عن الإيمان فقالوا مستنكرين على  
أنفسهم أن يتبعوا بشرين مثلهم ( أنؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا  
عابدون ) .

طعن فرعون برسالة موسى عليه السلام بأمرين : أولهما أنهما مساويان  
لهم في البشرية ، جاحدا ما نطقت به الفطرة وما قالت به العقول السليمة  
من تفاوت البشر في العقول .

والوصف الثاني : ( وقومهما لنا عابدون ) .

كيف نؤمن لقوم مساوين لنا في البشريه وكيف نؤمن لقوم قومهما لنا عابدون  
فكيف ينقلب الأمر وأن يكون المعبود عبدا ، وهذا سببه الترف الذي  
أعماهم عن الآيات الحسية .

ومعروف أن قوم موسى وهارون عليهما السلام هم بنو إسرائيل ، وقوم  
إسرائيل هم من نسل يعقوب وسلالة يعقوب عليه السلام بعث الله منها



كثيراً من الأنبياء والرسل ، فإذا عبد بنو إسرائيل فرعون وتركوا دين التوحيد ، فكيف تكونان أي : ( موسى وهارون ) صادقين فلو كنتم صادقين كما تدعيان ما عبدنا قومكما .

وقد صدَّ فرعون بهذه الشبهة وغيرها نفسه ، وقومه عن الإيمان بدعوة موسى وهارون عليهما السلام وأمعنوا في تكذيبهم فكانوا بهـذا التكذيب وهذا الصدَّ من البائدين .

( إنكار مترفي مكة كون الرسول صلى الله عليه وسلم بشرا ) :

إن إنكار البشر أن يكون الرسول بشرا منهم شبهة عرضت للأقوام التي سادت ، ثم بادت وكانت من أقوى الشُّبُه التي صدتهم عن الإيمان بالرسول ، واتباع ما جاؤا به من الهدى .

ولما أرسل الله سبحانه وتعالى رسولنا محمدا صلى الله عليه وسلم لم يفت مترفي مكة أن يلحقوا بهذه الشبهة على أسماع العوام وأخذوا يعجبون الناس من كونه يأكل ، ويبتغي الرزق ، واقترحوا أن ينزل معه ملك يروونه .

قال تعالى :

( وَقَالُوا مَا لِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا (١) ) .

قال أبو السعود :

( شروع في حكاية جنائتهم المتعلقة بخصوصية المنزل عليه وما استفهامية بمعنى إنكار الوقوع ونفيه ، وفي هذا تصغير شأنه صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى ( يَأْكُلُ الطَّعَامَ ) أي شيء وأي سبب حصل لهذا الذي يدعى الرسالة حال كونه يأكل الطعام كما نأكل ( وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ )

لأبتغاء الأرزاق كما نفعله؟ على توجيه الإنكار والنفي إلى السبب فقط مع تحقق المسبب . فإنكار السبب في الأكل والمشى بطريق التهكم ، والاستهزاء فإنهم لا يستبعدونهما ، ولا ينكرون سببهما حقيقة بل هم معترفون بوجودهما وتحقق سببهما ، وإنما الذي يستبعدونه الرسالة المنافية لهما على زعمهم يعنون أنه إن صح ما يدعيه ، فما باله لم يخالف حاله حالنا وهل هو إلا لعمهم ، وركاكة عقولهم ، وقصور أنظارهم على المحسوسات فان تميز الرسل عن عداهم ليس بأمر جسمانية ، وإنما بأمر نفسانية كما أشير بقوله تعالى : ( قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ ) ( لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مَكِّ ) أي على صورته ، وهيئته ( فيكون معه نذيراً ) تنازل منهم من اقتراح أن يكون ملكا مستغنيا عن الأكل والشرب إلى اقتراح أن يكون معه ملك يصدقه ويكون رداءً له في الإنذار وهو يعبر عنه ويفسر ما يقوله للعامه ( ١ ) .

واقعد كانت تحاك بينهم المؤامرات ، والمشاورات في الخفاء ليبرزوا بها بعد ذلك للناس ، وكان مما تمخضت عنه اجتماعاتهم ، ومشاوراتهم الخفية أن ما يأتي به محمد صلى الله عليه وسلم من قرآن ضرب من ضروب السحر لأنهم لم يكونوا يملكون أنفسهم من أن تهتز بهذا القرآن ( فكانوا يلجأون في مقاومة تأثيره الطاغية إلى التعللات ) فيقولون إن محمداً بشر فكيف تؤمنون لبشر مثلكم ؟ وكل ذلك يدل على أنهم كانوا عالمين بصدقه ، إلا أنهم يموهون بهذه الشبهة على ضعفائهم بمثل هذا القول ، وإن كانوا فيه مكابرين : قال تعالى :

( لَا هِيَ قُلُوبُهُمْ وَأَسْرُوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ ) ( ٢ ) .

جاء في حاشية الجمل :

( أي بالغوا في إخفائها بحيث لم يفهم أحد تناجيهم ، وسارتهم تفصيلاً ، ولا إجمالاً فلا يرد كيف قال ذلك مع أن النجوى المسارة والنجوى

( ١ ) ابوالسعود ٦ / ٢٠٤ .

( ٢ ) الأنبياء ٣ .

الكلام السر ، ومعنى أسروها أنهم بالغوا في إخفائها ، وأسروا التناجى بحيث لم يشعر أحد بأنهم يتناجون وإنما قالوا ذلك سرا ، لأنهم كانوا في مبادئ الشر ، والعناد ، وتمهيد مقدمات الكيد ، والفساد ، ومرادهم من هذا التناجى التشاور في استنباط ما يهدمون به أمر القرآن وإظهار فسادة للناس عامة (١) .

وفي قوله تعالى ( هل هذا إلا بشر مثلكم ) قال الزمخشري :  
( أي وأسروا هذا الحديث اعتقدوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكون إلا ملكا وأن كل من ادعى الرسالة من البشر ، وجاء بالمعجزة هو ساحر ، ومعجزته السحر فلذلك قالوا على سبيل الإنكار : افتحضرون السحر وأنتم تشاهدون وتعاينون أنه سحر ) (٢) .

" الرد على هذه الشبهة " :

إن اعتراض مترفى قوم كل نبي أن يكون رسل الله إليهم رجالا منهم باستكثارا على الرسل هذه الفضيلة حيث إنهم أتوا بمثل هذه الاعتراضات اعتقادا منهم أن البشر أقل رتبة من منزلة الرسالة فوجهوا الطعن للرسول من حيث كونهم بشرا ، وقد غابت عن الأقسام أن طبيعتهم البشرية لا تطبق كون الرسول إليهم واحدا من الملائكة لاختلاف الطبيعتين .

وقد ردت آيات سورة الأنعام على هذا الاعتراض حيث قال تعالى :  
( وَقَالُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكَ لَقُضِيَ الْأَمْرُ لِمَ لَا يَنْظُرُونَ ، وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكَ لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبَسُونَ ) (٣) .

قال الدكتور محمد عبد المنعم خفاجى :

( وقد بين تعالى هنا شبهات أولئك الجاحدين المعاندين على الوحي وبعثة الرسول ، وسبب نزول هذه الآية هو أن الرسول صلى الله عليه وسلم دعا قومه إلى الإسلام وكلمهم فأبلغ إليهم ، فقال له زمعة بن

(١) حاشية الجمل على تفسير الجلالين ١١٩/٣ .

(٢) الكشاف ٥٦٢/٢ .

(٣) الأنعام ( ٨-٩ ) .

الأسود ابن عبد المطاب ، والنضر بن الحارث بن كلدة وعبد بن عبد يغوث وأبي بن خلف بن وهب والعاص بن وائل بن هشام : لو جعل معك يا محمد ملك يحدث الناس عنك ويرى معك - فأنزل الله ذلك في قولهم : ( وقالوا لولا أنزل عليه ملك ) وقد جاء ذلك في سورة هود والبقرة والإسراء<sup>(١)</sup> وهي كلها نزلت قبل الأنعام ، والأنعام نزلت جملة واحدة ، فما فيها من السرد<sup>(٢)</sup> عليهم في هذه المسألة إنما هو رد على شبهة سبقت لهم وحكيست عنهم ) .

معنى الآيات :

—————

جاء في حاشية الشيخ زادة في قوله تعالى : ( لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ) الظاهر أنه جملة مستأنفة سبقت لبيان شبهة أخرى من شبه منكري النبوات والأخبار عنهم بفرط تعنتهم ، وتصلبهم في كفرهم ولولا هنا بمعنى الأمر حكى الله تعالى عنهم أنهم طلبوا ملكا يرونه ليشهد له بالرسالة<sup>(٣)</sup> .

( وقد رد الله جل وعلا اقتراحهم هنا بأنه لو أنزل الله سبحانه ملكا كما اقترحوا لقضى الأمر بإهلاكهم ، ثم لا يمهلون ليؤمنوا بل يأخذهم العذاب عاجلا كما جرت سنة الله تعالى في خلقه ، وإذا تعصب قوم ، وطلبوا أية غير التي أنزلت إليهم وأجيبوا إلى طلبهم ثم لم يؤمنوا يهلكهم بعذابه )<sup>(٤)</sup> .

(١) وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ( البقرة ( ١١٨ ) .

فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَكٌّ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ( هود ١٢ )  
( وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمْ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا ) ( الإسراء ٩٤ ) .

(٢) تفسير القرآن الحكيم ٩٣/٧ - محمد عبد المنعم خفاجي ( الطبعة الأولى ) .

(٣) حاشية الشيخ زاده على تفسير البيضاوي ١٥٣/٢ .

(٤) التفسير الفريد ٨١٤/١١ د . محمد عبد المنعم الجمال .

قال الخازن في قوله تعالى : ( ولو جعلناه ملكاً لجعلناه رجلاً )  
يعني ولو أرسلنا إليهم ملكاً لجعلناه في صورة رجل ، وذلك أن البشر  
لا يستطيعون أن ينظروا إلى الملائكة في صورهم التي خلقوا عليها ، ولو  
نظر إلى الملك لصعق عند رؤيته ، ولذلك كانت الملائكة تأتي الأنبياء في  
صورة الإنس كما جاء جبريل عليه السلام إلى النبي صلى الله عليه وسلم  
في صورة ( دحية الكلبي ) وكما جاء الملكان إلى داود عليه السلام في  
صورة رجلين وكذلك أتى الملائكة إبراهيم ولوطا عليهما السلام ، ولما رأى النبي  
صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام في صورته التي خلق عليها صعق  
لذلك ( وعشي عليه ) — وكان ذلك في أول عهده بالرسالة أما بعد  
تمرنه على رؤيته وكثرة لقاءه والتلقى عنه فلم يعد صلى الله عليه وسلم يجد  
لرؤيته ثقلاً وما كان يحدث منه عند نزول الوحي من ثقل جسمه صلى الله  
عليه وسلم وتحدر العرق من جبينه في اليوم الشاتي إنما كان لشدة الوحي  
لا لصعوبة لقاء الملك —

وقوله تعالى:

( وَلَلْبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبَسُونَ ) يقال : لبست الأمر على القوم إذا —  
أشبهته عليهم ، وجعلته مشكلاً ولبست عليه الأمر إذا خلطته عليه حتى لا تعرف  
جهته ومعنى الآية و خلطنا عليهم ما يخلطون على أنفسهم حتى يشكوا  
فلا يدروا أملك هو أم آدمي وقيل في معنى الآية :

إنه لو جعلنا الملك في صورة البشر لظنوه بشرا فتعود المسألة بحالها  
أنا لا نرضى برسالة البشر ، ولو فعل الله عز وجل ذلك صار فعل الله تعالى  
مثل فعلهم في التابيس وإنما كان تلبيسا ، لأنهم يظنون ، أنه ملك وليس  
بملك أو يظنون ، انه بشر وليس هو بشرا وإنما كان فعلهم تلبيسا لأنهم  
لبسوا على ضعفهم في أمر النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا : إنما هو  
بشر مثلكم ولورأوا الملك رجلا للحقهم من اللبس مثل ما لحق بضعفائهم  
فيكون اللبس نقمة من الله سبحانه وعقوبة لهم على ما كان منهم من التخليط  
في السؤال واللبس على الضعفاء (١) .

(١) تفسير الخازن ٥ / ٢ ( المطبعة البهية بمصر ) .

ولقد كان لنزول الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم شدة لا تطيقها الجبال . وهذه الشدة كان يراها ويحس بها كل من كان يخالط النبي صلى الله عليه وسلم ، أو يراه حين نزول الوحي إليه صلى الله عليه وسلم .

ولقد كانت للوحي أحوال وأشكال كثيرة بعضها أشد من الآخر :  
 ( روى البخاري بسنده عن عائشة أم المؤمنين رضى الله تعالى عنها أن -  
 الْحَرَّثَ بْنَ هِشَامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ :  
 يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ يَأْتِيكَ الْوَحْيُ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :  
 أَحْيَانًا يَأْتِينِي مِثْلَ صَلَافَةِ الْجَرَسِ ، وَهُوَ أَشَدُّ عَلَيَّ فَيَفْصِمُ (١) عَنِّي وَقَدْ وَعَيْتُ  
 عَنْهُ مَا قَالَ ، وَأَحْيَانًا يَتَمَثَّلُ لِي الْمَلِكُ رَجُلًا فَيُكَلِّمُنِي فَأَعْبَى مَا يَقُولُ ، قَالَتْ  
 عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يُنْزَلُ عَلَيْهِ الْوَحْيُ فِي الْيَوْمِ الشَّدِيدِ  
 الْبَرْدِ فَيَفْصِمُ عَنْهُ وَإِنَّ جَبِينَهُ لَيَتَفْصَدُ عَرَقًا (٢) .

قال ابن حجر : ( قوله ليتفصد ) بالفاء ، وتشديد المهملة مأخوذ من الفصد وهو قطع العرق لإسالة الدم ، شبه جبينه بالعرق المقصود مبالغة في كثرة العرق وفي قولها : في اليوم شديد البرد دلالة على كثرة معاناة التعب والكرب عند نزول الوحي لما فيه من مخالفة العادة ، وهو كثرة العرق في شدة البرد فانه يشعر بوجود أمر طارئ على الطباع البشرية ، زاد ابن أبي الزناد عن هشام بهذا الاسناد عند البيهقي في الدلائل وإن كان ليوحى إليه وهو على ناقته فيضرب حزامها من ثقل ما يوحى إليه (٣) .

( وروى أبو داود بسنده عن زيد بن ثابت رضى الله عنه قال : كنت إلى جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم فغشيت السكينة فوقعت فخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم على فخذى فما وجدت ثقل شئ أثقل من فخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم سرى عنه فقال : ( أكتب ) فكتبت في كتف (٤) ،

(١) فيفصم : يقلع ويتجلى ما يغشاني : أي أن الملك يفارقه صلى الله عليه وسلم .

(٢) صحيح البخاري ٢/١ باب بدئ الوحي . (٣) فتح الباري ١/١٧٧ باب بدئ الوحي

(٤) الكتف : عظم عريض يكون في أصل كتف الحيوان من الناس والدواب كانوا

يكتبون فيه لقلة القراطيس عندهم . تفسير القرطبي ٥/٢٤٢ سورة النساء (٩٥)

(( لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ )) (١) . . . الى آخر الآيه فقام ابن ام مكتوم - وكان رجلاً أعمى - لما سمع فضيلة المجاهدين فقال :-

يا رسول الله فكيف بمن لا يستطيع الجهاد من المؤمنين ؟ فلما قضى كلامه غشيت رسول الله صلى الله عليه وسلم السكينة فوقعته فخذته على فخذى ووجدت من ثقلها في المرة الثانية كما وجدت في المرة الأولى ، ثم سـرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ( إقرأ يا زيد ) فقرأت ( لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ( غَيْرُ أَوْلَى الْضُرَرِ ) الآية كلها ، قال زيد : فأنزله الله وحدها فالحقُّها والذي نفسي بيده لكأنني أنظر إلى ملحقها عند صدع في كتفي (٢) .

فإذا كان المصطفون الأخيار الذين أهَّلهم الله جلت قدرته لذلك وهياً قلوبهم وطبائعهم لذلك يجدون منه شدة وأفضالهم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم يجد منه شدة والوحي على غير صورته العادية فكيف يتسنى لعامة الناس أن يروا الملائكة على صورتهم الحقيقية ؟ حتماً إنهم سيصعقون لذلك لأنه يستحيل عليهم أن يطبقوا ذلك .

(١) النساء (٩٥) .  
 (٢) سنن أبي داود ١١/٣ باب الرخصة في القعود مع العذر / كتاب الجهاد .

"إلقاء المترفين شبهة السحر على الأنبياء عليهم السلام"

السحر هو شبهة أخرى من شبه المستكبرين عن اتباع الحق ، حيث إنهم لما رأوا تأثير الرسل في أتباعهم حتى إنهم ليضحون بأموالهم وأرواحهم فداء لما دعوا إليه ، ادعى الكبراء أن ذلك من تأثير السحر ، فكان أصحاب البذخ والسلطان يتهمون الرسل عليهم السلام بأنهم سحرة ، أو مسحورون وهم بالتالي يسحرون أتباعهم .

والمعروف أن السحرة لهم أوصاف خاصة ، وقواعد متعلمة يعتمدون عليها فيما يفعلونه من سحر ، وكذلك فإن سحرهم يصيب ، ويخطئ ، أما الرسل عليهم السلام فطبيعة دعوتهم تخالف أنواع السحر بأكمله ، فدعوات الرسل عليهم السلام تعتمد على الدلائل العقلية والآيات الكونية ، ولا علاقه للسحر بطبيعة الوحي البتة .

وقد ادعى المترفون من الكفار أن ما يحدث على يد الأنبياء عليهم السلام من معجزات هو من قبيل السحر والشعوذة ، وأن لها أسبابا وقوى يستطيع من يتعلمها أن يأتي بمثلها ، ولكن كل ذى عقل يستطيع أن يفرق بين المعجزة وبين ما يتوصل إليه بالحيلة ، والشعوذة من عدة وجوه :

( فالمعجزة تكون خارقة للعادة وليس هكذا ما يتوصل إليه بالحيلة وخفة اليد ، والحيلة مما يمكن أن تتعلم وتعلم وليس كذلك المعجزة ، والحيل يقع فيها الأشتراك أي يؤديها أكثر من واحد - بخلاف المعجزة فإنها تجرى على يد واحد هو النبي . والحيلة تفتقر إلى آلات ، وأدوات لو فقدت واحدة منها لم تنفذ ، وليس كذلك المعجزة .

يقول القاضى عبد الجبار :

وأقوى ما يذكر هنا : أن المشعوذ ، والمحتال إنما ينفذ حيلته على من لم يكن من أهل صناعته ، ولا يكون له بها دارية ومعرفة وليس هذا حال المعجزة ، فقد جعل الله سبحانه وتعالى معجزة كل نبي مما يتعاطاه أهل زمانه (١) .

(١) عصمة الأنبياء ص (٥٤) . د . محمد ابوالنور الحديدي .



وقد ذكرت في الفصل السابق قصة موسى عليه السلام مع السحرة حيث اتهمه فرعون بالسحر . ولقد ذكر الله تعالى اتهام فرعون وملئه لموسى عليه السلام بالسحر في أكثر من موضع في القرآن الكريم ، وأنه إنما يطمع بسحره هذا أن يستولي على أرض مصر ، ويكون له فيها الملك .

قال تعالى في سورة طه :

( قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى ، فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ فَأَجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى ) .<sup>(١)</sup>

وفي الشعراء : ( قَالَ لِلْمَلَأَحْوَلِ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ ، يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ) .<sup>(٢)</sup>

الطاغية فرعون أراد أن يُعَمِّي على قومه معجزات موسى عليه السلام برميها بالسحر خشية أن يتأثروا به ، فهو يوهم أتباعه من الأشراف وغيرهم أن موسى عليه السلام ساحر عظيم بارع في فن السحر يريد أن يقتلعهم بسحره من أرضهم مصر ، (ويخرجهم ) منها .

ولا حاجة بنا إلى إعادة قصة جمع السحرة ولقف عصا موسى عليه السلام لما كانوا يأفكون ، ولكن ما يعنيننا هو خروار السحرة سجداً مؤمنين برب موسى و هارون عليهما السلام وذلك يدل دلالة قاطعة أن ما أتى به موسى عليه السلام ليس من السحر إطلاقاً ، لأن السحرة تبينوا وهم أعرف بفنون السحر وضرر وبه أن ما جاءهم به موسي عليه السلام حق لا سحر وأنه مما لا يقدر عليه غير خالق السموات والأرض تباركت أسماؤه .

قال تعالى :

( وَأَلْقَى السَّحْرَ سَاجِدِينَ ، قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ، رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ) .<sup>(٣)</sup>

(١) طه ( ٥٧ - ٥٨ ) .

(٢) الشعراء ( ٣٤-٣٥ ) .

(٣) الاعراف ( ١٢٠-١٢٢ ) .

والشبهة نفسها أحاط بها مترفو قريش سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم فهم لم يجدوا وصفا يستطيعون أن يصفوا ما جاء به من الحق إلا - السحر ، لقد تلببت أفكارهم ، وتشتت أراؤهم في الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ، وهم أهل البلاغة ، وأرباب الفصاحة ، فكيف يتبع الناس محمدا صلى الله عليه وسلم الرجل الأمي ، ولا يتبعون فطاحل الأدباء والشعراء ، لا بد أن هناك شيئا خفيا ، يؤثر في عقول السامعين وقلوبهم وما هو إلا السحر كما يدعون .

وقد بين الله تعالى في كتابه العزيز قولهم هذا في مواضع عديدة ، فلنتأمل هذه الآيات الكريمة :-

قال تعالى :

( وَإِذَا تُلِيٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ <sup>(١)</sup> ) .

وقال تعالى :

( وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ <sup>(٢)</sup> ) .

وقال تعالى :

( وَإِذَا تُلِيٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤَكُمْ وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا إِفْكٌ مُّفْتَرَىٰ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ <sup>(٣)</sup> ) .

قال البيضاوي في تفسير آية سورة سبأ ( وإذا تُلِيٰ عليهم آياتنا بينات )

قالوا ما هذا : يعنون محمدا عليه الصلاة والسلام ( إلا رجل يريد أن يصدكم أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم ) فيستبعمكم بما يستبدعه ( وقالوا ما هذا ) يعنون القرآن ( إلا إفك ) لعدم مطابقة ما فيه الواقع ( مفترى ) بإضافته إلى الله سبحانه ( وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم ) لأمر النبوة أو للإسلام أو للقرآن ، والأول باعتبار معناه وهذا باعتبار لفظه وإعجازه

(١) الاحقاف (٧) .

(٢) الزخرف (٣٠) .

(٣) سبأ (٤٣) .

( إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ) ظاهر سحر بيته ، وفي تكرير الفعل والتصريح بذكر الكفرة وما في اللامين من الإشارة إلى القائلين والمقول فيه وما في ( لما ) من المبادهة إلى البت بهذا القول إنكار عظيم له وتعجيب بليغ منه (١) .

وقال الزفخشري :

( وفي ( لما ) من المبادهة بالكفر دليل على صدور الكلام عن إنكار عظيم وغضب شديد وتعجيب من أمرهم بليغ كأنه قال : وقال أولئك الكفرة المتمردون بجرائمهم على الله ومكابرتهم لمثل ذلك الحق النير قبل أن يذوقوه ( إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ) فبتوا القضاء على أنه سحر ثم بتوه على أنه بين ظاهر كل عاقل سماه سحرا (٢) .

فاتهام سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بالسحر فن من فنون سادة قريش ومترفيهم ، فقد اجتمعوا وتآمروا وتشاوروا ، فكان نتيجة هذه المشاورات والمؤامرات الاتفاق على القول بأنه ساجر ، وكان رأس المجتمعين ذلك الغني المتترف الذي توعدده الله سبحانه وتعالى بالعذاب الشديد ، وهو الوليد بن المغيرة .

قال ابن هشام :

( ثم إن الوليد بن المغيرة اجتمع إليه نفر من قريش وكان ذا سنان فيهم ، وقد حضر الموسم فقال لهم : يا معشر قريش ، إنه قد حضر هذا الموسم ، وإن وفود العرب ستقدم عليكم فيه ، وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا ، فأجمعوا فيه رأيا واحدا ، ولا تختلفوا فيكذب بعضهم بعضا ، ويرد قولكم بعضه بعضا ، قالوا : فأنت يا أبا عبد شمس ، فقل وأقم لنا رأيا نقول به ، قال : بل أنتم فقولوا أسمع ، قالوا : نقول كاهن ، قال : لا والله ما هو بكاهن ، لقد رأينا الكهان فما هو بزمنة الكاهن ولا سجعهم قالوا : فنقول : مجنون ، قال : ما هو بمجنون لقد رأينا الجنون وعرفناه

(١) تفسير البيضاوي ومعه حاشية الشيخ زاده ٩٤/٤ .

(٢) الكشف ٣/٢٩٣ .

(٣) الزمزمة : الكلام الخفي أو الضعيف الذي لا يسمع . (سيرة ابن هشام

فما هو بختقه ، ولا تخالجه<sup>(١)</sup> ، ولا وسوسته ، وقالوا : فنقول : شاعر ، قال : ما هو بشاعر لقد عرفنا الشعر كله رجزاً<sup>(٢)</sup> ، وهزجه<sup>(٣)</sup> وقريضه<sup>(٤)</sup> ومقبوضه<sup>(٥)</sup> ، ومبسوطه<sup>(٦)</sup> فما هو بالشعر ، قالوا : فنقول : ساحر ، قال : ما هو بساحر ، لقد رأينا السحار وسحرهم ، فما هو بنفثهم<sup>(٧)</sup> ولا عقدهم<sup>(٨)</sup> . قالوا : فما نقول يا أبا عبد شمس ؟ قال : والله إن لقوله لحلاوة<sup>(٩)</sup> ، وإن أصله لعذق<sup>(٩)</sup> وإن فرعه لجناة - قال ابن هشام : ويقال لعذق - وما أنتم بقائلين من هذا شيئاً إلا عرف أنه باطل ، وإن أقرب القول فيه لأن تقولوا ساحر ، جاء بقول هو سحري فرق به بين المرء ، وأبيه ، وبين المرء ، وأخيه ، وبين المرء ، وزوجته ، وبين المرء ، وعشيرته . فتفرقوا عنه بذلك ، فجعلوا يجلسون بسبل الناس حين قدموا الموسم ، لا يمرّ بهم أحد إلا حذروه ، إياه ، وذكروا لهم أمره ، فأنزل الله تعالى في الوليد بن المغيرة وفي ذلك من

(١) تخالجه : (تخلج المجنون في مشيته : تجاذب يمينا وشمالا أي يتمايل)

لسان العرب ١/ ٨٧٥ .

(٢) الـرجز : سمي رجزاً لأنه يقع فيه ما يكون على ثلاثة أجزاء ، وهو مأخوذ من قولهم ناقة رجزاء ، إذا ارتعشت عند قيامها لضعف يلحقها أو داء فلما كان هذا الوزن فيه اضطراب سمرجزا ، تشبيهاً بذلك فالمرتجزز كأنه مرتعد عند إنشاده لقصر الابيات ( الوافي في العروض والقوافي ص (١١٣) التبريزي ) .

(٣) الـهزج : (سمي هزجاً لتردد الصوت فيه يقال هذا يهزج في نفسي أي يتردد ، فلما كان الصوت يتردد في هذا النوع من الشعر سمي هزجاً ) الوافي ص (١٠٧) .

(٤) قريضه : من القرض وهو قول الشعر . ويقال للشعر القريض ، وقد فرق الأغلب العجلي بين الـرجز والقريض بقوله :

أرجزا تريد أم قريضا ؟ . . . كليهما أجد مستريضا .

وفي حديث الحسن : قيل له أكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يمزحون ؟ قال نعم ويتقارضون أي يقولون القريض وينشدون - ( لسان العرب ٣/ ٦١ ) .

(٥) مقبوضه : ( ما سقط خامسه الساكن ، أو حذف الحرف الخامس من الجزء نحو النون من فعولن أينما تصرفت وسمي مقبوضاً ليفصل بين ما حذف أوله وآخره ووسطه ) لسان العرب ٣/ ٨ والوافي ص ( ٢٠٥ ) .

(٦) مبسوطه : ( وهو البسيط : سمي بسيطاً لأن الأسباب انبسطت في أجزاءه السباعية فحصل في أول كل جزء من أجزاءه السباعية سببان ، فسمي لذلك بسيطاً ، وقيل سمي بسيطاً لانبساط الحركات في عروضه ) ( الوافي ٥٧ ) .

(٧) النفث : ( شبه النفث دون تغل بالريق ، فإذا كان معه ريق فهو التفلسل ) ( صفوة التفاسير ٣/ ٦٢٣ ) .

(٨) العقد : ( عقد الخيط الذي يستعمله السحرة ) ( القرطبي ٢٠/ ٢٥٧ ) .

(٩) العذق والجناة : استعارة من النخلة التي ثبت أصلها وقوي وطاب فرعها إذا جنى - والجني كل ما يجنى فهو جني وجناة أو كل ما يجنى من الشجر (الروض الأنف ٣/ ٧٩) .

(١) قوله ( ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ، وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا ، وَبَيْنَ شُهُودًا ، وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا ، ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ، كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا ، سَأَرْهَقَهُ صَعُودًا ، إِنَّهُ فَكَرَ وَقَدَّرَ ، فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ، ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَكُمُ نَظَرَ ، ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ، ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ، فَقالَ إِنَّ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ يُؤَثِّرُ ، إِنَّ هَذَا إِلاَّ قَوْلُ الْبَشَرِ ، سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرٌ ، لاَ تُبْقَى وَلاَ تُنذَرُ ، لَوْ اِخْتَصَرَ لِلْبَشَرِ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ) (٢) .

في الآيات الكريمة يبين الله تعالى ما أسبغه من نعم كثيرة على الوليد ابن المغيرة ، فقد أعطاه الله تعالى من الأموال ، والأولاد الكثير ، وبسط الله له الجاه والمال وهياً له الرياسة والسلطان ، حتى إنه كان يسمى ريحانة قريش لنضارة حاله ، ووفرة ماله ، ولكن أمثال الوليد بن المغيرة من يحيون حياة الترف استولى على أنفسهم الطمع والاستكبار ، فلم يحمد الله جل وعلا على نعمه ، بل عاند وتصدى لدعوة الحق التي جاءت على لسان سيد البشر محمد صلى الله عليه وسلم ، فتوعده الله تعالى بقوله : ( ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ) (أى ذرنى وحدى معه فأنا أغنيك في الانتقام عن كل منتقم ، وأنا خلقتك وحدي فلا أحتاج إلى ناصر في إهلاكه ، أو ذرنى ومن خلقت وحيدا ، فقد كان الوليد يلقب في قومه بالوحيد بغرض المدح والثناء عليه ، فصرفه الله إلى ذمه وعيبه ، فأراد سبحانه وحيدا في الخبث ، والشرارة أو وحيدا عن أبيه لأنه كان دعيا لم يعرف نسبه للمغيرة حقيقة ) (٣) .

( وجعلتُ له مالا ممدوداً ) : جعلت له مالا كثيرا مبسوطا كالنهر الدافق حيث كان له الضرع ، والزرع ، والتجارة ، وقال المفسرون إنه كان له بستان بالطائف لا تنقطع ثماره صيفا وشتاء ، ومراد الآية وفرة ماله وولده (٤) (وبين شهوداً) أي مقيمون معه غير محتاجين إلى الأسفار والغيبة عنه ) لأن مال أبيهم الوفير أغناهم عن السفر والارتحال لطلب الرزق كباقي الرجال ، فكا نوا يتصدرون المجالس مع أبيهم .

(١) سيرة ابن هشام ٢٧٠/١ .

(٢) المدثر (١١-٣٠) .

(٣) روح المعاني ١٢٢/٢٩ .

(٤) روض الانف ٨٠/٣ .

( ومَهَّدَتْ لَهُ تَمْهِيدًا ) إِذْ بَسَطَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لَهُ الرِّزْقَ وَسَهَّلَ لَهُ  
الرِّيَاسَةَ وَالجَاهَ وَيَسَّرَ لَهُ مَظَاهِرَ الْعِزِّ فَكَانَ فِي قَوْمِهِ عَزِيزَ الْجَانِبِ ( أَوْ  
هَيَّأَتْ لَهُ وَقَدَّمَتْ لَهُ مَقَدِّمَاتٍ اسْتَدْرَاجًا لَهُ )<sup>(١)</sup>.

ثم هو بعد ذلك لا يشكر الله تبارك وتعالى على نعمائه وآلائه عليه  
( ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ) فهو طماع أثيم شأنه شأن العترتين المتجبريين  
( كلا ، إنه كان لآياتنا عنيدا ) ردع وزجر له عن طمعه ، وجشعه ، لأنه  
أتى ما يؤدي إلى سلب تلك النعم التي من الله سبحانه وتعالى عليه بها ،  
وهو عناده للحق وجحوده لآيات الله سبحانه وتكذيبه لرسوله عليه الصلاة  
والسلام ، وكان المرجو من هذا حاله من وفرة النعم والتمكن من العز  
والجاه أن يكون على خلاف ذلك ، فذكر بعضا من عذابه ( سَأْرَهْقُوهُ  
صَعُودًا ) هي عقبة في جهنم سيكلف الوليد طلوعها ، قال القرطبي :  
( الصَّعُودُ : صَخْرَةٌ مَلْسَاءٌ يَكْلِفُ صَعُودَهَا ، فَإِذَا صَارَ فِي أَعْلَاهَا حُدْرٌ فِي  
جَهَنَّمَ )<sup>(٢)</sup>.

( إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ) هِيَ فِي نَفْسِهِ الْكَلَامُ فِي شَأْنِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
وَسَلَّمَ وَفِي شَأْنِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَأَجَالَ فِي فِكْرَةِ الْكَلَامِ ( فَكْتَلَّ كَيْفَ قَدَّرَ )  
لَعَنَ كَيْفَمَا كَانَ تَقْدِيرُهُ قَالَ ( إِسْمَاعِيلُ حَقِي ) تَعْجِيبٌ مِنْ تَقْدِيرِهِ وَإِصَابَتُهُ  
فِيهِ الْغَرَضُ الَّذِي كَانَ يَنْتَحِيهِ قَرِيشٌ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ ، أَوْ ثَنَاءٌ عَلَيْهِ بِطَرِيْقِ  
الاسْتِهْزَاءِ بِهِ عَلَى مَعْنَى أَنْ هَذَا الَّذِي ذَكَرَهُ وَهُوَ كَوْنُ الْقُرْآنِ سِحْرًا فِي  
غَايَةِ الرِّكَائِكَةِ ، وَالسَّقُوطِ ، أَوْ حِكَايَةِ لِمَا ذَكَرُوهُ مِنْ قَوْلِهِمْ قَتَلَ كَيْفَ قَدَّرَ  
تَهْكِمًا بِهِمْ وَبِإِعْجَابِهِمْ بِتَقْدِيرِهِ وَاسْتِعْظَامِهِمْ لِقَوْلِهِ . ( ثُمَّ قَتَلَ كَيْفَ قَدَّرَ )  
التَّكْرِيرُ لِلْمَبَالِغَةِ فِي التَّشْنِيعِ وَ ( ثُمَّ ) لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّ النِّكْرَةَ الثَّانِيَةَ فِي  
التَّعْجِيبِ أَبْلَغُ مِنَ الْأُولَى وَأَنَّ اللَّائِقَ فِي شَأْنِهِ لَيْسَ إِلَّا هَذَا الْقَوْلُ دَعَاءٌ  
عَلَيْهِ<sup>(٣)</sup> . وَلَكِنَّهُ عَاوَدَ التَّفَكِيرَ فِي أَمْرِ الْقُرْآنِ ( ثُمَّ نَظَرَ ) قَبْلَ أَنْ يُعْطِيَ رَأْيَهُ  
وَقِيلَ نَظَرَ إِلَى وَجْهِ النَّاسِ ( ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ) تَغْيِيرَ لَوْنِهِ وَزَادَ وَجْهَهُ عِبُوسًا  
لِمَا أَعْيَتْهُ الْحِيلَ وَلِأَنَّهُ وَجَدَ أَنَّ أَيَّ وَصْفٍ حَتَّى السِّحْرَ لَا يَتْلَأَمُ مَعَ الْقُرْآنِ

(١) الروض الانف ٨١/٣ .

(٢) الجامع لاحكام القرآن ٧٢/١٩ .

(٣) روح البيان ٢٢٩/١٠ .

الكريم ومع النبي صلى الله عليه وسلم ( ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ) لكنه أعرض عن الحق واستكبر عن قبول الهدى ، فقال قول المترفين المستكبرين المتباهين بأموالهم وأولادهم ، المشغولين بنعم الدنيا عن أمور الآخرة ( إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ ) يتعلم ويعرف عن الغير إن أردنا تعلمناه ، ولكن لا نريد فهو يوحى بأستعلائه عن هذا التعلم يقصد بذلك آحتقار الرسول صلى الله عليه وسلم وان القرآن ملتقط من غيره ( إِنَّ هَذَا إِلَّا قَوْلَ الْبَشَرِ ) وهكذا أبدأ شأن المستكبرين ولم يشأ سبحانه وتعالى أن يرد على الوليد بن المغيرة برد يبطل دعوى السحر التي ادعّاها ، لأن بطلان هذه الدعوى واضح وإنما كان الرد الأمثل والأشقى لقلب الوليد بن المغيرة وأمثاله أن توعدده الله تعالى بالعذاب الشديد ، وهو عذاب سقر : ( سَأَصْلِيهِ سَقْرًا ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقْرٌ ) فهو سبحانه وتعالى يعظم هول سقر التي سيصلى حرها الوليد وأمثاله ، وسميت سقر من سقرته الشمس : إذا أذابته ولوحته وأحرقت جلده وجهه ( لا تبقى ولا تذر ) الوليد وأمثاله تسحقهم النار سحقا فلا تبقى من فيها حيا ولا تذر ميتا ، وهكذا أبدا ، ( لَوَاحَةٌ لِلْبَشَرِ ) فهي تظهر لأعين الناس من مسافات بعيدة جدا ، كقوله تعالى ( وَبَرَزَتْ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى ) وعلى سقر تلك تسعة عشر ملكا من الزبانية الأشداء لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون .

هذه هي سقر مصير الوليد بن المغيرة الذي أطلق شبهة السحر على رسول الله صلى الله عليه وسلم وشاع بين صبيانه أن ينشروها بين شعاب مكة<sup>(١)</sup>

بقى أن أقول : إننا لم نسمع عن ساحر لافي قديم الزمان ، ولا حديثه جاء بكلام معقول أتبعه ملايين الناس من العقلاء كما حدث مع الرسل ولم نعلم أن ساحرا أمر الناس بتوحيد الله سبحانه وتعالى أو حث على مكارم الأخلاق . وإننا لنرى أن أثر دعوات الرسل عليهم السلام في الناس إنما هي قوى معنوية ، وروحية ، وحسية ، وإصلاحاً للبشر دينا ودنيا

(١) اقتبست تفسير الآيات من كتب التفسير التالية : تفسير القرطبي ٢٩/٧٧ وتفسير ابي السعود ٩/٥٨ وروح المعاني ٢٩/ (١٢٤-١٢٥) والتفسير الكبير ٣٠/ (١٩٩-٢٠٣) .

أما السحر فلا أثر له في أجسام المسحورين وعقولهم إلا الأمراض والأسقام وما هو إلا من فعل الشياطين ، حيث لا نجد للسحر إلا الضرر الذي يعود به على الناس . لذلك قال تعالى :

( وَأَتَّبَعُوا مَا تَتَلَوُا الشَّيْطَانُ عَلَىٰ مَلَكِ سُلَيْمٍ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمٌ وَلَٰكِنَّ الشَّيْطَانَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمُرُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرُّوا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ) (١) .

وقد سلى الله سبحانه وتعالى رسوله صلى الله عليه وسلم وواسماه بأُن من سبقه من الأنبياء قد تعرضوا لهذه الشبهة ، وقد بسطت سورة الذاريات بعضا من قصص إبراهيم عليه السلام ، ولوط عليه السلام ، وموسى عليه السلام .

وهؤلاء أنبياء قصصهم مشهورة لدى قريش ، وخاصة أن بعضا من هؤلاء الأنبيا الكرام كانوا من العرب ، و قريش من العرب والعرب حريصون على معرفة أخبار أسلافهم . فكما رمى مترفو قريش محمدا صلى الله عليه وسلم بالسحر ، فكذلك الأنبياء من قبله رموا بنفس الطعن ، فكأن الأم توارثت هذا الطعن وأوصت به بعضها بعضا وصممت على محاربة الأنبياء بهذه الشبهة . قال تعالى :-

( كَذَٰلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجْنُونٌ أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ، فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ ) (٢) .

قال النسفي :

( كَذَٰلِكَ ) (الأصل مثل ذلك وذلك إشارة إلى تكذيبهم الرسول وتسميته ساحرا ، أو مجنونا ، ثم فسر ما أجمل بقوله ( ما أتى الذين من قبلهم ) من قبل قومك ( من رسول إلا قالوا ) هو ( ساحرٌ أو مجنون ) رموهم بالسحر أو الجنون لجهلهم ( أتواصوا به ) الضمير للقول ، أي لم يتواصوا به لأنهم



لم يتلاقوا في زمان واحد بل جمعتهم العلة الواحدة وهي الطغيان ، —  
 واطغيان هو الحامل عليه ( فَتَوَلَّ عَنْهُمْ ) فأعرض عن الذين كررت عليهم  
 الدعوة فلم يجيبوا عنادا ( فما أنت بملوم ) فلا لوم عليك في إعراضك بعد ما  
 بلغت الرسالة وبذلت مجهودك في البلاغ والدعوة (١) .

وبهذا الاستعراض السريع لأحوال الأمم مع أنبيائهم ورميهم بشبهة السحر  
 بيد وجليا أن ملة الكفر واحدة . وأن اللجاج وركوب متن الباطل سنة  
 يتوارثها الكفار جيلا عن جيل ، وأمة عن أمة ، وان الذين كانوا يتولون  
 كبر هذه الجريمة ضد الرسل في جميع الأقسام هم المترفون ، وممن  
 يخضع لسلطانهم ، أو يقع تحت تأثيرهم واغرائهم .

—————

" تعنت المترفين مع الرسل عليهم السلام وطلب الخوارق "

أعمى الضلال والاستكبار قلوب المترفين فهم لانغماسهم في اللذات والشهوات ، قست قلوبهم حتى صارت كالحجارة لا تسمع لنداء ولا تستجيب لدعاء ، فقد حاول المترفون بشتى الوسائل صد الرسل عن دعواتهم وكان من هذه الوسائل التعنت ، وطلبهم من الرسل الإتيان بمعجزات أو تغيير في أحداث الكون .

ومع أن كل رسول أعطاه الله معجزات لتكون دليلا على صدقه ، إلا أنهم كانوا يطلبون المزيد من المعجزات ممن ليست معجزة الرسول ، ونها ولكن تطرفا منهم وعنادا ، ومحاولة منهم لتعجيز الرسل وإحباط همهم ، وزعزعة ثقة المؤمنين بهم .

وهناك على سبيل المثال لا الحصر بعض مواقف المترفين المتعنتة ، وطلبهم الخوارق من رسلهم .

" طلب المعجزة من صالح عليه السلام " :

وصف لنا القرآن الكريم ما كانت عليه ثمود من رفاهية وترف وقوة فلمّا أقام نبي الله صالح عليه السلام حجة الله تعالى عليهم بما وفر لهم من الزروع ، والنخيل ونحت البيوت في الجبال قالوا : لا يكفيننا ذلك وطلبوا من صالح عليه السلام أن يخرج لهم من صخرة ناقة عشراء وقد أخذ عليهم صالح عليه السلام العهود والمواثيق بأن يؤمنوا لقاء ذلك فاعطوه ذلك فدعا صالح عليه السلام ربه فانظرت تلك الصخرة عن ناقة عشراء على الصفة التي وصفوها فأمن بعضهم ، واستمر أكثرهم على كفرهم وضلالهم . ( وحذرهم نقمة الله تعالى إن هم أصابوها بسوء فمكنت الناقة بين أظهرهم حينئذ من الدهر وقسم الشرب بينها وبينهم لها يوم ولهم يوم وكانت تعطيتهم من اللبن بقدر ما تأخذ من ماء فضاقوا بشربها الكثير وقد ابتلاهم الله سبحانه بذلك لأنهم اقترحوا الآية تعنتا وتعجيزا لنبيهم ، فابتلاهم الله سبحانه بها فلم يصبروا على حالها ، فضاقوا بها ذرعا ، وتآمروا عليها فعقروها .

وقد أخذهم الله بالعذاب الأليم وذكر ذلك في أكثر من موضع :

قال تعالى :

( كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوِيهَا ، إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ، فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا ، فَدَمَدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا ، وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ) (١) .

قال الألوسي في قوله تعالى : ( كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا ) (الباء عند الجمهور للسبب أي فعلت التكذيب بسبب طغيانها كما تقول ظلمني الخبيث بجرأته على الله تعالى ) (٢) .

وأما الزمخشري فقد جَوَّزَ أن يكون المعنى ( أنها كذبت بما أوعدت به من عذابها ذي الطغوى كقوله : ( فأهلكوا بالطاغية ، والطغوى من الطغيان وهو التجاوز في الحد ) (٣) .

وهذا الطغيان أو هذا التكذيب حصل حين انطلق أشقى ثمود وهو قدار بن سالف الذي قال تعالى فيه : ( فَنادوا صاحبهم فتعاطى فَعَقَر ) (٤) .

وكانت هذه الفعلة فعلة وجيه مترف فأصبح بها أشقى الناس مع أنه كان عزيزا شريفا في قومه ، وسيدا مطاعا .

روى البخارى بسنده :

( عن عبد الله بن أبي زمعة أنه سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخُطِبُ وَذَكَرَ النَّاقَةَ وَالَّذِي عَقَرَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا ، انبَعَثَ لَهَا رَجُلٌ عَزِيزٌ عَارِمٌ مُنِيعٌ فِي رَهْطِهِ مِثْلُ أَبِي زَمْعَةَ ) (٥) .

فبالرغم من تحذير رسول الله صالح عليه السلام من مسها بسوء ووجوب تعظيمها إلا أنهم لم يعيروا تحذيره أدنى انتباه .

- 
- (١) الشمس (١١-١٥) .  
 (٢) روح المعاني ٣٠ / ١٤٥ .  
 (٣) الكشاف ٤ / ٢٥٩ .  
 (٤) تفسير ابن كثير ٤ / ٥١٧ .  
 (٥) صحيح البخارى ٦ / ٨٣ كتاب التفسير (سورة الشمس وضحاها) .

( فقال لهم ) قال لثمود ( رسولُ الله ) [ صالح عليه السلام وعبّر عنه بعنوان الرسالة إذانا بوجوب طاعته ، وبيانا لغاية عتوهم وتماديهم في الطغيان وهو السرف في إضافة الناقة إليه تعالى في قوله سبحانه ( ناقة الله )<sup>(١)</sup> . وسقياها : أي احذروا ناقة الله أن تمسوها بسوء والتزموا القسمة التي قسمها الله بينها وبينكم ولا تمنعوها نصيبها من الماء ، ومع ذلك فلم يلتفتوا إلى تحذيره ولم يصدقوا وعيده لهم بعذاب الله فقتلوا الناقة ( فكذبوه فَعَقَرُوهَا فدمد عليهم ربهم بذنبيهم فسواها ) أهلكتهم الله سبحانه وتعالى ودمرهم عن بكرة أبيهم بسبب طغيانهم وتكذيبهم النبي وكان إهلاكهم بأن أطبق الله عليهم العذاب اطباقا فاستأصلهم جميعا .

( فسواها ) : سؤى الله بينهم في الدمة وهي العذاب حيث استسوى في ذلك العذاب القوم كلهم فلم ينج منه صغير ، ولا كبير ولا يخاف الله سبحانه وتعالى عاقبة هذا العذاب كما يخاف ملوك الأرض ورؤسأؤها فقال ( ولا يخاف عقباها ) .

" تعنت مترفي مكة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم " :

الناظر في سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم يرى كم قاسى رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم من اضطهاد ، وتنكيل ، وعذاب فلم يفتر عزمه لحظة واحدة ولم ييأس من هداية قومه ، وكان سادة المترفين وكبرأؤهم يتفننون في الأساليب التي يصدون بها الناس عن ذكر الله ، ويثبطون عزيمة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ويبلغ من تعنتهم معه مالا تطيقه الجبال الراسخة ، ويستمر تعنتهم وعدم إيمانهم به و بما أنزل عليه من القرآن الذي أعجزهم وحيرهم وتحداهم أن يأتوا بآية من مثله فلم يستطيعوا ، وبالرغم من إعجاز القرآن إلا أنهم راحوا يطلبون منه خوارق ومعجزات مادية لا يستسيغها عقل سليم .

قال تعالى :

( وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ، وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا ، أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا ، أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمَتَ عَلَيْنَا كَيْدًا أَوْ تَأْتِيَنَا بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا ، أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرَفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تَنْزِلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُوهُ ، قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا (١) .

يقول المرحوم سيد قطب :

(رأى إعجاز القرآن أبعد مدى من إعجاز نظم ومعانيه ، وعجز الإنس والجن عن الإتيان بمثله هو عجز كذلك عن إبداع منهج كمنهجه يحيط بما يحيط به ، وهكذا قصر إدراكهم عن التطلع إلى آفاق الإعجاز القرآنية فراحوا يطلبون تلك الخوارق المادية ، ويتعنتون في اقتراحاتهم الدالة على الطفولة العقلية أو يتبجحون في حق الذات الإلهية بلا أدب ولا تحرج ، لم ينفعهم تصريف القرآن للأمثال والتنويع فيها لعرض حقائقه في أساليب شتى تناسب العقول والمشاعر وشتى الأجيال والأطوار ( فأبى أكثر الناس إلا كفورا ) وعلقوا إيمانهم بالرسول صلى الله عليه وسلم بأن يفجر لهم في الأرض ينبوعا أو بأن تكون له جنة من نخيل وعنب يفجر خلالها الأنهار أو أن يأخذهم بعذاب من السماء فيسقطها عليهم قطعاً كما أنذرهم أن يكون ذلك يوم القيامة ، أو يأتي بالله والملائكة قبلاً يناصره ، ويدفع عنه كما يفعلون هم في قبائلهم ، أو أن يكون له بيت من المعادن الثمينة ، أو أن يرقى في السماء ولا يكفى أن يعرج إليها وهم ينظرونه ، بل لا بد وأن يعود إليهم ومعه كتاب محبر يقرأونه .

وتبد وطفولة الإدراك والتصور ، كما يبدو التعنت في هذه المقترحات الساذجة وهم يسوون بين البيت المزخرف والعروج إلى السماء أو بين تفجير ينبوع من الأرض ومجيئ الله - سبحانه - والملائكة قبلاً والذي يجمع فسي

تصورهم بين هذه المقترحات كلها هو أنها خوارق فإذا جاءهم بها نظروا  
في الإيمان له والتصديق به .

وغفلوا عن الخارقة الباقية في القرآن وهم يعجزون عن الإتيان بمثله  
في نظمه ، ومعناه ، ومنهجه ولكنهم لا يلمسون هذا الإعجاز بحواسهم  
فيطلبون ما تدركه الحواس .

والخارقة ليست من صنع الرسول عليه السلام ، ولا هي من شأنه ، وإنما  
هي من أمر الله سبحانه وفق تقديره وحكمته وليس من شأن الرسول أن يطلبها  
إذا لم يعطه الله إياها ، فأدب الرسالة وإدراك حكمة الله تعالى فـي  
تدبيره يمنعان الرسول أن يقترح على ربه ما لم يصرح له به . .  
( قل : سبحانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا )<sup>(١)</sup> .

يقول صديق خان :

( تعجب مما تقدم أو عن أن يتحكم عليه ، أو يشاركه أحد في القدرة  
( هل كنت إلا بشرا ) من البشر لا ملكا حتى أصد السماء ( رسولا )  
كسائر الرسل مأمورا من الله سبحانه بإبلاغكم فهل سمعتم أيها المقترحون  
لهذه الأمور أن بشرا قدر على شئ منها وإن أردتم أن أطلب ذلك ممن  
الله سبحانه حتى يظهرها على يدي فالرسول إذا أتى بمعجزة واحدة  
كفاه ذلك لأن بها يتبين صدقه ولا ضرورة إلى طلب الزيادة ، وأنا عبد مأمور  
ليس لي أن أتحكم على ربي بما ليس بضروري ، ولا دعت إليه حاجة ، ولو  
لزمتمني الإجابة لكل متعنت لا قترح كل معاند في كل وقت اقتراحات وطلب  
لنفسه أظها رآيات . فتعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا  
عن تعنتاتهم وتقديس عن اقتراحاتهم ، وقد أعطى النبي صلى الله عليه وسلم  
من الآيات ، والمعجزات ما يغني عن هذا كله مثل القرآن وإنشاق القمر  
ونبع الماء من بين أصابعه ، وما أشبهها وليست دون ما اقترحوه بـ  
أعظم منه ولكن لم يكن قصدهم طلب الدليل بل كانوا متعنتين )<sup>(٢)</sup> .

(١) ظلال القرآن ٤ / ٢٢٥٠ .

(٢) فتح البيان ٥ / ٤٠٧ صديق حسن خان .

” تعنت بني اسرائيل مع موسى عليه السلام ” :  
 ~~~~~

وكما تعنت المشركون الذين لا علاقة لهم بالأديان السماوية تعنت اليهود مع موسى عليه السلام بطلب ما لا يمكن وقوعه حيث طلبوا رؤية الله سبحانه وتعالى عيانا .

قال تعالى :

(وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ)^(١) .

فقوله تعالى :

(وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً) فاليهود علقوا إيما نهم بموسى وتصديقهم إياه واعترافهم بنبوته حتى يتحقق لهم طلبهم في رؤية الله سبحانه وتعالى عيانا .

قال القرطبي :

(قوله تعالى (جهرة) هي مصدر في موضع الحال ومعناه علانية وقيل عيانا ، وأصل الجهر الظهور ، ومنه الجهر بالقراءة إنما هو إظهارها والمجاهرة بالمعاصي : المظاهرة بها ، ورأيت الأمير جهارا وجهرة أي غير مستتر بشئ .

وفي الجهر وجهان ، أحدهما : أنه صفة لخطابهم لموسى أنهم جهروا به وأعلنوا فيكون في الكلام تقديم وتأخير ، والتقدير : وإذ قلت يا موسى جهرة . الثاني : أنه صفة لما سأله من رؤية الله تعالى أن يروه جهرة ، وعيانا ، فيكون الكلام على نسقه لا تقديم فيه ، ولا تأخير ، وأكد بالجهر فرقا بين رؤية العيان ورؤية المنام)^(٢) .

فعاقبتهم الله سبحانه وتعالى بالصاعقة لجرأتهم ، ووقاحتهم على الله جل وعلا (فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ) .

(١) البقرة (٥٥)

(٢) الجامع لاحكام القرآن ١ / ٤٠٤ .

والصاعقة هي عبارة عن استفراغ كهربائي يحصل بين كهربائيتين متخالفتين سالبة ، وموجبة ، فإذا دنت سحابة ذات كهربائية موجبة من الأرض فحيثما دنوها تحصل الكهرباء بالتأثر وتتصل بالكهربائية السالبة في الأرض ويكـون الاستفراغ أو الاتحاد في جسم ما على الأرض فيحترق إذا كان شجرا أو إنسانا ويتفتت إن كان صخرا ، ويتهدم إن كان بناء ، و يبلغ ما تدمره الصاعقة منوط بمقدار كمية الاستفراغ وبلغ قوة الكهربائيتين (١) .

قال الرازي :

(إن الصاعقة هي سبب الموت ولذلك قال تعالى في سورة الأعراف (فلما أخذتهم الرجفة) واختلفوا في أن ذلك السبب أي شيء كان على ثلاثة أوجه . أحدها : أنها نار وقعت من السماء فأحرقتهم . وثانيها : صيحة جاءت من السماء . وثالثها : أرسل الله تعالى جنودا سمعوا بحسبها فحروا صعقن مئتين يوما وليلة وكان ورودها وهم شاهدون لها أعظم فـي باب العقوبة منها إذا وردت بغتة وهم لا يعلمون ، ولذلك قال وأنتم تنظرون منبها على عظم العقوبة) (٢) .

والعجيب أن اليهود كرروا هذا التعنت مع نبينا محمد صلى الله عليه وسلم سالكين بذلك مسلك المشركين الذين لاعلاقة لهم بالأديان السماوية ، ولم يتعظوا بما ناب آباءهم من الصعق فطلبوا من محمد صلى الله عليه وسلم ما يماثل طلب آباءهم من موسى عليه السلام .

قال تعالى :

(يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تَنْزِلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ ، فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَ لَعْنَةَ ذَلِكَ وَإِنَّا لَمُبِينَا) (٣) .

(١) مع الأنبياء في القرآن الكريم ص ٩٦ عبد الفتاح طبارة .

(٢) التفسير الكبير ٢ / ٩٢ .

(٣) النساء ١٥٣ .

قال ابن كثير :

(سأل اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينزل عليهم كتابا من السماء كما نزلت التوراة على موسى مكتوبة قال ابن جريج : سألوه أن ينزل عليهم صحفا من الله مكتوبة إلى فلان وفلان بتصديقه فيما جاءهم وهذا إنما قالوه على سبيل التعنت ، والعناد والكفر والإلحاد كما سأل كفار قريش قبلهم نظير ذلك كما هو مذكور في سورة سبحان .
(وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا) (١)

فالله سبحانه وتعالى هون الأمر على قلب نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، أي لا تكترث يا محمد لهم فإنك لمهابتك في قلوبهم سألك أقل ما سأل آباؤهم موسى عليه السلام فسألوا موسى عليه السلام رؤية الله تعالى عيانا كما ذكرت ذلك سابقا .

والواقع أنه قد يسأل سائل لماذا لم يأت الرسول صلى الله عليه وسلم بآيات حسية مما اقترحوا لعل ذلك يؤدي إلى إيمانهم .
والجواب على ذلك من وجوه أهمها في نظري :

أولاً : إن القرآن معجزة دائمة وكاف بما فيه من الإعجاز لإيمان الناس .
ثانياً : رحمة الرسول صلى الله عليه وسلم بأمتة أجمعين وعلمه بأخبار الأمم الماضية وعذابهم الذي ذاقوه لقاء تعنتهم كان يمنعه صلى الله عليه وسلم من إجابتهم لطلبهم الذي ما هو إلا على سبيل التعنت والإحراج ، فقد كان يعلم عليه الصلاة والسلام أنهم لو أجيبوا إلى طلبهم ولم يؤمنوا كان ذلك داعيا لهلاكهم ، وأخذهم بالعذاب الشديد كما أخذ من قبلهم من المتعنتين .

ثالثاً : اقتراح مثل هذه الآيات يتنافى مع عموم الرسالة فإذا كان يتسنى أن تحصل في حياته فكيف يتسنى أن تحصل بعد مماته وهو خاتم الأنبياء ولا نبي بعده ، فلو أتى قريشا وأهل الكتاب وأهل ذلك الزمان بهذه المقترحات فمن يأتي بها لأهل العصور بعده ولا نبي بعده ولا تحصل المعجزات إلا على يد الأنبياء .

ولذا خصه الله تعالى بالمعجزة البينة الخالدة التي يقرؤها
الناس في آخر الزمان كما قرأوها في أول نزولها .

وقد لقنه الله تعالى ما يقول لهم ردا على تعنتهم فقال : (قُلْ
سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا) .

وقال تعالى :

(وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ ، إِنَّمَا أَنْتَ
مُنذِرٌ لِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ)^(١) .



(١) الرعد (٧) .

” الاستهزاء بالرسول ”

—————

لم يكن مترفو مكة وحدهم الذين استهزأوا بنبيهم وسخروا منه . ولكنها عادة المترفين في كل عصر الاستهانة ، والاحتقار لدعوات الرسل وممن موافقهم المكررة مع كل رسول الاستهزاء به والسخرية منه .

وقد بين القرآن الكريم أن الرسل جميعهم قوبلوا بالاستهزاء من أقوامهم كما قوبل بها سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم . فتأمل معي هذه الآيات :

قال تعالى :

(وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيِّ فِي الْأَوَّلِينَ ، وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ) (١) .

وقال تعالى :

(وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شِعَابِ الْأَوَّلِينَ ، وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ) (٢) .

ففي هذه الآيات تسلية من الله سبحانه وتعالى لرسوله الكريم محمد صلى الله عليه وسلم عما أصابه من سفه قومه وادعائهم جنونه وإن هذا دأب الأمم الماضية .

والمعنى لقد أرسلنا يا محمد رسلا قبلك في فرق الأمم الماضية وأحزابهم فأستهزئ بهم كما استهزأ بك قومك .

قال المراهي :

(وما أتى أمة رسول إلا كذبوه واستهزأوا به وكما جرت به العادة أن فعل الطاعات وترك اللذات - مستثقل على النفوس - إلا أنهم يدعونهم إلى ترك ما ألفوا من المعتقدات الخبيثة ، وترك عبادة الأوثان الباطلة ،

(١) الزخرف (٦-٧) .

(٢) الحجر (١٠-١١) .

وذلك مما يشق على النفوس، إلا أن الرسول قد يكون فقيراً لا أعوان له ولا أنصار ولا مال له، ولا جاه، فلا يتبعه الرؤساء وذوو البأس والقوة بل يعملون على مشاكسته ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً، إلا أن الله يخذلهم ويلقي دواعي الكفر في قلوبهم بحسب السنن التي سننها لعبادة (١).

لذا كان من الجدير التأسف والتحسر على هؤلاء المستهزئين لأنهم حادوا عن طريق الخير وجلبوا لأنفسهم العذاب، والويل.

قال تعالى :

(يَحْسِرَةُ عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ) (٢).

قال البيضاوي :

(إنهم أحقاء بأن يتحسروا على أنفسهم أو يتحسروا عليهم فإن الأمر لضخامته وشدته بلغ إلى حيث أن كل من يتأتى منه التلief إذا نظر إلى حال استهزائهم بالرسول تحسر عليهم وقال : يا لها من حسرة، وخيبة على هؤلاء المحرومين، حيث بدلوا الإيمان بالكفر والسعادة بالشقاوة) (٣).

وجاء في البحر :

(٤)

(المتحسر الملائكة، أو الله تعالى، أو المؤمنون).

والمأمل في قصص الأنبياء عليهم السلام التي قصها القرآن علينا يجد أن موقف المترفين من أقوامهم مواقف توحى بالاستهزاء والسخرية من الرسل والخط من شأنهم ومن أبرز المستهزئين بالرسول الطاغية فرعون حين استهزأ بموسى ومترفو مكة من المشركين حين استهزأوا برسول الله صلى الله عليه وسلم.

(١) تفسير المراغي ١٤/١٠٠.

(٢) يس (٣٠).

(٣) حاشية الشيخ زاده على تفسير البيضاوي.

(٤) البحر المحيط ٧/٣٣٣.

قال تعالى :

(وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ ، أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ) (١) .

وهاتان الآيتان الكريمتان تبينان مدى اغترار فرعون بنفسه ، وبملكه وأستهزائه بموسى عليه السلام ، والخط من شأنه وإظهار العلات والنواقص في موسى عليه السلام وتسليط الضوء على محاسنه ومزايه هو محاولة منه لصرف الناس عن الإيمان بموسى عليه السلام بعد كشف العذاب عنهم .

قال أبو السعود في المعنى :

((وَنَادَى فِرْعَوْنُ) بنفسه أو بمناديه (فِي قَوْمِهِ) في مجتمعهم وفيما بينهم بعد أن كشف العذاب عنهم مخافة أن يؤمنوا (قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ) أنهار النيل ومعظمها أربعة أنهر : نهر الملك ونهر طولون ، ونهر دمياط ، ونهر تنيس (تَجْرِي مِن تَحْتِي) أي من تحت قصرى ، وأمرى وقيل : من تحت سريرى لارتفاعه وقيل : بين يدي فسى جناتى ، وبساتينى (أَفَلَا تُبْصِرُونَ) ذلك يريد به استعظام ملكه (أَمْ أَنَا خَيْرٌ) مع هذه المملكة والبسطة (مِن هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ) ضعيف حقير من المهانة : وهي القلة (وَلَا يَكَادُ يُبِينُ) أي الكلام قاله افتراءً عليه عليه السلام وتنقيصاً له عليه السلام في أعين الناس باعتبار ما كان في لسانه عليه السلام من نوع رثة وقد كانت ذهبت عنه لقوله تعالى (قد أوتيت سؤالك) (٢) .

وفرعون هذا نموذج لكل مترف جبار متعجرف استهزأ بدعوات الرسل وهذه طبيعة المترفين في كل أمة تحقير الرسل وتصغير شأنهم وتحوييل أنظار الناس عنهم مع أنهم في الحقيقة يعرفون أن هؤلاء الرسل من خير أصفياء البشر وعرفوا لدى أقوامهم بحسن الخلق وتميزوا بحسن الصورة والسريرة .

(١) الزخرف (٥١-٥٢) .

(٢) تفسير أبى السعود ٥٠/٨ .

وكما نت أغلب معايرة المترفين للرسل بأنهم ليسوا ذوي أموال وجاه فكان طعنهم على بعض الأنبياء بالفقر وأن الأولى أن يكون المرسل أحد الأغنياء كما قال مترفو مكة في حق سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

قال تعالى :

(وَقَالُوا لَوْلَا نَزَلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَيْنَا رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ)^(١) .

قال الشوكاني :

(المراد بالقريتين : مكة ، والطائف ، والرجلين : الوليد بن المغيرة من مكة وعروة بن مسعود الثقفي من الطائف ، وقيل غيرهم ، وظاهر النظم أن المراد رجل من إحدى القريتين عظيم الجاه واسع المال مسود في قومه فلو أنه كان قرآنا لنزل على رجل عظيم من عظماء القريتين)^(٢) .

وفي الواقع أن أسباب الاستهزاء التي أثاروها كان أبعد الناس عنها الأنبياء فوصفهم الرسل بالجنون محض كذب وافتراء ، لأن المرسلين كانوا أعقل الناس وامتازوا بالعقل الرشيد ، وعرفوا بذلك في أقوامهم ، ووصفهم بالفقر دعوى كاذبة فالرسول لم يكونوا أهل عجز ولم يكونوا عالة على غيرهم بل كانوا من أوساط قومهم في أمور الدنيا وهذا من أسباب اصطفاء الله تعالى لهم ، لأن المشاهدة الحسية ، والتجربة تقول : إن أصحاب الأموال مشغولون بأموالهم وبتنميتها ، والرسالة تحتاج إلى مجاهدة ، وصبر وتفريغ ، على أن بعض الأنبياء قد آتاه الله من الملك ووفرة الدنيا ما لم يعرف لغني سابق ، وألاحق إلى جانب النبوة مثل النبي داود وولده سليمان عليهما السلام .

ويذكر الله تعالى نعمه على داود بقوله تعالى :

(أَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَذَكَرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ)^(٣) ، إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ، وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ ، وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ)^(٤) .

(١) الزخرف (٣١) .

(٢) فتح العدير ٤ / ٥٥٣ .

(٣) ذا الأيد : ذا القوة ، أواب : رجع إلى مرضاه الله .

(٤) ص (١٧ - ٢٠) .

(والمراد بقوله تعالى (وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ) أي قواه بالهيبة ، والنصرة
 وكثرة الجنود ومزيد النعمة (وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ) النبوة وكمال العلم
 وعلم الشرائع (وفصل الخطاب) أي الفصل في الخصومات الواقعة بين
 المتخاصمين بتمييز الحق من الباطل (١) .

وقد أورث الله تعالى نبيه سليمان عليه السلام ملك أبيه داود عليه
 السلام فسخر له الريح وحشر له الجنود من الجن والإنس ، قال تعالى :
 (وَحَشَرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودَهُ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ) (٢) .

وقال تعالى :
 (وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ دُورُوهَا شَهْرٌ وَرَوَّاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ
 وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ
 عَذَابِ السَّعِيرِ) (٣) .

ولن الله عز وجل قد أعطى ذلك لسيدنا سليمان إجابة لدعوته .

قال تعالى :
 (قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ
 الْوَهَّابُ) (٤) .

وطلب سليمان عليه السلام للملك الذي لم يحصل لأحد من بعده
 لا ليفتخر به على الغير كما يفعل المترفون ولا ليكنزه بل ليكون سببا لنشر
 دينه ، ويكون له عوناً على النهوض بدعوة الله تعالى .

وممن أنعم الله تعالى عليهم بالمال من الأنبياء خليل الرحمن حيث
 تدل قصته مع أضيافه المكرمين وتقديمه العجل السمين على الكرم ، وسعة
 ذات اليد . قال تعالى :

(هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ، إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا
 قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُّنْكَرُونَ ، فَرَأَى إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ، فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ
 أَلَا تَأْكُلُونَ) (٥) .

(١) مع الأنبياء في القرآن الكريم ص (٢٨٢-٢٨٣) عبدالفتاح طباره .

(٢) النمل (١٧) .

(٣) سبأ (١٢) .

(٤) ص (٣٥) .

(٥) الذاريات (٢٤ - ٢٧) .

قيل إن ضيوف إبراهيم عليه السلام المعظمين هم جبريل ، وميكائيل
وإسرافيل عليهم السلام ، بادر إبراهيم عليه السلام بإحضار الضيافة
إليهم دون أن يشعرهم أو يستأذنهم ، وهي عادة الكرماء فجاءهم بعجل
سمين مشوى ووضعه بين أيديهم ، وفعله هذا عليه السلام يدل على منتهى
الكرم والجود ، وحسن الضيافة ، وسعة ذات اليد ، إذ كان عامة مال إبراهيم
عليه السلام من البقر .

وقد أشرت في فصل سابق إلى ما أفاءه الله تعالى على نبيه محمد صلى
الله عليه وسلم في آخر حياته ووفره المال بين يديه لكنه عليه الصلاة
والسلام بما أسبغه الله تعالى عليه من زهد في الدنيا ورغبة في عدم
إمساكها ، كان يبذل ذلك المال في حوائج المحتاجين .

فالتقلل من الدنيا ليس عيبا ، وخاصة أن القليل من الأغنياء يشكرون
أنعم الله الكثيرة عليهم . قال تعالى :
(أَعْمَلُوا لِدَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ) (١)

والرسالة محتاجة إلى القوة في العلم والجسم ووفرة العقل والأمانة
والوصول في الصدق إلى منتهاه أكثر من حاجتها إلى وفرة الدنيا وكثرتها
والاعتراض على كون فلان رسولا معارضة لله في تقديره وتعديلا لمشيئته
سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا ، فليس كل إنسان صالحا
لحمل أعباء الرسالة ، وكثرة الأموال لا تدخل في موازين اصطفاء بعض
الأخيار للرسالات الألهية .

قال تعالى :

(وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ
اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ
وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ) (٢)

(١) سبأ (١٣) .
(٢) الانعام (١٢٤) .

قال القرطبي :

(قوله تعالى (وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ) بين شيئا آخر من جهلهم وهو أنهم قالوا لن نؤمن حتى نكون أنبياء ، فنؤتى مثل ما أوتى موسى وعيسى من الآيات ونظيره (بَلْ يُرِيدُ كُلُّ أُمَّرٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مَنشُورَةً)^(١) والكناية في (جاءتهم) ترجع إلى الأكابر الذين جرى ذكرهم^(٢) قال الوليد بن المغيرة :

لو كانت النبوة حقا لكنت أولى بها منك لأنني أكبر منك سنا ، وأكثر منك مالا ، وقال أبو جهل : والله لا نرضى به ولا نتبعه أبدا إلا أن يأتينا وحى كما يأتيه ، فنزلت الآية . قال تعالى (الله أعلم حيث يجعل رسالته) أي بمن هو مأمون عليها وموضع لها .

والصغار : الضيم والذل والهوان وأصله من الصغر دون الكبر فكأن الذل يصغر إلى المرء نفسه (عند الله) أي من عند الله أي سيصيب الذين أجرموا عند الله صغار ، وقيل المعنى سيصيب الذين أجرموا صغار ثابت عند الله - أي في حكمه وشرعه)^(٣) .

ولم يقتصر موقف المترفين من الرسل الكرام عليهم السلام على ما ذكرته سابقا بل تعداه إلى مواقف سيئة كثيرة من تعذيب وتنكيل كرمي إبراهيم عليه السلام في النار وما صنعه اليهود في الأنبياء من قتل وتنكيل حتى صار ذلك طبيعة لهم . قال تعالى :

(ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ - أي اليهود) كَانُوا يَكْفُرُونَ بِبَايَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ)^(٤) . وما عذب به متروفا مكة سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم وما لقيه من أهل الطائف حين دعاهم ، إلى غير ذلك من تنكيل ، وتعذيب . ومنهم من حاول أن يثني الرسل عن مهمتهم بإغرائهم بالأموال والسلطان كما حاول المترفون من قريش مع الرسول صلى الله عليه وسلم .

(١) المدثر (٥٢) .
 (٢) ما قبل الآية (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْبَرًا مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ) .
 (٣) الجامع لأحكام القرآن ٧/٢٩ - ٨٠ .
 (٤) البقرة (٦١) .

جاء في سيرة ابن هشام قولهم له : (فَلَمَّ نَ كُنْتَ إِنَّمَا جِئْتَ بِهِمْ إِذَا
 الحديث تطلب به مالا ، جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا ، وإن
 كنت إنما تطلب به الشرف فينا ، فنحن نسودك علينا وإن كنت تريد به
 ملكا ، ملكناك علينا .

فماذا كان جواب الرسول صلى الله عليه وسلم ؟

(ما جئتمكم به أطلب أموالكم ، ولا الشرف فيكم ، ولا الملك عليكم ، ولكن
 (١)
 الله بعثني إليكم رسولا) .

وهكذا تتحد طبائع الكفار والمشركين - وبخاصة المترفين منهم - في
 تنكرهم للرسول الكرام عليهم السلام والتنقيص من شأنهم ، ورميهم بما هو شائن
 ومعيب ، وإيقاع الأذى بهم ، أما جريمة قتل الرسل التي هي أبشع
 جرائم العدو وان جميعا فلم يشتهر بها أحد سوى يهود عليهم لعنة الله
 ولقد ذكر القرآن الكريم ذلك مبينا أن يهود يريدون أن لا يأتي رسول إلا بما
 يوافق هواهم وما تميل إليه نفوسهم الخبيثة قال تعالى :
 (أَفَكَلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا
 (٢)
 تَقْتُلُونَ) .

(١) سيره ابن هشام ٢٩٥/١ .
 (٢) البقرة (٨٧) .

” الفصل الثالث ”

” موقف المترفين من عقيدة البعث وإنكار الجزاء ”

من شروط صحة الإيمان الإيمان بالبعث ، والبعث هو إحياء الموتى وخروجهم من قبورهم ليحشروا إلى ربهم لتجزى كل نفس ما كسبت . .
وقد عبر عنه في القرآن الكريم بأسماء كثيرة ، كلها تدل على ما يحدث فيه ، أو الغايه منه .

ويوم القيامة وهو أحد أسمائه وإن كان من المغيبات الا أن الآيات الكونية تدل العقل على الاقتناع به ، فتوالى الليل ، والنهار ، والزرع والحصد وفناء جيل ، وحياة آخر على هذه الأرض تجعل العقل السليم يؤمن بيوم القيامة . فالإيمان به ليس فقط بالوحي ولكن بالوحي والعقل ، وقد وجّه القرآن الكريم أنظار الناس للتأمل فيما حولهم والتفكر بعقولهم للاستدلال عليه من وحي قدرة الخالق في التغيرات التي تحصل في الطبيعة بقدرة الله عز وجل .

يقول ابن القيم في مدارج السالكين :

(شهادة العقل بالجزاء كشهادته بالوحدانية ولهذا كان الصحيح أن المعاد معلوم بالعقل ، وإنما أهتدى إلى تفاصيله بالوحي ، ولهذا يجعل الله سبحانه وتعالى إنكار المعاد كفرا به سبحانه لأنه إنكار لقدرة ولألهيته وكلاهما مستلزم للكفر به)^(١) .

وقد ذكر القرآن قضية البعث وأكد حقيقتها في معظم سوره ، ونص على أن الناس سيحاسبون بعد بعثهم ويأخذ كل جزاء عمله :

قال تعالى :

(مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى)^(٢) .

وقال تعالى :

(فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ، فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ،

(١) مدارج السالكين ١ / ١٢٦ .

(٢) طه (٥٥) .

وَيَنْقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا ، وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ، فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا ، وَيَصَلَّىٰ سَعِيرًا ^(١) .

إلا أن رؤوس الكفر من المترفين ينكرون أن يكون هناك عالم آخر ويدعون أنه لا حياة إلا هذه الحياة الفانية .

وقد حكى الله سبحانه قول مشركي مكة فقال عز من قائل :
(وَقَالُوا إِن هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ^(٢)) .

قال الرازي :

(اعلم أنه حصل في الآية قولان : - الأول : أنه تعالى ذكر في الآية الأولى ، أنه بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل فبين في هذه الآية ^(٣) . أن ذلك الذي يخفونه هو أمر المعاد ، والحشر وذلك لأنهم كانوا ينكرونه ويخفون صحته . ويقولون : مالنا إلا هذه الحياة الدنيوية ، وليس بعد هذه الحياة ثواب ، ولا عقاب والثاني : أن تقدير الآية (وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عنه) ولأنكروا الحشر ، والنشر وقالو : (إِن هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ^(٤)) .

وإنكار البعث وقع فيه جميع الكافرين ، وكذبوا رسلهم فيما جاء وهم به من البعث بعد الموت ، وجميع المترفين من الأمم السابقة أمعنوا في إنكار البعث ، واستبعدوا وقوعه ، وأنكروا على الرسل القول به أشد الإنكار . وقد حكى لنا القرآن الكريم عن قوم عاد الذين أعماهم داء الترف فجعلهم يمعنون في إنكار البعث واستبعاده .

قال تعالى حاكيا قولهم :
(أَيْعِدُكُمْ أَنْتُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظْمًا أَنْتُمْ مُخْرَجُونَ ، هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ، إِن هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ^(٥)) .

- (١) الانشقاق (٦٢-٧) . (٢) الانعام (٢٩) .
(٣) الآية الأولى هي (بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل ولوردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون) .
(٤) التفسير الكبير ١٢ / ٢٠٥ .
(٥) المؤمنون (٣٥-٣٧) .

قال القرطبي : (والمعنى : أيعدكم انكم مخرجون إذا متم أي مبعوثون من قبوركم . (هَيَّاتَ هَيَّاتَ لِمَا تُوْعَدُونَ) قال ابن عباس : هي كلمة للبعد ، كأنهم قالوا بعيد ما توعدون أي أن هذا لا يكون ما يذكر من البعث .

(إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ) :
فقوله تعالى :

(إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا) (هِيَ) كناية عن الدنيا أي ما الحياة إلا ما نحن فيه لا الحياة الآخرة التي تعدنا بعد البعث (نموت ونحيا) يقال كيف قالوا : نموت ، ونحيا وهم لا يقرون بالبعث ؟ ففي هذا أجوبة منها أن يكون المعنى : نكون مواتا أي نطفأ ثم نحيا في الدنيا ، وقيل : فيه تقديم وتأخير أي أن هي إلا حياتنا الدنيا نحيا فيها ونموت كما قال (واسجدى واركعى وقيل (نموت) يعني الآباء نحيا) يعني الأولاد (وما نحن بمبعوثين) أي بعد الموت (١) .

وخطاب الله تعالى لموسى عليه السلام في سوره طه يبين أن كفار عصره عليه السلام كانوا ينكرون البعث .

قال تعالى :
(إِنْ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا ، لِيُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ ، فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَىٰ) (٢) .

قال الألوسي في معنى إِنْ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا :
(أقرب أن أخفي الساعه ولا أظهرها بأن أقول إنها آتية ، ولولا أن في الإخبار بذلك من اللطف وقطع الإعذار لما فعلت وحاصله أكاد أباغ فسي إخفائها فلا أجمل كما لم أفصل (٣) .
(لِيُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ) . فالساعة قائمة لا محالة ليجزى كل عامل بعمله فلا يصدك عنها من لا يؤمن بها فتردى .

(١) الجامع لأحكام القرآن ١٢/١٢٢-١٣٤ .

(٢) طه (١٥ - ١٦) .

(٣) روح المعاني ١٦/١٧٢ .

قال ابن كثير :

(المراد بهذا الخطاب آحاد المكلفين أي لا تتبعوا سبيل من كذب بالساعة ، وأقبل على ملاذه في دنياه ، وعصى مولاه ، وأتبع هواه فمن وافقهم على ذلك فقد خاب ، وخسر (فتردى) أي تهلك وتعطب^(١)) على أن بعض المفسرين كالألوسي يقول إن الخطاب موجه لموسى عليه السلام عن وإظهار جانب اللين للكفره ، فلا يصدك يا موسى عن التأهب للساعة من لا يؤمن بها فتهلك .

" موقف مترفي مكة من قضية البعث "

وقد دأب مترفو مكة دأب من قبلهم حيث أنكروا البعث كما أنكروه أقوام الأمم الأولى .

قال تعالى حاكيا مقاتلهم :

(بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ ، قَالُوا أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا إِذْنَا لَمَبْعُوثُونَ ، لَقَدْ وَعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ)^(٢) .

بالغ مترفو مكة في إنكار البعث ، واستبعاده مقلدين في ذلك إنكار الأولين للبعث ، وكانت شبههم في ذلك قولهم : (أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا إِذْنَا لَمَبْعُوثُونَ) وهذه الشبهة كانوا يرددونها كثيرا بدليل تكرار القرآن الكريم لها وشبهتهم الثانية (لَقَدْ وَعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ) .

قال الرازي :

(كأنهم قالوا إن هذا الوعد كما وقع منه عليه الصلاة والسلام فقد وقع قديما من الأنبياء ثم لم يوجد مع طول العهد فظنوا أن الإعادة تكون في دار الدنيا ثم قالوا لما كان كذلك فهو من أساطير الأولين ، والأساطير جمع أسطورة)^(٣) .

(١) ابن كثير ٣ / ١٤٥ .

(٢) المؤمنون (٨١ - ٨٣) .

(٣) التفسير الكبير ١٢ / ١١٦ .

وقد كرر القرآن الكريم في مواضع كثيرة زعم الكافرين أنهم لن يبعثوا وذلك يدل على مدى كفرانهم باليوم الآخر ، واستبعادهم له . كان ذلك لعدم إدراك عقولهم إعادة أجزاء الجسم بعد أن يتحول إلى عظام ، وتراب ، متناسين بذلك قدرة الخالق الذي لا يعجزه إعادة الأحياء حتى ولو تحولوا إلى ما هو أعظم من التراب والعظام .

قال تعالى :

(قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ، أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُؤُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا (١) .

قال الزمخشري :

(لما قالوا أَذًا كُنَّا عظاما قيل لهم (كونوا حجارة أو حديدا) فرد قوله كونوا على قولهم كنا كأنه قيل : كونوا حجارة أو حديدا ولا تكونوا عظاما فإنه يقدر على إحيائكم ، والمعنى : أنكم تستبعدون أن يجدد الله خلقكم ، ويرده إلى حال الحياة وإلى رطوبة الحي وفضاضته بعد ما كنتم عظاما يابسه ، مع أن العظام بعض أجزاء الحي بل هي عمود خلقه الذي يبني عليه سائرته ، فليس ببديع أن يردها الله بقدرته إلى حالتها الأولى ، ولكن لو كنتم أبعد شيء من الحياة ورطوبة الحي ومن جنس ما ركب منه البشر وهو أن تكونوا حجارة يابسة ، أو حديدا مع أن طباعها الجساوة ، والصلابة لكان قادرا على أن يردكم إلى حال الحياة (أو خلقا مما يكبر في صدوركم) يعني أو خلقا مما يكبر عندكم عن قبول الحياة ويعظم في زعمكم على الخالق إحياءه فإنه يحييه (فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُؤُوسَهُمْ) فسيحركونها نحوك تعجبا واستهزاء (٢) .

(ويقولون استهزاء متى هو ؟ أي ما ذكرته من إعادةتنا إلى الحياة

فقل لهم : هو قريب - لأن عسى في كلام الله واجب الوقوع - ومثله (وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا) وكل ما هو آت قريب (٣) .

(١) الاسراء (٥٠ - ٥١) .

(٢) الكشاف ٤٥٢/٢ .

(٣) فتح القدير ٢٣٤/٣ .

" محاوره القرآن لمنكرى البعث والرد على شبهتهم إحياء العظام وهي

ريم .

كان المترفون يتعجبون ويعجبون الناس من إعادة عظامهم النخرة إلى الحياة كما سبق أن قلت حتى إن بعضهم كان يمسك العظام ويفتتها ويذريها — أما الرسول صلى الله عليه وسلم متسائلا كيف لهذه العظام التي تحولت إلى تراب أن تعود إلى الحياة ؟ متجاهلين قدرة الذي أنشأها — من العدم غير متفكرين في أنفسهم وفيما حولهم من آيات حسية تدل على إمكان المعاد ، وقد رد عليهم القرآن الكريم في كثير من الآيات : منها قوله تعالى :

(أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْقَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ، وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ، قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ، الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقَدُونَ ، أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ، إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ، فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) (١)

قال أبو حيان :

(قبح تعالى إنكار الكفرة البعث ، حيث قرر أن عنصره الذي خلُق منه هو نطفة ماء مهين خارج من مخرج النجاسة أفضى بها مهانة أصله إلى أن يخاصم الباري تعالى ويقول : (من يحيى الصييت بعد ما رم ؟ مع علمه أنه منشأ من موات ، وقائل ذلك أبي بن خلف ، وقد كان لأبي مع الرسول صلى الله عليه وسلم مراجعات ومقامات ، جاء بالعظم الرميم بمكة ففتته فسي وجهه الكريم وقال : من يحيى هذه يا محمد ؟ فقال : الله يحييه ، ويميتك ويحييك ، ويدخلك جهنم ، وبين قوله فإذا هو خصيم مبين ، وبين خلقناه من نطفة ، جملة محذوفه تبين أكثرها في قوله في سورة المؤمنون (ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ) (٢) وإنما اعتقب قوله فإذا هو خصيم مبين الوصف الذي

(١) يس (٧٧ - ٨٣) .

(٢) المؤمنون (١٣) .

آل إليه من التمييز والإدراك الذي يتأتى معه الخصام أي فإذا هـو بعد ما كان نطفة نرجل مميز منطيق قادر على الخصام مبین معرب عمـا في نفسه ، (وضرب لنا مثلا ونس خلقه) أي نشأته من النطفة فذهل عنها وترك ذكرها على طريق اللدد ، والمكابرة والأستبعاد لما لا يستبعد وسمى قوله من يحيي العظام وهي رميم لما دل عليه من قصة عجيبة شبيهة بالمثل وهي إنكار قدرة الله على إحياء الموتى كما هم عاجزون عن ذلك ، والرميم اسم لما يلي من العظام غير صفة كالرمة والرفاة (١) .

وقال أبو جعفر الطحاوي في آيات سورة يس :

(احتج بالإبداء على الإعادة ، وبالإنشاء الأول على النشأة الأخرى إذ كل عاقل يعلم ضروريا أن من قدر على هذه قدر على هذه ، وأنه لو كان عاجزا عن الثانية لكان عن الأولى أعجز ، وأعجز ، ولما كان الخلق يستلزم قدرة الخالق على المخلوق وعلمه بتفاصيل خلقه - أتبع ذلك بقوله (وهو بكل خلقٍ عليمٌ) فهو عليم بتفاصيل الخلق الأول وجزئياته ، ومواده ، وصورته فكذلك الثاني ، فإذا كان تام العلم كامل القدرة كيف يتعذر عليه أن يحيي العظام وهي رميم ؟ ثم أكد الأمر بحجة قاهرة ، وبرهان ظاهر يتضمن جوابا عن سؤال ملحد آخر يقول : العظام إذا صارت رميما عادت طبيعتها باردة ويابسة ، والحياة لا بد أن تكون مادته وحاملها طبيعة حارة رطبة : بما يدل على أمر البعث ، ففيه الدليل والجواب فقال : (الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقَدُونَ)

فأخبر سبحانه بإخراج هذا العنصر الذي هو في غاية الحرارة واليبوسة من الشجر الأخضر الممتلئ من الرطوبة والبرودة فالذي يخرج شيئا من ضده وتنقاد له مواد المخلوقات وعناصرها ولا تستعصى عليه

هو الذي يفعل ما أنكره الملحد ودفعه من إحياء العظام وهي رميم ثم أكد هذا بأخذ الدلالة من الشيء الأجل الأعظم على الأيسر الأصغر ، فإن كل عاقل يعلم أن من قدر على العظيم الجليل فهو على ما دونه بكثير

(١) البحر المحيط ٣٤٨/٧ .

أقدر وأقدر ، فمن قدر على حمل قنطار كان على حمل أوقية أشد اقتدارا
فقال :

(أوليسَ الذي خلقَ السمواتِ والأرضَ يقادرُ على أن يخلقَ مثلَهُم)
فأخبر أن الذي أبدع السموات والأرض على حالتها وعظم شأنها وكبر
أجسامها ، وسعتها ، وعجيب خلقها - أقدر على أن يحيي عظاما صارت
رميما ، فيردها إلى حالتها الأولى ، كما قال في موضع آخر :
(لَخَلَقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ
لَا يَعْلَمُونَ) (١) .

ثم أكد سبحانه ذلك وبينه بينات أخر ، وهو أنه ليس فعله بمنزلة غيره
الذي يفعل بالآلات والكلفة ، والنصب ، والمشقة ، ولا يمكنه الاستقلال
بالفعل ، بل لابد معه من آلة ، ومعين ، بل يكفي في خلقه لما يريد أن يخلقه ويكون نفس
إرادته وقوله للمكون (كن) فإذا هو كائن كما شاءه ، وأراده ، ثم ختم هذه
الحجة باخباره أن ملكوت كل شيء بيده فيتصرف فيه بفعله ، وقوله (٢) .

” الرد على إنكارهم البعث بعد أن يصيروا ترابا ” :

وكان من شبه المترفين على إعادة بعثهم من القبور كونهم سيتحولون
ترابا فأنى لهذا التراب الذي يتفرق في الأرض وتذروه الرياح وتجرفه
السيول أن يتجمع ويصبح أناسا أحياء وقد أخبر الله عن شبهتهم هذه في
سوره (ق) حيث قال تعالى :

(بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكٰفِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ
أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ) (٣) .

الذين عجبوا هم كفار قريش ، وتعجبهم كان من الأمر الذي احتسوا
الإندار وهو البعث والمنذر رجل من صفوتهم هو سيدنا محمد صلى الله
عليه وسلم وقد عرفوا عدالتهم ، وأمانته .

(١) غافر (٥٧) .

(٢) شرح الطحاوية في العقيدة السلفية / ٣٥٦ - ٣٥٧ .

(٣) ق (٢ - ٣) .

(فقال الكُفِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ) .

قال النسفى :

(دلالة على أن تعجبهم من البعث أدخل في الاستبعاد ، وأحق بالإنكار ووضع الكافرون موضع الضمير للشهادة على أنهم في قولهم هذا مقدمون على الكفر العظيم و (هذا) إشارة إلى الرجوع و (إذا) ؟ معناه أحين نموت ونبلى نرجع ؟ (ذلك رجع بعيد) مستبعد مستنكر كقولك هذا بعيد أي بعيد من الوهم ، والعادة) (١) .

وقد رد الله تعالى عليهم في كثير من آيات القرآن ، مذكرا لهم بأنه خلقهم أصلا من تراب فأى غرابة في إعادتهم من تراب ، مع أن تراب الخلق الأول لم يشم رائحة الحياة فكيف بتراب شم رائحة الحياة فهو أيسر مع العلم أن قدرة الله تعالى يستوى عندها كل شئ .

قال تعالى :

(وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ) (٢) .

قال أبو السعود :

((ومن آياته) الباهرة الدالة على أنكم تبعثون دلالة أوضح مما سبق فإن دلالة بدء خلقهم على إعادتهم أظهر من دلالة إخراج الحي من الميت ، وإخراج الميت من الحي ، ومن دلالة إحياء الأرض بعد موتها عليها (أن خلقكم) أي في ضمن خلق آدم عليه السلام لما مر مرارا من أن خلقه عليه السلام منطوعا على خلق ذرياته انطواء إجماليا (من تراب) لم يشم رائحة الحياة قط ، ولا مناسبة بينه ، وبين ما أنتم عليه في ذاتكم ، وصفاتكم . (ثم إذا أنتم بشرٌ تنتشرون) أي فاجأتم بعد ذلك وقت كونكم بشرا تنتشرون في الأرض وهذا مجمل ما فصل في قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ

(١) تفسير النسفى ١٢٥/٤ .

(٢) الروم (٢٠) وهي (يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ

مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ) . الروم (١٩)

(٤) النطفة : القطرة / فتح القدير ٤٣٦/٣ .

عَلَقَةٍ (١) ثُمَّ مِنْ مَضْغَةٍ مُخْلَقَةٍ وَغَيْرِ مُخْلَقَةٍ لِنَبِيٍّ لَكُمْ ، وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ
إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نَخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يَتُوفَّئِي
وَمِنْكُمْ مَمَّ يَرُدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا
وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ
نَوْحٍ بَهيجٍ (٢) (٣)
٠ ()

وهناك آيات أخرى كثيرة في القرآن الكريم يبين الله تعالى لهم فيها أصل خلقهم الذي هو من تراب أيضا وهم مسلمون بأن أباهم آدم عليه السلام خلق من التراب كذلك وهم يعلمون أن النطفة التي خلقوا منها هي خلاصة الأغذية المستنبتة في التراب لأنه لولا الطعام ، والغذاء ما تكونت هذه النطفة .

قال تعالى في سورة فاطر :
(وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ
مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمِّرُهُ وَلَا يُعَمِّرُ مِنْ شَيْءٍ وَلَا يَنْقُصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي
كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ) (٤) .

(١) (العلقة) : قطعة من الدم متكونة من المنى . (المضغة) أي قطعة من العلقة وهي في الأصل مقدار ما يمضغ . (مخلقه) : مستبينة الخلق . (غير مخلقة) : أي لم يستبين خلقها وصورتها . والمراد تفصيل حال المضغة وكونها أولا قطعة لم يظهر فيها شيء من الأعضاء ثم ظهرت بعد ذلك شيئا فشيئا ، وفسرت المخلقة بالمسواه من النقصان الخالية من العيوب وغير مخلقة عكس مخلقة . أبو السعود ٩٣ / ٦ وفتح القدير ٤٣٦ / ٣ .

(٢) الحج (٥)

(٣) تفسير أبي السعود ٥٥ / ٧ .

(٤) فاطر (١١) .

والمعنى () (وَاللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تَرَابٍ) دليل آخر على صحة البعث والنشور أي خلقكم ابتداءً منه في ضمن خلق آدم عليه السلام خلقاً اجمالياً (ثم من نطفة) أي ثم خلقكم منها خلقاً تفصيلياً (ثم جعلكم أزواجاً) أي أصنافاً ذكراً وإناثاً كما قال سبحانه (أو يزوجهم ذكراً وإناثاً) أو وقدر بينكم الزوجية وزوج بعضكم بعضاً (ما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه) أي إلا ملتبسة بعلمه تعالى (١) .

() (وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا في كتاب) أي ما يعمر من أحد ولا ينقص من عمره إلا في كتاب وهو اللوح أو صحيفة الإنسان .

وهذه الأمور سهلة على الله جل وعلا لا يجد فيها أدنى صعوبة كما يجدها بقية الخلق (٢) .

ومن الآيات التي نصت على أن أصل الإنسان التراب ما قاله تعالى في سورة غافر :

(هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تَرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يَخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشْدَّكُمْ ثُمَّ لِيَكونُوا شيوخاً وَمِنْكُمْ مَنْ يَتوفى مِنْ قَبْلِ وَلِتَبْلُغُوا أَجْلاً مُسمىً وَلِعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) (٣) .

ومثلها في سورة الأنعام بين خلق الإنسان من الطين قال تعالى :
(هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجْلاً وَأَجْلاً مُسمىً عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمُوتُونَ) (٤) .

(هو الذي خلقكم من طين) أي من تراب معجون بماء .

فالقُرآن الكريم كرر خلق الإنسان من تراب مراراً وتكراراً ، فإذا كان القرآن قرر أن الخلق الأول من التراب فأى غرابة أن يكون خلقه الثاني من تراب ؟ فهذه شبهة داحضة ، إذ أنهم لم يعترضوا على النشأة الأولى

(١) روح المعاني ١٧٧/٢٢

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل ١٥٦/٣ ، تفسير النسفي ٣٣٦/٣

(٣) غافر (٦٧) .

(٤) الانعام (٢) .

التي هي من تراب فكيف يستبعدون الخلق الثاني فلو أنهم استوعبوا ، وعقلوا هذا الأمر ، لما استساغوا هذه الشبهة ، ولخجلوا أن يقولوها .

() (ثم قضي أجلاً) إنه تعالى خصص موت كل واحد بوقت معين وذلك التخصيص عبارة عن تعلق مشيئته تعالى بإيقاع ذلك الموت في ذلك الوقت (وأجل مسمى عنده) أجل القيامة ، وقيل الأجل الأول ما بين أن يخلق إلى أن يموت ، والثاني ما بين الموت ، والبعث وهو البرزخ (١) . (ثم أنتم تموتون) أي ثم أنتم أيها الكفار المترفون تشكون ، وتحتاجون وتنكرون البعث بعد أن تبينت لكم الآيات العظيمة .

وإذا كانت حجة الكافرين أن هذا التراب الذي خلق منه الإنسان وسيعود إليه سيتفرق في الأرض ، وفي البحار ، وفي بطون السباع إذن - فالذرات التي تكون منها الإنسان ستبتعد عن مكان موته فقد رد الله عليهم بقوله تعالى :

(قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ) (٢)

قال النسفي :

() (قد علمنا ما تنقص الأرض منهم) رد لاستبعادهم الرجوع ، لأن من لطف علمه حتى علم ما تنقص الأرض من أجساد الموتى ، وتأكله من لحومهم وعظامهم كان قادراً على رجوعهم أحياء كما كانوا (وعندنا كتاب حفيظ) - محفوظ من الشياطين ، ومن التغيير وهو اللوح المحفوظ ، أو حافظ لما أودعه وكتب فيه (٣) .

شبهة طلب إعادة الآباء كدليل على صحة البعث والرد عليها " :

طلب المترفون المنكرون للبعث من الرسل إعادة آباءهم وأجدادهم كدليل ، وبرهان لاعترافهم بالبعث وما كان هذا الطلب إلا شبهة من شبههم وتعننا سببه إصرارهم على إنكار البعث ، واستمراء منهم لحياة

(١) التفسير الكبير ١٢ / ١٦١-١٦٢ وتفسير النسفي ٣ / ٢ والكشاف ٤ / ٢ .

(٢) ق (٤) .

(٣) تفسير النسفي ٤ / ١٧٦ .

الترف واتباع الشهوات الحمقاء .

قال تعالى حاكيا عنهم مقالتهم :

(إِنْ هَؤُلَاءِ لَيَقُولُونَ ، إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتْنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ
فَأْتُوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) (١)

والمعنى : أنهم أنكروا أن يكون هناك حياة أخرى وسوف لا يأتهم من الأحوال إلا موتة ولا شيء بعدها من بعث ، وحياة . وهذه مقالة مترفي قريش خاطبوا بها النبي صلى الله عليه وسلم ، وأصحابه تعنتا ، وتعجيزا وقد ذكر المفسرون أن رؤوس الترف من كفار مكة طلبوا من الرسول صلى الله عليه وسلم أن يدعو الله تعالى أن يحيي من مات من آبائهم ، ومنهم قصي بن كلاب ، ليشاوره في صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وفسي صحة البعث . (٢)

ولكن الله سبحانه وتعالى حليماً لا يستغزه طيش الطائشين ولا إنكار المنكرين ، ولو أن الله سبحانه وتعالى استجاب للأمم الكافرة التي استعجلت قيام الساعة استهزاء بها وتعجيزا للمؤمنين لما قدر للأمم بعدهم أن توجد ، ومن رحمة الله سبحانه وتعالى بالبشر أن لا يأخذ الناس بظلمهم ، ولكنه سبحانه رد عليهم بردود البعث المذكورة في أغلب سور القرآن الكريم ، ثم أخبرهم بأنه قد وُقت ليوم القيامة أجلا مسمى عنده إذا حان وقته نفذه من غير طلب المنكرين ، أو استفزاز المستغربين ، وكون آبائهم لم يرجعوا ، لأن أجل عودهم لم يأت بعد ، ولن يكون ذلك في الحياة الدنيا بل موعده عند ما يميت الله الخلائق كلها ثم يبعثهم سويا كما قال تعالى :

(إِنْ يَنْزِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَفُضِّلَ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ) (٣)

وكما سبق أن ذكرت في الفصل السابق أن رحمة الرسول صلى الله عليه وسلم بقومه كانت تمنعه أن يستجيب لطلباتهم الحمقاء ، ولو نفذ الله

(١) الدخان (٣٤ - ٣٦)

(٢) انظر تفسير الخازن ١٣٧/٤ (المطبعة العربية بمصر) والتسهيل

لعلوم التنزيل ٣٦/٤ (الطبعة الأولى) .

(٣) الدخان (٤٠) .

الله سبحانه وتعالى طلبهم وأحیی لهم بعض من مات من آباءهم ولم يؤمنوا
لأخذهم كما أخذ القرون من قبلهم .

قال تعالى :
(وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلِيَأْتِيَنَّهُمْ
بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (١)) .

وفي المعنى قال الألوسي :

() (ويستعجلونك) أي ويستعجلك كفار قريش (بالعذاب) علي
طريقة الاستهزاء ، والتعجيز ، والتكذيب به بقولهم : (متى هذا الوعد)^(٢)
وقولهم : أمطر علينا حجارة ، أو أثتنا بعذاب ، ونحو ذلك (ولولا أجلٌ
مسمى) قد ضربه الله تعالى لعذابهم ، وسماه وأثبته في اللوح (لجاءهم
العذاب) المعين لهم حسبما استعجلوا به ، وقال ابن جبير : المراد -
بالأجل يوم القيامة لما روى أنه تعالى وعد رسوله صلى الله عليه وسلم أن
لا يعذب قومه بعذاب الاستئصال ، وأن يؤخر عذابهم إلى يوم القيامة
(وليأتينهم)^(٣) أي وباللله تعالى ليأتينهم العذاب الذي عين لهم عند
حلول الأجل (بغتة) أي فجأة (وهم لا يشعرون) بإتيانه ، وإتيانه
كذلك من حيث أنه غير متوقع لهم ، وإتيان عذاب الآخرة ونحوه ، لإنكارهم
البعث ، وكذا عذاب القبر ، أو اعتقادهم شفاعاة آلهتهم لهم في دفع
العذاب عنهم)^(٤) .

” خاتمة ” :
—————

مما سبق لنا من نصوص ومناقشات يتبين لنا أن شبهة استبعاد البعث
إنما هي شبهة أطلقها المترفون الذين لا يريدون كبح جماح شهواتهم
ولذاتهم التي انغمسوا فيها والذين تمكنت دوافع الإثم والعدوان في نفوسهم .

- (١) العنكبوت (٥٣) .
(٢) ويقولون متى هذا الوعد (ذكرت في عدة سور من القرآن الكريم مثل
سورة يونس (٤٨) والانبياء (٣٨) والنمل (٧١) وسبأ (٢٩) ويس
(٤٨) والملك (٢٥) .
(٣) جملة وليأتينهم جواب القسم .
(٤) روح المعاني ٢١ / ٨٩ بتصرف طفيف .

قال تعالى :

(وَيَلُومُنَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ، الَّذِينَ كَذَّبُوا بِيَوْمِ الدِّينِ ، وَمَا يَكْذِبُ بِهِ إِلَّا كَلٌّ مَعْتَدٍ أَثِيمٌ ، إِذَا تَتَلَّى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسْطِيرُ الْأُولِينَ ، كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) (١) .

ومعنى (ران على قلوبهم) : أي غطى قلوبهم ما كسبوا من الذنوب فطمس بصائرهم . فالنفس التي تقوم لديها دلائل العقل على عدل الله تعالى وحكمته ، وقدرته وتقوم لديها أدلة وبراهين الشرع على إثبات البعث والجزاء ، ثم تصر على الإنكار ، وتكابر وتعااند في قبول الأدلة العقلية ، والبراهين الشرعية ، إنما هي نفوس استمرأت مسلك الرذيلة ، والإثيم ، واستعذبت الاعتداء على ما هو ليس بحقها المشروع - فذلك هو الانسان الذي يميل إلى الاسترسال في الشهوات ، والاستكثار من اللذات لا يكاد يقر بالبعث والجزاء لثلا تنقص لذاته الجسمانية ، وشهواته البهيمية فيكون أبدا منكرا لذلك ، ولو تفكر وتأمل قليلا في أحوال الناس لاستشعر أن خلق الحياة الدنيا وحدها دون الآخرة بجانب للعدل الإلهي وكان خلق الناس فيها لهوا ، ولعبا . فلو لم تكن هناك حياة أخرى ، لكان خلق الحياة الدنيا عبثا . قال تعالى :

(أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ) (٢) .

والله سبحانه وتعالى منزه عن العبث ، واللعب وهو سبحانه وتعالى قد خلق الحياة الدنيا لتكون دار امتحان ، وبلاء ، وخلق الإنس ، والجن لعبادته .

قال تعالى :

(تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمَلِكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ) (٣) .

وأن ما يزعمه الملاحدة ، والشيعيون الذين يدعون أن الإنسان جاء

(١) المطففين (١٠ - ١٤) .

(٢) المؤمنون (١١٥) .

(٣) الملك (١ - ٢) .

من عدم ، فهو صائر إلى عدم ، وأن الدنيا وحدها فترة الجزاء ، والعمل فهو وهم باطل لا يستسيغه عقل ، ولا يقره دين ، وقد قامت الأدلة والبراهين العقلية ، والفعلية على وجود الخالق وإرسال الرسل وتحقق البعث بعد الموت مما لم يدع لذي عقل سليم ترددا في وقوع البعث ، فكل من أنكر البعث من الملاحدة المترفين الكافرين مطعون عليه في عقله ، ولا يمكن أن تكون الحياة الدنيا التي تتحكم فيها شريعة الغاب ، وتتحطم فيها القيم ، ويأكل فيها القوي الضعيف هي نهاية المطاف ، ودار الثواب والجزاء ، فهل من العدل بمكان أن ينغمس أناس في بحور الترف ويسعدون بما لذ وطاب من لذات الحياة دون اعتبار لحلال ، أو حرام ، ودون مراعاة لحقوق المظلومين ، وفريقا آخر يعانني ألم الجوع ، واستبداد الظلم وهضم الحقوق ، ونحن نرى من واقع عالما الذي نعيش فيه تفاوت الناس في الأرزاق ، والآجال ، والأعمال فمنهم الظالم ، ومنهم المظلوم ومنهم المحسن ، ومنهم المسيء فلو أنهم يموتون بأنقضاء آجالهم ولا يبعثون مرة ثانية ، لكان ذلك منافيا للحكمة ، ومناقضا للعدل الإلهي ، لذا قضى الله سبحانه وتعالى بالبعث ، والجزاء وأوجب الإيمان بهما ، لأنه يسمو بالنفوس ويؤملها بثواب عظيم ، أو عذاب أليم في الحياة الأخرى .

قال تعالى :

(كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أَجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحِرَ عَنْ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ) (١) .

قال الفخر الرازي :

(إن عاقبة الكل الموت وأن بعد هذه الدار دار يتميز فيها المحسن عن المسيء ، ويتوفر على عمل كل واحد ما يليق به من الجزاء . وكل واحد من هذين الوجهين في غاية القوة في إزالة الحزن والغم عن قلوب العقلاء .

وقد بين الله تعالى أن تمام الأجر ، والثواب لا يصل إلى المكلف إلا يوم القيامة ، لأن كل منفعة تصل إلى المكلف في الدنيا فهي مكسرة

(١) آل عمران (١٨٥) .

بالغموم والهَموم ، وبخوف الانقطاع ، والزوال ، والأجر التام والثواب الكامل إنما يصل إلى المكلف يوم القيامة ، لأن هناك يحصل السرور بلا غم ، والأمن بلا خوف ، واللذة بلا ألم والسعادة بلا خوف الانقطاع ، وكذا القول في جانب العقاب فإنه لا يحصل في الدنيا ألم خالص عن شوائب اللذة ، بل يمتزج به راحت وتخفيفات وإنما الألم التام الخالص الباقي هو الذي يكون يوم القيامة نعوذ بالله منه .

ثم قال تعالى :

(فَمَنْ زُحِّجَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ) .

الزحزحة التنحية والإبعاد ، واعلم أنه لا مقصود للإنسان وراء هذين الأمرين : الخلاص عن العذاب ، والوصول إلى الثواب فبين تعالى أن من وصل إلى هذين المطلوبين فقد فاز بالمقصد الأقصى ، والغاية التي لا مطلوب بعدها .

ثم قال تعالى :

(وما الحياة الدنيا إلا متاعٌ غرور) شبه الله سبحانه الدنيا بالمتاع الذي يدلس به على المستأمن ويغر عليه حتى يشتريه ثم يظهر له فساد ه وردائه والشيطان هو المدلس الغرور وعن سعيد بن جبیر أن هذا في حق من آثر الدنيا على الآخرة وأما من طلب الآخرة فإنها نعم المتاع (١) .

(١) التفسير الكبير ٩ / ١٣٠ بتصرف طفيف .

” الفصل الرابع ”

” موقف المترفين من القرآن الكريم وذكر شبههم والرد عليها ”

أعد الله سبحانه وتعالى العرب للفصاحة ، والبلاغة قبل نزول القرآن الكريم بأكثر من قرن كما يحكي تاريخهم ، حيث كانوا يجتمعون في أسواقهم ويتبادلون الشعر والنثر لا لتقاء أفضل أقوالهم وأشعارهم ، حتى إنهم علقوا بعضها على جدران الكعبة المشرفة فيما عرف بالمعلقات ، وكان هذا الإعداد من الله سبحانه وتعالى ليتذوقوا فصاحة القرآن وبلاغته ، ولتكون المعجزة أشد وأقوى ، لأنه قد جرت حكمة الله الأزلية أن يؤيد أنبياءه ، ورسله بالمعجزات الباهرات التي تدل على صدقهم ، وكانت معجزة كل رسول من جنس ما برع فيه قومه .

وفعلا نزل القرآن الكريم بلسان عربي مبين هو لسانهم ، وهم أهل البيان وأمرأ الفصاحة والبلاغة ، وقد دلت أشعارهم ، وخطبهم على براعتهم في هذا المضمار ، ومع ذلك حين نزل القرآن الكريم وخاطب به رسول الله صلى الله عليه وسلم مشركي مكة أثر فيهم التأثير البالغ ، وأصغى إليه من صفت سريرته ، فآمن به على الفور ، مثل خديجة ، والصديق ، وأبو عبيدة ، وبلال ، وعلى بن أبي طالب رضوان الله عليهم أجمعين وغيرهم من الصحابة الأبرار .

ومع ذلك وقف المترفون من هذا القرآن موقف الحيرة والاستبعاد بل وقف بعضهم من النبي صلى الله عليه وسلم موقف الذم ، والإنكار والاستهزاء ، فأنزل الله عز وجل فيهم الآيات فيما عابوا وذموا به . وأيضا لم يستطيعوا أن يثنوا رسول الله صلوات الله وسلامه عليه عن المضي قدما في تبليغ الرسالة ، وتأدية الأمانة ، لذا وجهوا ذمهم إلى القرآن لأنهم علموا أنه السلاح الماضي الذي سيقضي عليهم وعلى ترفهم وسينقص منهم أناسا كثيرين ، فمع مطلع كل يوم كان منهم من يتبع محمدا صلى الله عليه وسلم .

وقد ذكر الله تعالى لنا في محكم كتابه موقف هؤلاء المترفين من القرآن وفيما كانوا يطعنون به من شبه ، وكان من ضمن ما قالوا في القرآن أنه ضرب من ضروب السحر كما وصفوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه

ساحر كما ذكرت في فصل سابق ، وهذا زعم رده الله سبحانه وتعالى على أهله ، وكذبهم فيه وجعل القول فيه ضربا من العمى .

قال تعالى :
(أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ) (١) .

وهذا تهكم بهم واستهزاء بحالهم ، قال أبو السعود في هذه الآية (توبيخ وتقرع لهم حيث كانوا يسمونه سحرا كأنه قيل : كنتم تقولون للقرآن الناطق بهذا سحر فهذا أيضا سحر (أي عذاب الآخرة) - وتقديم الخبر لأنه محط الإنكار . ومدار التوبيخ (أم أنتم لا تبصرون) أي أم أنتم عمي عن المخبر عنه كما كنتم عميا عن الخبر ، أو أم سدت أبصاركم كما سدت في الدنيا على زعمكم حيث كنتم تقولون (إِنَّمَا سَكَّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ) (٢) (٣) .

وهذا التوبيخ واقع يوم القيامة كما دلت عليه الآيات السابقة واللاحقة من سورة الطور .

" ادعاهم أن الرسول صلى الله عليه وسلم أخذ القرآن الكريم عن أهل الكتاب "

—————

ادعى المترفون من كفار قريش أن القرآن الذي أتى به محمد صلى الله عليه وسلم إنما هو من أخبار الأمم الماضية علمها له بعض الناس .

قال تعالى :
(وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ مُّفْتَرٍ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا ، وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ، قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا) (٤) .
قال الألوسي :

(القائلون هم مشركو العرب لجميع الكفار ، بقريظة ادعاء إعانة بعض

(١) الطور (١٥) .

(٢) الحجر (١٥) .

(٣) تفسير أبي السعود ١٤٧/٨ .

(٤) الفرقان (٤ - ٦) .

أهل الكتاب له صلى الله عليه وسلم ، وقد سمي منهم في بعض الروايات
النضربن الخارث ، وعبدالله بن أمية ، ونوفل بن خويلد . وجعل الموصول
هنا عبارة عنهم كلهم جعل وضع الموصول موضع ضميرهم لذمهم بما في حيز
الصلة والإيذان بأن ما تفوهوا به كفر عظيم ، وفي كلمة (هذا) حظ لرتبة
المشار إليه أي قالوا ما هذا إلا كذب مصروف عن وجهه (افتراه) يريدون
أنه اخترعه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم ينزل عليه (وأعانه عليه) أي
على افتراه ، واختراعه ، أو على الإفك (قوم آخرون) يعنون اليهود
بأن يلقوا إليه صلى الله عليه وسلم أخبار الأمم الدارجة وهو عليه الصلاة
والسلام يعبر عنها بعبارته (فقد جاءوا) أي الذين كفروا كما هو الظاهر
(ظلماً) والتنوين للتفخيم ، أي جاءوا بما قالوا ظلماً هائلاً عظيماً لا يقادر
قدره حيث جعلوا الحق البحث الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من
خلفه إفكاً مفترى من قبل البشر ، وهو من جهة نظمه الرائق ، وطرازه الفائق
بحيث لو اجتمعت الإنس والجن على مباراته لعجزوا عن الإتيان بمثل آية
من آياته ومن جهة اشتماله على الحكم الخفية ، والأحكام المستتبعه للعادات
الدينية والدنيوية والأمور الغيبية بحيث لا تناله عقول البشر ولا تحيط بفهمه
القوى والقدر - (وزوراً) أي وكذباً عظيماً لا يبلغ غايته حيث قالوا مالا
احتمال فيه للصدق أصلاً ، وسمى الكذب زوراً لازوراره أي ميله عن جهة
الحق .

(وقالوا أساطير الأولين) بعد ما جعلوا الحق الذي لا محيد عنه
إفكاً مختلفاً بإعانة البشر بينوا على زعمهم الفاسد كيفية الإعانه ، وهي كتب
الأوائل وأخبارهم وخرافاتهم (اكتتبها) لنفسه (فهى تملى عليه) أي -
تلقى الأساطير عليه بعد اكتتابها ليحفظها من أفواه من يملئها عليه من
ذلك المكتتب لكونه أمياً لا يقدر على أن يتلقاها منه بالقراءة فالإلقاء
للحفظ بعد الكتابة (بكرة وأصيلاً) أي دائماً وقبل انتشار الناس وحين
يأتون إلى مساكنهم وعنوا بذلك أنها تملى عليه خفية لئلا يقف الناس على
حقيقة الحال . (قل) لهم رداً عليهم ، وتحقيقاً للحق (أنزل الذى يعلم
السر في السموات والأرض) وصفه تعالى بإحاطة علمه بجميع المعلومات
الخفية ، والجلية المعلومة من باب أولى للإيذان بأنطواء ما أنزله على أسرار
مطوية عن عقول البشر مع ما فيه من التعريض بمجازاتهم بجناياتهم المحكية

التي هي من جملة معلوماته تعالى أي ليس ذلك كما تزعمون بل هو أمر سماوى أنزله الله تعالى الذي لا يعزب عن علمه شيء من الأشياء ، وأودع - فيه فنون الحكم ، والأسرار على وجه بديع لا تحوم حوله الأفهام ، حيث أعجزكم قاطبة بفصاحته ، وبلاغته وأخبركم بمغيبات مستقبلة ، وأمور مكنونة لا يهتدي إليها ولا يوقف إلا بتوفيق الله تعالى العليم الخبير عليها ، وإذا أرادوا ببكرة وأصيلا خفية عن الناس ازداد موقع السرحسنا ، وأما التذليل بقوله تعالى (إنه كان غفورا رحيمًا) فهو للتنبية على أنهم استوجبوا العذاب على ما هم عليه من الجنايات المحكية لكن أخرج عنهم لما أنه سبحانه متصف بالمغفرة ، والرحمة على الاستمرار فلذلك لا يعجل عقوبتكم على ما أنتم عليه ، وقال صاحب الفرائد : يمكن أن يقال : ذكر المغفرة والرحمة بعد ذلك لأجل أن يعرفوا أن هذه الذنوب العظيمة المتجاوزة عن الحد مغفورة إن تابوا وأن رحمته واصله إليهم بعدها وأن لا يياسوا من رحمته تعالى بما فرط منهم مع إصرارهم على ما هم عليه ممن المعاداة والمخاصمة الشديدة (١) .

وقد رد الله سبحانه وتعالى بما أفحمهم في سورة النحل حيث قال

تعالى :

(وَلَقَدْ نَعَلْمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ) (٢) .

قال الشوكاني في تفسير الآية الكريمة :

(أي ولقد نعلم أن هؤلاء الكفار يقولون إنما يعلم محمدًا القرآن بشر من بني آدم غير ملك وقد اختلف أهل العلم في تعيين هذا البشـر الذي زعموا عليه ما زعموا ، فقيل : هو غلام الفاكه بن المغيرة واسمه جبر . وكان نصرانيا ، فأسلم ، وكان كفار قريش إذا سمعوا من النبي صلى الله عليه وسلم أخبار القرون الأولى مع كونه أميا ، قالوا : إنما يعلمه جبر وقيل : غلام لبني عامر بن لؤي ، وقيل : هما غلامان اسم أحدهما يسار ، واسم الآخر جبر وكانا يقرآن التوراة ، والإنجيل - وقيل : أناسا غيرهم ذكرهم الشوكاني وغيره من المفسرين - وقيل يجوز أنهم زعموا أنهم جميعا يعلمونه ، ثم

(١) روح المعاني ٢٣٤/١٨ - ٢٣٦ بتصرف طفيف .

(٢) النحل (١٠٣) .

أجاب سبحانه عن قولهم هذا فقال : (لسانُ الَّذِي يُلحدونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ)
الإلحاد الميل عن القصد أي لسان الذي يميلون إليه ، ويزعمون أنه يعلمك
أعجمي أي لا يفصح والعرب تسمي كل من لا يعرف لغتهم ولا يتكلم بها
أعجميا أو كل من لا يفصح سواء أكان عربيا ، أو غير عربي (وهذا لسان
عربي مبين) الإشارة إلى القرآن ، أي وهذا القرآن ذو بلاغة عربية ، وبيان
واضح فكيف تزعمون أن بشرا يعلمه من العجم ، وقد عجزتم أنتم عن معارضة
سورة منه ، وأنتم أهل اللسان العربي ورجال الفصاحة ، وقادة البلاغة
وهاتان الجملتان مستأنفتان سيقتا لإبطال طعنهم ودفع كذبهم (١) .

وقول الكفار عن القرآن الكريم : إنه أساطير الأولين يكذبه أشياء
كثيرة ، فإنه قد علم بالتواتر أن محمدا صلى الله عليه وسلم لم يكن يعرف
شيئا من الكتابة ، فقد نشأ بين أظهرهم من أول مولده إلى أن بعثه الله
تعالى نحو من أربعين سنة ، وهم يعرفونه كما يعرفون أنفسهم ويعرفون
أمانته ، وصدقه ، ونزاهته حتى إنهم كانوا يسمونه بالأمين فلما أكرمه الله
تعالى بالنبوة ، والرسالة عادوه ، وكذبوه ، ورموه بالتهمة والأباطيل كافة
والتي يعلم كل عاقل خلوه منها ، وكان من أباطيلهم اتهامه بالكذب بأن
أخذ القرآن عن أهل الكتاب ، والادعاء أنه من عند الله .

وقد بين الله سبحانه وتعالى أن الرسول عليه الصلاة والسلام ما كان
يعرف القراءة ، والكتابة وهو ما ثبت عنه صلى الله عليه وسلم كما ذكرت .
قال تعالى : (وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّ بِيَمِينِكَ إِذًا لِآرْتَابِ
الْمُبْطِلُونَ) (٢) .

قال أبو حيان :

(كان أهل الكتاب يقرأون في كتبهم أن محمداً عليه السلام لا يخط ،
ولا يقرأ كتابا فنزلت (وما كنت تتلو من قبله) أي من قبل نزوله عليك (من
كتاب) أي كتابا (ولا تخطه) أي لا تقرأ ولا تكتب بيمينك وهي الجارحة

(١) فتح القدير ٣/١٩٤ - ١٩٥ .

(٢) العنكبوت (٤٨) .

التي يكتب بها وذكرها زيادة تصوير لما نفي عنه من الكتابة لما ذكر من انزل الكتاب عليه متضمنا من البلاغة ، والفصاحة والأخبار عن الأمم السابقة ، والأمور المغيبة ما أعجز البشر أن يأتوا بسورة مثله أخذ يحقق كونه نازلا من عند الله بأنه ظهر على رجل أمي لا يقرأ ولا يكتب ولا يخالط أهل العلم ، وظهر هذا القرآن المنزل عليه أعظم دليل على صدقه (إذا لآرتاب المبطلون) أي لو كان يقرأ كتبنا قبل نزول القرآن الكريم عليه أو يكتب لحصلت الريبة للمبطلين إذ كانوا يقولون حصل ذلك الذي يتلوه مما قرأه ، وخطه ، واستحفظه فكان يكون لهم في ارتيابهم تعلق ببعض شبهة ، وأما ارتيابهم مع وضوح هذه الحجة ، فظاهر فسادهم (والمبطلون) أهل الكتاب ، أو كفار قريش وسما مبطلين لأنهم كفروا به وهو أمي بعيد من الريب ، ولما لم يكن قارئاً ولا كاتباً كان ارتيابهم لا وجه له (١) .

كما يكذب دعوى المترفين الكفار من أن معلميه يهود ، أو نصارى أنه لم يكن من اليهود ، والنصاري ذوي علم يذكر في مكة ليرجع إليهم ونفس اليهود ، والنصاري حرفوا كتبهم ، وقد بين الله تعالى تحريفهم لكتبهم في القرآن الكريم . قال تعالى :

(فَبِمَا نَقَضْتُمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهَا وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ، وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرُؤُ أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَعْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يَنْبِئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ) (٢)

فالأية الأولى (٣) في اليهود والمعنى () فيما نقضهم ميثاقهم أي

(١) البحر المحيط ١٥٥/٧ بتصرف طفيف . (٢) المائدة (١٣ - ١٤)

(٣) يوضح ذلك ما قيل هذه الآية الكريمة في القرآن الكريم قال تعالى : (وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ) .

بسبب نقضهم ميثاقهم المؤكد (لعنناهم) طردناهم وأبعدناهم من رحمتنا (وجعلنا قلوبهم قاسيةً) بحيث لا تتأثر بالآيات والنذر (يحرفون الكلم عن مواضعه) استئناف لبيان مرتبة قساوة قلوبهم فإنه لا مرتبة أعظم مما يصح الاجترار على تغيير كلام الله عز وجل والافتراء عليه . وصيغة المضارع للدلالة على التجدد ، والاستمرار (ونسوا خطأً) تركوا نصيباً وافراً (مما ذكروا به) من التوراة وقيل حرفوا التوراة وزلت أشياء منها عن حفظهم ، فقد ينسى المرء بعض العلم بالمعصية (ولا تزال تطلع على خائنة منهم) أي خيانة والمعنى أن الغدر والخيانة عادة مستمرة لهم ولأسلافهم بحيث لا يكادون يتركونها أو يكتُمونها (إلا قليلاً منهم) المراد بهم الذين آمنوا منهم (فأعف عنهم وأصفح) أي إن تابوا وآمنوا (إن الله يحب المحسنين) تنبيه على أن العفو على الإطلاق من باب الإحسان .

(ومن الذين قالوا إنا نصارى) بيان لقبائح النصارى ، وجنباياتهم بعد ذكر قبائح اليهود أي : وأخذنا من الذين قالوا : إنا نصارى ميثاقهم (فنسوا) عقب أخذ الميثاق من غير تلثم (حظاً) وافراً (مما ذكروا به) في تضاعيف الميثاق من الإيمان بالله وغير ذلك فتركوه ، ونبذوه وراء ظهورهم واتبعوا أهواءهم فاختلفوا وتفرقوا (فأغرينا) أي الزمنا ، والصقنا (بينهم العداوة والبغضاء) كائنة بينهم (إلى يوم القيامة) إما غاية للإغراء ، أو للعداوة ، والبغضاء أي يتعادون ، ويتباغضون إلى يوم القيامة حسبما تقتضيه أهواؤهم المختلفة وآراؤهم الزائفة المؤدية إلى التفرق (وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون) وعيد شديد بالجزاء والعذاب بما عملوه على الاستمرار من نقض الميثاق ، ونسيان الحظ الوافر مما ذكروا به (١) .

وقال تعالى :
(فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ)

لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ (١) .

وقوله تعالى :

(٢) (إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَنْقُضُ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ) .
قال النسفي :

(أى يبين لهم (أكثر الذى هم فيه يختلفون) فإنهم اختلفوا في المسيح فتحزبوا منه أحزابا ، ووقع بينهم التناكر في أشياء كثيرة حتى لعن بعضهم بعضا ، وقد نزل القرآن الكريم ببيان ما اختلفوا فيه لـ
أنصفوا وأخذوا به وأسلموا يريد اليهود والنصارى) (٣) .

ومما اختلفوا فيه ما حكاه الله تعالى عنهم بقوله تعالى : (وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصْرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصْرَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ) (٤) .

كما أنه كذبهم في كثير من دعواهم مثل قوله تعالى :
(وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصْرَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ) (٥) .

وقوله تعالى :

(وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ، بَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) (٦) .

وغير ذلك كثير مما يطول به البحث فضلا عن تناوله بالتحليل والتفسير :
فكيف يكون هؤلاء اليهود ، والنصارى معلمين للنبي صلى الله عليه وسلم ، وكيف يفضحون أنفسهم بأنفسهم ويجتهدون في ذكر مثالبهم ومعائبهم؟
إنه الإفك والظلم ، والزور كما ذكر الله تعالى عن المشركين سلفا ، ومما بين الله تعالى به خطأهم في دعوى أن القرآن أساطير الأولين ، أو من

(١) البقرة (٧٩) .

(٢) النمل (٧٦) .

(٣) تفسير النسفي ٢٢١/٣ .

(٤) البقرة (١١٣) .

(٥) المائدة (١٨) .

(٦) البقرة (٨٠-٨١) .

كلام سيد المرسلين ، أو من تعليم اليهود والنصارى أنه تعالى تحداهم
 أَنْ يَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ ، أو بسورة مثله ، أو بعشر سور مثله مفتريات
 وهم أرباب الفصاحة ، والبلاغة ، وحروف القرآن الكريم هي عين الحروف التي
 منها تتكون ألفاظهم ، كما تحداهم بذكر هذه الحروف المقطعة في أوائل
 تسع وعشرين سورة من سور القرآن الكريم إمعانا في إظهار عجزهم ، وتعجزهم
 وكذبهم في نسبة القرآن إلى غير الله عز وجل .

قال تعالى :

(وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا
 شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) (١) .

والمعنى : وإن كنتم في ريب من كون القرآن كلامنا وأنه من كلام أحد
 غير الله عز وجل فأنتم أولى بأن تأتوا بسورة من مثله لأنه أسهل عليكم
 من غيركم ، وادعوا شهداءكم ومن يعينكم على هذا الأمر من دون الله إن
 كنتم صادقين في هذه الدعوى ، لكنكم لم تفعلوا ولجأتم إلى السيوف ،
 والحتوف . لذا قال الله تعالى لهم :-

(فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ
 أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ) (٢) . أعدت لكم ولأمثالكم إن لم تؤمنوا بهذا النبي وبأن
 القرآن كلام الله ، ووحيه فاعملوا لما ينجيكم لا لما يهلككم .

وقوله تعالى :

(أَمْ يَقُولُونَ افتره قل فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ
 اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) (٣) .

وقوله تعالى :

(أَمْ يَقُولُونَ افتره قل فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ
 مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) (٤) .

(١) البقرة (٢٣) .

(٢) البقرة (٢٤) .

(٣) يونس (٣٨) .

(٤) هود (١٣) .

ونلاحظ في هذه الآية الكريمة أن الله تعالى قال " فأتوا بعشر سور
 مثله مفتريات لأنهم جميعا كانوا أهل فصاحة يستطيع كل واحد منهم أن
 يفترى ، وتستطيع كل قبيلة أن تفتري ، وأن يتنافسوا في ذلك ليدرءوا عن
 أنفسهم غائلة هذا العار الذي لم يجدوا لأنفسهم منه فكاكا ، ثم بيّن
 لجميع العالمين في جميع العصور والأزمان أنهم لن يأتوا بمثل هذا القرآن
 فضلا عن الإتيان به نفسه وخص الإنس ، والجن بذلك لأنهم الذين وقع من
 بعضهم التكذيب والمعاندة وأنهم لو قدر لهم أن يتواجهوا وأن يظهر
 بعضهم لبعض ليجتمعوا على هذه المحاولة فهم خائبون لا يظفرون بشيء
 مما حاولوا . قال تعالى :

(قُلْ لِّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ
 لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا)^(١) .

ومن النوع الثاني (ذكر الحروف المقطعة) جاء قوله تعالى في
 أول البقرة وآل عمران : (الم) وفي أول الأعراف (المص) وفي أول الرعد
 (المر) وفي أول يونس وهود ويوسف وإبراهيم والحجر (الر) وفي أول مريم
 (كهيعص) وفي أول النمل (طس) وفي أول الشعراء والقصص (طسم)
 وفي أول العنكبوت والروم ولقمان والسجدة (الم) وفي أول الشورى (حمعسق)
 وفي أول غافر وفصلت والزخرف والدخان والجاثية والاحقاف
 (حم) وفي أول (ص) و (ق) و (ن) (ص والقرآن ذي الذكر
 ق والقرآن المجيد) (ن والقلم وما يسطرون) و (طه) و (يس) .

مما سبق يستبين لنا يقينا أن القرآن كلام الله حقا وأن الشبهة التي
 أثارها المترفون حوله داحضة متهاوية لا يرومها ذوعقل الا سئمها ، وملها
 ولو كان عندهم قدرة على الإتيان بكتاب مثل بعض هذا الكتاب كما ادعوا
 ما اضطروا إلى بذل الأموال والأرواح في محاربتة ، ومحاولة طمسه قال تعالى
 حاكيا عنهم :

(وَإِذَا تَلَّوْا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا
 إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ)^(٢) .

(١) الاسراء (٨٨) .

(٢) الأنفال (٣١) .

" تأمر المترفين الكفار على اللغو عند تلاوة القرآن الكريم وعدم الاستماع له "

لما علم المترفون المشركون أن شبههم التي آثروها حول القرآن الكريم لن تجديهم نفعاً لجأوا إلى شبهة خبيثة ، يريدون بها صرف أنفسهم ، وغيرهم عن سماع القرآن الذي كان ينقص منهم كل يوم صنديداً أو صناديد يدخلون في الإسلام ويؤمنون بهذا القرآن فحاولوا التشويش واللغو عند قراءة القرآن ، وقد حكى الله عز وجل حالهم هذا بقوله تعالى :
(وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ
تَغْلِبُونَ)^(١) .

قال الفخر الرازي :

(اعلم أن القوم علموا أن القرآن كلام كامل في المعنى ، وفي اللفظ وأن كل من سمعه وقف على جزالة ألفاظه ، وأحاط عقله بمعانيه ، وقضى عقله بأنه كلام حق واجب القبول ، فدبروا تدبيراً في منع الناس عن استماعه فقال بعضهم لبعض (لا تسمعوا لهذا القرآن) إذا قرئ وتشاغلوا عند قراءته برفع الأصوات بالخرافات والأشعار الفاسدة والكلمات الباطلة ، حتى تخلطوا على القارئ وتشوشوا عليه وتغلبوا على قراءته ، كانت قريش يوصي بذلك بعضهم بعضاً ، والمراد افعلوا عند تلاوة القرآن الكريم ما يكون لغواً وباطلاً ، لتخرجوا قراءة القرآن عن أن تصير مفهومة للناس ، فبهذا الطريق تغلبون محمداً صلى الله عليه وسلم ، وهذا جهل منهم لأنهم في الحال أقروا بأنهم مشتغلون باللغو ، والباطل من العمل ، والله تعالى ينصر محمداً
(٢) .
بفضله) .

أقول: فبدل أن لا يسمع هؤلاء وأمثالهم أو يلغوا فيه كما تواصلوا فهلاً حاولوا أن يأتيوا بمثله إن كان من عند بشر كما ادعوا وإن لم يكن كذلك فالأحرى بهم أن ينصتوا له ويؤمنوا به .

(١) فصلت (٢٦) .

(٢) التفسير الكبير ٢٧ / ١٢٠ .

" شراء لهو الحديث بدل القرآن " :

ومن محاولات رؤوس الترف من الأشقياء للاشغال عن القرآن الكريم شراء لهو الحديث ، وذلك بالتشويش بالغناء ، وكتب الأعاجم وقد فضحهم الله تعالى ، وتوعدهم أيما توعد .

قال تعالى :

(وَهِنَّ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ، وَإِذَا تَتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَسَّرَهُ بِعَذَابِ أَلِيمٍ) (١) .

قال المرافى :

(المراد بلهو الحديث : الجواري ، والمغنيات ، وكتب الأعاجم وقد اشترت حقيقة ، وقال ابن مسعود لهو الحديث : الرجل يشتري جارية تغنيه ليلاً ، ونهاراً ، وعن ابن عمر أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في لهو الحديث : إنما ذلك شراء الرجل للعب ، والباطل .

وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما أن الآية نزلت في النضر بن الحارث اشترى قينة (مغنية) وكان لا يسمع بأحد يريد الإسلام إلا انطلق بها إليه فيقول : أطعميه ، وأسقيه وغنيه ، ويقول: أهذا خير مما يدعوك إليه محمد من الصلاة و الصيام وأن تقاتل بين يديه ، وروى عن مقاتل أنه كان يخرج تاجراً إلى فارس فيشترى كتب الأعاجم فيرويها ، ويحدث بها قريشاً ، ويقول لهم : إنَّ محمدًا يحدثكم حديث عاد ، وثمود وأنا أحدثكم حديث رستم واسفنديار وأخبار الأكاسرة فيستملحون حديثه ويتركون سماع القرآن . (ليضل عن سبيل الله بغير علم) ليصد الناس عن الدخول قسي الاسلام واستماع القرآن جهلاً منه ، بما عليه من الوزر به .

(ويتخذها هزواً) ويستهنئ بدين الله تعالى وبالقرآن الكريم .

(أولئك لهم عذاب مهين) أي أنه كتَبَ لهم العذاب والخزي يوم القيامة

(١) لقمان (٦ - ٧) .

لأنهم لما أهانوا باختيارهم الباطل - جوزوا بإهانتهم يوم الجزاء بعداب يفضحهم ، ويخزيهم أمام الخلائق ، ثم أشار سبحانه إلى أن هذا داء قد استشرى في نفسه ، فكلمنا تليت عليه آية ازداد إباءً ونفوراً فقال :
 (وإذا تتلى عليه آياتنا ولئى مستكبراً كأن لم يسمعها كأن فى أذنيه وقراً) أى واذا تتلى آيات الكتاب الكريم على هذا الذى اشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله - يعرض عن سماعها ويولى مستكبراً ، كأن لم يسمعها كأن فى أذنيه ثقلاً فلا يصيح لها ، ولا يأبه لتلقفها وتأملها . ونحو الآية قوله تعالى :

(قُلْ هُوَ الَّذِيْنَ ءَامَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِيْنَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىْ ءَاذَانِهِمْ وَقُرْءَانٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى) (١) .

ولما تسبب عن ذلك استحقاقه لما يزيل كبره وعظمته قال : (فبشره بعداب أليم) أى فبشر هذا المعرض ، وأوعده بالعذاب الذى يؤلمه ويقض مضجعه يوم القيامة (٢) .

وللأسف الشديد شاع هجر القرآن الكريم فى زماننا هذا ، وقلة حفظته ، والتالين له ، والتشاغل عنه بملهيات مختلفة كسماع المعازف ، والقينات المغنيات ، وغير ذلك مما شاع وانتشر وأصبح لا يخفى على أحد وهذا العمل قريب الشبه بما فعله النضر بن الحرث ، وأضرابه لأن المسلمين وإن كانوا لا يقصدون بذلك التلهي عن القرآن إلا أنهم يقعون فيه دون أن يدروا ولأنهم تلقفوا عن أعدائهم المسرحيات ، والتمثليات ، والأفلام السينمائية الملهية التى أغلبها ضرر بحت والصواب فيها مشوب بالضرر ، وأنالا أحارب الابتكار ، ولا الفن لذاتهما ، إنما أحارب الفنون الرخيصة والابتكارات التى تصرفنا عن ديننا وتشغلنا عن تدبر كتاب ربنا الذى هو أماننا فى أولنا وأخرانا ونجاتنا يوم نعرض على ربنا وخلصنا من عذاب السعير ، وبئس المصير لمن خرج من الدنيا وهو بعيد عن هذا الهدى العظيم .

(١) فصلت (٤٤) .

(٢) تفسير المراغى ٧٤/٢١ بتصرف .

الباب الثالث

أخلاق المترفين وعاقبة ترفهم

ويتضمن أربعة فصول

الفصل الأول : الإسراف .

الفصل الثاني : الكبر واحتقار الفقراء والمستضعفين .

الفصل الثالث : خطر الترف على الأمم قديماً وحديثاً .

الفصل الرابع : سنة الله في عقاب المترفين ونماذج

قرآنية لهذه العقوبات .

الفصل الأول

الإسراف

يعد الإسراف والتبذير أسوأ أنواع الترف ، ولكي نجلو حقيقة كل منهما لابد من عرض تعريف كل منهما :

قال صاحب تاج العروس : (الإسراف في النفقة التبذير ، ومجاوزه القصد ، وقيل : أكل ما لا يحل أكله ، وبه فسر قوله تعالى : (ولا تسرفوا) وقيل : الإسراف وضع الشيء في غير موضعه ، (أو) هو ما أنفق في غير طاعة الله عز وجل ، وهو قول سفيان - قليلا كان أو كثيرا ، وقيل : الإسراف ما قصر به عن حق الله (١) .

وقال الجوهري :

(الإسراف في النفقة التبذير ، وتبذير المال : تفريقه إسرافاً ، يقال رجل تبذارة ، للذي يبذر ماله ويفسده (٢) .

وقال الزنجاني : الإسراف : إنفاق ما يحتاج إليه فيما لا يحتاج إليه ، وهو عام يكون في كل شيء والتبذير خاص وهو الإسراف في النفقة في المال (٣) .

وقال أبو البقاء في كلياته :

(الإسراف هو صرف الشيء فيما ينبغي ، زائد أعلى ما ينبغي ، بخلاف التبذير فإنه صرف الشيء فيما لا ينبغي ، فالإسراف تجاوز في الكمية ، فهو جهل بمقادير الحقوق . والتبذير تجاوز في موضع الحق ، فهو جهل بمواقفها يرشدك إلى هذا قوله تعالى في تعليل الإسراف : (إنه لا يحب المرففين (٤) وفي تعليل التبذير (إن البذيرين كانوا إخوان الشياطين) فإن تعليل (٥) الثاني فوق الأول (٦) .

-
- (١) تاج العروس ١٣٨/٦ (منشورات دار الحياة) .
 (٢) الصحاح ٥٨٧/٢٠ و ١٣٧٣/٤ (الطبعة الأولى)
 (٣) تهذيب الصحاح ٥٣٨/٢ الزنجاني (دار المعارف بمصر) .
 (٤) الأنعام (٤) ، والاعراف (٣١) .
 (٥) الاسراء (٢٧) .
 (٦) الكليات ١٧٢/١ أبو البقاء أيوب بن موسى (منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي) .

(وظاهر كلام الإمام أحمد رحمه الله أن التبذير والإسراف ما أخرجه
 في الحرام ، قاله ابن عقيل وجماعه) (١) .
 من تعريف الإسراف يتبين لنا أنه إذا كان هناك اسراف ، وتبذير
 في الانفاق ، فهناك ترف ، وتنعم ، وإن لم يكن إسراف وتبذير أو ما يقابله
 من تقتير بل توسط واعتدال ، فهذا هو ما أحله الله سبحانه وتعالى .

ولقد حدد لنا الشرع بما ورد فيه من نصوص من الكتاب ، والسنة الحد
 الذي يجب أن يكون عليه الإنفاق ، وأعني به الإنفاق على النفس وعلى
 الأهل لأن الإنفاق في وجوه الخير مهما كثر فلا يسمى إسرافا ولا تبذيرا
 إذا لم يضر المكلف بحقوق عياله .

وقد ذكر الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز أن من صفات عباده
 المأتمرين بأمره المهتدين بهديه ، التوسط في الانفاق فلا إسراف ،
 ولا تقتير .

قال تعالى :
 (وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا) (٢)

قال القرطبي في تفسير الآية الكريمة :

(إن النفقة في معصية أمر قد حظرت الشريعة قليله وكثيره ، وكذلك
 التعدي على مال الغير ، وهؤلاء الموصوفون منزهون عن ذلك ، وإنما
 التأديب في هذه الآية هو في نفقة الطاعات في المباحات ، فأدب الشرع
 فيها ألا يفرط الإنسان حتى يضيع حقا آخر ، أو عيالا ونحو هذا ، وألا يضيع
 أيضا ويقتتر حتى يجيع العيال ويفرط في الشح ، والحسن في ذلك هو
 القوام أي العدل ، والقوام في كل واحد بحسب عياله وحاله وخفة ظهره
 وصبره ، وجلده على الكسب ، أو ضد هذه الخصال ، وخير الأمور أوساطها ،
 ولهذا ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر الصديق رضي الله عنه
 يتصدق بجميع ماله ، لأن ذلك وسط بنسبة جلده ، وصبره في الدين ومنع
 غيره من ذلك . ونعم ما قال إبراهيم النخعي: هو الذي لا يجيع ، ولا يعري

(١) الانصاف ٥/٣٢٢ (الطبعة الأولى) .

(٢) الفرقان (٦٢) .

ولا ينفق نفقة يقول الناس قد أسرف (١) .

والتقتير التضييق الذي هو نقيض الإسراف والذي نهى الإسلام ، وخير حال المرء في الانفاق هو (القوام) الذي وجهتنا الآية الكريمة إليه وهو الوسط بين الإسراف والتقتير أو بمعنى أصح الاعتدال لأن الشرع أباح للفرد تمتيع ذاته في الحدود المشروعة ، ونهى عن غل اليد وحبسها عن تمتيع الذات ، أو المكلف بهم في قوله تعالى :

(وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا) (٢) . فاليد المغلولة كاليد المسرفة كلاتهما ذمهما الإسلام

ولم يقبلهما بسبب الضرر الذي يعود منهما على النفس وعلى الجماعة ، فليس ديننا الذي يوجب حرمان النفس من طيبات الحياة ، ومتاعها ، ثلح ذلك من خلال الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة والتي تعرضت لذكرها مرارا في فصول البحث ، على أن التمتع بطيبات الحياة ، وزينتها يجب أيضا أن يكون بعيداً عن الاسراف ، روى البخاري في كتاب اللباس قال : (قال النبي صلى الله عليه وسلم كُلُوا وَاشْرَبُوا وَابْسُوا وَتَصَدَّقُوا فِي غَيْرِ إِسْرَافٍ وَلَا مَخِيلَةٍ) (٣) .

وللأسراف والتبذير مصارف عديدة بينتها لنا الأحاديث الشريفة وحذرتنا من الوقوع فيها منها :-

"" الإسراف في المسكن "" :

مما يلفت الانتباه في عصرنا الحالي التفنن في زخرفة البيوت، والعمائر وبذل الأموال الطائلة في سبيل تحسين منظرها من الخارج والداخل شأننا في ذلك شأن الأكاسرة ، والقيصرة التي زهد فيها خلفاؤهم كفرقة العصر الحاضر وورثناها نحن المسلمين ، فأضحينا نرى الفرد يبذل كل ماله بل وكثيرا ما يستدين ليزخرف المداخل ، والسقوف ويكسو الجدران

(١) الجامع لاحكام القرآن ١٣ / ٧٣ .

(٢) الاسراء (٢٩) .

(٣) صحيح البخارى ٧ / ٣٣ / كتاب اللباس/باب قول الله تعالى قل ممن حرم زينة الله التي أخرج لعباده / قال ابن حجر هذا الحديث من الأحاديث التي لا توجد في البخارى إلا معلقة ولم يصله فسي مكان آخر (فتح البارى ١٠ / ٢٠٧ .

بفاخر أكسية الجدوان المستوردة من أهدائنا الذين يتقوون بأثمانها ،
ويحولون بيننا وبين صناعتها بكل وسيلة كي نبقى أسرى لهم لاهئين وراءهم
زد على ذلك التفنن في اقتناء الأثاث ، والرياش ، وفرش الحرائر ، والمخامل
والديباج ، وكل ذلك من الإسراف الممقوت والتبذير الذي يعتبر صاحبه
بحق من إخوان الشياطين . ولا يفهم من قولي هذا محاربة الاسلام للسكن
المريح والفرش الوثير الذي يريح النفس والجسد ، ولكن الإسلام يحارب
التنعم . والترهف المؤدي إلى الترف عدو الأمم ، ويؤيد ذلك ما جاء
في الأحاديث الشريفة في النهي عن الإسراف في اقتناء الأثاث وافتراش
الحرير .

فقد روى مسلم في صحيحه بسنده (عن جابر بن عبد الله رضي الله
عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له :-

(فراش للرجل ، وفراش لإمراته ، والثالث للضيف ، والرابع للشيطان) .

قال النووي :

(معناه أن ما زاد على الحاجة فاتخاذه إنما هو للمباهاة والاختيال
والالتهاؤ بزينة الدنيا وما كان بهذه الصفة فهو مذموم وكل مذموم يضاف
إلى الشيطان لأنه يرتضيه ، ويوسوس به ويحسنه ويساعد عليه) (١) .

وروى البخاري بسنده (عن حذيفة رضي الله عنه قال : نهانا النبي
صلى الله عليه وسلم أن نشرب في آنية الذهب ، وَالْفُضَّةِ ، وَأَنْ نَأْكُلَ فِيهَا
وَعَنْ لُبْسِ الْحَرِيرِ وَالديباجِ وَأَنْ نَجْلِسَ عَلَيْهِ) (٢) .

وخلاصة قول الجمهور منع الجلوس على الحرير : قال ابن حجر :
الذي يمنع من الجلوس عليه هو ما منع من لبسه وهو ما صنع من حرير
صرف ، أو كان الحرير فيه أزيد من غيره) (٣) .

وقد شغلنا ذلك عن الجهاد في سبيل الله تعالى والانتصار للدين

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ١٤ / ٩٥ / ٥ / باب كراهة ما زاد عن الحاجة
من الفراش واللباس / كتاب اللباس والزينة .

(٢) صحيح البخاري ٧ / ٤٥ / باب افتراش الحرير ، وقال عبيده هو كلبسه /
كتاب اللباس .

(٣) فتح الباري ١٠ / ٢٤٠ / باب افتراش الحرير / كتاب اللباس .

لأن التوسع في المساكن ، والفرش من شأنه أن يزيد الاستمساك بالدينا
وأن يصرف عن طلب الآخرة وأن يعود المتخلفين به على الجبن ، والخوف
من سلوك ما يؤثر على دنياهم ، أو يقلل من مطالب أنفسهم ، وإنك لتجد
هذا المعنى ظاهرا واضحا في قوله تعالى :

(قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ ، وَأَبْنَاؤُكُمْ ، وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ
وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِّنْ
اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي
الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (١) .

قال النسفي :

(الآية تنعى على الناس على ما هم عليه من رخاوة عقد الدين وأضطراب
حبل اليقين ، إذ لا تجد عند أروع الناس ما يستحب له دينه على الآباء ،
والأبناء ، والأموال ، والحظوظ) (٢) .

وقال أبو السعود :

(التعرض للصفات المذكورة للإيذان بأن اللوم على محبة ما ذكر
من زينة الحياة الدنيا ليس لتناسي ما فيها من مبادئ المحبة ، وهو جبات
الرغبة فيها وأنها مع ما لها من فنون المحاسن بمعزل عن أن يؤثر حبها
على حبه تعالى وحب رسوله صلى الله عليه وسلم ، كما في قوله عز وجل
(مَا عَزَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ) (٣) (أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ) بالحب الاختياري
المستتبع لأثره الذي هو الملازمة ، وعدم المفارقة لا الحب الجبلي الذي
لا يخلو عنه البشر فإنه غير داخل تحت التكليف الدائر على الطاقة (وجهاد
في سبيله) نظم حبه في سلك حب الله عز وجل وحب رسوله صلى الله عليه
وسلم تنويها لشأنه وتنبيها على أنه مما يجب أن يحب فضلا عن أن يكره
وإيذانا بأن محبته راجعة إلى محبتهما فإن الجهاد عبارة عن قتال أعدائهما
لأجل عدائهم فمن يحبهما يجب أن يحب قتال من لا يحبهما) (٤) .

(١) التوبة (٢٤) .

(٢) تفسير النسفي ١٢١/٢ .

(٣) الانفطار (٦) .

(٤) تفسير أبي السعود ٥٤/٤ - ٥٥ .

وقد عرف عن أهل المساكن الفاخرة ، والفرش ، الناعمة التهان بالصلوات والنوم عن الصبح حتى يأتي الضحى وقسوة القلب التي تورث سوء الأخلاق والتجافي عن حسنها وهذا في الأغلب الأعم . قال تعالى :

(يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنَا قُلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَّعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلًا)^(١) .

قال الألوسي :

(في الآية الكريمة إنكار وتوبيخ للناس الذين يتباطأون عن دعوة الجهاد ، مائلين إلى الدنيا ، وشهواتها الفانية عما قليل وكراهة مشاق الجهاد ومتاعه المستتبع للراحة الخالدة ، وتفضيل الإقامة بالأرض والديار)^(٢)

وإن من أهم متاع الحياة الدنيا الذي يلهي عن الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم والجهاد في سبيله التوسع في المساكن ، والفرش بالمبالغة في تجميلها وتهيئتها ، وإنَّ حال المسلمين اليوم لأصدق شاهد على ما أقول فقد ألهمتهم أعراض هذه الدنيا حتى غدا وفرقا متناحرة لا يقام لها وزن وصدق فيهم قوله تعالى :

(فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ)^(٣) .

والمعنى (أي انتظروا وتربصوا بما تحبون حتى يأتي الله بالعقوبة العاجلة أو الآجلة ، وهي وعيد وتهديد لكل من يفضل متاع الحياة الدنيا على طاعة الله تعالى والرسول صلى الله عليه وسلم)^(٤) .

والنهي لم يكن عن الفرش ، والسكن بل عن التوسع ، فبهرجة المساكن إسراف مدمر ، علينا معشر المسلمين الابتعاد عنه قدر الامكان لأنه إهدار للمال في الدنيا وعذاب على النفس في الآخرة ولنا في توجيهات سيد الخلق صلى الله عليه وسلم ما يرسم لنا معالم الطريق :-

روى أبو داود بسنده (عن انس بن مالك رضى الله عنه أن رسول الله

(١) التوبة (٣٨)

(٢) روح المعاني ٩٥/١٠ بتصرف .

(٣) التوبة (٢٤) .

(٤) التفسير الكبير ٢٠/١٦ . بتصرف .

صلى الله عليه وسلم خرج فرأى قبة مشرفة فقال : " ما هذه ؟ قال لله أصحابه : هذه لفلان رجل من الأنصار ، قال : فسكت وحملها في نفسه حتى إذا جاء صاحبها رسول الله صلى الله عليه وسلم يسلم عليه في الناس أعرض عنه ، صنع ذلك مرارا ، حتى عرف الرجل الغضب فيه ، والإعراض عنه فشكا ذلك إلى أصحابه ، فقال : والله إنني لأنكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالوا : خرج فرأى قبتك ، قال : فرجع الرجل إلى قبته فهدمها حتى سواها بالأرض ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فلم يرها ، قال : " ما فعلت القبة " ؟ قالوا : شكنا إيلنا صاحبها إعراضك عنه ، فأخبرناه ، فهدمها ، فقال " أَمَا إِنَّ كُلَّ بِنَاءٍ وَيَأَلُّ عَلَى صَاحِبِهِ إِلَّا مَالًا إِلَّا مَالًا " يعني مَالًا بَدَّ مِنْهُ (١) .

" الإسراف في اللباس " :

ومن شر أنواع الإسراف في اللباس وتتجلى كراهة الاسراف في اللباس في تحريم لبس الذهب ، والحريز على الرجال ، وحث الرجال على التواضع في اللباس . .

روى مسلم بسنده (عن معاوية بن سويد بن مقرن قال : دخلت على البراء بن عازب فسمعتة يقول أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبع ونهانا عن سبع : أمرنا بعيادة المريض ، وأتباع الجنابة ، وتشميت العاطس ، وإبرار القسم ، أو المقسم ، ونصر المظلوم ، وإجابة الداعي ، وإفشاء السلام ونهانا عن خواتيم أو عن تخرم بالذهب ، وعن شرب بالفضة ، وعن المياثر (٢) وعن القسي ، وعن لبس الحريز ، والأستبرق ، والدبياج (٣) .

قال النووي :

(وأما خاتم الذهب فهو حرام على الرجال بالاجماع ، وأما لبس الحريز والاستبرق ، والدبياج والقسي وهو نوع من الحريز فكله حرام على الرجال

(١) سنن أبي داود ٤ / ٣٦٠ باب ما جاء في البناء / كتاب الأدب .

(٢) المياثر : هي جمع مئثرة ، وهي وطاء كانت النساء يضعنه لأزواجهن على السروج وكان من مراكب العجم تصنع من الحريز ، أما ما يصنع من غير الحريز فهي ليست حرام وليست مكروهه وهو قول النووي . .

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي ١٤ / ٣١ / باب تحريم الذهب والحريز على الرجال وابعثته للنساء .

سواء لبسه للخيل ، أو غيرها إلا أن يلبسه للحكة ، فيجوز في السفر ، والحضر
وأما النساء فيباح لهن لبس الحرير ، وجميع أنواعه وخواتم الذهب وسائر
الحلي منه ^(١) .

الحديث الشريف نهى عن بعض الأفعال التي لا يليق بالمسلم فعلها ،
والحكمة من منع تلك الأفعال لأنها تزري بقيمة الرجال ، وتدعوهم إلى
طراوة العيش ، ولينه ، وليس لذلك خلق الرجل المسلم بل خلق ليكون قويا
خشناً يفضل الجهاد في سبيل الله على كل متع الحياة ، كما أن في تلك
الأفعال تشبها بفعل الكتابيين ، والمشركين المسرفين المترفين الذين
عمى التنعم قلوبهم عن اتباع طريق الحق والصواب ، على أن الرسول صلى
الله عليه وسلم حين منع الرجال من لبس الحرير ، والذهب ، والمعصفر من
الثياب لم يطق من بعض رجال المسلمين الإهمال لهياتهم لأن الله سبحانه
وتعالى يحب أن يرى أثر نعمته على عبده .

روى أبو داود بسنده (عن أبي الأحوص عن أبيه قال :

(أتيت النبي صلى الله عليه وسلم في ثوبٍ دون ، فقال : " ألك مال " ؟
قال : نعم ، قال : " من أى المال " ؟ قال : فقد آتاني الله من الإبل
والغنم والخيل والرقيق ، قال : " فإذا آتاك الله مالاً فليُرَ أثر نعمة الله
عليك وكرامته " ^(٢) . وذلك فيما يختص بالرجال .

وليس معنى إباحة الحرير والذهب للنساء أن تغالي أخواتي النساء
في اقتناء فاخر الثياب ، والحلي ، والمجوهرات وأن ينافسن بعضهن بعضاً

(١) شرح النووي على صحيح مسلم ١٤ / ٣٢ / باب تحريم الذهب والحرير

على الرجال وإباحته للنساء / كتاب اللباس والزينة .

(٢) سنن أبي داود ٤ / ٥١ / باب في غسل الثوب وفي الخلقان / كتاب

اللباس .

في كثرة الملابس ، ويتباهين بارتفاع أثمانها لأن ذلك عين الاسراف والتبذير
فقد أباح الاسلام للمرأة أن تتجمل للزوج ، والمحارم بأجمل الثياب ، وأفخر
الحلي إلا أن يصل ذلك التجمل وذاك اللباس للدرجة المحمومة التي
نلمسها الآن فكلا وألف كلا ، لأن لباس المرأة بهذه الصورة أصبح عبئاً
ثقيلاً على كاهل المعيل . .

" الاسراف في المأكل ، والمشرب " :

أخرج الله سبحانه وتعالى لعباده الطيبات الكثيرة من الأرض ، وجعل
فيها من كل الثمرات المختلفة في اللون ، والمذاق . . وجعل في الإنسان
غريزة الجوع وحب الأكل للمحافظة على البقاء ، وأباح سبحانه وتعالى لنا
التمتع بطيبات الأرض ، وأمرنا بالأكل والشرب من كل الطيبات ، غير أنه
سبحانه قيد هذا الأمر بعدم الإسراف ومجازاة الحد في الأكل والشرب .

قال تعالى :

(مِيبِنِيْءَ آدَامَ حَذَّوْا زِيْنَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوْا وَاشْرَبُوْا وَلَا تُسْرِفُوْا
إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِيْنَ) (١)

ذكر القرطبي (في قوله تعالى : (وكلوا واشربوا ولا تسرفوا) قال
ابن عباس : أحل الله في هذه الآية الأكل والشرب ما لم يكن سرفاً ، أو مخيلة^(٢) ،
فأما ما تدعو الحاجة إليه وهو ما سد الجوع وسكن الظمأ ، فمندوب إليه
عقلاً وشرعاً ، لما فيه من حفظ النفس ، وحراسة الحواس ، ولذلك ورد الشرع
بالنهي عن الوصال^(٣) ، لأنه يضعف الجسد ، ويميت النفس ، ويضعف عن العبادة ،
وذلك يمنع منه الشرع ويدفعه العقل ، وليس لمن منع نفسه قدر الحاجة حظ من بر
ولا نصيب من زهد ، لأن ما حرمها من فعل الطاعة بالعجز والضعف أكثر
ثواباً وأعظم أجراً . وقد اختلف في الزائد على قدر الحاجة على قولين :
فقيل : حرام ، وقيل مكروه . قال ابن العربي : وهو الصحيح فإن قدر

(١) الأعراف (٣١) .

(٢) المخيلة : الكبر .

(٣) الوصال الامتناع عن الطعام بعد الافطار الى أن يأتي اليوم الثاني لموعد
افطار الصائم . .

الشبع يختلف باختلاف البلدان ، والأزمان ، والأسنان ، والطعمان .

ثم قيل في قلة الأكل منافع كثيرة ، منها أن يكون الرجل أصح جسماً وأجود حفظاً وأزكى فهماً وأقل نوماً وأخف نفساً . وفي كثرة الأكل كسب المعدة ، وتتن التخمة^(١) ويتولد منه الأمراض المختلفة فيحتاج من العلاج أكثر مما يحتاج إليه القليل الأكل . وقال بعض الحكماء : أكبر الداء تقدير الغذاء . وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم هذا المعنى بيانا شافياً يغنى عن كلام الأطباء فقال : (مَا مَلَآدَمِيَّ وَعَمَاءَ شَرًّا مِنْ بَطْنِهِ بِحَسَبِ ابْنِ آدَمَ أَكْلَاتٍ يُعْمَنُ صُلْبُهُ فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالَةَ ، فَتُلُتْ لَطْعَامِهِ ، وَتُلُتْ لَشْرَابِهِ وَتُلُتْ لِنَفْسِهِ)^(٢) .

قلت : ويقال : إن معالجة المريض نصفان : نصف دواء ، ونصف حمية فإن اجتمعا ، فكأنك بالمريض قد برأ ، وصح ، والا فالحمية به أولى ، إذ لا ينفع دواء مع ترك الحمية . ولقد تنفع الحمية مع ترك الدواء . ولقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أَصْلُ كُلِّ دَوَاءٍ الْحِمِيَّةُ) . والمعنى بها - والله أعلم أنها تغني عن كل دواء .

(عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " الكافر يأكل في سبعة أمعاء والمؤمن يأكل في معي واحد ")^(٣) . وهذا منه صلى الله عليه وسلم حرض على التقليل من الدنيا ، والزهد فيها ، والقناعة بالبلغة . . وقد كانت العرب تمتدح بقلة الأكل وتذم بكثرتة .

وقال الخطابي : معنى قوله صلى الله عليه وسلم : المؤمن يأكل في معي واحد ، أنه يتناول دون شبعه ، يؤثر على نفسه ، ويبقى من زاده لغيره فيقنعه ما أكل . والتأويل الأول أولى والله أعلم . وقيل في قوله عليه السلام : " والكافر يأكل في سبعة أمعاء " . ليس على عمومته لأن المشاهدة تدفعه ، فإنه قد يوجد كافر أقل أكلاً من مؤمن ، ويسلم الكافر فلا يقل أكلكه ولا يزيد وقيل : هو إشارة الى معين .

(١) التخمة : هي الكرش .

(٢) أخرجه الترمذي بجامعه ومعه عارضه الأحوذى ٩ / ٢٢٤ / باب ما جاء في كراهية كثرة الطعام / ابواب الزهد (دار العلم للجميع) .

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي ٢٤ / ١٤ باب المؤمن يأكل في معي واحد والكافر في سبعة أمعاء ورواه البخاري في نفس الباب ٦ / ٢٠٠ كتاب الأطعمة .

واختلف في هذه الأمعاء ، هل هي حقيقة أم لا ؟ فقيل : حقيقة ولها أسماء معروفة عند أهل العلم بالطب والتشريح . وقيل : هي كنيات عن أسباب سبعة يأكل بها النهم : يأكل للحاجة ، والخبر ، والشم ، والنظر^(١) واللمس والذوق ويزيد استغناما ، وقيل : المعنى : أن يأكل أكل من له سبعة أمعاء . . والمؤمن بخفة أكله يأكل أكل من ليس له الا معي واحد ، فيشارك الكافر بجزء من أجزاء أكله ، ويزيد الكافر عليه بسبعة أمثاله ، والمعنى في هذا الحديث هو المعدة . .

وقوله تعالى (ولا تسرفوا) أى في كثرة الأكل وعنه يكون كثرة الشرب وذلك يثقل المعدة ، ويشيط الانسان عن خدمة ربه ، والأخذ بحظه من نوافل الخير ، فإن تعدى ذلك إلى ما فوّه مما يمنعه القيام بالواجب عليه حرم عليه وكان قد أسرف في مطعمه ، ومشربه .

وقال ابن زيد معنى (ولا تسرفوا) لا تأكلوا حراما ، وقد روى أنس بن مالك رضى الله عنه عن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : (إِنْ مَرَّكَ السَّرْفِ أَنْ تَأْكَلَ كُلَّ مَا اشْتَهَيْتَ)^(٢) ، وقيل : من الإسراف الأكل بعد الشبع وكل ذلك محظور . وقال لقمان لابنه : «يا بني لا تأكل شبعاً فوق شبع فانك ان تنبذه للكلب خيراً من أن تأكله» ، وسأل سمرّة ابن جندب عن ابنه ما فعل ؟ قالوا : بِشِمِّ البَارِحَةِ . قال : بشم ؟ فقالوا : نعم . قال : أما إنه لو مات ما صَلَّيْتُ عليه)^(٣) .

.. وبعد

فماذا أقول لربات البيوت في هذا الزمان اذ أصبح الكثير منهن لا يكتفي بالصنف ولا بالصنفين من الطعام إلى جانب أنواع الشراب والحلوى ، ويزيد التفنن في تكثير الأصناف ، والأنواع في شهر رمضان الذى حُصِّدَ من الأشهر بالصيام ، ومحاولة التقشف والاعتكاف والشعور مع الفقراء ، فلم لا تكتفين أختي ربة البيت بصنف واحد سواء في رمضان ، أو غيره من الأشهر وهو مع

(١) الخبر : يريد شهوه الأذن (القرطبي ١٩٣/٧) .

(٢) رواه ابن ماجه فى كتاب الأَطْعَمَة ٢/٢٠١١٢ باب من الإسراف ان تأكل كل ما اشتهيت (عيسى البابى الحلبي) .

(٣) الجامع لأحكام القرآن ٧/١٩١-١٩٥ ببعض التصرف .

ذلك يعتبر اسرافا إذا ما قارناه بعيشة آل محمد صلى الله عليه وسلم :
 روى البخارى بسنده عن (عائشة رضي الله عنها قالت : ما شبع آل محمد
 صلى الله عليه وسلم منذُ قدوم المدينة من طعام البرِّ ثلاثَ كيالٍ تِباعًا
 حتَّى قبضَ (١) .

جاء في الفتح :

(قال الطبري : ((استشكل بعض الناس كون النبي صلى الله عليه
 وسلم وأصحابه كانوا يطوون الأيام جوعا مع ما ثبت أنه كان يرفع لأهله قوت
 سنة ، وأنه قسم بين أربعة أنفس ألف بغير مما أفاء الله عليه ، وأنه ساق في
 عمرته مائة بدنة فنحرها وأطعمها المساكين ، وأنه أمر لأعرابي بقطيع من
 الغنم ، وغير ذلك مع ما كان معه من أصحاب الأموال كأبي بكر ، وعمر ، وعثمان
 وطلحة رضي الله تعالى عنهم وغيرهم مع بذلهم أنفسهم وأموالهم بين يديه
 وقد أمر بالصدقة فجاء أبو بكر رضي الله عنه بجميع ماله وعمر رضي الله عنه
 بنصفه وحث على تجهيز جيش العسرة فجهزهم عثمان رضي الله عنه بألف
 بغير إلى غير ذلك ، والجواب أن ذلك كان منهم في حالة دون حالة
 لا لعوز ، وضيق بل تارة للإيثار ، وتارة لكراهة الشبع ، ولكثرة الأكل .

قال ابن حجر :

والحق أن الكثير منهم كانوا في حال ضيق قبل الهجرة حيث كانوا بمكة
 ثم لما هاجروا إلى المدينة كان أكثرهم كذلك فواساهم الأنصار بالمنازل
 والمناح فلما فتحت لهم بنو النضير وما بعدها ردوا عليهم من عجبهم
 وقريب من ذلك قوله صلى الله عليه وسلم (لقد أخفت في الله وما يخاف
 أحدٌ ولقد أوذيت في الله وما يؤذى أحدٌ ولقد أتت علي ثلاثون من بين يوم
 وليلة ومالي ولبلال طعام يأكله ذوكيد الا شيء يواريه إبط بلال) . نعم (٢)
 كان صلى الله عليه وسلم يختار ذلك مع إمكان حصول التوسع ، والتبسط
 في الدنيا ، كما أخرج الترمذي من حديث أبي أمامة : ((عرض علي زبي

(١) صحيح البخارى ٦ / ٢٠٥ / باب ما كان النبي صلى الله عليه وسلم
 وأصحابه يأكلون / كتاب الأطعمة .

(٢) جامع الترمذي ومعه عارضه الاحوذى ٩ / ٢٩١ ابواب صفة القيامة .

ليجعل لي بطحاء مكة ذهباً فقلت : لا يارب ولكن أشبع يوماً ، وأجوع يوماً
فإذا جعت ، تضرعت إليك ، وإذا شبعت ، شكرتك (١) . (٢)

وعندي أن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه عليهم رضوان الله تعالى
كانوا يجوعون أحياناً لقلّة ما يجدون ، وكان صلى الله عليه وسلم إذا وجد ،
لا يحفل بالتوسع بل يكتفي بأقل القليل مع اجتهاده صلى الله عليه وسلم في
إنفاق ما بيده في وجوه الخير كلها .

روى مسلم بسنده عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
(ما يسرنى أن لي أحداً ذهباً تأتي عليّ ثلاثة وعندي منه دينار إلا ديناراً
أرصدّه لدين عليّ) . (٣)

فالتوسع في المباحات المبالغ في أصناف المأكولات أو المشروبات هو
لاشك ليس مستنأ بسنته صلى الله عليه وسلم ، وإن كنت لا أحرم عليه ذلك
لأن الله تعالى لم يحرم الطيبات ، ولكن من يفعل ذلك لاشك أقرب إلى
الخطر منه إلى السلامة ، وأقرب إلى الشهوة منه إلى السنة ومؤثر للذائذ
العاجلة الفانية على الآخرة الباقية ، فالعقل كل العقل أن يقتصد المرء
في طعامه ، وشرابه وأن يعلم أنهما محبيان للنفس أشد ما يكون الحسب ،
فهي عند ما تأخذ منهما لا تأخذ بالقدر المطلوب بل تأخذ بالشهوة العارمة
فإذا لم تصن بالعقل ، ولزوم ما فيه السلامة قادت إلى المهلكة ولهذا
أردف تعالى الأمر بالأكل ، والشرب بقوله جلّ وعلا : (وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ
الْمُسْرِفِينَ) .

والمتبع للأحاديث الشريفة الواردة في أبواب الطعام ، والشراب عن
أحوال الرسول عليه السلام ، وأصحابه الكرام مع الطعام يتبين له أنهم كانوا
يكتفون بالقليل ، ويقنعون به .

روى البخارى بسنده (عن قتادة قال : كنا عند أنس وعنده خبز له ،

(١) جامع الترمذى ومعه عارضه الاحوذى ٩ / ٢٠٩ باب ما جاء في الكفاف
والصبر عليه / أبواب الزهد .

(٢) فتح الباري ١١ / ٢٤٤ / باب كيف كان عيش النبي صلى الله عليه وسلم
وأصحابه وتخليهم عن الدنيا / كتاب الرقاق .

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي ٧ / ٧٤ باب تغليظ عقوبه من لا يؤدي الزكاة
كتاب الزكاة .

فقال : مَا أَكَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خُبْزًا مَرَّقًا وَلَا شَاةً مَسْمُوطَةً حَتَّى لَقِيَ اللَّهَ (١) .
قال ابن حجر :

(والمرق هو الرغيف الرقيق الواسع ، والمسموط الذي أزيل شعره بالماء المسخن وشوي بجلده ، أو يطبخ ، وإنما يصنع ذلك في الصغير السن الطري ، وهو من فعل المترفين من وجهين ، أحدهما : المبادرة إلى ذبح ما لوبقى لازداد ثمنه وثانيهما : أن المسلوخ ينتفع بجلده في اللبس وغيره والسقط يفسده (٢) .

وروى البخاري بسنده عن سهل بن سعد رضی الله عنه قال : (إِنْ كُنَّا لَنَفْرَحُ بِيَوْمِ الْجُمُعَةِ كَانَتْ لَنَا عَجُوزٌ تَأْخُذُ أَصُولَ السَّلْقِ فَتَجْعَلُهُ فِي قَدْرِهَا فَتَجْعَلُ فِيهِ حَبَاتٍ مِنْ شَعِيرٍ إِذَا صَلَّيْنَا زُرْنَاهَا فَقَرَّبْتُهُ إِلَيْنَا وَكُنَّا نَفْرَحُ بِيَوْمِ الْجُمُعَةِ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ وَمَا كُنَّا نَتَعَدَى ، وَلَا نَقِيلُ إِلَّا بَعْدَ الْجُمُعَةِ وَاللَّهِ مَا فِيهِ شَحْمٌ وَلَا وَدَكٌ (٣) .

قال ابن حجر :

(في الحديث ما كان السلف عليه من الاقتصاد ، والصبر على قلة الشيء إلى أن فتح الله تعالى لهم الفتوح العظيمة فمنهم من تبسَّط في المباحات منها ومنهم من اقتصر على الدون مع القدرة زهدا ، وورعا (٤) .

وعن الإسراف في المشروبات لي كلمة : فقد أباح الله لنا الشراب الطيب إلا أنى أرى اليوم شيوع كثرة شرب الناس للمشروبات سواء الغازية أو الحلوة منها فقد يشرب الفرد عدة أقداح في اليوم الواحد ، وأيضا تعود الكثيرون شرب مثل هذه المشروبات المباحة خلال الطعام أو بعده ، ومعاذ الله أن أقصد بكلامي هذا منع الناس من تناول الطيبات المباحة من الأكل أو الشرب

(١) صحيح البخاري ٦/٩٨-٩٩-١٠٠/باب الخبز المرقق والأكل على الخوان والسفرة / كتاب الأطعمة .

(٢) فتح الباري ٩/٤٣٧/باب الخبز المرقق والأكل على الخوان والسفرة / كتاب الأطعمة .

(٣) صحيح البخاري ٦/٣٠٢-٣٠٣/باب السلق والشعير / كتاب الأطعمة .

(٤) فتح الباري ٩/٤٤٩/باب السلق والشعير / كتاب الأطعمة .

ولكن الله تعالى أمرنا بالاقتصاد ، والاعتدال لأن في كثرة الطعام والشراب أيضا ضرراً على الصحة في الغالب وإنما لنرى أمراض السكرى وتصلب الشرايين قد راح ضحيتها ملايين الناس ، فأصبحت أمراض العصر - ان صح التعبير - وهي تنتشر بين الناس انتشار النار في الهشيم نتيجة الإفراط في تناول الأطعمة الدسمة ، والحلوى ، والمشروبات المتعددة الأصناف والأجناس فالأحرى بالمؤمن فطم النفس عن بعض ما تشتهييه ، أو عن بعض الأصناف لفترات معينة على الأقل صونا للصحة وتهذيباً للنفس إذ لا بد أن يضع الإنسان في حسابه أن الأيام قُلب فيوم لك ، ويوم عليك ، فإن قل عليه المطعم ، والمشرب في وقت ما فإنه لا يجد صعوبة كبيرة في الصبر والتحمل ، أما الإنسان المترف الذي تعود على تمتيع جسده ، وأكل وشرب كل ما تشتهييه نفسه دون مراعاة لصحة ، أو تهذيب لنفس ، فليس بمحال ، أو بعيد أن تدور الأيام كشأنها فيفاجأ بعدم القدرة على تحقيق مشتياه من مطعم ، ومشرب وعندها قد يطرق الطرق المحرمة للحصول على المال ، وصرفه فيما تعود عليه فلا يلاقي بذلك إلا الخسران والعذاب فيكون قد تشبه بفعل الكفار الذين ذمهم الله سبحانه ، لأنهم أذهبوا طيباتهم في الحياة الدنيا ، ومن صفات المؤمن أن ينأى بنفسه عن التخلق بخلق الكافرين .

قال تعالى :

(وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَدَّهْتُمْ طَيْبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا
وَأَسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ
الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ (١) .

قال الرازي :

(المعنى أن كل ما قدر لكم من الطيبات ، والراحات فقد استوفيتموه في الدنيا ، وأخذتموه ، فلم يبق لكم بعد استيفاء حظكم شيء منها . وعن عمر رضي الله عنه لو شئت لكنت أطيبيكم طعاما ، وأحسنكم لباسا ، ولكنني أستبقي طيباتي . قال الواجدي : إن الصالحين يؤثرون التقشف ، والزهد في الدنيا رجاء أن يكون ثوابهم في الآخرة أكمل ، إلا أن هذه الآيـة

(١) الأحقاف (٢٠) .

لا تدل على المنع من التنعم ، لأن هذه الآية وردت في حق الكافر ، وإنما وبخ الله تعالى الكافر لأنه يتمتع بالدنيا ، ولم يؤد شكر المنعم بطاعته والايمان به ، وأما المؤمن فإنه يؤدي بإيمانه شكر المنعم فلا يوبخ بتمتعته والدليل قوله تعالى : (قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ) (١) . نعم لا ينكر أن الاحتراز عن التنعم أولى ، لأن النفس إذا اعتادت التنعم صعب عليها الاحتراز ، والانقباض ، وحينئذ فرما حملته الميل إلى تلك الطيبات على فعل مالا ينبغي ، وذلك مما يجرب بعضه إلى بعض ، ويقع في البعد عن الله تعالى (٢) .

نعم لقد بلغ السفه ببعض المسلمين الاتجار بالخمير ، والمسكر بل وقد تناول البعض في التبجح فاقتنوها في بيوتهم وعينوا الأمكنة الخاصة لشربها محاكين في ذلك طبائع الكفار .

وانا لنجد في زماننا هذا ان الآية قد عكست فنرى أغلب الكفار يقللون من الطعام والشراب ويلتزمون بمواعيد ثابتة في تناول الطعام ، والشراب والاقتصاد في النفقة على الأكل ، وليس هذا منهم ديناً أو تقرباً إلى الله ، ولكن لأنهم يحتفلون بالجسم والمال كل الاحتفال للمحافظة على سلامة الجسم وعدم تضييع المال ، ونحن بذلك أولى منهم لأن نعتني بسلامة أجسامنا ، وقوتنا لأن في قوة أجسامنا ، وأموالنا قوة لديننا ، ولقد أصبنا نحن المسلمين بداء النهم ، وكثرة الأكل والدليل على ذلك أننا نجد أكثر الدول استهلاكاً للقمح ، والمواد الغذائية الأخرى هي الدول الإسلامية إذا ما قارناه بنسبة استهلاك الدول الكافرة .

"" الاسراف في الولائم "" :

حبذ الإسلام إقامة الولائم في المناسبات التي قد تمر بحياتنا مثل : ولائم الأفراح ، والعقيقة ، وقد تأسى المسلمون بسنة النبي صلى الله عليه وسلم في هذه المناسبات ، حيث كان يولم عليه الصلاة والسلام حين تصادفه

(١) الأعراف (٣٢) .

(٢) التفسير الكبير ٢٨ / ٢٥ .

مثل تلك المناسبات ، كما أن الرسول عليه الصلاة والسلام قد أمر بعض أصحابه بإقامة اللوائم وأمر المدعويين بإجابة الداعي إلى الوليمة ، واستشهد على ذلك بما جاء في الأحاديث الصحيحة :-

روى البخارى بسنده :

(عن أنس رضي الله عنه قال : مَا أَوْلَمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيَّ شَيْئًا مِنْ نِسَائِهِ مَا أَوْلَمَ عَلَيَّ زَيْنَبُ أَوْ لَمْ بِشَاءَةٍ)^(١) .

يريد أنس أن يبين بهذا الحديث تبسيط اللوائم ، وعدم المبالغة فيها وأن أي صانع لوليمة مهما قيل عن سخائه فإنه لا يبلغ قطرة في سخاء أجود الناس وأكرم الناس محمد صلى الله عليه وسلم ، ولو أراد أن يولم بعشرات الشياه لفعل صلى الله عليه وسلم وهو الذي ساق مائة بدنة حين أراد الاعتمار ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم سن الوليمة لأنها تؤكد المحبة بين أفراد المسلمين ، وتشعر المسلمين بالمشاركة في أفراحهم ، على أن الرسول صلى الله عليه وسلم حريص كل الحرص على أن لا تأخذ هذه اللوائم طابع السرف . وكما أن الرسول صلى الله عليه وسلم طبق هذه السنة بنفسه فقد أمر أصحابه أن يستنوبها :

روى البخارى بسنده :

(عن أنس قال : لَمَّا قَدِمُوا الْمَدِينَةَ نَزَلَ الْمُهَاجِرُونَ عَلَى الْأَنْصَارِ فَنَزَلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ عَلَى سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ فَقَالَ : أَقَاسِمُكَ مَالِي وَأَنْزِلُهُ لَكَ عَنْ إِحْدَى امْرَأَتِي ، قَالَ : بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِي أَهْلِكَ وَمَا لَكَ فَخَرَجَ إِلَى السُّوقِ فَبَاعَ وَاشْتَرَى فَأَصَابَ شَيْئًا مِنْ رِاقِطٍ ، وَسَمِنَ فَتَزَوَّجَ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " أَوْلَمَ وَلَوْ بِشَاءَةٍ)^(٢) .

وفي وجوب اجابة الوليمة والدعوة وحث الناس على ذلك ما رواه أيضا البخارى بسنده :

(عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

-
- (١) صحيح البخارى ١٤٢/٦ باب الوليمة ولو بشاه / كتاب النكاح .
 (٢) صحيح البخارى ١٤٢/٦ باب الوليمة ولو بشاه / كتاب النكاح .

قال " إِذَا دُعِيَ أَحَدُكُمْ إِلَى الْوَلِيمَةِ فَلْيَأْتِهَا " (١) .

من الأحاديث السابقة يتبين لنا فضيلة إقامة الوليمة للعرس ونحوه من الأفراح وهي سنة حسنة سنّها لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم تعبيراً عن الفرح ، واطهاراً للبهجة ، والسرور ودعوة لأحبائنا ، وأصدقائنا لمشاركتنا في أفراحنا ، ولم يحدد حداً أدنى أو أقصى لمقدار تلك الولائم ، على أن المسلم الداعي يستطيع أن يحدد كمّ الوليمة لمعرفة بعدد المدعوين ، أما أن يصل الأمر إلى ما نراه اليوم من الاسراف الزائد في صنع الولائم فأمر لا يقره الإسلام ، حيث أصبحنا نرى وليمة العرس تشمل عشرات الذبائح وكميات هائلة من الأرز ، والمكسرات ، والفواكه ، والمشروبات والحلوى تفيض عن حاجة المدعوين وتلقى أخيراً في صناديق القمامة ، وقد لا تستفيد منها حتى الحيوانات فضلاً عن الفقراء لأنهم - غالباً - لا يفتقدون في مثل هذه الولائم ، فتكون بذلك شر الولائم .

وفي هذا المعنى روى مسلم بسنده :

(عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه كان يقول : بِئْسَ الطَّعَامُ طَعَامُ الْوَلِيمَةِ يُدْعَى إِلَيْهِ الْأَغْنِيَاءُ ، وَيَتْرَكُ الْمَسَاكِينُ) (٢) .

قال النووي :

(معنى الحديث الإخبار بما يقع من الناس بعده صلى الله عليه وسلم من مراعاة الأغنياء في الولائم ونحوها ، وتخصيصهم بالدعوة وإيثارهم بطيب الطعام ، ورفع مجالسهم وتقديمهم وغير ذلك مما هو الغالب في الولائم) . (٣)

ومما يؤسف له أن مثل هذا الصنيع أصبح يتنافس فيه المتنافسون ويتبارى فيه المتبارون ، كل ذلك حبا للسمعة ، وافتخارا على الغير بكثرة الكم والأصناف واطهاراً لكرم مصطنع ، وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن إجابة دعوة مثل أولئك الناس ، روى أبو داود بسنده :

-
- (١) صحيح البخارى ٦ / ١٤٣ / باب حق إجابة الوليمة ظ كتاب النكاح .
 (٢) صحيح مسلم بشرح النووي ٩ / ٢٣٦ / باب الأمر بإجابة الداعي إلى دعوة / كتاب النكاح . (وللحديث بقية)
 (٣) شرح الامام النووي على صحيح مسلم ٩ / ٢٣٧ / باب الأمر بإجابة الداعي إلى دعوة / كتاب النكاح .

الأحاديث حجه للجمهور في التفريق بين الغلام والجارية على أنه يجوز
الاقتصار على شاة للغلام بدل شاتين فالعدد ليس شرطاً بل مستحب^(١).

فسنة نبينا صلى الله عليه وسلم تدعو إلى الاحتفال بالأعراس أو
المواليد أو غيرهما من الأفراح بإقامة الولائم ، وإطعام الطعام وتبين لنا
الأحاديث مدى تواضع الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام في
ولائمهم ، أما ما نراه اليوم من إسراف في الولائم لاتعنى الكرم الزائد أو
حب الإطعام على الإطلاق ، لأن المغالاة في بذل المال من أجلها
إهدار للمال ، ومضيعة له واسنائة لاستعماله وهو الإسراف والتبذير
المحرمان شرعا ، وهو أيضا - في حالة الزواج - إرهاب لجيب الزوج الذي
هو مقبل على حياة جديدة يحتاج فيها إلى الكثير من النفقات الأخرى التي
قد يتجه فيها أيضا إلى الإسراف فيثقل كاهله بالديون وإن لم يكن
فإرهاب ميزانيته^(٢) وبداية حياته الزوجية بميزانية مضطربة ستؤثر عليه أعواما
طويلة ، وكان الأولى الاقتصاد قدر الإمكان سواء من متوسطي الحال أو حتى
من جانب الأغنياء الذين أوتوا أموالا طائلة وهذه الأموال المهذرة لو
استغلت في أي مشروع لعاد على صاحبه وعلى مجتمعه بالخير .

ومن الولائم ما هي شر محض حذر الإسلام من حضورها لأن حضورها
إقرار للمنكر مثل تلك الولائم التي يشرب فيها الخمر ، أو يراقص فيها
الرجال النساء ، وامتناع المسلم عن إجابة دعائها هو الدين ، لأن هذه
الولائم فيها معاورة الخمرة المحرمة ، واختلاط الرجال بالنساء ففي مثلها
عدم الإجابة يكون بعدم تلبية الدعوة أصلا ، إذا علم المدعو ان منكر سيقع
في تلك الوليمة ، جاء في الفتح : (قال ابن بطال : فيه أنه لا يجوز
الدخول في الدعوة يكون فيها منكر مما نهى الله ورسوله عنه لما في ذلك
من إظهار الرضا بها ، ونقل مذاهب القدماء في ذلك ، وحاصله : ان كان
هناك محرّم وقد رعى على ازالته فأزاله؛ فلا بأس وإن لم يقدر؛ فليرجع وإن كان

(١) فتح الباري ٩ / ٤٨٧ باب إماطة الأذى عن الصبي في العقيقة / كتاب
العقيقة / بتصرف .

(٢) ميزانية اسم اصطلاح اطلاقه على الاداره الماليه للدولة أو الاسرة .

مما يكره كراهة تنزيه فلا يخفى الورع ، قال ابن حجر : وقد فصل الغلماة ذلك :
قالوا إن كان لهوا مما اختلف فيه فيجوز الحضور والأولى الترك وإن كان
حراما كشرب الخمر نظر فإن كان المدعو ممن اذا حضر رفع لاجله فليحضر
وإن لم يكن فالأولى أن لا يحضر . والوجه الثاني للشافعية تحريم الحضور
إن علم فيها المنكر وإن لم يعلم حتى حضر فليخرج إلا ان خاف على نفسه من
ذلك وعلى ذلك جرى الحنابلة (١)

” الاسراف في الكلام ” :

وصف الله سبحانه وتعالى عباده المؤمنين ومدحهم في غير موضع من
كتابه العزيز بصفات جليلة ، أهمها إعراضهم عن اللغو :

قال تعالى :

(قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ، الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَشِعُونَ ، وَالَّذِينَ هُمْ
عَنِ اللُّغُوِّ مُعْرِضُونَ) (٢) .

وقال تعالى :

(وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللُّغُوِّ مَرًّا كِرَامًا) (٣) .

وقال تعالى :

(وَإِذَا سَمِعُوا اللُّغُوَّ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلِكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ
لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ) (٤) .

(واللغو : مصدر لغا يلغو ويلغى ، ولغى يلغى لغا إذا أتى بما

لا يحتاج إليه في الكلام أو بما لا خير فيه أو بما يلغى إثمه) (٥) .

قال النسفي :

(اللغو كل كلام ساقط حقه أن يلغى كالكذب والشتم ، والهزل يعنني

أن لهم من الجد ما شغلهم عن الهزل ولما وصفهم بالخشوع في الصلاة

(١) فتح الباري ٩ / ٢٠٤ باب هل يرجع اذا رأى منكرا في الدعوة / كتاب
النكاح ببعض التصرف .

(٢) المؤمنون (١ - ٣) .

(٣) الفرقان (٧٢) .

(٤) القصص (٥٥) .

(٥) القرطبي ٩٩ / ٣ : في تفسير قوله تعالى (لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللُّغُوِّ فِي سَبِي
أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبْتُمْ قُلُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) البقرة ٢٢٥ .

أتبعه الوصف بالاعراض عن اللغو ليجمع لهم الفعل ، والتارك الشاقين على
الأنفس اللذين هما قاعدتا بناء التكليف (١) .

والكلام الذي هو اللغو مصدره اللسان الذي هو نعمة من نعم الله
التي لا تحصى على الإنسان ، وعلى المسلم أن يصون هذه النعمة ويشكر
الله عليها بحسن استخدامه للسانه فهو وسيلة التعبير عما يخالج الشعور ،
وقد خص الله الإنسان بالكلام والبيان ، وقد ربط الشرع باللسان محرمات
كثيره منها الغيبة ، والنميمة ، والكذب وشهادة الزور وقذف المحصنات
الغافلات وهي من أخطر آفات اللسان لأنها تؤدي إلى إشاعة الحقد ،
والكراهية بين الناس مما ينتج عن ذلك تفكك المجتمعات ، وانهيار القيم
وهي أمور نهانا عنها الشرع في كتاب الله تعالى وسنة نبيه عليه الصلاة
والسلام . وتحريمها معروف للعامة من الناس فضلا عن الخاصة ، ولا أريد
أن أخوض في تفاصيلها لأنها خروج عن موضوع البحث ، ولكني أقصد إلى
نوع من الإسراف في الكلام مما هو خطر محض يقع فيه المسلمون بقصد ، أو
بدون قصد وقد لا يلتفت إليه كثير من الناس وهو الجلوس الساعات الطوال
للثرثرة ، أو الاستماع لمجالس الثرثرة وعرض النكات التي تدور مواضيعها على
تقليد بعض الناس أو السخرية من آخرين بحيث أصبحت تخرج لمثل هذه
المواضيع السخيفة البرامج الخاصة في وسائل الإعلام باسم الضحك ، وراح
المسلمون يحاكون غيرهم في كل شيء لا يراعون فيه حلالا ، أو حراما ، وكأن
الضحك أصبح زاد الكثير من الناس مع أن الاسلام نهى عن كثرة الضحك .

روى الترمذى بسنده :

(عن أبي هريره قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يأخذ
لي عني هؤلاء بكلمات فيعمل بهن أو يعلم من يعمل بهن فقال أبو هريرة فقلت
يارسول الله فأخذ بيدي فعد خمسا وقال : اتق المحارم تكن أعبد الناس ، -
وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس ، وأحسن إلى جارِك تكن مؤمنا ،
وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلما ولا تكثر من الضحك فإن كثرة
الضحك تميت القلب) (٢) .

(١) النسفي ١١٤/٣ .

(٢) جامع الترمذى ومعه عارضه الاحوذى ١١٤/٩ باب من اتقى المحارم
فهو أعبد الناس / ابواب الزهد .

فكثرة الضحك تमित القلب بأن تصرفه عن العمل الصالح وتجعله مغمورا في الظلمات ، ومن صفات الرسول صلى الله عليه وسلم أنه كان في معظم أحواله مبتسما . روى البخارى بسنده :

(عن عائشة رضی الله عنها قالت : ما رأيتُ النبيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ مَسْتَجْمِعًا قطُّ ضاحِكًا حتَّى أرى مِنْهُ لَهَوَاتِهِ إِنَّمَا كَانَ يَتَبَسَّمُ)^(٣) .

جاء في الفتح : (والذي يظهر من مجموع الأحاديث أنه صلى الله عليه وسلم كان في معظم أحواله لايزيد على التبسم وربما زاد على ذلك ضحك ، والمكروه من ذلك إنما هو الإكثار منه أو الإفراط فيه لأنه يُذهب الوقار وقال ابن بطال: والذي ينبغي أن يقتدى به من فعله ما واظب عليه من ذلك)^(٤) .

وما يرى الآن من برامج الثرثرة ، والسخرية فإنما حصلت نتيجة عن غيبة الدين وعدم استشعار الهدى النبوي مما جعل هؤلاء الهازلين يستولون على قطاع كبير من المجتمع الى حد أن الناشئة من فئات أكبادنا تعودوا كثرة الثرثرة ، واللغو وأصبح الأطفال يتبارون بمحاكاة فلان ، أو فلانة ممن الذين يظهرون على أجهزة الرائي في المنازل . ولم يكتف الهازلون بتقليد بعض الممثلين ، أو عوام الناس بل وصل استهتارهم بالدين الى الحد الذي لاينبغي السكوت عليه وهو السخرية بعلماء الدين ومدربي اللغة العربية ، فأحيانا يحاولون تمثيل القاضي ، وإبرازه بدور الأحق أو الظالم وكذلك ابراز المأذون بدور الطماع وكذا مدرس اللغة العربية يأتون به في دور الزرى الهيئة ، وكل ذلك إساءة لديننا دون أن نشعر ، وغرس كراهية علماء الدين واللغة في نفوس الناشئة ، وما ذلك إلا حصاد الغزو الفكري الذي يدس لنا السم في الدسم ليحط من قيمة العالم والدين واللغة في نظر المسلمين فيقل بذلك ولاؤهم لدينهم وعلمائهم وللغتهم ، وليتبعوا أفكار الغرب المشحونة ضدنا بالعداوة والبغضاء فيكون بعضنا أداة الدمار

-
- (١) مستجمعا : أى مبالغيا في الضحك لم يترك منه شيئا يقال استجمعا السيل اجتمع من كل موضع . (الفتح ٤١٦/١٠) .
- (٢) لهواته : اللهوات يفتح اللام والهاء وهي جمع لها وهي اللحمية التي بأعلى الحنجرة من أقصى الفم . الفتح ٤١٦/١٠ .
- (٣) صحيح البخارى ٧/٩٤-٩٥ باب التبسم والضحك / كتاب الأدب .
- (٤) فتح البارى ١٠/٤١٥ باب التبسم والضحك / كتاب الأدب .

على الدين والوطن وهذا ما خطط له أعداؤنا من الشرق والغرب ونجحوا فيه أوكادوا فاستحلوا بذلك قطاعاً كبيراً من ثرواتنا القومية ، وما عسرف المسلمون كلمة تسلية ، وكلمة شغل الفراغ إلا في هذه العصور التي أنقطعت بها صلة المسلم بدينه وانشغاله بالباطل وتركه الجهاد في سبيل الله ، فإن كان الاسلام قد منع سب المسلم لكافر فمن باب أولى منع سخرية المسلم بالمسلم أو سبه . قال تعالى :

(وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيْنًا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١) .

قال ابن كثير :

(يقول الله تعالى ناهياً لرسوله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين عن سب آلهة المشركين وإن كان فيه مصلحة وإلا أنه يترتب عليه مفسدة أعظم منها وهي مقابلة المشركين بسب إله المؤمنين وهو الله لا إله الا هو) .
وهذا ما عرف عند علماء المسلمين بسد الذرائع .

وفي احترام المسلم للمسلم قال تعالى :

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءِ عَسَىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِاللُّغَابِ بِغِسِّ الْأَسْمِ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٣) .

ولا يفهم من انتقادي لتلك البرامج المضحكة أنني أحرم الضحك ولكن أحارب الإكثار منه وأحارب التميع والانحلال الذي يعدم الناس رجولتهم ويذهب ببيئاتهم وأحارب الوسائل التي تستعمل لتضحيك الناس أو الهائهم عن دينهم بالأحرى أما المزاح الذي تدور مادته على الحق - فإنه ترويح للقلوب ، لأن القلوب إذا كلت عميت . والذي لا يؤذي المشاعر والذي يحصل به انبساط وطيب قلب فلم يئنه عنه شريطة عدم مداومة عليه ، وشريطة أن لا يقال

(١) الأنعام (١٠٨) .

(٢) تفسير ابن كثير ١٦٥/٢ .

(٣) الحجرات (١١) .

فيه الا حق كفعل النبي صلى الله عليه وسلم والذي أخبرتنا به بعض الأحاديث الشريفة . روى الترمذى بسنده :

(عن أبي هريرة قال : قالوا : يا رسول الله اذكنا تداعبنا قال : " إني لا أقول إلا حقاً " (١) .

(وعن الحسن قال : أتت عجوز إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله أدع الله أن يدخلني الجنة ، فقال صلى الله عليه وسلم يا أم فلان : (إن الجنة لا يدخلها عجوز ، قال فولت تبكي فقال : أخبروها أنها لا تدخلها وهي عجوز ، إن الله تعالى يقول : (إِنَّا أَنشَأْنَهُنَّ إِنثَاءً فَجَعَلْنَهُنَّ أَبْكَارًا) (٢) (٣) .

إلى غير ذلك من الأحاديث التي تدل على مداعبة الرسول لإصحابه أحيانا دون الخروج فيها عن قول الحق ، كيف وهو صلى الله عليه وسلم لا ينطق عن الهوى . نعم . . آفات اللسان كثيرة ومعروفة ، وكف اللسان عنها أمر مطالب به المسلم فيما تيانها الخسران ، والعذاب وبالانتها عنها الفلاح والثواب فعلى المسلم أن يتحرى الصدق والحق في كلامه وإلا فليلزم الصمت وقد أمرنا رسولنا عليه السلام بذلك ، روى البخارى بسنده :-

(عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكَلِّمْ خَيْرًا أَوْ لِيُصْمِتْ) (٤) .

قال ابن حجر :

(هذا من جوامع الكلم لأن القول كله إما خير ، وإما شر ، وإما آيئل إلى أحدهما فدخل في الخير كل مطلوب من الأقوال فرضها ، وندبها فأذن فيه على اختلاف أنواعه ودخل فيه ما يؤول إليه ، وما عدا ذلك مما هو شر أو يؤول إلى الشر فأمر عند ارادة الخوض فيه بالصمت) (٥) .

(١) جامع الترمذى ومعه عارضة الاحوذى ١٥٧/٨ باب ما جاء في المزاح / أبواب البر والصلة .

(٢) الواقعه (٣٥ - ٣٦) .

(٣) المختصر في الشمائل المحمدية للترمذى ص (٢٦٥) باب مزاح رسول الله صلى الله عليه وسلم / محمود سامى بك (طبعة أولى) قال العراقى اخرجته الترمذى في الشمائل هكذا مرسلًا واسند هـ ابن الجوزى في الوفاء من حديث انس بسند ضعيف / المغنى عن حمل الاسفار ١٢٩/٣ .

(٤) صحيح البخارى ١٨٤/٧ باب حفظ اللسان / كتاب الرقاق .

(٥) فتح البارى ٣٦٦/١٠ / باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره كتاب الأدب .

والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ، ويده ذلك أن اللسان سلاح ذو حدين ، فإن صانه صاحبه عن الأمور المنهي عنها ولم يسرف في الكلام حتى المباح منه وشغل وقته بالتعلم ، والتفكر في القرآن الكريم وذكر الله تعالى فإنه يكون بذلك قد جمع فضيلتين عظيمتين : أولاهما تحصين دنياه بعدم انفلات لسانه بكلام قد يؤذي الآخرين ، وثانيتهما تحصين نفسه لآخرته بطاعة الله سبحانه وتعالى في حفظ لسانه ، واشتغاله بالعبادة ، والذكر ، والتلاوة بالمأجور عليها فاعلمها لأن أغلب عذاب الناس يوم الحساب سببه اللسان . روى الترمذى بسنده :

عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال (قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَإِنَّا لَمُؤَاخِذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ ؟ فَقَالَ : كُكَلِّتَكَ أُمَّكَ يَا مُعَاذُ وَهَلْ يَكُوبُ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ أَوْ عَلَى مَنَازِحِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ) (١) .

وقد ضمن رسولنا الكريم صلوات الله وسلامه عليه الجنة لمن يستطيع أن يكبح جماح لسانه عن الإسراف في الكلام ، ويكبح جماح فرجه عن الوقوع في الحرام .
روى البخاري بسنده :

(عن سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ ، وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ أَضْمَنْ لَهُ الْجَنَّةَ) (٢) .

ولا يفوتني أن أقول في هذا المقام أن أكثر الناس شرثرة ، وأكثرهم تهكما بالغير وسخرية بالناس هم أهل الترف أصحاب القلوب القاسية ، والمعنى المتخمة الذين يجدون المال ، والوقت ، والفراغ فلا يشغلون أوقاتهم إلا بالكلام عن الناس ، والاستهزاء بالغير .

ونهاية الكلام أن من كف لسانه عن أذى الناس صان نفسه من السنة الناس قدر الإمكان وما أجمل كلام الشافعي حيث قال :
إذا شئت أن تغياً سليماً من الأذى : وذنبك مغفوراً وعرضك صين
لسانك لا تذكر به عبورة امرئ : فكلك عورات وللناس ألسن

(١) من حديث رواه الترمذى في ابواب الايمان / باب ما جاء في حرمة الصلاة ١٠ / ٨٨ (جامع الترمذى ومعه عارضه الاحوذى .

(٢) صحيح البخارى ٧ / ١٨٤ / باب حفظ اللسان / كتاب الرقاق .

" الاسراف في النوم " :

تكرم الله سبحانه وتعالى علي البشر بنعمة النوم إراحة لأبد انهم وعقولهم بعد الكد ، والتعب ، وطول الفكر في النهار ، وجعل سبحانه وتعالى الوقت الطائم للنوم هو الليل .

قال تعالى :

(وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِيَأْسَوا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا)^(١) .

وقال تعالى :

(وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ، وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَأْسًا)^(٢) .

قال الرازي :

(يعلم أنه تعالى شبه الليل من حيث أنه يستر الكل ، ويغطي باللباس الساتر للبدن ، ونبه على مالنا فيه من النفع بقوله تعالى :

(والنوم سباتا) ، والسبات هو الراحة وجعل النوم سباتا لأنه سبب الراحة)^(٣) .

قال الزمخشري :

(والسبات : الموت والمسبوت الميت لأنه مقطوع الحياة وهذا كقوله تعالى : (وَهُوَ الَّذِي يَتَوَقَّكُمْ بِاللَّيْلِ)^(٤) فإن قلت : هلا فسرت بالراحة ؟ قلت : النشور في مقابلته يأباه ، وهذه الآية مع دلالتها على قدرة الخالق فيها إظهار لنعمته على خلقه ، لأن الاحتجاب بستر الليل كم فيه لكثير من الناس من فوائد دينيه ودنيويه)^(٥) .

ومع أن الله سبحانه ، وتعالى خلق لنا الليل ، وجعل لنا فيه النوم إلا أننا نرى كثيرا من الناس يسرفون في السهر غير النافع والسمر فيقلبون ليلهم نهارا ، ونهارهم ليلاً ، وياليتهم سهروا بصحبة القرآن ، والاستغفار ولكنهم سهروا بصحبة المعازف ، والأفلام التي يأبى العاقل تضييع وقته فيها ،

(١) الفرقان (٤٧) .

(٢) النبأ (٩ - ١٠) .

(٣) التفسير الكبير ٢٤ / ٨٩ .

(٤) الأنعام (٦٠) .

(٥) الكشاف ٣ / ٩٤ - ٩٥ .

ومما يؤسف له أن مثل أولئك الناس الذين يقضون الليل طوله ، وعرضه يسهرون ويسمرون لا يراودهم النوم والنعاس إلا قبيل صلاة الصبح بدقائق فكانوا بذلك أعوانا للشيطان حين ضيعوا صلاة من أهم الصلوات المكتوبة إلى غير ما تحملوه من الإثم لسماع أصوات وروئية صور النساء من خلال الأغاني والأفلام .

والتأخر في السهر من أجل السمر ، ونحوه أمر نهى عنه الرسول صلى الله عليه وسلم ، روى البخارى بسنده عن أبي برزة (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : كان يكره النوم قبل العشاء والحديث بعدها)^(١) . قال ابن حجر : (ان هذه الكراهة مخصوصة بما اذا لم يكن في أمر مطلوب ، والسمر بعدها قد يؤدي الى النوم عن الصبح أو عن وقتها المختار أو عن قيام الليل ، وكان عمر بن الخطاب يضرب الناس على ذلك ويقول : أسمرا أول الليل ونوما آخره)^(٢) .

وقال صاحب بذل المجهود في شرحه لنحو الحديث السابق :-

(يقول كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهى عن النوم قبلها أي العشاء لما فيه خوف فوت جماعة العشاء والحديث بعدها ، أي بعد صلاة العشاء لأنه يؤدي إلى تفويت قيام الليل بل وصلاة الصبح)^(٣) .

وعلى الإنسان أن لا يستسلم للنوم الكثير لأن النوم الكثير يورث الكسل والكسل يبطل الإحساس ، والشعور ، وعليه حين نومه أن يحرس نفسه ببعض الأدعية المأثورة عن الرسول صلى الله عليه وسلم فالشيطان كما يحاول فتنه اليقظ فهو يحاول فتنة النائم بتزيين النوم واغرائه بطول الليل لمنع النائم من الاستيقاظ للتهجد وصلاة الصبح .

روى مسلم بسنده :

(عن الأعرج عن أبي هريرة يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم : يَعْقِدُ

(١) صحيح البخارى ١/١٤٢ باب ما يكره من النوم قبل العشاء / كتاب مواقيت الصلاة .

(٢) فتح البارى ٢/٣٩٩ باب ما يكره من النوم قبل العشاء ، وايضا ص ٥٨ باب ما يكره من السمر بعد العشاء / باب مواقيت الصلاة .

(٣) بذل المجهود ١٩/٩٦ / باب فى السمر بعد العشاء / خليل أحمد السهارنفورى .

الشَّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ ثَلَاثَ عُقَدٍ إِذَا نَامَ بِكُلِّ عَقْدَةٍ يَضْرِبُ عَلَيْكَ لَيْلًا طَوِيلًا فَإِذَا أُسْتَيْقِظَ فَذَكَرَ اللَّهَ انْحَلَّتْ عَقْدَةٌ وَإِذَا تَوَضَّأَ انْحَلَّتْ عَنْهُ عَقْدَتَانِ ، فَإِذَا صَلَّى انْحَلَّتْ الْعُقَدُ فَأَصْبَحَ نَشِيطًا طَيِّبَ النَّفْسِ ، وَإِلَّا أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسَلَانَ (١) . .

قال النووي في شرح الحديث :

(القافية آخر الرأس ، قوله : (عليك ليلا طويلا) أي بقي عليك ليل طويل واختلف العلماء في هذه العقد فقيل هو عقد حقيقي بمعنى عقد السحر للإنسان ، ومنعه من قيام الليل ، قال الله تعالى : (ومن سحر النفاتات في العقد) فعلى هذا هو قول يقوله يؤثر في تشييط النائم كتأثير السحر ، وقيل : يحتمل أن يكون فعلا يفعل كفعل النفاتات في العقد وقيل : هو من عقد القلب ، وتصميمه ، فكأنه يوسوس في نفسه ، ويحدثه بأن عليك ليلا طويلا فتأخر عن القيام وقيل : هو مجاز كنسي به عن تشييط الشيطان عن قيام الليل ، وقوله صلى الله عليه وسلم " فأصبح نشيطا طيب النفس " معناه لسروره بما وفقه الله الكريم له من الطاعة ، ووعده به من ثوابه مع ما يبارك له في نفسه ، وتصرفه في كل أموره ومع ما زال عنه من عقد الشيطان وتشييطه .

وقوله صلى الله عليه وسلم " وإلا أصبح خبيث النفس كسلان " معناه لما عليه من عقد الشيطان وآثار تشييطه واستيلائه مع أنه لم يزل ذلك عنه (٢) .

ومن الملاحظ أن أغلب المسلمين في هذا الزمن قد حرموا قيام الليل وصلاة التهجد نتيجة السهر الطويل أمام جهاز الزائى وقد لا يقوم أحد هم للتهجد ، إلا ندرة ، وقد يفعلها لأمر خارج عن إرادته ، كأرق لهم ، أو غم ألم به . فإن أزال الله الهم ، وألغى عنه ترك صلاة التهجد مع أن الرسول عليه الصلاة والسلام والصحابة رضوان الله عليهم لم يكن ليفوتهم قيام الليل فضلا عن صلاة الصبح .

ولا يفوتني في هذا المقام أن أنبه على إسراف النساء في النوم ، وإغفال

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ٦ / ٦٥-٦٦ / باب الحث على صلاة الوقت وان قلت / كتاب صلاة المسافرين وقصرها .

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم ٦ / ٦٥-٦٦ / باب الحث على صلاة الوقت وان قلت / كتاب صلاة المسافرين وقصرها .

القيام صباحا لتحضير الإفطار للزوج ، والأبناء إِعتمادا على الشغالة ، إن وجدت ، أو لتناوله في العمل ، أو المدارس ، فهذا فعل مذموم منك أختي المرأة ، فلا بد للمرأة أن تشرف بنفسها على غذاء زوجها ، وأولادها فقيامها لتقف على احتياجاتهم له أكبر الأثر في بث الحماس ، والنشاط في الزوج ، والأبناء ، وإقبالهم على الحياة ، والعلم والعمل بجد ، وإخلاص إلى جانب المحافظة على صحتهم ، بمراقبة وجبة من أهم الوجبات وهي الإفطار .

ونرى أيضا نوعا آخر من الناس أوتوا من نعم الله ، وفضله الكثير حيث اتخذوا الأجراء لقضاء مصالحهم ، وإدارة أعمالهم فقصوا أغلب أوقاتهم في النوم بالنهار ، والليل فأضاعوا منهم كثيرا من الفرائض والواجبات التي يجب على الإنسان استغلال وقته في تحصيلها قبل فوات الأوان وعدم الاغترار بما آتاه الله ، فهل سيتسنى له في المستقبل الوقت ، والمال والصحة لينال ثواب الله عز وجل ولنا في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ينير لنا الطريق . روى البخاري بسنده :-

(عن ابن عباس رضی اللہ عنہما قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : نعمتان مغبوتون فيهما كثير من الناس : الصحة ، والفراغ^(١)) .

جاء في الفتح : (قال ابن بطال معنى الحديث أن المرء لا يكون فارغاً حتى يكون مكفياً صحيح البدن فمن حصل له ذلك فليحرص على أن لا يغيبن بأن يترك شكر الله تعالى على ما أنعم به عليه ، ومن شكره امتثالاً وأمره ، واجتناب نواهيهِ فمن فرط في ذلك ، فهو المغبون ، وأشار بقوله : كثير من الناس إلى أن الذي يوفق لذلك قليل ، وقال ابن الجوزي : قد يكون الإنسان صحيحاً ، ولا يكون متفرغاً لشغله بالمعاش ، وقد يكون مستغنياً ولا يكون صحيحاً ، فإذا اجتمعا فغلب عليه الكسل في الطاعة ،

(١) صحيح البخاري ٧ / ١٧٠ / باب الصحة والفراغ ولا عيش إلا عيش الآخرة

فهو المغبون ، وتام ذلك أن الدنيا مزرعة الآخرة وفيها التجارة التي يظهر ربحها في الآخرة فمن استعمل فراغه ، وصحته في طاعة الله تبارك وتعالى فهو المغبوط ، ومن استعملها في معصية الله ، فهو المغبون ، لأن الفراغ يعقبه الشغل ، والصحة يعقبها السقم ولو لم يكن إلا الهرم كما قيل :

يَسْرُّ الْفَتَى طَوْلُ السَّلَامَةِ وَالْبَقَا : فَكَيْفَ تَرَى طَوْلَ السَّلَامَةِ تَفْعَلُ
يُرَدُّ الْفَتَى بَعْدَ اعْتِدَالِ وَصْحَةٍ : يَنْوَعُ إِذَا رَامَ الْقِيَامَ وَيُحْمَلُ (١) .

وعلى المرء العاقل الذي آتاه الله الصحة ، وآتاه الله مالا ، أن يجتهد في السعي لمرضاته وقد حذر الرسول صلى الله عليه وسلم جميع الخلق بالمبادرة للعمل الصالح ، قبل مداهمتهم سبعة من الأمور ، أو أحدها ، فَتَعَطَّلَ الْإِنْسَانُ عَنِ التَّقَرُّبِ إِلَى اللَّهِ .

روى الترمذي بسنده عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

(بادروا بالأعمال ^(٢) سبعا هل تنتظرون الا فقرا منسيا ، أو غنى مطغيا ، أو مرضا مفسدا ، أو هرما مفندا ^(٣) ، أو موتا مجهزا ^(٤) ، أو الدجال فشر غائب ينتظر أو الساعة فالساعة أدهى وأمر ^(٥)) .

فالغني الذي توفرت له الصحة والمال ، وكُفِيَ هم السعي على المعاش فأولى له أن يبادر إلى شكر الله عز وجل على نعمة المال الذي آتاه بانفاقه في مرضاته سبحانه وتعالى .

قال ابن العربي في شرح الترمذي :

(قوله فقرا منسيا : المعنى ينسيه طاعة الله وذكره ، أو غنى مطغيا يتجاوز به الحد حتى يشغله عن الدين ، ويحول بينه وبين العبادات كما

(١) فتح الباري ١١ / ١٩٢ / باب الصحة والفراغ ولا عيش الا عيش الآخرة كتاب الرقاق .

(٢) الأعمال : أي الصالحة .

(٣) مفندا : أي موقعا في الغند وهو كلام المخرف .

(٤) مجهزا : أي سريعا (معاني الالفاظ من رياض الصالحين ص ٥٨) .

(٥) جامع الترمذي ومعه عارضة الاحوذى / ٩ / ١٨٥ باب ما جاء في المبادرة بالعمل / كتاب الزهد .

جرى (ثعلبة بن مالك) ^(١) وغيره ، وكما نشاهد في الناس ، أو مرضا مفسدا
يعني حال البدن يخرج به عن الاعتدال ، فتذهب معه القدرة التي بها
تكون العبادة ، أو هرباً مغمداً أي مبلغاً إلى أرذل العمر ، حتى لا يمكن المرء

(١) هو ثعلبة بن حاطب بن عمرو بن عبيد بن أمية بن زيد بن مالك بن عوف
ابن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس الأنصاري شهيد بدر (الإصابة
١/١٩٩ لابن حجر العسقلاني ومعه الاستيعاب/وأسد الغابة ١/٢٨٣
لابن الاثير الجزري) .

(أ) وقد ذكرت قصة ثعلبة في كتب التفسير وغيرها ، وخلصتها أنه طلب من
النبي صلى الله عليه وسلم أن يدعو له أن يرزقه مالا ، فقال له النبي صلى
الله عليه وسلم (يا ثعلبة ، قليل تؤذي شكره خيرٌ من كثير لا تطيقه
إلا أن ثعلبة ألح على رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدعو له فدعا
له فاتخذ غنماً فنمت كما ينمو الدود ، فأحمل صلاة الجماعة وترك الجمعة
ونزلت فريضة الزكاة ، فأرسل إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم عامله
على الصدقة يطلب زكاة ماله فأبى ثعلبة أن يؤديها ، وقال : ما هذه
إلا جزية ما هذه إلا اخت الجزية ، فأنزل الله عز وجل آيات سورة التوبة
(ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله) الى قوله (وبما كانوا
يكذبون) (سبحم ما لبث ثعلبة أن ندم فجاء بـزكاة ماله، إلا أن الرسول صلى
الله عليه وسلم لم يستمع إليه ولم يقبل منه الزكاة ، كما لم يقبلها منه
أبو بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم اثناء خلافتهم حتى هلك ثعلبة في
خلافة عثمان رضى الله عنه .

(ج) قال العراقي : أخرجه الطبراني بإسناد ضعيف .

جاء في أسد الغابة ١/٢٨٩ (قال ابن الكلبي : ثعلبة بن حاطب بن
عمرو . . . الخ شهيد بدرًا وقتل يوم أحد فإن كان هذا الذي في هذه
الترجمة ، فلما ان يكون ابن الكلبي قد وهم في قتله ، أو تكون القصة غير
صحيحة ، أو يكون غيره ، وهو هو لاشك فيه) .

ويقول ابن حجر في الإصابة ١/٢٠٠ (وقد ثبت عن النبي صلى الله
عليه وسلم أنه قال : (لا يدخل النار احد شهد بدرًا والحديبية) وحكى
عن ربه أنه قال لأهل بدر : (اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم) فمن يكون
بهذه المثابة كيف يعقبه الله نفاقاً في قلبه وينزل ما نزل ، فالظاهر انه
غيره والله أعلم) =

(أ) انظر تفسير الكشاف ٢/٢٠٣ والتفسير الكبير ١٦/١٣٨ والقرطبي ٨/٢٠٩

وزاد المسير ٣/٤٧٢ وتفسير ابن كثير ٢/٣٧٣ وتفسير الطبري ١٤/٣٦٩ .
(ب) التوبة (٧٥ - ٧٧) .

(ج) المغنى عن حمل الاسفار في تخريج ما في الاحياء من الاخبار ٣/٢٧٢

حاشية رقم (١) .

معها حركة وقال تعالى : (لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُون) يعنى يقولون بلغ به الهرم الى عدم التحصيل ، أو موتا مجهزا : يعنى قاضيا على العبد بالفناء ، يقال أجهزت على فلان إذا عجلت قتله وأسرت بذهاب نفسه .

المعنى بذلك الحث على المسارعة إلى العمل والمبادرة بالعبادة — والتعجيل بالطاعة ، فإن العبد بين هذه السبعة الأحوال في قواطع عن الأعمال إما يفقر وإما بغنى وإما بكبر وإما بموت وهو أشده على العبد ، فإذا تذكر العبد الموت وكان منه على رصد إذا هوله بالمرصاد انقطع أمله ، وكثر عمله وهانت عليه لذاته ، ولم يكن للدنيا قدر عنده (١) .

= وقد حقق في مدى صحة قصة ثعلبة بن حاطب (عدا ب محمود الخمش) فقال : إن الأحاديث والآثار التي اعتمد عليهما كل من سمي ذلك الرجل الذي قيل : ان الآيه فيه . وهي كلها واهية لا تصح (وان - ثعلبه واخوانه براء) (د) والظاهر أنه الصحيح والله أعلم .

(١) عارضة الاحوذى بشرح صحيح الترمذى ٩ / ١٨٥ - ١٨٦ - باب ما جاء في المبادرة بالعمل / أبواب الزهد .

(د) انظر كتاب (ثعلبه بن حاطب الصحابي المفتري عليه) ص ١١٣ وما قبلها وما بعدها . تأليف (عدا ب محمود الخمش) الطبعة الثانية .

—————

” الفصل الثانی ”

” الكبر واحتقار الفقراء والمستضعفين ”

من أسوأ أخلاق المترفين الممقوتة الكبر ، وقد ذم الله سبحانه وتعالى هذا الداء العضال في مواضع من كتابه العزيز ، وذم كل جبار متكبر ، لأن من يتصف بهذه الصفة سقيم مريض ممقوت بغیض عند الله وعند الناس .

قال تعالى :

(سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلاًّ آيَةً لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ (١) .

قال النسفي في المعني :

((سأصرف عن آياتي) عن فهمها قال ذو النون قدس الله روحه : أبى الله جل وعلا أن يكرم قلوب البطالين بمكنون حكمة القرآن (الذي يمتكبرون) يتناولون على الخلق ويأنفون عن قبول الحق ، وحقيقته التكلف للكبرياء التي اختصت بالباري عزت قدرته (في الأرض بغير الحق) هو حال أي يتكبرون غير محقين ، لأن التكبر بالحق لله وحده (وأن يروا كل آية) من الآيات المنزلة عليهم (لا يؤمنوا بها وإن يروا سبيل الرشد) طريق الصلاح وطريق الهدى - (لا يتخذوه سبيلا وإن يروا سبيل الغي) الضلال (يتخذوه سبيلا) ذلك الصرف (بأ أنهم كذبوا بآياتنا) بسبب تكذيبهم (وكانوا غافلين) غفلة عناد وإعراض لا غفلة سهو وجهل (٢) .

واللطيف الخبير يعلم من يحمل في قلبه أدنى من حبة خردل من كبر ، أو غيره وقد بين الله تعالى أن المتكبر مبعوض عنده مبعده من رحمته .

حيث قال تعالى :

(لَا جْرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ (٣) .

(١) الأعراف (١٤٦) .

(٢) النسفي ٧٦/٢-٧٧ .

(٣) النحل (٢٣) .

وقد توعد الله سبحانه وتعالى وهدد كل متكبر بالعذاب الأليم فقد
 أعد الله لهم مكانا مرموقا في جهنم يليق بحال المتكبرين ، قال تعالى :
 (الَّذِينَ تَتَوَفَّيهِمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ فَأَلْقَوْا السَّلَمَ ، ^(١) مَا كُنَّا نَعْمَلُ
 مِنْ سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ، فَأَدْخَلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ
 فِيهَا فَلَيْئَسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ) ^(٢) .

وذلك لأنه لا ينبغي لمخلوق أن يتكبر ، لأن الكبرياء لله تعالى وحده
 فمن تخلق به ، فكأنه يريد أن يشارك الله تعالى في هذه الصفة المختصة
 بالله سبحانه وتعالى ، وقد صرح بتحريمه فيما رواه مسلم بسنده :-

(عن أبي سعيد الخدرى وأبي هريرة رضى الله عنهما قالا : قال رسول
 الله صلى الله عليه وسلم [العزيرازرة والكبرياء رداؤه فمن ينازعني عذبه ^(٣))

قال النووي :

(الضمير في إزاره وردائه يعود إلى الله تعالى للعلم به وفيه محذوف
 تقديره قال الله تعالى ومن ينازعني ذلك عذبه ، ومعنى ينازعني يتخلق
 بذلك فيصير في معنى المشارك ، وهذا وعيد شديد في الكبر مصحح
 بتحريمه) ^(٤) .

ومن تخلق بالكبر ، والعناد . فقد صدق عليه ظن إبليس الذي قعد
 لغواية الناس ، وإغرائهم للتخلق بأخلاقه ، حيث استنكف اللعين عن
 السجود لأدم عليه السلام عاصيا بذلك ربه . قال تعالى :
 (وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ
 وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ) ^(٥) .

إن إبليس اعتبر السجود لأدم عليه السلام إهانة له ، وتحقيرا لشأنه ؛
 لأنه اعتقد أنه خير ممن خلق من الطين مستعظما لنفسه محتقرا لغيره

(١) القوا السلم أى استسلموا وانقادوا عند الموت على هلاف عادتهم في
 الدنيا من العناد والمكابرة .

(٢) النحل (٢٨ - ٢٩) .

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي ١٦ / ١٧٣ / باب تحريم الكبر / كتاب البر
 والصلة والآداب .

(٤) شرح النووي علي صحيح مسلم ١٦ / ١٧٣ / باب تحريم الكبر / كتاب
 البر والصلة والآداب .

(٥) البقره (٣٤) .

وهو آدم عليه السلام .

قال تعالى :

(قَالَ مَا مَنَّكَ إِلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ، قَالَ فَأَهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَّكِبَ فِيهَا فَاخْرُجْ
إِنَّكَ مِنَ الصَّغِيرِينَ) (١) .

(وكان أمر الله تعالى لابليس بالهبوط من السماء التي هي مكان المطيعين المتواضعين من الملائكة إلى الأرض التي هي مقر العصاة من المتكبرين من الثقلين ، وجعله الله سبحانه وتعالى من أهل الصغار ، والهوان على الله تعالى وعلى أوليائه لتكبره ، وذلك أنه لما أظهر إبليس الاستكبار (٢) ألبس الصغار) .

وقد تشبه المتفرون بهذا الخلق السيئ الذي ورثه لهم إبليس اللعين فاستعظموا نفوسهم ، واحتقروا غيرهم ممن هم أقل منهم مالا ، أو جمالا ، أو حسبا ، أو نسبا ، واعتقدوا بذلك أنهم أفضل منهم وامتنعوا عن مخالطتهم أو الجلوس معهم ، كذلك كانوا يأنفون من دعوات الرسل عليهم السلام ومتبعيهم من المستضعفين ، والفقراء ، علاوة على أنهم كانوا يستعملون معهم - أي المتكبرين المترفين مع المستضعفين - كل أساليب التهديد لصددهم عن دعوات الرسل عليهم السلام .

ولو استعرضنا قصص الأنبياء عليهم السلام لوجدنا أن من شيم مترفي قوم كل نبي الاستكبار عن دعوة الحق والاستكبار على الرسل ، والنظر بمنظار الاحتقار لهم ، والتقليل من شأنهم وشأن من اتبعوهم .

فلو ابتدأنا من قوم نوح عليه السلام ، لرأينا التكبر عن قبول الرسالة ، واحتقار المستضعفين واضحا في قصته .

(١) الأعراف (١٢ - ١٣) .
(٢) الكشاف ٦٩/٢ بتصرف .

قال تعالى في سورة نوح عليه السلام وهو يشكوهم الى الله تعالى :
 (وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصْبَعَهُمْ فِيَّ إِذْ أَنبَهُمْ
 وَاسْتَعْصَمُوا بِثِيَابِهِمْ وَأَصْرُوا وَأَسْتَكْبَرُوا أَسْتَكْبَرُوا ^(١) . وكانت حجتهم بعدم
 الايمان ، أن من اتبع نوحا عليه السلام هم من الضعفاء : (قَالُوا أَنُؤْمِنُ
 لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ ^(٢)) .

ومتروا ثمود الذين لم يرتضوا الإيمان بما آمن به المستضعفون . قال
 تعالى : (قَالَ الظَّالِمِينَ أَسْتَكْبِرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتَضَعُّوا لِمَنْ آمَنَ
 مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ ، قَالَ
 الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ^(٣)) .

ونذكر أيضا استكبار مترفي مدين واستضعافهم لشأن أتباع شعيب
 عليه السلام ، وتصميمهم على إخراجهم من قريتهم . قال تعالى : (قَالَ
 الظَّالِمِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَشْعِيبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ
 قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي بِلَدِنَا قَالُوا لَوْ كُنَّا كَاهِنِينَ ^(٤)) .

ولابد أن أذكر في معرض الحديث عن كبر المترفين ، واحتقارهم
 للمستضعفين فرعون ، وقومه الذين كانوا في قمة التكبر ، واحتقار الغير .

قال تعالى :

(ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَىٰ وَهَارُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا
 فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ^(٥)) .

وقال تعالى :

(إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا أَهْلَهَا شِيَعًا ^(٦) يَسْتَضَعِفُ ^(٨) طَائِفَةٌ

(١) نوح (٧) .

(٢) الشعراء (١١١) .

(٣) الأعراف (٧٥-٧٦) .

(٤) الأعراف (٨٨) . (٥) يونس (٧٥) .

(٦) علا في الأرض : استكبر وتجبر وطفى في أرض مصر .

(٧) شيعا : فرقا وأصنافا في طاعته .

(٨) يستضعف : يستعبد ويستذل فريقا منهم وهم بنوا اسرائيل .

مِنْهُمْ يَذِخُّهُمُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي (١) نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ (٢) . (٣)

ويتجلى كبر المترفين ، واحتقارهم للغير في قصة قارون ، الذي أعجب بنفسه ، وبكثرة ماله فأصابه الكبر ، والغرور واستنكف عن القيام بشكر الله والإحسان إلى العباد ، واغتر بأمواله الوفيرة ، وكنوزه الكثيرة واستعلى على قومه وتجبر ، ويقص علينا القرآن الكريم قصة قارون ويطره وأشره ليكون ذلك كله تنفيراً من الكبر ، وعبرة لمن يعتبر . يقول تعالى :

(إِنْ قَرُونٌ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوبًا بِالْعُسْبَةِ أُولِيَ الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ، وَابْتَغَ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ) قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرَ جَمْعًا وَلَا يَسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ، فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا لِيَلْغَيْنَاكَ لَنَا وَمَثَلُ مَا أُوتِيَ قُرُونٌ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ، وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْمَسُهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ ، فَخَسَفْنَا بِهٖ وَبِإِخْوَتِهِ الْأَرْضِ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ ، وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَكَآئِبُ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيَكَآئِبُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ، تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (٤) .

نص القرآن الكريم يدل على أن قارون كان من قوم موسى ، قيل : (كان ابن عم موسى ولم يكن في بني اسرائيل أقرآ منه للتوراة ، ولكنه نافق كما نافق السامري ، وكان يسمى المنور لحسن صورته) . (٥)

أما قوله تعالى (فبغى عليهم) (أي تجاوز الحد في احتقارهم بما خولناه فيه وفيه وجوه :

- (١) يستحي نساءهم : يترك الإناث على قيد الحياة لخدمته وخدمة الأقباط .
- (٢) المفسدين : الراسخين في الفساد المتجبرين في الأرض .
- (٣) القصص (٤) .
- (٤) القصص (٧٦ - ٨٣) .
- (٥) تفسير الخازن ٣ / ٤٤٨ (المطبعة البهية) ، والتفسير الكبير ١٤ / ٢٥ والسراج المنير ٣ / ٩٤ (المطبعة الخيرية) .

الاول : قيل كان عاملا لفرعون على بني اسرائيل وكان يبغى عليهم ويظلمهم .

الثاني : وقال قتاده : بغى عليهم بكثرة المال، ولم يرع لهم حق الايمان بل استخف بالفقراء .

الثالث : قال القفال : بغى عليهم ، أي طلب الفضل عليهم، وأن يكونوا تحت يده .

الرابع : قال الضحاك : بغى عليهم بالشرك، وطمغى عليهم، واستطال عليهم فلم يوفقهم في أمر .

الخامس : قال ابن عباس : تجبر وتكبر عليهم وسخط عليهم .

السادس : قال شهر بن حوشب : بغيه عليهم أنه زاد عليهم في الثياب شبرا وهذا يعود إلى التكبر .

السابع : قال الكلبي : بغيه عليهم أنه حسد هارون على الحبورة (١) .

(روى أهل الأخبار أن قارون كان أعلم بني اسرائيل بعد موسي وهارون وأجملهم وأغناهم وكان حسن الصوت فبغى وطمغى ، وكان أول طغيانه وعصيانه ان الله تعالى أوحى الى موسى أن يأمر قومه ان يعلقوا فسي أرديتهم خيوطا أربعة في كل طرف خيطاً أخضر كلون السماء يذكرون إذا نظروا إليها السماء ويعلمون أنني منزل منها كلامي ، فقال موسى عليه السلام : يارب أفلا تأمرهم أن يجعلوا أرديتهم كلها خضرا فإن بني اسرائيل تحقر هذه الخيوط ، فقال الله تعالى : يا موسى إن الصغير من أمري ليس بصغير ، فإن لم يطيعوني في الأمر الصغير لم يطيعوني في الأمر الكبير ، فدعاهم موسى عليه السلام وقال : إن الله تعالى يأمركم أن تعلقوا في أرديتكم خيوطا خضرا كلون السماء لكي تذكروا ربكم إذا رأيتموها ففعل بنو اسرائيل ما أمرهم به واستكبر قارون ولم يفعل وقال : إنما يفعل هذا الأرباب بعبيدهم لكي يتميزوا عن غيرهم وكان هذا بدء عصيانه وبغيه .

(١) السراج المنير ٩٤/٣ للشربيني/ والتفسير الكبير ٢٥/٤-١٥ .

ولما قطع الله تعالى لبني إسرائيل البحر وأغرق فرعون جعل الحبورة
لهارون عليه السلام فحصلت له النبوة والحبورة وكان له القربان والذبح وكان
لعوسى عليه السلام الرسالة فوجد قارون لذلك في نفسه وقال يا موسى لك
الرسالة ولهارون الحبورة ولست في شيء لا أصبر أنا على هذا فقال موسى
عليه السلام : والله ما صنعت ذلك لهارون ، بل الله تعالى جعلها له ،
فقال قارون : والله لا أصدقك حتى تريني بيانه ، فجمع موسى عليه السلام
رؤساء بني إسرائيل وأمرهم أن يجيئ كل رجل منهم بعصا فجاؤا بها ،
فخرمها وألقاها موسى عليه السلام في قبة له كان يعبد الله تعالى فيها ،
وكان ذلك بأمر الله تعالى ، ودعا موسى عليه السلام أن يريهم بيان ذلك
فباتوا يحرسون عصيهم ، فأصبحت عصا هارون عليه السلام وقد اهتز لها ورق
أخضر ، وكانت من شجر اللوز فقال موسى عليه السلام لقارون : ألا ترى
ما صنع لهارون فقال : والله ما هذا بأعجب مما تصنع من السحر واعتزل
قارون بأتباعه وكان كثير المال والتبع من بني إسرائيل فما كان يأتي موسى
عليه السلام ، ولا يجالس^(١).

أما قوله (وأتيناها من الكنوز ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة) -
قال الرازي فيه أبحاث :-

(الأول) : قال الكعبي : أستم تقولون إن الله لا يعطي الحرام فكيف
أضاف الله مال قارون الى نفسه بقوله " وأتيناها " ؟ وأجاب بأنه لا حجة
بذلك ، وكان هذا الظفر طريق التملك ، أو وصل اليه بالارث من جهات ،
ثم بالتكسب من جهة المضاربات وغيرها وكان الكل محتملا .

(البحث الثاني) : المفاتيح جمع مفتاح بكسر الميم وهو ما يفتح به ، وقيل :
هي الخزائن وقياس واحد ها مفتاح بفتح الميم ، ويقال ناء به الحمل اذا أثقله
حتى أماله ، والعصبة الجماعة الكثيره ، والعصابة مثلها فالعشرة عصبة بدليل
قوله تعالى في اخوة يوسف عليه السلام (ونحن عصبة) وكانوا عشرة لأن يوسف
عليه السلام وأخاه لم يكونا معهم .

(١) السراج المنير ٣ / (٩٤ - ٩٥) الخطيب الشربيني .

وتفسير القرآن أن تلك المفاتيح كانت كثيرة ، وكان كل واحد منها معينا لشيء آخر ، فكان يثقل على العصبه ضبطها ، ومعرفتها بسبب كثرتها .

ثم إنه تعالى بين أنه كان في قومه من وعظه بأمر (أحدها) قوله (لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين) والمراد أن لا يلحقه من البطر ، والتمسك بالدنيا ما يلهيه عن أمر الآخرة أصلا ، وقال بعضهم : إنه لا يفرح بالدنيا إلا من رضى بها واطمأن إليها ، فأما من يعلم أنه سيفارق الدنيا عن قريب لم يفرح بها .

قال ابن عباس : كان فرحه ذلك شركا ، لأنه ما كان يخاف معه عقوبه الله تعالى . (وثانيها) قوله : (وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة) والظاهر أنه كان مقرا بالآخرة ، والمراد أن يصرف المال الى ما يؤديه إلى الجنة ويسلك طريقة التواضع ، (وثالثها) قوله : (ولا تنس نصيبك من الدنيا) لما أمره الواعظ بصرف المال الى الآخرة بين له بهذا الكلام انه لا بأس بالتمتع بالوجوه المباحة (ورابعها) قوله : (وأحسن كما أحسن الله اليك) لما أمره بالإحسان بالمال أمره بالإحسان مطلقا ويدخل فيه الإعانة بالمال ، والجاه ، وطلاقة الوجه ، وحسن اللقاء ، وحسن الذكر ، وإنما قال (كما أحسن الله اليك) ، تنبيها على قوله : (لئن شكرتم لأزيدنكم)^(١) ، (وخامسها) قوله : (ولا تبغ الفساد في الأرض) والمراد ما كان عليه من الظلم ، والبغي وقيل : ان هذا القائل هو موسى عليه السلام ، وقال آخرون بل مؤمنو قومه ، وكيف كان فقد جمع في هذا الوعظ ما لو قيل لم يكن عليه مزيد ، لكنه أبي أن يقبل بل زاد عليه بكفر النعمة فقال : إنما أوتيته على علم عندي وفيه وجوه :

(أحدها) كان قارون أقربنى لإسرائيل للتوارة فقال إنما أوتيته لفضل علمي واستحقاقي لذلك (وثانيها) كان موسى عليه السلام أنزل عليه علم الكيمياء من السماء فعلم قارون ثلث العلم ، ويوشع ثلثه ، وكالب ثلثه ، فخدعهما قارون حتى أضاف علمهما إلى علمه فكان يأخذ الرصاص فيجعله فضة ، والنحاس

(١) ابراهيم (٧) .

فيجعله ذهباً ، (ثالثها) أراد به علمه بوجوه المكاسب ، والتجارات -
(ورابعها) أن يكون قوله : (إنما أوتيته على علمٍ عندي) أي الله أعطاني
ذلك مع كونه عالماً بي وبأحوالي فلو لم يكن ذلك مصلحة لما فعل وقولـه
(عندي) أي عندي أن الأمر كذلك كما يقول المفتي عندي أن الأمر كذلك
أي مذهبي ، واعتقادي ذلك ، ثم أجاب الله تعالى عن كلامه بقوله :
(أو لم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة
وأكثر جمعا) وفيه وجهان : (الأول) يجوز أن يكون هذا اثباتاً لعلمه
بأن الله تعالى قد أهلك قبله من القرون من هو أقوى منه ، وأغنى ، لأنه
قد قرأه في التوراة ، وأخبر به موسى عليه السلام ، وسمعه من حفاظ
التواريخ كأنه قيل له : أو لم يعلم في جملة ما عنده من العلم هذا حتي
لا يغتر بكثرة ماله ، وقوته .

(الثاني) يجوز أن يكون نفياً لعلمه بذلك كأنه لما قيل أوتيته على علم عندي
فتصلف بالعلم وتعظم به ، قيل أعنده مثل ذلك العلم الذي ادعاه ورأى نفسه
به مستوجبا لكل نعمة ، ولم يعلم هذا العلم النافع حتى يقي به نفسه
مصارع الهالكين .

أما قوله (وأكثر جمعا) فالمعنى أكثر جمعا للمال ، أو أكثر جماعة
وعددا ، وحاصل الجواب أن اغتراره بماله ، وقوته ، وجموعه من الخطأ
العظيم ، وأنه تعالى إذا أراد اهلاكه ، لم ينفعه ذلك ، ولا ما يزيد عليه
أضعافاً فأما قوله (ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون) فالمراد أن الله تعالى
إذا عاقب المجرمين فلا حاجة به أن يسألهم عن كيفية ذنوبهم ، وكميتها
لأنه تعالى عالم بكل المعلومات ، فلا حاجة به إلى السؤال .^(١)

قال أبو حيان :

(ولما ذكر تعالى قارون ، ونعمته ، وما آتاه من الكنوز ، وفرحه بذلك
فرح البطرين وادعاه أن ما أوتي من ذلك إنما أوتيه على علم ذكر ما هو
ناشئ عن التكبر ، والسرور بما أوتي فقال : (فخرج على قومه في زينته)

(١) التفسير الكبير ٢٥ / (١٤-١٧) ببعض التصرف .

وكان يوم السبت ، أى أظهر ما يقدر عليه من الملابس ، والمرائب ، وزينة الدنيا . (قال الذين يريدون الحياة الدنيا) قيل : كانوا مؤمنين ، وقال قتادة تمنوه ليتقربوا به الى الله جلت قدرته ، وقيل : رغبة في اليسار والثروة ، وقيل : كانوا كفارا ، وتمنوا مثل ما أوتى قارون ولم يذكروا زوال نعمته ، وهذا من الغبطة ، (إنه لذ وحظ عظيم) أي درجة عظيمة أو نصيب كثير من الدنيا والخط : البخت ، والسعديقال فلان ذو حظ ، وحظيـظ ومحظوظ ، (وقال الذين أوتوا العلم) منهم يوشع ، والعلم معرفة الثواب ، والعقاب ، أو التوكل أو الإخبار ، (ويلكم) دعاء بالشر (ثواب الله) وهو ما أعدّه في الآخرة للمؤمن خير مما أوتى قارون ، (ولا يلقاها) أي هذه الحكمة وهي معرفة ثواب الله ، وقيل : الجنة ، ونعيمها . وقيل : هذه المقابلة وهي قولهم (ثوابُ اللّٰهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمَلَ صَالِحًا) وبخهم بها (إلا الصابرون) على الطاعات ، وعلى قمع أنفسهم عن الشهوات - وقد ذكر المفسرون أن من بغى قارون على قومه - أنه جعل لبغى جعلاً على أن ترمي موسى عليه السلام بطلبها ، وبزنائها وأنها تابت إلى الله وأقرت أن قارون هو الذى جعل لها جعلاً على رمي موسى عليه السلام بذلك ، فأمر الله سبحانه وتعالى الأرض أن تطيعه فقال : يا أرض خذيه ، وأتباعه فحسف بهم في حكاية طويلة الله أعلم بها .

ولما خسف بقارون ومن معه فقال بنو اسرائيل إنما دعا موسى على قارون ليستبد بداره ، وكنوزه فدعا الله جل وعلا حتى خسف بداره ، وأمواله (فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ) من زائدة أي : من جماعة تفيد استغراق وإذا انتفت الجملة ، ولم يقدر على نصره ، فانتفاء الواحد عن نصرته أبلغ (ما كان من المنتصرين) أي لم يكن له في نفسه ممن يمتنع من عذاب الله جل وعلا ، (وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ) يدل وأصبح إذا حمل على ظاهره أن الخسف به ، وداره كان ليلاً ، وهو أفظع العذاب إذا الليل مقر الراحة ، والسكون . والأمس يحتمل أن يراد به الزمان الماضي ، ويحتمل أن يراد به ما قبل يوم الخسف وهو يوم التمني ويدل عليه العطف بالفاء التي تقتضى التعقيب في قوله : (فحسفنا) فيكون فيه اعتقاب العذاب خروجه في زينته وفي ذلك تعجيل . (ومكانه) منزلته في الدنيا من الثروة ، والحشم ، والأتباع ^(١) . (يقولون ويكأن الله)

(١) البحر المحيط ١٣٥/٧ بتصرف طفيف .

قال القرطبي : (وي) حرف تندم .

قال النحاس : أحسن ما قيل في هذا قول الخليل ، وسيبويه ، ويونس والكسائي : إن القوم تنبهوا ، أو نبهوا فقالوا (وي) والمتندم من العرب يقول في خلال تندمه (وي) وقال الكسائي : (وي) فيه معنى التعجب ويروى عنه أيضا الوقف على (وي) وقال : كلمة تفجع ، ومن قال ويك^(١) فوقف على الكاف فمعناه ، أعجب لأن الله يبسط الرزق ، وأعجب لأنه لا يفلح الكافرون (لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا) بالإيمان ، والرحمة ، وعصمنا من مثل ما كان عليه قارون من البغي ، والبطر (لخسف بنا) لكان مصيرنا مصير قارون وخسف بنا الأرض كما خسفها به . (ويكأنه لا يفلح الكافرون) عند الله حيث لا يفوز بالسعادة الكافرون لافي الدنيا ، ولا في الآخرة^(٢) .

ويعقب الله سبحانه وتعالى على قصة قارون المتعالي بقوله : (تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ ، وَلَا فَسَادًا) .

قال الصابوني :

(الإشاره للتفخيم ، والتعظيم أي : تلك الدار العالية الرفيعة التي سمعت خبرها ، وبلغك وصفها ، هي دار النعيم الخالد السرمدي التي فيها ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، نجعلها للمتقين الذين لا يريدون التكبر ، والطغيان ، ولا الظلم ، والعدوان في هذه الحياة الدنيا (والعاقبة للمتقين) أي العاقبة المحمودة للذين يخشون الله تبارك وتعالى ويراقبونه ، ويبتغون رضوانه ، ويحذرون عقابه^(٣)) .

ومن أسوأ أنواع الكبر ما فعله مترفو مكة بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم وكان أول الاستكبار والتعالي على الرسول عليه الصلاة والسلام ، لأنه لم يكن من أهل الترف مع علمهم بعلو نسبه صلى الله عليه وسلم فهم حين اقترحوا أن ينزل القرآن على أحد الرؤساء العظماء ظنا منهم أن العظيم هو الذي يكون له مال ، وجاه لأنهم بهما يقيسون العظمة ، وهذا رأي المستكبرين

(١) يقول القرطبي : ينبغي أن تكون الكاف حرف خطاب لا إسماء لأن (وي) ليست مما يضاف . وإنما كتبت متصلة لأنها لما كثر استعمالها جعلت مع

ما بعدها كشيء واحد .

(٢) الجامع لأحكام القرآن ٣١٩/١٣ .

(٣) صفوة التفاسير ٤٤٧/٢ .

الجاهلين في كل عصر ، وفي كل زمان ومكان ، وقد حكى الله تعالى مقولتهم تلك فقال تعالى :

(وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَيَّ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ) (١) .

لذا كان مترفو مكة حين يرون النبي صلى الله عليه وسلم يستهزئون به ، ويشيرون إليه باحتقار ، وتهكم . قال تعالى :-

(وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُوكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا) (٢) .

قال أبو حيان :

(لم يقتصر المشركون على إنكار نبوة الرسول عليه الصلاة ، والسلام ، وترك الايمان به ؛ بل زادوا على ذلك الاستهزاء ، والاحتقار حتى يقول بعضهم لبعض أهذا الذي بعث الله رسولا ، وإن نافية جواب إذا ومعنى (هزوا) موضع هزء أو مههزء به ، وقيل نزلت في أبي جهل كان اذا رأى الرسول عليه الصلاة والسلام قال : أهذا الذي بعث الله رسولا ؟ ! وأخبر بلفظ الجمع تعظيما لقبه صنعه أو لكون جماعة معه قالوا ذلك ، والظاهر أن قائل ذلك جماعة كثيرة ، وهذا الاستفهام استصغار ، واحتقار منهم أخرجه بقولهم : بعث الله رسولا في معرض التسليم والإقرار وهم على غاية الجحود ، والإنكار سخرية ، واستهزاء ، ولو لم يستهزئوا لقالوا هذا زعم أو ادعى أنه مبعوث من عند الله تعالى رسولا) (٣) . ومثلها قوله تعالى في سورة الأنبياء :

(وَإِذَا رَأَوْكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ ، إِلَهُتِكُمْ وَهُمْ يَذْكُرُونَ) (٤) .

قال الرازي :

((وإذا رأى الذين كفروا) نزلت في أبي جهل و (أهذا الذى يذكر آلهتكم) والذكر يكون بخير ، وبخلافه ، والمعنى أنه يبطل كونها معبودة

(١) الزخرف (٣١) (سبقت الإشارة إلى الآية الكريمة في موقف المترفين من الرسل مبحث الاستهزاء بالوسل .

(٢) الفرقان (٤١) .

(٣) البحر المحیط ٦ / ٥٠٠ .

(٤) الانبياء (٣٦) .

ويقبح عبادتها . وأما قوله تعالى وهم بذكر الرحمن هم كافرون (فالمعنى أنهم يعيبون عليه ذكر آلهتهم التي لا تضر ، ولا تنفع بالسوء ، مع (أنهم بذكر الرحمن) الذي هو المنعم الخالق المحي المميت (كافرون) ولا فعل^(١) . أقبح من ذلك فيكون الهزؤ ، واللعب ، والذم عليهم يعود من حيث لا يشعرون) .

ولم يكن هذا الاستهزاء منهم لعيب في خلقه ، أو خلقه عليه الصلاة والسلام ، فقد كان من أحسن الناس خلقاً وخلقاً ، ولكن عليه صلى الله عليه وسلم لهم بالحجة ، والمعجزة ، وعدم قدرتهم على القدح في حجته ، وتقليد معجزته ، فكانوا في الحقيقة هم محمل الاستهزاء ، ولكنهم لوقاحتهم ، وسفاهتهم وركاكة عقولهم قلبوا القضية ، واستهزؤوا به عليه الصلاة والسلام وادعوا أن الجدير بالرسالة وتلقي الوحي يجب أن يكون أحد عظماء المترفين ، وفاتهم أن العظمة الحقيقية مقياسها عند الله تعالى ، وعند العقلاء ، إنما هي عظمة النفس ، وسمو الروح ، وليس وفرة المال ، والجاه ومن أعظم نفساً ، وأسمى روحاً من محمد صلى الله عليه وسلم .

وفي كبر مترفي مكة واحتقارهم للمستضعفين استنكافهم عن مجالسة الضعفاء ، وهم بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم ، وطلبوا من الرسول عليه السلام أن يطرد المستضعفين من عنده حتى يتسنى لهم الجلوس إليه ، واتباعه ، ولكن الله سبحانه وتعالى عليم بنفوسهم الشريرة ، وما تحمله من كبر ، واحتقار للمستضعفين من المؤمنين ، فانزل فيهم قرآنا .

قال تعالى :

(وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ، وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مِنَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ مَنْ بَيْنَنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ) .^(٢)

(١) التفسير الكبير ٢٢ / ١٧٠ بتصرف طفيف .

(٢) الأنعام (٥٢ - ٥٣) .

ذكر الألوسي في مناسبة الآية الأولى قال :
 (أخرج أحمد والطبراني وغيرهما عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه
 قال : (مر اللأ من قريش على النبي صلى الله عليه وسلم ، وعنده صهييب
 وعمار ، وبلال ، وخباب ، ونحوهم من ضعفاء المسلمين ، فقالوا : " يا محمد
 رضيت بهؤلاء من قوطك أهؤلاء من الله تعالى عليهم من بيننا أنحن نكون
 تبعاً لهؤلاء ، اطردهم عنك فلعلك إن طردتهم أن نتبعك فانزل الله
 تعالى فيهم القرآن (وانذر به الذين)^(١) الى قوله سبحانه : (والله أعلم
 بالظالمين)^(٢) .

ولا دلالة على أنه صلى الله عليه وسلم وقع منه الطرد ليخدش وجهه
 العصمة ، والذي تحكيه الآثار أنه عليه الصلاة والسلام هم أن يجعل لأولئك
 الداعين المتقين وقتاً خاصاً ، ولأشرف قريش وقتاً آخر ، ليتألفوا فيقودهم
 إلى الايمان وأولئك رضى الله عنهم يعلمون ما قصد صلى الله عليه وسلم
 فلا يحصل لهم إهانة ، وانكسار قلب منه عليه الصلاة والسلام)^(٣) .

والتفسير : (الغداة والعشى معنى الأول : ما بين صلاة الفجر ،
 وطلوع الشمس ومعنى الثاني : آخر النهار ، والمراد بهما ههنا الدوام
 كما يقال فعله مساءً ، وصباحاً . والمراد بالدعاء حقيقته ، أو الصلاة ، أو
 الذكر ، أو قراءة القرآن)^(٤) .

(يريدون وجهه) : قال أبو السعود :
 (حال من ضمير يدعون أي يدعونه تعالى مخلصين له فيه وتقييده
 به لتأكيد عليته للنهي فإن الاخلاص من أقوى موجبات الإكرام المضاد للطرد
 (وما عليك من حسابهم من شيء) اعتراض وسط بين النهي ، وجوابه
 تقريراً له ، ودفعاً لما عسى أن يتوهم كونه مسوغاً لطردهم من أقاويل
 الطاعنين في دينهم كدأب قوم نوح حيث قالوا : (وَمَا نُرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ

(١) (وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ
 وَلَا شَفِيعٌ لَّهُمْ يَتَّقُونَ) الانعام (٥١) .

(٢) وجدت في (روح المعاني) طبعة ادارة الطباعة المنيرية قوله (الى قوله سبحانه
 (وهو أعلم بالظالمين) ونص الآية الكريمة (والله اعلم بالظالمين) ١٥٨ / ٧ .

(٣) روح المعاني ١٥٨ / ٧ - ١٦٠ . (٤) المرجع السابق ١٥٩ / ٧ .

هَمْ أَرَادْنَا بِإِدْيِ الرَّأْيِ (١) أَي مَا عَلَيْكَ شَيْءٌ مَا مِنْ حِسَابِ إِيمَانِهِمْ ، وَأَعْمَالِهِمْ الْبَاطِنَةَ حَتَّى تَتَّصِدَى لَهُ وَتَبْنَى عَلَى ذَلِكَ مَا تَرَاهُ مِنَ الْأَحْكَامِ ، وَإِنَّمَا وَظَيْفَتِكَ حَسَبُهَا هُوَ شَأْنُ مَنْصَبِ النَّبُوَّةِ ، إِعْتِبَارَ ظَوَاهِرِ الْأَعْمَالِ ، وَإِجْرَاءِ الْأَحْكَامِ عَلَى مَوْجِبِهَا .

وَأَمَّا بَوَاطِنُ الْأُمُورِ فَحِسَابُهَا عَلَى الْعَلِيمِ بِذَاتِ الصُّدُورِ وَذَكَرَ قَوْلُهُ تَعَالَى : (وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ) مَعَ أَنَّ الْجَوَابَ قَدْ تَمَّ بِمَا قَبْلَهُ لِلْمَبَالِغَةِ فِي بَيَانِ انْتِفَاءِ كَوْنِ حِسَابِهِمْ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِنَظْمِهِ فِي سَالِكِ مَسَالِكِ شَبْهَةٍ فِيهِ أَصْلًا وَهُوَ انْتِفَاءُ كَوْنِ حِسَابِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ عَلَى طَرِيقَةِ قَوْلِهِ تَعَالَى (لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِرُونَ) (٢) ، وَقِيلَ : الضَّمِيرُ لِلْمُشْرِكِينَ وَالْمَعْنَى أَنَّكَ لَا تَتَّخِذُ بِحِسَابِهِمْ حَتَّى يَهْمَكَ إِيمَانُهُمْ ، وَيَدْعُوكَ الْحِرْصَ عَلَيْهِ إِلَى أَنْ تَطْرُدَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى : (فَطَرَدَهُمْ) جَوَابُ النَّفْيِ وَقَوْلُهُ تَعَالَى : (فَتَكُونُ مِنَ الظَّالِمِينَ) جَوَابُ النَّهْيِ (٣) .

(وَالْمُرَادُ : فَتَكُونُ مِنَ الظَّالِمِينَ لِأَنْفُسِهِمْ ، أَوْ لِأَوْلِيائِكَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَوْ فَتَكُونُ مِمَّنْ اتَّصَفَ بِصِفَةِ الظُّلْمِ) (٤) .

(وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ) وَمِثْلُ ذَلِكَ الْفِتْنَةُ الْعَظِيمَةُ ابْتِلَانِيًّا الْأَغْنِيَاءَ بِالْفُقَرَاءِ (لِيَقُولُوا) أَي : الْأَغْنِيَاءُ (أَهْؤُلَاءِ مِنْ اللَّهِ عَلَيْهِمْ مِمَّنْ بَيْنَنَا ؟) أَي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بِالْإِيمَانِ ، وَنَحْنُ الْمُقَدَّمُونَ ، وَالرُّؤُوسَاءُ وَهُمْ الْفُقَرَاءُ ، (إِنكَارًا لِأَنَّ يَكُونُ أَمْثَالَهُمْ عَلَى الْحَقِّ ، وَمَمْنُونًا عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِهِمْ بِالْخَيْرِ ، وَنَحْوَهُ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ) (أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ) (٥) .

(١) (فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرُوكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرُوكَ اتَّبِعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادْنَا بِإِدْيِ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَنْظُرُكُمْ

كفريين) هود (٢٧) .

(٢) الأعراف (٣٤) . (٣) تفسير ابي السعود ١٣٩/٣ .

(٤) روح المعاني ١٦١/٧ .

(٥) النسفي ١٤/٢ .

من خلال ما سبق يتبين مذمة الكبر ، وهوان المتكبرين على الله سبحانه وتعالى ، ذلك أن الكبر في الكافر يصير كفره أقبح ، وجرمه أعظم ، لأنه يزيده عداوة لله عز وجل وللرسول صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين .

قال تعالى :

(فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِّن فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُوا^(١) وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا^(٢)) .

وأما الكبر في المسلم ، فهو يدل على ضعف إيمانه ، وعلى بعده عن دينه ، وعدم اتباعه لأوامر الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم ، لذا نهانا عنه تعالى نهيا صريحا بقوله تعالى :

(وَلَا تَصَعَّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ^(٣)) .

يقول سيد قطب :

(والصعر داء يصيب الأبل فيلوي أعناقها والأسلوب القرآني يختار هذا التعبير للتنفير من الحركة المشابهة للصعرة حركة الكبر ، والآزرار ، وإمالة الخد للناس في تعال ، واستكبار . والمشي في الأرض مرحا هو المشي في تخايل ، ونفخة وقلة مبالاة بالناس ، وهي حركة كريهة يمقتها الله تعالى ، ويمقتها الخلق ، وهي تعبير عن شعور مريض بالذات ، يتنفس في مشيئة الخيلاء^(٤)) .

وقال النسفي في الآية الكريمة :

(ولا تصعر خدك للناس) أي : ولا تعرض عنهم تكبرا ، والصعر داء يصيب البعير يلوي منه عنقه ، والمعنى أقبل على الناس بوجهك تواضعا ولا تولهم شق وجهك وصفحته كما يفعل المتكبرون (ولا تمش في الأرض مرحا)

(١) استنكفوا : انفوا وتعظموا عن عبادة الله .

(٢) النساء (١٧٣) .

(٣) لقمان (١٨)

(٤) في ظلال القرآن ٥ / ٢٧٩٠ .

أى تمرح مرحا لأجل المرح والأشر (إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ) متكبر (فخور) من يعدد مناقبه تطاولاً (١) .

ومثلها قوله تعالى :

(وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طَوَّلًا) (٢) .

ففي قوله تعالى : (إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طَوَّلًا) جاء في حاشية الجمل : (لما كانت مشية المرح شتملة على شدة الوطء ، والتكبر على الأرض بمشيئه عليها ، وعلى التطاول ، قال تعالى في تعليل النهي وكيف تتكبر على الأرض ؛ ولن تجعل فيها خرقا ، وشقا ، وكيف تتعظم وتتطاول ولن تبلغ الجبال طولاً ؟ فأنت أحقر وأضعف من كل واحد من الجمادين ، فكيف يليق بك التكبر ولن يبلغ طولك الجبال ؟ أى تطاولك واستعلاؤك — والمقصود التهكم بالمتكبر (٣) .

ولو استعرضنا الأحاديث الشريفة لوجدناها في ذم الكبر وفضيلة

التواضع وإلحسان إلى الضعفاء كثيرة منها :-

روى البخارى بسنده :

(عن حارثة بن وهب الخزاعي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
(أَلَا أَخْبَرُكُمْ بِأَهْلِ الْجَنَّةِ : كُلُّ ضَعِيفٍ مُتَضَاعِفٍ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لِأَبْرِهِ ، أَلَا
أَخْبَرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ ؟ كُلُّ عَتَلٍ جَوَاطِرٍ مُسْتَكْبِرٍ) =

(١) تفسير النسفي ٢٨٢/٣ .

(٢) الاسراء (٣٧) .

(٣) حاشية الجمل على تفسير الجلالين ٢٢٥/٢ بتصريف طفيف .

(٤) لو أقسم على الله لأبره : أي لو حلف يمينا على وقوع شيء أوقعه الله إكراما له بإجابته سؤاله وصيانتة من الحنث في يمينه وهذا لعظم منزلته

عند الله تعالى (شرح النووي على مسلم ١٦/١٧٥) .

(٥) العتل : الغليظ العنيف وقيل الفاحش الأثم .

(٦) الجواط : بفتح الجيم وتشديد الواو ، وهو الجموع المنوع وقيل الضخم المختال في مشيته (معاني الألفاظ من فتح الباري ٨/٣٨ تفسير

سورة (ن) .

= وبسنده عن أنس بن مالك قال : كانت الأمة من إمام أهل المدينة لتأخذ
بِيدِ رسولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتَنْطَلِقَ بِهِ حَيْثُ شَاءَتْ (١) .

ما المقصود بالضعيف في الحديث الشريف ؟

المقصود به المتواضع للناس الذي حسنت أخلاقه معهم والذي عـرف
بينهم بالسماحة وسعة الصدر ، حتى كأنه للينه وسماحته بين الناس
كالضعيف المستضعف ، الذي اذا رآه أحد لا يظن أن به قدرة على إحداث
فعل مؤثر ، وإلا لكان يعترض بحديث المؤمن القوي خير من المؤمن الضعيف
فليس الحديث ههنا للدعوة إلى التمارض ، والتكاسل فهل كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم ضعيفا ؟ معاذ الله ، بل كان أجلد الناس ، وأشد
الناس ، وأقواهم قلبا ، وعقلا وبدنا ، بل إن وصفه الجسمي لم يعط لأحد
غيره صلى الله عليه وسلم ، فلم يجتمع في مخلوق تناسب الأعضاء ، والأطراف
كما هي في الرسول صلى الله عليه وسلم ، ومع ذلك كان في غاية التواضع
عليه الصلاة والسلام ، قال ابن حجر :

(المقصود من الأخذ باليد لآزمه ، وهو الرفق والانقياد ، وقد اشتمل
على أنواع من الصباغة في التواضع لذكره المرأة دون الرجل ، والأمة دون
الحررة ، وحيث عم بلفظ الاماء أى أمة كانت ، ويقوله حيث شاءت أي ممن
الأمكنة ، والتعبير بالأخذ باليد إشارة إلى غاية التصرف حتى لو كانت حاجتها
خارج المدينة والتمست منه مساعدتها في تلك الحاجة لساعد على ذلك ،
وهذا دال على مزيد تواضعه وبرائه من جميع أنواع الكبر صلى الله عليه
(٢)
وسلم) .

وروى مسلم بسنده عن أبي هريرة قال : (قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم : ثَلَاثَةٌ لَا يَكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ (٣) ، قال معاوية (٤)

-
- (١) صحيح البخارى ٧/٩٨ باب الكبر ، كتاب الادب .
(٢) فتح البارى ١٠/٤٠٣ باب الكبر / كتاب الأدب .
(٣) لا يكلمهم الله : أى لا يكلمهم تكليم أهل الخيرات وبإظهار الرضى بل
بكلام أهل السخط والغضب .
(٤) ولا يزكبيهم : لا يطهرهم من دنس ذنوبهم .

(٢) ولا ينظر إليهم ولهم عذاب أليم : شيخ زان ، وملك كذاب ، وعائل مستكبر (وسببه أن كل واحد منهم التزم المعصية المذكورة مع بعدها منه وعدم ضرورته إليها ، وضعف دواعيها عنده ، وان كان لا يعذر أحد بذنب) .^(٣)

وروى البخارى بسنده عن أبى هريرة يقول : (قال النبى صلى الله عليه وسلم : بينما رجل يمشى في حلقه تعجبه نفسه ^(٤) مرجل جمته ؛ إذ خسف الله به فهو يتجلجل ^(٦) إلى يوم القيامة) نقل ابن حجر عن القرطبي قوله : اعجاب المرء بنفسه هو ملاحظته لها بعين الكمال ، مع نسيان نعمة الله تعالى فإن احتقر غيره مع ذلك فهو من الكبر المذموم ، ^(٨) ولا يظن ظمان أن ترجيل الجملة ، او التهنيد بالملابس الجميلة يحرمها الدين ، فديننا الحنيف لا يحرم ترجيل الشعر ، بل يدعو اليه ، ولا يحرم التجمل بالهندي الحسن ، فقد أمرنا الله تعالى بالتزين ، قال تعالى : (يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين) .^(١٠)

-
- (١) ولا ينظر إليهم : أى يعرض عنهم ونظره سبحانه وتعالى لعباده رحمته ولطفه بهم (الالفاظ من شرح النووى على صحيح مسلم ١١٧/٢ .
- (٢) صحيح مسلم بشرح النووى ١١٥/٢ باب بيان غلظ تحريم اسبال الازار كتاب الايمان .
- (٣) شرح النووى على صحيح مسلم ١١٧ / ٢ باب بيان غلظ تحريم اسبال الازار/ كتاب الايمان .
- (٤) الحلة : الحلة ثوبان أحدهما فوق الآخر وقيل إزار ورداء وهو الأشهر .
- (٥) مرجل جمته : هى مجتمع الشعر اذا تدلى من الرأس الى المنكبين والى أكثر من ذلك ، واما الذى لا يتجاوز الاذنين فهو الوفرة وترجيل الشعر تسريحه ودهنه .
- (٦) يتجلجل : الجلجلة الحركة مع صوت ، ويتجلجل في الأرض : ينزل فيها مضطربا متدافعا - فتح البارى ١٠ / ٢١٤ - باب من جر ثوبه من الخيلاء .
- (٧) صحيح البخارى ٣٤ / ٧ - باب من جر ثوبه من الخيلاء / كتاب اللباس
- (٨) فتح البارى ١٠ / ٢١٤ . باب من جر ثوبه من الخيلاء / كتاب اللباس .
- (٩) انظر المعجم الوسيط ٢ / ٩٩٧ د . ابراهيم أنيس ورفقاه .
- (١٠) الاعراف (٣١) .

انما الدين يحرم استخدام هذه الوسائل للتكبر ، و التعالى على الناس
 فمن فعل ذلك فقد قلب الحرام حلالا ، و إن قصد بها التجلل للناس
 و إظهار نعمة الله ، و التنزه عن الروائح الكريهة ، و التقرب إلى الله جل و علا
 فهو مستحب ، وهو مما يدعو إليه الإسلام ، كيف لا وهو دين النظافة و النظام ؟
 و دليل ذلك ما رواه مسلم بسنده (عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى
 الله عليه وسلم قال :

(لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ ، قَالَ رَجُلٌ : إِنْ
 الرَّجُلُ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا ، وَنَعْلُهُ حَسَنًا ، قَالَ : إِنْ اللَّهُ جَمِيلٌ يُحِبُّ
 الْجَمَالَ ، الْكِبْرُ بَطْرُ الْحَقِّ وَغَمَطُ النَّاسِ) (١) .

(و بטר الحق دفعه ، و إنكاره ترفعاً و تجبرا ، و غمط الناس : الارتفاع
 عنهم ، و احتقارهم) (٢) . و قد نهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن
 عادة المترفين وهي آحتقار الغير فيما رواه مسلم بسنده (عن أبي هريرة
 رضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " لَا تَحَاسَدُوا
 وَلَا تَبَاغَضُوا ، وَلَا تَدَابَرُوا ، وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ ، وَكُنْتُمْ عِبَادَ اللَّهِ
 إِخْوَانًا ، الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذِلُهُ ، وَلَا يَحْقِرُهُ . التَّقْوَى هُنَا
 وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، بِحَسَبِ أَمْرٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ ،
 كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ : دَمُهُ ، وَمَالُهُ ، وَعَرْضُهُ) (٣) .

(١) ، (٢) صحيح مسلم بشرح النووي ٢ / ٩٨ / باب تحريم الكبر و بيانه / كتاب

الايمان .

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي ١٦ / ١٢٠ / باب تحريم ظلم المسلم و خذله -

و احتقاره / كتاب البر و الصلة و الآداب .

" الفصل الثالث "

((خطر الترف على الأمم قديما وحديثا))

تكلم القرآن الكريم عن الترف الذي انغمست فيه كثير من الأمم قبل قريش، وما أدى بهم ترفهم إليه من عواقب وخيمة ، ذلك أن الترف هو مصدر لكل داء ، لأن المترفين وكما ذكرت في الباب الأول أخلدوا إلى الأرض ، وفترت هممهم عن معالي الأمور ، لأنهم حريصون على حياتهم الرخوة ، وشهواتهم المندفعة ، فكان ذلك سبب بلائهم ، وبلاء أتباعهم من المستضعفين الذين انساقوا لهم ، ولرغباتهم فلم يجنوا من ذلك إلا العذاب الدنيوي ، والأخروي .

وقد بين الله سبحانه وتعالى ما حاق بالأمم المترفة على مدار التاريخ وذلك ليحذر مترفوا مكة خاصة والمترفون عامة خطر الترف باعتبار أن الترف خطر على الكل ، وما جر هذا الترف من ويلات .

قال تعالى :

(وَإِذْ أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فَنَزَّلْنَا عَلَيْهَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُسَكَّرًا تَذْمِيرًا (١) .

وقد ذكرت تفسير الآية في الفصل الأول ، ولا مانع من أن أذكر معني آخر غيره قاله الرازي : وهو أن المعنى (أمرناهم بالأعمال الصالحة وهي الايمان ، والطاعة ، والقوم خالفوا ذلك عنادا وأقدموا على الفسق) .

وكم من أمة أهلكت بسبب ترفها ، ذلك لأن المترفين هم الذين كثرت لديهم النعم فوجب عليهم أداء شكرها ، ولكنهم فعلوا عكس ذلك فكان عاقبة ترفهم الخراب ، وقد أجمل الله سبحانه قصص هذه القوم في مواطن من القرآن الكريم :

(١) الاسراء (١٦) .

(٢) التفسير الكبير ٢٠ / ١٧٧ .

قال تعالى :

(وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطَرْتِمْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ) (١)

قال الألوسي المعنى :

(أى وكثير من أهل قرية كانت حالهم كحال هؤلاء^(٢) في الأمن ، وخفض العيش ، والدعة حتى بطروا واغتروا ، ولم يقوموا بحق النعمة فدمرنا عليهم ، وخربنا ديارهم (فتلك مساكنهم) التى تمرن عليها في أسفاركم كحجر ثمود خاوية بما ظلموا حال كونها (لم تسكن من بعدهم) من تدويرهم (إلا قليلا) أي إلا زمانا قليلا إذ لا يسكنها إلا المارة يوماً ، أو بعض يوم أو الا مسكنا قليلا وقتله باعتبار قلة الساكنين فكأنه قيل : لم يسكنها من بعدهم إلا قليل من الناس . (وكنا نحن الوارثين) منهم إذ لم يخلفهم أحد يتصرف تصرفهم في ديارهم ، وسائر ذات أيديهم ، وفي الكشاف أي تركناها على حال لا يسكنها أحد ، أو خربناها وسويناها بالأرض وهو مشير إلى أن الوراثه إما مجرد انتقالها من أصحابها ، وإما إلحاقها بما خلقه الله تعالى في البدء ، فكأنه رجع إلى أصله ، ودخل في عداد خالص ملك الله تعالى على ما كان أولا وهذا معنى الإراث^(٣) .

فلم تكن النعم الكثيرة هي سبب إهلاك الأمم ، ولكن سوء تصرف أصحابها بها ، واحتكارها لأنفسهم للاستمتاع بما لذ وطاب من لذائذ الدنيا ، ونعيمها ، وحرمان الآخرين من أقل القليل ، كما أن الخطر يكمن في الترف لأنه يعمي العقول عن الصواب ، ويورث القلوب الكفر ، لذا كما ذكرت أكثر من مرة فإن المترفين هم الذين يصدون دعوات الرسل ، لأنهم استعذبوا حياة الترف ، والتنعم .

قال تعالى :

(وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ)

(١) القصص (٥٨) .

(٢) هؤلاء : أهل مكة وهو ما وضحته الآية التي قبلها .

(٣) روح المعاني ٩٨/٢٠ .

مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَّا قَهَا اللَّهُ لِبَاسِ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ (١)

قال النسفي :

(وضرب الله مثلا قرية) أي جعل القرية التي هذه حالها مثلا لكل قوم أنعم الله عليهم ، فأبطرتهم النعمة فكفروا ، وتولوا فأنزل الله بهم نعمته فيجوز أن يراد قرية مقدرة على هذه الصفة ، وأن تكون في قرى الأولين قرية كانت هذه حالها فضربها الله مثلا لمكة انذاراً من مثل عاقبتها (كانت آمنة) من القتل ، والسبي (مطمئنة) لا يزعجها خوف ، لأن الطمأنينة مع الأمن ، والأزعاج ، والقلق مع الخوف (يأتيها رزقها رغداً) واسعاً (من كل مكان) من كل بلد (فكفرت) أهلها (بأنعم الله) جمع نعمة على ترك الاعتداد بالتاء كدع وأدع أو جمع نعم كبؤس وأبؤس (فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون) الإذاعة واللباس استعارتان ، والإذاعة المستعارة موقعة على اللباس المستعار ووجه صحة ذلك أن الإذاعة جارية عندهم مجرى الحقيقة لشيوعها في البلى ، والشدائد ، وما يمس الناس منها فيقولون : ذاق فلان البؤس والضر ، وأذاقه العذاب شبه ما يدرك من أثر الضر ، والألم بما يدرك من طعم المر ، والبشع . وأما اللباس فقد شبه به لاشتماله على اللابس وهو ما غشي الإنسان والتبس به من بعض الحوادث .

وأما إيقاع الإذاعة على لباس الجوع والخوف فلأنه لما وقع عبارة عما يغشى منهما ، ويلبس فكأنه قيل فأذاقهم ما غشاهم من الجوع والخوف (٢) .

فهذا مثل ضربه الله تعالى يجب على كل الأمم الاتعاظ به وشكر النعم بدل كفرانها . والا سيجري عليهم ما جرى على غيرهم ، وسأذكر قصة سبأ كنموذج لما يصنعه الترف بالأم قديما وحديثا .

قال تعالى :

(لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَأَشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ، فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِىْ أَكْلِ حِمَاطٍ وَأَثَلِىْ وَشَى مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ ، ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِيْ إِلَّا الْكَفُورَ ، وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَىِ الَّتِي مَبْرَكْنَا فِيهَا قُرَى ظَهْرَةَ وَقَدْرَنَا فِيهَا السَّيْرُ سِيرُوا فِيهَا لِيَالِيْ وَأَيَّامًا

إِيمَانِيْنَ ، فَقَالُوا رَبَّنَا بَعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْتَهُمْ أَحَادِيثَ
وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ، وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ
إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا قَرِيْقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِيْنَ (١)

جاء في حاشيه الشيخ زاده على تفسير البيضاوى في تفسير الآيات

الكريمات ما يلي :

(لما بين تعالى حال الشاكرين لنعمه بذكر داود وسليمان عليهما
الصلاة والسلام بين حال الكافرين بحكاية قصة أهل سبأ فقال (لقد كان
لسبأ) صرفة الجمهور - أى قرأوه بالجبر والتنوين - على أنه اسم حي ، أو
رجل وهو عبد شمس بن يشجب بن يعرب قحطان ، وقرأ الهزلي ، وأبو عمر
ولسبأ بفتح الهمزة من غير تنوين على إنه اسم القبيلة ، سئل رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن سبأ ما هو أكان رجلا ، أم امرأة ، أم أرضا ؟ قال
بل هو رجل من العرب ولد عشرة من الولد فسكن اليمن منهم ستة ، والشام
منهم أربعة فأما الذين تيامنوا : فالأزد ، وكندة ، ومذحج على وزن مسجد
والأشعرون ، وحمير ، وأنمار ، ومنهم خثعم ، وبجيلة . وأما الذين تشاءموا
فاعاملة ، وغسان ، ولخم ، وجذام ، ولما هلكت أموالهم ، وخربت بلادهم
تفرقوا في غور البلاد ، ونجدها أيدي سبأ شذر مذر ولذلك قيل : لكل
متفرقين بعد الاجتماع : تفرقوا أيدي سبأ " فنزلت طوائف منهم الحجاز
فمنهم خزاعة نزلوا بظاهر مكة ، ومنهم الأوس ، والخزرج نزلوا بيثرب
فكانوا أول من سكنها ثم نزل عندهم ثلاث قبائل من اليهود : بنو قينقاع ،
وبنو قريظة ، والنضير فحالفوا الأوس ، والخزرج ، وأقاموا عندهم ونزلت
طوائف أخرى منهم الشام ، وهم الذين تصرفوا فيها بعد وهم : غسان ،
وعاملة ، ولخم ، وجذام ، وتنوخ ، وتغلب ، وغيرهم وسبأ مجمع هذه القبائل
كلها ، وقرأ حمزة ، وحفص في مسكنهم بفتح الكاف مفردا والكسائي كذلك
إلا أنه كسر الكاف والباقون في مساكنهم على لفظ الجمع والمسكن ههنا :

(١) سبأ (١٥ - ٢٠) .

(٢) لما نظرت في كتب التفسير المختلفة لتفسير آيات قصة سبأ راقتنى تناول
الشيخ زادة لها ، فأثبتته رغم طوله نظرا لأنني رأيت أنه الصق
التفاسير بموضوع بحثي ، والله أعلم .

موضع السكون وأما الجمع فهو الظاهر لأن كل واحد منهم له مسكن على حدة ورسم مسكنهم في المصاحف بدون ألف بعد الكاف ، فلذلك احتمل القراءات المذكورة ، (آية) وهى اسم (كان) قدم عليه خبره أبـدل المثنى من المفرد بيانا له ، وتفسيرا بناء على أن البـدل على تقدير المضاف أي لقد كان لهم آية قصة جنتين وإلا لكان الظاهر أن يقال آيتان جنتان ونظيره قوله تعالى : (وجعلنا ابن مريم وأمه آية^(١)) فإن الظاهر أن يقال آيتان إلا أنه أفرد آيه لكون المعنى وجعلنا أمرهم وحالهما آية وهى ولادتها إياه من غير أن يمسهـا بشر ، على أن الجنتين المحيطتين بمسكنهم آية واحدة في نفسها دالة على وجود الصانع ، وعلى كونه قادرا على ما يشاء من الأمور العجيبة الخارجة على وسع البشر فلما كان المفرد المذكور صادقا على هذا المثنى صح إبداهما منه على سبيل البيان والتفسير ، وفي قصة سبأ دلالة على وجود الصانع ، وكمال قدرته لأن ما أعطاهم من أنواع ، وألوان الثمر خارج عن وسع البشر وفيها دلالة على أنه تعالى مجاز للمحسن ، والمسيئ حيث كلفهم شكر ما أنعم عليهم من جلائل النعم ، ليزيد عليهم من فضله ثم قال : فاعرضوا عما كلفوا به من الشكر فأرسلنا عليهم سيل العرم ، فالعلامة التى اشتملت عليها هذه القصة معاضدة للبرهان السابق المدلول عليه بقصتهما^(٢) ، ذكر الله تعالى هذه القصة لمشركى العرب تحذيرا لهم من أن ينزل بهم بشؤم شركهم ، وسوء أفعالهم ما نزل بأولئك على كثرتهم ، وقوتهم (جنتان عن يمين وشمال) قوله : والمراد جماعتان جواب عما يقال كيف عظم الله تعالى جنتى أهل سبأ وجعلهما آية دالة على ما ذكر ، مع أن المسكن المتوسط بين جنتين كثير في الدنيا ؟ وتقرير الجواب أن ما ذكرت إنما يرد أن لو كان المراد بستانيين اثنين فحسب وليس كذلك بل المراد جماعتان من البساتين جماعة عن يمين بلدهم وأخرى عن شماله سميت كل جماعة منها جنة لكونها في تقاربها ، وتضامها كأنها جنة واحدة ، ويجوز أن يكون المراد بستانيين اثنين

(١) المؤمنون (٥٠) .

(٢) قصة داود وسليمان (كما أشار البيضاوى) . .

وتعظيمهما من حيث أن مسكن كل رجل متوسط بينهما وكون جميع المساكن هكذا حالة عظيمة . . (كلوا من رزق ربكم واشكروا له) لما لم يكن الأمر المذكور واقعا في زمان نزول الوحي على نبينا عليه الصلاة والسلام وجب جعله محكيا بقول مضمرة ومقولا بلسان من بعث إليهم من الأنبياء أو بلسان الحال أو جعله منزلا منزلة الوحي المحكي المقول لهم من حيث كونهم أحقاء بأن يقال لهم ذلك فكأنه قيل لهم ذلك فجئ بالجملة كما يجاء بها بعد القول (بلدة طيبة ورب غفور) فكأنه قيل واشكروا له فإن بلد تكم بلدة طيبة ، وربكم إن شكرتموه فيما رزقكم رب غفور ، فارتفاع كل واحد من بلدة ، ورب على أنه خبر محذوف ، كانت بلدتهم أخصب البلاد وأطيبها ، حيث كانت المرأة تخرج فتحمل مكنتها على رأسها وتمر بين تلك الأشجار فيمتلي مكنتها من ألوان الفاكهة من غير أن تمس شيئا بيدها ، وطيبها : أنه لم يكن فيها عاهة كالوباء ، والحمى ، وغيرها من الأمراض المتفرعة على وخامة الهواء ولا هامة وهي واحدة الهوام المؤذية قيل : لم يمرض ببلدتهم بعوضة ، ولا ذباب ، ولا برغوث ، ولا حية ، ولا عقرب ، وكان الرجل الغريب يمر ببلدتهم وفي ثيابه القمل فيموت القمل من طيب الهواء فذلك قوله : بلدة طيبة أي طيبة الهواء . (فأعرضوا) أي عن القيام بما وجب عليهم من شكر نعم الله تعالى وكذبوا رسلهم ، قال وهب : أرسل الله تعالى إلى سبأثلاثة عشر نبيا فدعاهم إلى الله تعالى ، وذكرهم نعم الله تعالى عليهم ، وأذروهم عقابه فقالوا : ما نعرف لله عز وجل علينا نعمة فقولوا لربكم : فليحبس هذه النعم عنا : إن استطاع فانتقم الله عز وجل منهم بأن أرسل عليهم سيلا غرق أموالهم ، وخرّب ديارهم وقوله : (سيل الأمر العرم) على أن يكون العرم صفة مشبهة من العرام وهي الشدة والصعوبة ، يقال عرم فلان فهو عارم وعرم إذا ساء خلقه ، وصعب ولما كان إضافة السيل إلى العرم من قبيل إضافة الموصوف إلى صفتهم إذا الأصل السيل العرم احتيج إلى التأويل المعتبر في هذا الباب وهو أن يحمل الكلام على حذف الموصوف وإقامة صفة مقامه ، فقولهم : مسجد الجامع مثلا تقديره مسجد الوقت الجامع فلذا : سيل العرم أصله سيل المطر العرم أو الأمر العرم (قوله أو الجرد) =

== أى قيل العرم اسم للجرذ وهو بضم الجيم وفتح الراء والذال ضرب من الفأر أعمى والجمع الجرذان ويقال له الخلد أيضا وإقامته عند حجره لعماء وإضافة السيل إليه من قبيل إضافة المسبب إلى سببه فإنه كان سبباً لخراب السكر وانقلاب الماء المحتبس وراء السكر عليهم وذلك أن أهل سبأ كانوا يقتتلون على واديهم عند احتياجهم إلى سقي بساتينهم فسدت لهم بلقيس الملكة ما بين الجبلين بالصخور ، والقيصر فحبست بذلك السد ماء العيون ، والأطمار وجعلت لهم أبوابا ثلاثة بعضها فوق بعض ، وبنيت من دونه بركة عظيمة ، وجعلت فيها إثني عشر مخرجا على عدد أنهارهم إلى أراضيهم ، وبساتينهم يفتحونها إذا احتاجوا إلى الماء وإذا استغنوا سدوها فإذا جاء المطر اجتمع إليه ماء أودية اليمن فاحتبس السيل من وراء السد فاجتمع فيه إلى أن صار كالبحر فأمرت بالباب الأعلى ففتحت فجرى ماؤه في البركة فكانوا يسقون من الباب الأعلى إلى أن يتسفل الماء عنه ثم من الباب الثاني ثم من الثالث الأسفل فلا ينفذ الماء إلى أن ينقطع احتياجهم إلى سقي الأراضي ، ثم يجتمع فيه الماء أوان الشتاء فيصير كالبحر أيضا فيسقون منه في السنة المقبلة كما سقوا في السنة الماضية فكانت تقسم الماء بينهم على هذا الوجه في كل سنة فبقوا على ذلك بعدها مدة فلما طغوا ثقب الجرذ السكر مسبه ، وانقلب البحر عليهم ففرق بلادهم ودفن الرمل بيوتهم ومنازلهم وتفرقوا في البلدان أيدي سبأ (١) قوله فخنقت به (أي منعت من أن يسيل ماء الشجر وهو ساحل بين عمان ، وعدن .

ثم إنه تعالى بين دوام خراب بلادهم بعطف قوله : وبد لناهم بجنتيهم جنتين على قوله فأرسلنا عليهم سيل العرم فإن الرمل إذا دفن بيوت الناس وبساتينهم وآيس أصحابها من عما رتها ، وتركوها على حالها نبتت فيها الأشجار الخبيثة بدل ما كان فيها من الفواكه الطيبة الحاصلة بسبب العمارة ، وقد تقرر أن المجرور بالياء الواقعة بعد فعل التبديل هو الخارج من اليد والمنسوب هو الداخل وسمي ما كان بدلا من الخارج

(١) معنى (أيدي سبأ) وضح المفسر رحمه الله خلال شرحه التالي .

جنة على طريق المشاكلة تهكما بهم . (ذواتي أكل خمط) مرشع كريسه
الطعم يأخذ بالحلق فلا يمكن أكله ، فسر الخمط بثلاثة أوجه :
الأول أنه كل نبت أخذ طعما من مرارة حتى لا يمكن أكله ، والثاني أنه
شجر الأراك والأكل ثمرة ويقال له البربر ، والثالث كل شجر له شوك . قال
الامام في الكبير الخمط كل شجرة لها شوك أو كل شيء ثمرتها مرة لا تؤكل
والأثل نوع من الطرفاء ولا يكون عليه ثمرة إلا في بعض الأوقات يكون عليه
شيء كالعفص أمر منه في طعمه ، وطبعه .

(وأثل وشيء من سدر قليل) ((وهو النبق مما يطيب أكله)) يعني
أن السدر شجر النبق وجناه ينتفع به أكلا ، وكذا ينتفع بورقه لغسل اليد ،
ولما كان التبديل مجازاة لهم على كفران النعمة ناسب أن يقلل من البدل
ما هو أكرم ما بدلوا ومنه السدر ، وحاصل الآية أنه كانت أشجارهم خير
الأشجار فصيرها الله تعالى من شر الأشجار بسوء أعمالهم (وذلك
جزيناهم بما كفروا) (بكفرانهم) أي جزيناهم ذلك التبديل بسبب كفرانهم
النعمة أو بسبب كفرهم بالرسول وتقديم المفعول^(١) للتعظيم لا للتخصيص والا لزم
أن ينحصر عقابهم في التبديل المذكور وليس كذلك لأن الكافر لا ينحصر
عقابه في نوع من العقاب العاجل .

(وهل نجازي) " بمثل ما فعلنا بهم " يعني المراد بالجزاء المعهود في
قوله جزيناهم بما كفروا ، فإن المراد العقاب العاجل فكذا في قوله :
وهل نجازي فكأنه قيل ذلك عاقبناهم بسبب كفرهم وهل يعاقب بمثل—
إلا البليغ في الكفر أو الكفران وليس المراد مطلق الجزاء وإلا صح قصره
على الكافر ، فإن مطلق الجزاء يعم المؤمن ، والكافر (المعنى لا نجازي
هذا الجزاء الصعب إلا الكفور) .

(وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا) " بالتوسعة على أهلها "
بالمياه والأشجار ، والثمار ، والخصب لكونها مهاجر الأنبياء ومقرهم والمعنى

(١) يقصد قوله تعالى (ذلك) .

جعلنا بين أهل سبأ وهم باليمن وبين الشام قرى ظاهرة أي متواصلة يظهر بعضها لبعض ويرى سواد القرية من القرية الأخرى لقربها منها وكانوا يسافرون من اليمن إلى الشام فيبتيون بقرية ، ويقيلون بأخرى حتى يرجعوا أو لا يحتاجون إلى حمل زاد ، ولأما من وادي سبأ إلى الشام أو ظاهرة للسابلة غير بعيدة عن مسالكهم حتى تخفى عليهم بل يرونها من متن الطريق وهذا بيان لما أنعم الله تعالى به على سبأ بعد ما أرسل الله تعالى عليهم سيل العرم فإنه لما هلك مالهم قالوا نحن نتوب ويرد علينا خير فتأبوا فرد الله عليهم خيراً أكثر مما هم عليه قبل أن يرسل عليهم سيل العرم ، روى الإمام أبو الليث عن الكلبي أنهم قالوا للرسول : **إِنَّا** عرفنا نعمة الله تعالى فوالله لئن رد فقتنا ، وجماعتنا والذي كنا عليه لنعبده عباداً لم يعبدوها إياه قوم قط فدعت لهم الرسل ربهم ، فرد الله تعالى اليهم ما كانوا عليه فاتاهم نعمة ، وجعل لهم من أرضهم إلى أرض الشام قرى متصلة بعضها إلى بعض فذلك قوله تعالى : **(وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً)** ثم إنهم عادوا إلى كفرهم فاتاهم الرسل وذكرهم فكذبوهم فمزقهم الله كل ممزق .

وقال غيره قوله تعالى : **(وجعلنا بينهم وبين القرى)** فيها حكاية ما كانوا عليه قبل أن يرسل الله تعالى عليهم سيل العرم **بَيْنَ** الله تعالى حال بلدهم أنها بلدة طيبة وأن لهم فيها جنات غزيرة البركات مكنهم منها وأمرهم أن يأكلوا من رزقه ، وأن يشكروا له ، ثم إنهم كفروا النعمة ، وأعرضوا عما وجب عليهم من الشكر فبدل الله حالهم من النعمة نقمة ثم ذكر حال خارج بلدهم وذكر عمارتهم بكثرة القرى من اليمن إلى الشام فبطروا النعمة وملوا العافية فطلبوا الكد ، والتعب فتمنوا أن يجعل الله بينهم ، وبين الشام مفاوز وبادى ليحتاجوا إلى أن يحملوا معهم أزوادهم وقالوا : لو كان جنى الجنات أبعد مما هو عليه اليوم لكان أجدر أن تشتبهه فقالوا : ربنا باعد بين أسفارنا ، واجعل بيننا وبين الشام فلولات ، ومفاوز ، لنركب فيها الرواحل ، ونتزود الأزواد فجعل الله تعالى لهم الإجابة ، ومعنى تقدير السير فيها جعل بعد ما بين كل واحدة منها في نصف يوم حيث يقيّل الغادى في قرية ، ويبيت الراحل في قرية إلى أن يبلغ الشام لا يخاف جوعاً ولا عطشاً ولا عدواً ولا يحتاج

إلى حمل زاد ، ولأما خص الليالي والأيام بالذكر مع أن السير لا يكون إلا فيهما للإشعار بأن الأمر لا يتفاوت باختلاف الأوقات أو للإشعار بأن الأمر مستمر ، وإن تطاولت مدة السفر على أن يراد بالأيام ، والليالي الكثيرة ، والمواظبة على السير . وعلى الثالث يكون المقصود من ذكر الأيام والليالي الإشعار باستمرار الأمن وإن استغرق السفر ليالي المخاطبين وأيامهم مدة أعمارهم بأن يكون معنى قوله: ليالي وأياما لياليكم ، وأيامكم (قوله : أشروا النعمة) والأشهر ، والبطر : الطغيان الحاصل بسبب كثرة النعمة ويحتمل أن يكون قولهم هذا لفساد اعتقادهم وشدة اعتمادهم على أن ذلك لا يعدم كما يقول القائل لغيره اضربني إشارة إلى أنه لا يقدر عليه .

(فجعلناهم أحاديث) جمع حديث على غير القياس أى أهلكناهم كل هلاك فصاروا عظة وعبرة لمن بعدهم فجعلناهم به مثلا للناس يتحدثون بما فعلوا وما فعل بهم ، ويتعجبون من أحوالهم في المجالس وقوله : (ومزقناهم كل ممزق) بيان لجعلهم أحاديث فإن الناس ضربوا المثل بتفرقهم فقالوا إذ ذهبوا أيدي سبأ وأيادي السبأ أي تفرقوا في طرق شتبي واليد في كلام العرب تطلق على الطريق يقال أخذ يد البحر أي : طريقه وقيل : أيادي سبأ أولاده لأن الأولاد أعضاء الرجل لتقويه بهم والمعنى تفرقوا مثل تفرق أولاد سبأ ، وفي المفصل الأيادي الأنفس كناية ، أو مجاز وهو أحسن من تفسيره بالطرق ، وبالأولاد وسبأ مهموز في الأصل غير أنه التزم التخفيف في هذا المثل ولا بد من اضمار لفظ المثل في هذا المثل لأن أيدي سبأ وقع حالا من فاعل ذهبوا وهو معرفة لأن اضافته حقيقة ، ومن حق الحال أن تكون نكرة والتقدير ذهبوا متفرقين .

(إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ) قوله : صبار عن المعاصي شكور على النعم " وهما من صفة المؤمن كأنه قيل : إِنَّ فِي ذَلِكَ التمزيق أو فيما ذكر من حال الشاكرين المنيبين ، ووبال الكافرين المعاندين لعبراً ولآيات لكل مؤمن .

(وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنُّهُ) معناه حقق عليهم ظنه أي صار فيما ظنه على يقين لأنه ظن أولاً أن يغويهم حيث قال في حق بني آدم

«لَا غُوبِنَهُمْ وَلَا ضَلُّنَهُمْ وَلَا حَتَّكَنْ ذَرِيَّتَهُ وَلَا قَعْدَنْ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ثُمَّ لَا تَتَيْنَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ» إلى غير ذلك إلا أنه لم يكن على ثقة ، ويقين في أنه يتأتى له ذلك ، لأنه لم يخبر به ، ولا كان عالماً بالغيب ، وإنما قاله استدلالاً بنفاذ حيلته في أبيهم آدم عليه السلام وبعلمه بما ركب فيهم من الشهوة ، والغضب وظن ذلك أيضاً في أولاد سبأ بما رأى في انهماكهم في الشهوات ثم إنهم لما اتبعوه وقبلوا وسوسته صار مظنونه معلوماً ، وحقق عليهم ظنه بهم حقاً ((قوله بمعنى وجده ظنه صادقاً)) فكان إبليس قال لظنه إنى أغويهم فيتبعون إغوائى ثم إنه لما أغواهم فقبلوا منه وجده ظنه صادقاً وإن قرئ بنصب إبليس ، ورفع الظن مع تخفيف الدال يكون المعنى قال له ظنه الصادق حين خيله إغواءهم أى : حين خيل الظن لإبليس إغواءهم يقال : صدق ظنك إذا ظهر المظنون كما خيل إليه وإن قرئ بتخفيف الدال ورفع الإسمين يكون المعنى صدق عليهم ظن إبليس ويكون الثانى بدلاً من الأول بدل الاشتمال قوله " وذلك إما ظنه بسبأ أو ببني آدم " الأول على أن يكون الضمير في عليهم واتبعوه لأهل سبأ والثاني على أن يكون لبني آدم عليه السلام جميعاً إلا المؤمنين منهم فإنهم لم يتبعوه في أصل الدين وإن استزلهم الشيطان عن بعض الفروع (قوله بالأفريقا من المؤمنين) إشارة إلى أن كلمة (من) للبيان لا للتبعيض لأنه يستلزم أن يكون بعض من آمن اتبع إبليس لم يتبعوه في أصل الدين وقد قال الله تعالى أن عبادي ليس لك عليهم سلطان يعني المؤمنين وقيل هو خاص بالمؤمنين الذين يطيعون الله تعالى ولا يعصونه وهم المخلصون كما قال تعالى حكاية عنه (لأغوينهم أجمعين إلا عبادك المخلصين) (١) .

يتضح في هذا النموذج في القرآن الكريم وفرة النعم على سبأ وما كانوا فيه من رزق ، ورغد ، ونعيم ، وواضح أن سبأ بدل أن تشكر النعم وتقوم بحمد الله استخدمت هذه الوفرة في الطغيان ، والبعد عن الله والكفر فكان عاقبة بطرهم وترفهم أن بدل الله يسرهم عسراً وراحتهم شقاءً وما هذه العاقبة السيئة إلا نتيجة الترف الذي تمادوا فيه .

وهناك أمثلة كثيرة في القرآن الكريم تبين أن وفرة النعم وسوء استخدامها من أصحابها كانت سبباً في فساد الأمم ، وطغيانهم

(١) حاشية الشيخ زاده على تفسير البيضاوى ٤ / ٨٤ - ٨٨ بتصرف طفيف .

وامعانهم في الكفر ، وسأشير لبعض هذه النماذج إشارة ليس الغرض منها الاستقصاء ولكن ضرب الأمثلة وذلك لعدم الاطاله .

قال تعالى :

(أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ، إِرْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ، (١) الَّتِي لَمْ يَخْلُقْ مِثْلَهَا فِي الْبَلَدِ ، وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ، وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ، الَّذِينَ طَعَوْا فِي الْبَلَدِ ، فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفُسَادَ ، فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمُرْصَادِ) (٢)

وقال تعالى :

(وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ ، أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ) (٣)

وفي هذا النموذج يلاحظ تبجح فرعون بترفه ، ونعيمه ، واستخدامه هذا الترف ، والنعيم في الصد عن سبيل الله و معاندة رسول الله موسي عليه السلام . وكان بذلك مستجهلا لقومه الذين أطاعوه جهالة منهم ، وتصديقا له ، علما أنه صاحب السطوة ، والسلطان وكانوا بذلك الاتباع لفرعون خارجين عن طاعة الله سبحانه وتعالى ، ومتبعين لأهل الترف ، والطغيان فحاق بهم سنة الله في عقاب المترفين وجعلهم عبرة لمن يليهم من المترفين الكفار .

وغني عن الذكر ما صنعه الترف ، والاستغراق فيه بمترفي مكة المكرمة الَّذِينَ ظَنُوا أَن تَرْفَهُمْ قُوَّةُ لَهُمْ ، وَمَنْعَةً ، وَمَا كَانُوا بِذَلِكَ التَّرْفِ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ . قال تعالى :

(وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ) (٤) فهم يتمتعون بلذات الدنيا ، وشهواتها ، ويأكلون كما تأكل الأنعام غير متفكرين فيها وفي الحكمة من وجودهم تماما كما تفعل الأنعام ترتع ، وتأكل في معالفها ، غير متفكرة بما ينتظرها من نحر ، وذبح ، فكان جزاء من جاء لينقدهم من لهوهم ، وترفهم أن استنكروا دعوته صلى الله عليه وسلم واستكبروا عنها ، فكيف لأصحاب السيادة ، والرياسة ، والترف أن يتبعوا

(١) إرم ذات العمداد : اى عادا الذين بعث الله فيهم نبيه هود أهل ارم

وهو اسم بلدتهم ذات البنيان الرفيع .

(٢) الفجر (٦ - ١٤) . (٣) الزخرف (٥١ - ٥٢) . (٤) محمد (١٢) .

رجلا ليس من أهل الترف ، والجاه فعملوا على إخراجه صلى الله عليه وسلم من مكة المكرمة بلده وبلدة آباءه ، وأجداده وما هي إلا فترة لاتذكر في عمر الزمن حتى لقي الذين أخرجوه مصارعهم في بدر على يديه صلى الله عليه وسلم ويدي اتباعه المؤمنين .

قال تعالى :

(وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجْتِكَ أَهْلَكَارِهِمْ
فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ) (١) .

قال أبو السعود :

(وكأين) كلمة مركبة من الكاف ، وأي بمعنى كم الخبرية ، ومحلها الرفع بالابتداء ، وقوله تعالى : (من قرية) تمييز لها (هي أشد قوة من قريتك) صفة لقرية ، كما أن قوله تعالى : (التي أخرجتك) صفة لقريتك وقد حذف عنهما المضاف وأجرى أحكامه عليهما كما يفصح عنه الخبر الذي هو قوله تعالى : (أهلكتنا هم) وكم من أهل قرية هم أشد قوة من أهل قريتك الذين كانوا سببا لخروجك من بينهم ، ووصف الأولى بشدة القوة للإيذان بأولوية الثانية منها بالإهلاك لضعف قوتها ، كما أن وصف الثانية بإخراجه عليه الصلاة ، والسلام للإيذان بأولويتها به لقوة جنايتها (فلا ناصر لهم) بيان لعدم خلاصهم من العذاب بواسطة الأعوان ، والأنصار إثر بيان عدم خلاصهم منه بأنفسهم والفاء لترتيب ذكر ما بالغير على ذكر ما بالذات وهو حكاية حال ماضية (٢) .

ويتجلى اغترار قريش بترفها حين أرادت أن تنزل بدراً لمواجهة الرسول صلى الله عليه وسلم حين نصحهم أبو سفيان بالرجوع خاصة وأنه أنقذ العير ، ويرد المقرئ المتعجرف أبو جهل ومواقوه بالإباء ، والإصرار على ملاقاته النبي صلى الله عليه وسلم .

(١) محمد (١٣) .

(٢) تفسير أبي السعود ٩٤/٨ - ٩٥ بتصرف طفيف .

جاء في سيرة ابن هشام :

(ولما رأى أبو سفيان أنه قد أحرز عيره أرسل الى قريش ، إنكم إنما خرجتم لتمنعوا غيركم ، ورجالكم ، وأموالكم ، فقد نجاها الله ، فارجعوا فقال أبو جهل بن هشام : والله لا نرجع حتى نركب بدرا - وكان بدر موسما من مواسم العرب ، يجتمع لهم به سوق كل عام - فنقيم عليه ثلاثا ، فنحصر الجزر ، ونطعم الطعام ، ونسقي الخمر ، وتعزف علينا القيان ، وتسمع بنا العرب ، ويمسيرنا ، وجمعنا ، فلا يزالون يهابوننا أبدأ بعدها ، فامضوا^(١) وكان قد اجتمع من أشرف قريش في تلك الغزوة رؤوسهم . قتلوا أغلبهم ببدر ، وهذه عادة المجرمين أينما ثقفوا ، يغدرون ، ويمكرون مستنصرين بترفهم ، وبطرهم ولا يجرون بالغدر ، والمكر إلا الويل ، والخراب على رؤوسهم وروءوس أتباعهم .

قال تعالى :

(وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْبَرًا مَجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ)^(٢) .

(إنما جعل المجرمين أكابر ، لأنهم لأجل رياستهم أقدر على الغدر والمكر وترويج الأباطيل على الناس من غيرهم ولأن كثرة المال وقوة الجاه تحمل على المبالغة في حفظهما ، وذلك الحفظ لا يتم إلا بجميع الأخلاق الذميمة من الغدر ، والمكر ، والكذب ، والغيبة ، والنميمة والايمان الكاذبة ، ولو لم يكن للمال ، والجاه عيب سوى أن الله تعالى حكم بأنه إنما وصف بهذه الصفات الذميمة من كان له مال وجاه ، لكفي ذلك دليلا على خساسة المال ، والجاه .

ثم قال تعالى : (وما يمكرون الا بأنفسهم وما يشعرون) . والمراد

منه ما ذكره الله تعالى في آية أخرى وهي قوله : « وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ »^(٣) (٤) .

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٦١٨/٢ .

(٢) الأنعام (١٢٣) .

(٣) فاطر (٤٣) .

(٤) التفسير الكبير ١٣ / ١٨٣ - ١٨٤ .

إنَّ الناظر في التاريخ القديم والحديث والمتمعن في قصص الأمم التي استعرضها القرآن الكريم يرى أن الترف لايجر إلاَّ الخراب ، والهلاك على الأمة بأسرها ، وليس على الجماعة المترفة فقط ، فالأمة التي تسمح للمترفين بالوجود بينها وتمنحهم السيادة ، والريادة ولا تزال أسباب ترفهم ، وتقف مكتوفة الأيدي أمام إفسادهم في الأرض تستحق الهلاك والخراب .

يقول المرحوم الشيخ سيد قطب :

(الهلاك والعذاب لا يصيبان الفرد المترف وحده ، بل يصيبان الجماعة التي تسمح بوجود المترفين في الجماعة ، وسماح الجماعة بوجودهم ، وسكوتها عليهم ، وعودها عن إزالة أسباب الترف وتركها المترفين يفسدون ؛ كل ذلك أسباب تؤدي حتما إلى الهلاك والتدمير لطبيعة وجودها ، فالجماعة هي المسئولة عن هذا المنكر الذي يقع فيها ، فالترف لا بد أن يؤدي إلى المنكر بحكم وجوده في الجماعة ، وقد أبنا أن الطاقة الفائضة لا بد لها من متصرف ، فهناك مال فائض ، وهو طاقة ، وهناك حيوية جسد فائضة كذلك ، وهي طاقة ، وهناك فضلة زمن فائضة بلا عمل ولا تفكير ، وهي طاقة ، والفتية المترفون والفتيات المترفات وهم يجدون الشباب ، والفراغ ، والجدة لا بد أن يفسقوا ، ولا بد أن يبحثوا عن مصارف أخرى لطاقة الجسد ، وطاقة المال ، وطاقة الوقت وغالبا ما تكون مصارف تافهة تأخذ طابعها من الزمن والبيئية ، ولكنها تلتقي عند حد التفاهة ، والميوعة ، والقذارة الحسية ، والمعنوية وفي الجانب الآخر المستغلون ، والمستريحون ، والمحتاجون من تجار الرقيق ، والمهرجين ، والذبول ، وحواشي المترفين ، ينشرون الدعارة ، والترهل ويرخصون كل قيم الحياة الجادة التي لاتروق للمتريفيين والمترفات .

ثم يسري الداء إلى سائر مرافق الحياة . . . ثم تكون العاقبة التي لا بد منها وهي شيوع الفاحشة في الأمة ، وانتشار الإباحية وترهل الأجسام والعقول ، وانحطاط المعنويات ، والروحانيات . . . عندئذ يحق أمر الله فيدمر هذه الجماعة تدميرا .

ذلك رأي الاسلام في جريمة الترف - جريمة تبدأ فردية فإذا سكتت عنها الجماعة ولم تزل هذا المنكر باليد ، واللسان ، والقلب ، آتت الجريمة ثمراتها ، وأفرخ الوباء في جسم الجماعة ، وعرضها للهلاك في النهاية^(١) .

ولا يأخذ من استنكار الإسلام للترف الامتناع عن التلذذ بطيبات الحياة ، فالإسلام لا يمنع التمتع بالطيبات المباحة ، ولكنه يكره الاستكثار منها ، والاستغراق فيها لأنها تحبط الهمم عن معالي الأمور وكما هو ملاحظ أن المترفين الذين اعتادوا على حياة الدعة ، والنعيم تسقط همهم ، وتضعف قوتهم لذا فاننا نجد هم دائما يعادون دعوات الرسل ، والمصلحين الآمرين بالمعروف ، والناهين عن المنكر ، وقد ذكر تعالى حقيقتهم هذه حيث قال :

(وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ)^(٢) .

ذلك لأن الايمان بدعوات الرسل ، والامتناع للمعروف ، وترك المنكرات سوف يضطرهم إلى التخلي عن بعض المتاع أحيانا ، وعن جله أحيانا أخرى كأوقات الجهاد والغزوات .

قال تعالى :

(وَإِذْ أَنْزَلْنَا سُورَةَ الْاٰمِنُوْا بِاللّٰهِ وَجَاهِدُوْا مَعَ رُسُوْلِهِۦٓ اَسْتَعْذَرَكَ اٰوَّلُوْا الطُّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوْا ذَرْنَا نَكُنْ مَّعَ الْقَاعِدِيْنَ)^(٣) .

وكما تهرب المنافقون المترفون من الغزو مع الرسول صلى الله عليه وسلم نرى ومن واقع حياتنا المعاصرة أن كثيرا من المرفهين المتنعمين يتهربون من سلك التجنيد الإجباري ببذل الوسائط والأموال بينما قد يجبر عليه من لا يوجد غيره لإعالة عدد من الأشخاص ، فإذا بنا في هذا العصر الذي علت فيه ساكننا ، ونظفت أثوابنا ومع ذلك أعجز من أن نرد

(١) العدالة الاجتماعية في الإسلام / سيد قطب / (١٤٧-١٤٨) .

(٢) سياً (٣٤) .

(٣) التوبة (٨٦) .

عدوا بينما آباؤنا امتلكوا الدنيا وما كانوا يمتلكونها للدنيا بل لإعلاء كلمة الله تعالى ، وكما هو واضح أن من أهم أسباب نكستنا في هذا العصر حسب الدنيا ، والخوف من أن يفوتنا بالجهاد معونة دولة معينة ، كما أننا جعلنا الدنيا غاية ، وأحببنا الترف حتى أصبحت قلوب الكثيرين ونفوسهم جذبة بائرة .

قال تعالى :

(فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةً يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ .
وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ يَظْلِمُوا وَأَهْلِيهَا مُصْلِحُونَ)^(١)

قال أبو حيان :

(والمعنى فلولا كان منهم أولوا مراقبة ، وخشية من انتقام الله كأنهم ينتظرون إيقاعه بهم لاشفاقهم ، والفساد هنا : الكفر ، وما اقترن به من المعاصي وفي ذلك تنبيه لهذه الأمة وحض لها على تغيير المنكر (إِلَّا قَلِيلًا) استثناء منقطع أي لكن قليلا ممن أنجينا منهم نهوا عن الفساد وهم قليل بالإضافة إلى جماعاتهم ولا يصح أن يكون استثناء متصلا مع بقاء التحضيض على ظاهره لفساد المعنى وصيرورته إلى أن الناجين لم يحرضوا على النهي عن الفساد ، والظاهر أن الذين ظلموا هم تاركو النهي عن الفساد وما أترفوا فيه أي : ما نعموا فيه من حب الرياسة ، والثروة ، وطلب أسباب العيش الهنيئ ورفضوا ما فيه صلاح دينهم (واتبع) استئناف إخبار عن حال هؤلاء الذين ظلموا وإخبار عنهم أنهم مع كونهم تاركي النهي عن الفساد كانوا مجرمين أي ذوى جرائم غير ذلك ، وقال الزمخشري : ويجوز أن يكون المعنى في القراءة المشهورة أنهم اتبعوا جزاء إترافهم ، وهذا معنى قوي لتقدم الإنجاء كأنه قيل إلا قليلاً ممن أنجينا منهم وهلك السائد)^(٢)

(١) هود (١١٦ - ١١٧) .

(٢) البحر المحيط ٢٧١/٥ - ٢٧٢ بتصرف طفيف .

(وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصْلِحُونَ) .

قال القرطبي :

(وما كان ربك ليهلك القرى) أي : أهل القرى (بظلم) أي بشرك وكفر (وأهلها مصلحون) أي : فيما بينهم في تعاطي الحقوق ، أي لم يكن ليهلكهم بالكفر وحده حتى يضاف إليه الفساد ، كما أهلك قوم شعيب بيخس العيزان ، وقوم لوط باللواط ، ودل هذا على أن المعاصي أقرب إلى عذاب الاستئصال في الدنيا من الشرك ، وإن كان عذاب الشرك في الآخرة أصعب .

وفي صحيح الترمذي (من حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ان الناس اذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب من عنده)^(١) وقيل : المعنى (وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مسلمون ، فإنه يكون ذلك ظلما لهم ، ونقصا من حقهم أي ما أهلك قوما إلا بعد اعدار ، وإنذار)^(٢) .

—————

(١) رواه الترمذي في سننه ٣١٦/٣ باب ما جاء في نزول العذاب اذا لم يغير المنكر ، كتاب الغتن ، وأيضاً في ابواب التفسير ٣٢٢/٤ (سورة المائدة) ورواه ابو داود ١٢٢/٤ ، باب الامر والنهي / كتاب الملاحم كما رواه ابن ماجه ١٣٢٧/٢ باب الامر بالمعروف / كتاب الفتن . واخرجه ايضاً ابو يعلى الموصلي في المسند ١١٨/١ .

(٢) الجامع لاحكام القرآن ١١٤/٩ .

" الفصل الرابع "

" سنة الله تعالى في عقاب المترفين ونماذج قرآنية لهذه العقوبات "

قَصَّ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي قِصَصِ الْأَنْبِيَاءِ ، وَالْمُرْسَلِينَ وَمَوَاقِفِ أَقْوَاهُمْ مِنْهُمْ مَا فِيهِ عِظَةٌ ، وَذِكْرٌ لِمَنْ أَلْقَى السَّمْعَ وَاتَّقَى .

ومن خلال القصص الرائع نتلمس سنة الله تعالى التي لن نجد لها تديلا ، أو تحويلا، وهي أن العاقبة للمتقين ، والدمار ، والهلاك للمجرمين .

إن الله سبحانه وتعالى رسم لنا الطريق الصحيح الذي يجب أن نسير عليه ، وأمر رسولنا الكريم عليه أفضل الصلاة والتسليم بتبليغنا ، وأشعارنا بهذا الطريق وَحْدَهُ بحدود منعنا من تجاوزها ، فإن تجاوزها البعض ، وجب على البقية الإصلاح ، والتوجيه وان تكاثر المتجاوزين فإن سنة الله واقعة لا محالة ، فيبدل الأ من خوفا ، والراحة شقاوة ، واليسر عسرا (ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)^(١)

فالعذاب الذي حل بالأمم قبل قريش كان بسبب ذلك لأن الله سبحانه عادل في حُكْمِهِ لا يغير نعمة ينعمها على قوم الا بسبب ذنوب يرتكبونها وهو سبحانه وتعالى لا يبدل النعم بالنقم ؛ حتى يبدلوا نعم الله عليهم بأن يقابلوها بالكفر ، والعصيان ، والصد عن سبيل الله ، وهو سبحانه العالم بما يفعلون السميع بما يقولون .

ذكر القرطبي عند كلامه على الآية السابقة :

(ونعمة الله على قريش الخصب والسعة والأمن ، والعافية ، ونعمة الله عليهم محمد صلى الله عليه وسلم فكفروا به فنقل إلى المدينة ، وحل بالمشركين العقاب)^(٢) .

وداء الترف الذي يصيب الأشخاص والجماعات والأمم هو تجاوز لإطار

(١) الأنفال (٥٣) .

(٢) الجامع لأحكام القرآن ٢٩/٨ .

نمط الحياة التي حددها لنا الله تعالى وأوصانا بها في كتابه العزيز
ومن خلال سنة نبيه الكريم صلى الله عليه وسلم .

والقرآن الكريم ينبه المصابين بداء الترف ، ويلفت أنظارهم إلى القانون
الآلهي في عقاب المترفين بأساليب مختلفة فتارة يجمل وتارة يفصل
وتارة يمثل ، فيأمر الناس جميعاً بالنظر في هذا القانون وفي قصص المترفين
عبر الدهور لعل وعسى أن يرتجع أو يتعظ من أصيب بهذا الداء .

قال تعالى :

(أَوْ لَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ
كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ
بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ، ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةُ
الَّذِينَ أَكْفَرُوا السُّوءَ إِنَّ كَذِبُوا بَيَّغَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ .)^(١)

يقول أبو السعود في تفسيرهاتين الآيتين الكريمتين :

(أَوْ لَمْ يَسِيرُوا) ؟ توبيخ لهم بعدم اتعاضهم بمشاهدة أحوال
أمثالهم الدالة على عاقبتهم ، ومآلهم ، والمعنى : أي أقعدوا في أماكنهم ولم
يسيروا (في الأرض) ؟ ، وقوله تعالى : (فَيَنْظُرُوا) عطف على يسيروا
داخل في حكم التقرير والتوبيخ والمعنى أنهم قد ساروا في أقطار الأرض
وشاهدوا (كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) من الأمم المهلكة كعاد ،
وئمود ، وقوله تعالى : (كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً) بيان لمبدأ أحوالهم ومآلها
يعنى أنهم كانوا أقدر منهم على التمتع بالحياة الدنيا حيث كانوا أشد منهم
قوة (وأثاروا الأرض) أي قلبوها للزراعة ، والحرث وقيل لاستنباط المياه ،
واستخراج المعادن ، وغير ذلك (وعمروها) أي عمرها أولئك بفنون
العمارات من الزراعة ، والغرس ، والبناء ، وغيرها مما يعد عمارة لها
(أكثر مما عمروها) أي عمارة أكثر كماً ، وكيفاً ، وزماناً من عمارة هؤلاء إياها ،
كيف لا وهم أهل وادٍ غير ذي زرع لا تبسط لهم في غيره وفيه تهكم بهم

(١) الروم (٩ - ١٠) .

(١) حيث كانوا مغترين بالدنيا مفتخرين بمتاعها مع ضعف حالهم وضيق عطنهم إذ مدار أمرها على التبسط في البلاد ، والتسلط على العباد ، والتقلب في أكناف الأرض بأصناف التصرفات وهم ضعفة ملجأون إلى وادٍ لا نفع فيه يخافون أن يتخطفهم الناس (وجاءتهم رسالهم بالبينات) بالمعجزات أو الآيات الواضحات (فما كان الله ليظلمهم) أي فكذبوهم فأهلكهم فما كان الله ليهلكهم من غير جرم يستدعيه من قبلهم والتعبير عن ذلك بالظلم مع أن إهلاكه تعالى إياهم بلا جرم ليس من الظلم في شيء على ما تقرر من قاعدة أهل السنة لإظهار كمال نزاهته تعالى عن ذلك بإبرازه في معرض ما يستحيل صدوره عنه تعالى وقد مر في الأنفال (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) بأن اجترأوا على إقتراف ما يوجب من المعاصي العظيمة (ثم كان عاقبة الذين أساءوا) أي عملوا السيئات (السوأى) (٢) أي العقوبة التي هي أسوأ العقوبات ، وأفظعها التي هي العقوبة بالنار وقوله تعالى : (أن كذبوا بآيات الله) علة لما أشير إليه من تعذيبهم الدنيوي أي لأن كذبوا أو بأن كذبوا بآيات الله تعالى المنزلة على رساله عليهم الصلاة والسلام ، ومعجزاته الظاهرة على أيديهم (وكانوا بها يستهزئون) عطف على كذبوا داخل معه في حكم العلية ؛ وإيراد الاستهزاء بصيغة المضارع للدلالة على استمراره ، وتجده (٣)

وقد حذر القرآن الكريم مترفي عهد الرسول صلى الله عليه وسلم في مواضع عديدة غير الآيات السابقة من الترف وبين لهم سنته تعالى في عقاب المترفين قبلهم كي لا يغتر مترفو ذلك العهد ولا من يجيء بعدهم من الأمم بقوة ، أو بجاه ، فليست القوة الحقيقية في مثل هذه الأمور بل إن القوة الحقيقية في توحيد الله جل وعلا وطاعته .

(١) العطن : مَبْرُكُ الإِبِلِ ، وَمَرِيضُ الْغَنَمِ . وَيُقَالُ : وَاسِعُ الْعَطْنِ : وَاسِعُ الصَّبْرِ ، وَالْحِيلَةُ عِنْدَ الشَّدَائِدِ ، سَخِيٌّ كَثِيرُ الْمَالِ . وَضِدُّهُ : ضَيِّقُ الْعَطْنِ / الدكتور ابراهيم أنيس ورفقاه/المعجم الوسيط ٢/ ٩٠٦ .
(٢) السوأى : تأنيث لاسوأ كالحسنى تأنيث لأحسن أو مصدر كالبشرى .

(٣) تفسير أبي السعود ٧ / ٥٢ - ٥٣ .

قال تعالى في سورة التوبة :

(كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلْقِهِمْ ^(١) فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلْقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلْقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَلُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ، أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ ^(٢) وَالْمُؤْتَفِكَةَ ^(٣) أَتَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ^(٤) .

مما سبق ينبهنا القرآن الكريم أَنَّ سنة الله تعالى في عقاب المترفين إنما تقع بعد إرسال الرسل لهم ، وتكذيب المترفين لدعوات الرسل عليهم السلام والتكبر عن قبولها .

ويكلنا القرآن الكريم عن قري كثيرة أبيت بكاملها بسبب كفر أهلها بالله وآلائه ، فما كان منهم حين وقوع الهلاك إلا التبرؤ من طغيانهم وترفهم ، وكفرهم ، واعتذارهم من ربهم في ساعة لا يجدى فيها اعتذار لأن اعتذارهم كان بسبب العذاب .

قال تعالى :

(وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ ، فَلَمَّا أَحْسَبُوا بِأَسْنَانَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ ، لَا تَرْكُضُوا وَأَرْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسْكَنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَسْأَلُونَ ، قَالُوا يُؤَيَّلْنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ، فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ ^(٥) .

قال أبو حيان :

((وكم قصمنا من قرية) العراد أهلها ، والقسم أفضع الكسر عبر به عن الإهلاك الشديد ، والمعنى أن أهل القرى كانوا باغترارهم يرون أنهم من الله بمكان ، وأنه لو جاءهم عذاب أو أمر ، لم ينزل بهم حتى يتخاصموا

(١) (خلاقهم) : نصيبهم الذى قدره الله لهم من ملاذ الدنيا (فتح القدير ٢/ ٣٧٣ .
أصحاب مدين : قوم شعيب .

(٣) المؤتفكات : قري قوم لوط . والأئتفك الانقلاب (فتح القدير ٢/ ٣٧٩)

(٤) التوبه (٦٩ - ٧٠) .

(٥) الأنبياء (١١ - ١٥) .

ويسألوا عن وجه تكذيبهم لنبيهم فيحتجون هم عند ذلك بحجج تنفعهم في ظنهم ، فلما نزل العذاب دون هذا الذي أملوه وركضوا فارين نادتهم الملائكة على وجه الهزء بهم لا تركضوا ، وارجعوا لعلكم تسألون كما كنتم تطمعون لسفة آرائكم وارجعوا إلى ما أترفتم فيه من العيش الرافه ، والحال الناعمة لعلكم تسألون غدا عما جرى عليكم ونزل بأموالكم ، وساكنكم فتجيئوا السائل عن علم ، ومشاهدة أ و ارجعوا ، واجلسوا كما كنتم في مجالسكم وترتبوا في مراتبكم حتى يسألكم عبيدكم ، وحشمكم ، ومن تملكون أمره وينفذ فيه أمركم ، ونهيكم ، ويقولوا لكم : بم تأمرون ، وماذا ترسمون ، وكيف نأتى ، ونذر كعادة المنعمين المخدمين ، وقيل لهم ذلك تهكما إلى تهكم وتوبيخا إلى توبيخ ، ونداء الويل هو على سبيل المجاز والظلم هنا الاشراك وتكذيب الرسل وايقاع أنفسهم في الهلاك واسم ما زالت هو اسم الإشارة وهو تلك وهو إشارة إلى الجملة المقولة أي ما زالت تلك الدعوى دعواهم حتى تركوا كالحصيد خامدين أي : موتى دون أرواح مشبهين بالنار إذا أطفئت (١)

بعد هذا الإجمال في بيان سنة الله في عقاب المترفين يحسن أن أذكر بعض من عيّن القرآن الكريم عقابهم ونوع عقابهم :-

” الطوفان ” :

استجاب الله سبحانه وتعالى لدعوة سيدنا نوح عليه السلام . حين دعا على المترفين الكفار الذين مكث فيهم يدعوهم إلى الله تعالى دهرًا طويلا كما ذكرت سابقا ولم يؤمن معه إلا قليل .

(وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذُرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا) (٢) (٣)

وقد سبق أن بينت أن طبقة الأشراف ، والمترفين هم الذين تمردوا على دعوة نوح كما ذكرت . تكبرهم وبطهرهم عن اتباع من اتبعه ضعفاء الناس .

وقد أمر الله تعالى سيدنا نوحا عليه السلام أن يصنع الفلك الذي سيحمل عليه المؤمنين ومن كل زوج بهيج حين يُنصب الماء على الكفار من كل جانب

(١) البحر المحيط ٦ / ٣٠٠ / الطبعة الثانية / دار الفكر .

(٢) ديارا : من الاسماء المستعملة في النفي العام يقال : ما في الدار

ديار أي ما فيها أحد أي لا تترك أحد على وجه الأرض من الكافرين .

(٣) نوح (٢٦) .

من جوانب الأرض ، والسماة ، ويغرقهم بالغرق الماحق .

وحان يوم العذاب . . . وكان الطوفان وهو من أبرز الحوادث التاريخية ، وأشدها وقعاً في النفس الانسانية ، ويصف سبحانه وتعالى الطوفان بأروع ما يكون الوصف ويرسمه لنا في صورة رائعة وفي كلمات وجيزة فيبين أن الماء كان يتدفق عليهم من كل جانب .

قال تعالى :

(كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدَجُرُوا ، فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ ، فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ ، وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ، وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ الْأَوْحِیِّ وَدُسِّرَ فَجَرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرًا .) (٢)

فالأيات الكريمة تبين أن الماء كان ينصب صبا شديدا في غايصة الهطلان وأن الأرض كلها تفجرت عيونا ليكثر الماء ، ويرتفع ، ويلتقي بماء السماء ليعم الماء الأرض جميعها على حال قدره الله تعالى في الأزل ، وهنا تسير السفينة فوق الماء الذي احتوى الجبال ، والوديان ، والقفار يكلؤها الله تعالى برعايته ، وحفظه جزاء لمن صبر على كفران المغرقين .

” ریح صرصر ” :

في قصة نبي الله هود بيان للعاقبة الوخيمة التي تنتظر الأمم المتستكبرة المترفة ، فقبيلة عاد المترفة استكبرت في الأرض ، وغرته قوتها وبأسها .

قال تعالى :

(فَأَمَّا عَادُ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مِنْ أَشَدِّ مَنَا قُوَّةً أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ . فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِيهِ)

(١) ازدجر : أنتهروه وزجروه تواعده لئن لم تنته يانوح لتكون من المرجومين .

(٢) القمر (٩ - ١٤) .

الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْعَذَابِ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنصُرُونَ (١)

وريح صرصر: ريحٌ شديدة البرودة، شديدة الصوت، شديدة القوة سلطها الله جلت قدرته على عاد. قال ابن كثير، (كانت ريحا شديدة قوية لتكون عقوبتهم من جنس ما اغتروا به من قواهم وكانت باردة شديدة البرودة جداً كقوله تعالى: (بريحٍ صرصرٍ عاتيةٍ) سلطها عليهم في أيام متتابعات مشثومات (٢)، وقد استمرت تلك الريح العقيم سبع ليالٍ وثمانية أيام مشثومات وقد صور لنا القرآن الكريم هول ما ذاقوه في تلك الأيام وعددها في غير موضع من الكتاب العزيز من ذلك قوله تعالى: (وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صرصرٍ عاتيةٍ، سخرها عليهم سبع ليالٍ وثمانية أيامٍ حسوماً ففترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخلٍ خاويةٍ، فهل كرى لهم من باقية (٣))

أي أن الله تعالى سلط تلك الريح بقدرته القاهرة سبع ليالٍ وثمانية أيام متتابعات، أو نحسات حسمت كل خير، واستأصلته وكانت تلك الأيام على ما ذكر المفسرون من صبيحة أربعاء إلى غروب الأربعاء الآخر، ويصور لنا تعالى حال القوم لو نظر اليهم ناظر حينئذ فيراهم موتى مصروعين ملقون على الأرض كأنهم جذوع نخل قديمة جوفاء يابسة قد قدم عهدا بالحياة، والخضرة فهل نفعتهم قوتهم التي اغتروا بها أو أبقنت عليهم.

يقول عبد الفتاح طبارة تحت عنوان "عبرة يضعها القرآن أمام أنظارنا لناخذ منها أبلغ الدروس:-

(وإن ما كانت تدعيه (عاد) تدعيه الآن الدول الكبرى التي ركبها غرور العلم، والمدنية وما وصلت إليه من ثراء، وقوة، فأعرضت عن سبيل الحق، واستعبدت الشعوب الصغيرة المغلوبة على أمرها، واستغللت

(١) فصلت (١٥ - ١٦) .

(٢) تفسير ابن كثير ٩٦ / ٤ .

(٣) الحاقة (٦ - ٨) .

شرواتها ، وسلكت في السيطرة عليها كل الطرق الدنيئة : من إشعال
الفتن ، وشراء الضمائر ، وتفرقة الجماعات ، في سبيل مطامعها ، ومصالحها
الاستعماريه وللسان حالها يقول : (من أشد منا قوة) . . ولكن مهلاً...
ونظرة إلى التاريخ القريب الذي يحمل أجمل العبر . . ألم يتعظوا في عاقبة
المانيا الهتلرية التي أطلقت شعارات القوة ، والاستعلاء في الأرض وقالت
" المانيا فوق الجميع " فكان لها بعد ذلك الدمار وهلاك أكثر شبابها
وإصابتها بالذل من جانب المنتصرين عليها .^(١)

" الصاعقة " :

وهي نوع آخر من عقاب المترفين أنزله الله تعالى بقوم صالح (ثمود) .

قال تعالى :

(وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ ، فَعْتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ
فَأَخَذْتَهُمُ الصَّاعِقَةَ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ، فَمَا اسْتَطَاعُوا مِنْ قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنْتَصِرِينَ)^(٢) .

قال في فتح البيان في معنى الآيات :

((وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ) : أي وتركنا في قصة ثمود آية وقت أن
قلنا لهم بعد عقر الناقة : (تمتعوا حتى حين) أي عيشوا متمتعين
بالدنيا إلى حين وقت الهلاك ، وانقضاء الأجل ، وهو ثلاثة أيام كما في
قوله تعالى : (تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ)^(٣) ، (فعتوا عن أمر ربهم)
أي تكبروا عن امتثال أمر الله تعالى . وهذا ترتيب إخباري وإلا ففي
الحقيقة عتوهم إنما كان قبل وعدهم بالهلاك الذي هو المراد من قوله :
تمتعوا حتى حين على تفسيره إذ المراد به ما بقي من آجالهم والمراد
بأمر ربهم هو المذكور في سورة هود " يَا قَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ " ^(٤) ،
(فأخذتهم) بعد مضي ثلاثة أيام (الصاعقة) وهي كل عذاب
مهلك ، وقرئ الصعقة وهي المرة من مصدر صعقتهم الصاعقة وأخذتهم

(١) مع الأنبياء في القرآن الكريم ص (١٠١) .

(٢) الذاريات (٤٣ - ٤٥) .

(٣) هود (٦٥) .

(٤) هود (٦٤) .

من بعد عقر الناقة ، والصاعقة هي نار تنزل من السماء فيها رعد شديد ،
 (وهم ينظرون) أى يرونها عيانا لأنها كانت نهارا وقيل : إن المعنى
 ينتظرون ما وعدوه من العذاب والأول أولى . (فما استطاعوا من قيام)
 أي لم يقدروا على القيام حين نزول العذاب ، قال قتادة من نهوض : يعني
 لم ينهضوا من تلك السرعة ، والمعنى أنهم عجزوا عن القيام ، فضلا عن
 الهرب ، ومثله قوله تعالى : (فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ) ، (وما كانوا
 منتصرين) أي ممتنعين من عذاب الله بغيرهم ممن أهلكهم الله ، أو لم
 تمكنهم مقابلتها بالعذاب لأن معنى الانتصار المقابلة (١) .

يقول النجار في كتابه قصص الأنبياء : (وكان تدمير قوم صالح
 بالصاعقة وقد عبر الله تعالى عنها تارة بالرجفة ، وتارة بالطاغية ، وتارة
 بالصيحة (٤) وكل صحيح ، لأن الصاعقة تكون مصحوبة بصوت عظيم ، وقد
 تكون مصحوبة برجفة أشبه بالزلازل ، وقد تكون في مكان ويغطي تأثيرها حتى
 يصل إلى مكان آخر (٥) .

وممن عبر القرآن الكريم عن إهلاكهم بالرجفة ، والصيحة أصحاب مدين
 وهم قوم شعيب عليه السلام .

قال تعالى في سورة الأعراف :-

(وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِيَمِينٍ أَتَيْتُمْ شَعِيْبًا إِنَّكُمْ إِذَا لَخُسِرُونَ .
 فَأَخَذْتَهُمُ الرِّجْفَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ، الَّذِينَ كَذَبُوا شَعِيْبًا كَأَن
 لَمْ يَعْنُوا فِيهَا الَّذِينَ كَذَبُوا شَعِيْبًا كَانُوا هُمُ الْخٰسِرِينَ) (٦) .

(١) فتح البيان ٩ / ١٣٠ / صدق حسن خان - الناشر عبد المحيي على

(٢) " فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ أَتُنْتَأِمُّ بِنَا تَعْدُنَا إِنْ
 كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ، فَأَخَذْتَهُمُ الرِّجْفَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ)

الأعراف (٧٧ - ٧٨) .

(٣) " كَذَبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ ، فَأَمَّا ثَمُودُ فَأَهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ " الحاقة (٤ - ٥)

(٤) " فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِن خِزْيِ
 يَوْمئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ، وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا
 فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ " (هود (٦٦ - ٦٧) .

(٥) قصص الأنبياء - ص ٦٦ .

(٦) الأعراف (٩٠ - ٩٢) .

وقد فسر الرازي (الرجفة بأنها الزلزلة الشديدة المهلكة)^(١) .

أهلك الله تعالى بالرجفة الذين كذبوا شعيبا ، وأفناهم فلا يرى لهم أثر ، أو وجود في ديارهم التي عاشوا فيها مرفهين متنعمين ، وفي تكرير (الذين كذبوا شعيبا) لبيان فظاعة جرمهم وتعظيم ما يستحقونه من مذلة ، وعذاب جزاء تكذيبهم شعيبا .

وفي سورة هود عليه السلام عبر تعالى عن عقاب أصحاب مدين بالصيحة . قال تعالى :

(وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جِثْمِينَ ، كَأَنَّ لَمْ يَغْنُوا فِيهَا إِلَّا بَعْدًا لِمَدَّيْنٍ كَمَا بَعَدَتْ ثَمُودُ)^(٢) .

قال المفسرون في الصيحة^(٣) ، صاح جبريل عليه السلام بهم صيحة ، زهق روح كل واحد منهم بحيث يقع في مكانه ميتا . . ونجا الله تعالى شعيبا ، ومن معه من المؤمنين بفضل منه ، لا بأعمالهم ويتضح ذلك في قوله : (برحمة منا) وفي مقابل ذلك أخذت الذين ظلموا الصيحة أي باغتتهم وفاجأتهم بعذاب الإهلاك بحيث انطرحوا موتى هامدين لا حراك فيهم كأن لم يكن لهم وجود ، ولا حضارة . وقد شبه الله سخطه على مدين كسخطه على ثمود (ألا بعدا لمدين كما بعدت ثمود) .

عقاب بحجارة من سجيل " :
~~~~~

وهو عقاب قوم لوط الذين جاءوا بأقبح ، وأفظع الأفعال حيث ابتدعوا فعلاً فاحشاً ما سبقهم إليه أحد وهو اللواط ، ولقد أرسل الله تعالى نبيه لوطاً عليه السلام ومكث فيهم دهرًا يدعوهم لعبادة الله وترك المنكرات والأفعال المشينة ، والانحراف الشنيع ، ولكن عبثاً ، فنَجَّى الله تعالى

(١) التفسير الكبير ١١٤ / ١٨٩ .

(٢) هود ( ٩٤ - ٩٥ ) .

(٣) القرطبي ٩٢ / ٩ ، الرازي ١٨ / ٥٣ .

لوطا عليه السلام وأهله ، وانزل على من كفر من قومه عذابه .

قال تعالى :

( قَالَوا يَلُوطُ إِنَّا رَسلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعِ مِمنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرَاتِكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابُهُمْ إِنَّا مُوعِدُهُمُ الصُّبْحَ الَّذِي الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ، فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَلَيْهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مُنضَّدٍ وَدٍ ، مُسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ) (١) .

أمر الله تعالى سيدنا لوطا عليه السلام أن يرتحل بأهله بساعة من الليل لأنه تعالى سينزل العقاب بقوم لوط الظالمين ومنهم امرأة لوط عليه السلام فإنها ستكون من الغابرين ، وقد بشر الملائكة عليهم السلام لوطاً عليه السلام أن هلاك قومه سيكون قريباً ، وكان ميقات هلاكهم صباح الليلة التي سرى فيها لوط بأهله .

والشاهد في نوع عقاب قوم لوط عليه السلام قوله تعالى : ( فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل منضد ود ، مسومة عند ربك وما هي من الظالمين ببعيد ) . .

قال القرطبي :

( فلما جاء أمرنا ) أي : عذابنا ( جعلنا عاليها سافلها ) وذلك أن جبريل عليه السلام أَدخل جناحه تحت قرى قوم لوط وهي خمسة سدوم وهي القرية العظمى - وعامورا ، وداد وما ، وضعوه ، وقتم ، فرفعها من تخوم الأرض حتى أدناها من السماء بما فيها ، حتى سمع أهل السماء نهييق حمهم ، وصياح ديكتهم ، لم تنكفي لهم جرة ولم ينكسر لهم إناء ، ثم نكسوا على رؤوسهم وأتبعهم الله بالحجارة .

( وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل ) اختلف في معنى كلمة سجيل فقال

(١) هود ( ٨١ - ٨٢ ) .

بعضهم : السجيل : الشديد الكثير ، وقال بعضهم : سجيل طين يطبخ حتى يصير بمنزلة الأرحاء ، وقالت طائفة : أن سجيلا لفظة غير عربية عربت أصلها سنج وجيل ، أو سنك وكيل وهما بالفارسية حجر وطين ، وذكر القرطبي أن السجيل عند العرب كل شديد ، وصلب .<sup>(١)</sup>

( منضود ) نعت لسجيل أى متتابع ، أو مجموع معد للعذاب .

( مسومة ) نعت لحجارة أى معلمة للعذاب قيل : مكتوب على كل واحد اسم ( من يرمى ) به ، ( عند ربك ) : في خزائنه ، أو في حكمه ( وماهي للظالمين ببعيد ) بشئ بعيد ، وفيه وعيد لأهل مكة فإن جبريل عليه السلام قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يعني ظالمي أمتي ما من ظالم منهم إلا وهو بعرض حجر يسقط عليه من ساعة إلى ساعة ، أو الضمير للقري أى هي قريبة من ظالمي مكة يمرون بها في مسائرهم<sup>(٢)</sup> )

الغرق والهلاك في اليم " :

وهو عقاب المترف المتغطرس فرعون ، وجنوده حين لحقوا بموسى عليه السلام وبأروع ما يكون القصص قص علينا القرآن الكريم خروج موسى عليه السلام وقومه ولحقوق فرعون ، وجنوده بهم ، ومحاولة محاصرتهم قرب البحر ، وقد تحدث القرآن الكريم عن هذه القصة أكثر من مرة وفي أكثر من سورة لأنها قصة غاية في العجب وجديرة بالنظر لأنها تحكي قدرة الله سبحانه وتعالى في تحويل طبائع الأشياء حيث حول البحر طريقا يبسا ليس فيه زلـق ولا لين بحيث يتسع لأسباط بني اسرائيل ، لا يزاحم فيه أحد هم الآخر ، وقد تحدث القرآن الكريم عن نجات موسى عليه السلام كما أشرت سابقا بتحويل البحر له طريقا يبسا وبإغراق فرعون وجنوده عند ما أعماهم الطغيان عن تأمل هذه المعجزة التي كانت كفيلا أن يؤمنوا بموسى ورب موسى عليه السلام ، حيث حول البحر الذي جعل طريقا لبني اسرائيل الى بحر كما كان ، وأطبق البحر على فرعون ، وجنوده من كل جانب ولم يكن ليدر بخلد

( ١ ) الجامع لاحكام القرآن ٩ / ( ٨١ - ٨٢ ) .

( ٢ ) النسفي ٢ / ٢٠٠ .

الطغاة ، حين أتبعوا موسى ، وقومه أن الذي حوله يبسا قادر على إعادته إلى حالته الأولى ، وهكذا جلب فرعون لنفسه ، ولقومه العذاب والهلاك .

قال تعالى في سورة الشعراء :

( فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ، وَأَزْلَفْنَا ثُمَّ الْآخِرِينَ ، وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ ، ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ، وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ) ( ١ )

قال أبو السعود في تفسير الآيات الكريمات :

( قوله تعالى : ( فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ ) القلزم ، أو النيل ( فانفلق ) أي فضرب فانفلق فصار لثني عشر فرقا بعدد الأسباط بينهن مسالك ( فكان كل فرق ) حاصل بالانفلاق ( كالطود العظيم ) كالجبل المنيف الثابت في مقره فدخلوا في شعابها ، كل سبط في شعب منها ( وأزلفنا ) أي قربنا ( ثم الآخريين ) أي فرعون وقومه حتى دخلوا على أثرهم مداخلهم ( وأنجيننا موسى ومن معه أجمعين ) بحفظ البحر على تلك الهيئة إلى أن عبروا إلى البر ( ثم أغرقنا الآخريين ) بأطباقه عليهم ( إِنَّ فِي ذَلِكَ ) أي في جميع ما فصل مما صدر عن موسى عليه السلام ، وظهر على يديه من المعجزات القاهرة ، ومما فعل فرعون ، وقومه من الأقوال ، والأفعال ، وما فعل بهم من العذاب ، والنكال وما في اسم الإشارة من معنى البعد لتحويل أمر المشار إليه وتفضيحه كتكثير الآية في قوله تعالى ( لآية ) أي أية آية أو آية عظيمة لا تكاد توصف موجبة لأن يعتبر بها المعتبرون ، ويقيسوا شأن النبي صلى الله عليه وسلم بشأن موسى عليه السلام ، وحال أنفسهم بحال أولئك المهلكين ، ويجتنبوا تعاطي ما كانوا يتعاطونه من الكفر والمعاصي ومخالفة الرسول ويؤمنوا بالله تعالى ، ويطيعوا رسوله كيلا يحل بهم مثل ما حل بأولئك

( وما كان أكثرهم ) أي : أكثر هؤلاء الذين سمعوا قصتهم منه عليه الصلاة والسلام ( مؤمنين ) لا بأن يقيسوا شأنه بشأن موسى عليهما السلام وحال أنفسهم بحال أولئك المكذبين المهلكين ، ولا بأن يتدبروا في حكايته عليه الصلاة والسلام لقصتهم من غير أن يسمعا أحد مع كون كل من الطريقين مما يؤدي إلى الايمان قطعاً ( وإن ربك لهو العزيز ) الغالب على كل ما يريد من الأمور التي من جملتها الانتقام من المكذبين ( الرحيم ) المبالغ في الرحمة ولذلك يمهلهم ، ولا يعجل عقوبتهم لعدم إيمانهم بعد مشاهدة هذه الآية العظيمة بطريق الوحي مع كمال استحقاقهم لذلك (١)

وقد أشارتعالى أيضا إلى قصة هلاك فرعون بإغراقه في اليم في سورة طه ، حيث قال تعالى :

( وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاصْرَبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخْلِفُ (٣) دَرَكًا وَلَا تَخْشَى ، فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى (٤)

وفي سورة الذاريات قال تعالى :

( وَفِي مُوسَى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَى فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ، فَتَوَلَّى بِرُكْنِهِ (٥) وَقَالَ سَجِرًا أَوْ مَجْنُونًا ، فَأَخَذْتَهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ (٦) .

” قصة صاحب الجنتين ” :

قصة صاحب الجنتين تحكي حال المستكبرين الذين اغتروا بأموالهم وأولادهم ، وظنوا أنهم كرماء على الله بتلك الأموال ، ولولا استحقاقهم

(١) تفسير أبي السعود ٦/ ٢٤٥ - ٢٤٦ . (بتصرف طفيف)

(٢) أسر بعبادي : أي سربيني اسرائيل ليلا من أرض مصر .

(٣) لا تخاف دركا ولا تخشى : أي لا تخاف إدراك فرعون وجنوده لك ولا تخشى الغرق في البحر .

(٤) طه ( ٧٧ - ٧٩ ) .

(٥) فتولى بركنه ( فأعرض عن الايمان بما كان يتقوى به من جنوده وملكه ،

والركن ما يركن اليه الانسان من مال وجند ) النسفي ٤/ ١٨٧ .

(٦) الذاريات ( ٣٨ - ٤٠ ) .

لذلك ما كان لهم ، فافتخروا على المساكين ، وتباهوا بما عندهم ، وتجاهلوا حقوق الله تعالى وحقوق العباد عليهم ، فمثل الله لهؤلاء بهذه القصة ليعتبر بها كل من آتاه الله مالا في كل زمان ، ومكان أنه ليس ببيعد عن عقاب الله أو عن أن يبيت ، وهو يملك كل شئ ، ويصبح وقد خسر كل شئ بقدرة الله عز وجل .

قال تعالى :

( وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زُرْعًا ، كَلْتَا الْجَنَّتَيْنِ مَاتَتْ أَكْلُهُمَا وَلَمْ تَظَلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلْفَهُمَا نَهْرًا ، وَكَانَ لَهُ ثَمْرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفْرًا ، وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ، وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا ، قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا ، لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ، وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنْ تَرَىٰ أَنَا أَقْلُ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا ، فَعَسَىٰ رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنَّ خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ، أَوْ يُصْبِحَ مَاءً غُورًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا ، وَأَحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَيْهِ عَلَىٰ مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا ، وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ، هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ) (١) .

( واضرب لهم مثلا رجلين ) أي اضرب لهؤلاء الكفار الذين طلبوا منك أن تطرد الفقراء ، فهذا المثل ضربه الله سبحانه لمن يتعزز بالدنيا ، ويستنكف عن مجالسه الفقراء ، فهو متصل بقوله تعالى : ( وَأَضْرِبْ نَفْسَكَ ) (٢) .

(١) الكهف ( ٣٢ - ٤٤ ) .  
 (٢) الآية الكريمة : ( وَأَضْرِبْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرْطًا ) الكهف (٢٨) .

وقد اختلف في الرجلين هل هما مُقَدَّران ، أو محققان فقال بالأول بعض المفسرين وقال بالآخر بعض آخر ، واختلفوا في تعيينهما فقول : هما أخوان من بني إسرائيل . وقيل : هما أخوان مخزوميان من أهل مكة أحدهما مؤمن ، والآخر كافر ، وقيل : هما المذكوران في سورة الصافات (١) (٢) .

والذي يعنينا أن المثل لرجلين أحدهما مؤمن يعمل بطاعة الله وآخر كافر أبطرته النعمة ، واستفحل فيه داء المترفين وهو الاستكبار والغرور .

يقول صاحب الكشاف في تفسير الآيات الكريمات :

( واضرب لهم مثلاً رجلين ) أي ومثل حال الكافرين والمؤمنين بحال رجلين ( جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب ) بساتين من كرم ( وحففناهما بنخل ) وجعلنا النخل محيطاً بالجنتين ، وهذا مما يؤثره الدهاقين في كرومهم أن يجعلوها مؤزرة بالأشجار المثمرة يقال : حفوه : إذا أطافوا به وحففته بهم : أي جعلتهم حافين حوله ( وجعلنا بينهما زرعاً ) جعلناهما أرضاً جامعة للأقوات ، والفواكه ، ووصف العمارة بأنها متواصله متشابكة لم يتوسطها ما يقطعها ويفصل بينها مع الشكل الحسن والترتيب الأنيق ونعتها بوفاء الثمار ، وتمام الأكل من غير نقص ، ثم بما هو أصل الخير ومادته

من أمر الشرب فجعله أفضل ما يسقى به وهو السيج بالنهر الجاري فيها ، والأكل : الثمر ( ولم تظلم ) ولم تنقص ( وكان له ثمر ) أي أنواع من المال من ثمر ماله إذا كثره ، وعن مجاهد : الذهب والفضة : أي كانت له إلى جانب الجنتين الموصوفتين الأموال الدثرة من الذهب ، والفضة وغيرها ، وكان وافر اليسار من كل وجه متمكناً من عمارة الأرض كيف شاء ( وأعز نفراً ) يعني

- (١) ( قال قائل منهم إني كان لي قرين ) الصافات (٥١) ( قال مجاهد يعني شيطاناً وقال ابن عباس هو الرجل المشرك يكون له صاحب من أهل الدنيا ) ( تفسير ابن كثير ٩ / ٤ .  
(٢) صفوة التفاسير ١٩١ / ٢ ، فتح القدير ٢٨٥ / ٣ .



أنصاراً ، وحشماً ، وقيل : أولاد ذكور لأنهم ينفرون معه دون الاناث ( يحاوره ) يراجع الكلام من حار يحور إذا رجع ، وسألته فما أجاز كلمة يعني الكافر أخذ بيد أخيه المؤمن يطوف به في الجنتين ويريه ما فيهما ، ويعجبه منهما ، ويفاخره بما ملك من المال دونه . . . فإن قلت : فلم أفرد الجنة بعد التثنية ؟ قلت : معناه ودخل ما هو جنته ماله جنة غيرها يعني أنه لا نصيب له في الجنة التي وعد المؤمنون فما ملكه في الدنيا هو جنته لا غير ولم يقصد الجنتين ولا واحدة منهما ( وهو ظالم لنفسه ) وهو معجب بما أوتي مفتخر به كافر لنعمة ربه معرّض بذلك نفسه لسخط الله وهو أفحش الظلم ( قال ما أظن أن تبيد هذه أبداً ) إخباره عن نفسه بالشك في بيدة جنته لطول أمه ، واستيلاء الحرص عليه ، وتمادي غفلته ، واغتراره بالمهلة ؛ وأطراحه النظر في عواقب أمثاله ، وترى أكثر الأغنياء من المسلمين وإن لم يطلقوا لنحو هذا ألسنتهم فإن ألسنه أحوالهم تاطقة به منادية عليه ( ولئن رددت إلى ربي ) إقسام منه على أنه ان رد إلى ربه على سبيل الفرض والتقدير كما يزعم صاحبه ، ليجدن في الآخرة خيراً من جنته في الدنيا تظمعا ، وتمنيا على الله تعالى ، وادعاءً لكرامته عليه ، ومكانته عنده ، وأنه ما أولاه الجنتين إلا لاستحقاقه واستغباله . وأن معه هذا الاستحقاق أينما توجه كقوله - إن لي عنده للحسنى - لأوتين ما لا ولداً - وقرئ خيراً منهما رداً على الجنتين ، ( منقلباً ) مرجعاً وعاقبة أي منقلب تلك خير من منقلب هذه لأنها فانية ، وتلك باقية ، ( قال له صاحبه وهو يحاوره ) قال له المؤمن الفقير وهو يراجع أخاه ويجادلـه : ( أكفرت ) أجدت الله ( الذي خلقك من تراب ) أي خلق أصلك ( ثم من نطفة ثم سواك رجلاً ) عدلك وكمالك إنساناً ذكراً بالغاً مبلغ الرجال جعله كافراً بالله جاحداً لأنعمه لشكه في البعث كما يكون المكذب بالرسول صلى الله عليه وسلم كافراً ( لكننا هو الله ربي ) أصله لكن أنا فحذفت الهمزة والقيت حركتها على نون لكن فتلاقت النونان فكان الادغام ، أي لكن أنا مؤمن موحد ( ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله ) هلاً قلت عند دخولها ، والنظر إلى ما رزقك الله منها الأمر ما شاء الله إعترافاً بأنها وكل خير فيها إنما حصل بمشيئة الله وفضله ، وأن أمرها بيده إن شاء تركها عامرة وإن شاء

خربها ، وقلت ( لاقوة إلا بالله ) إقراراً بأن ما قويت به على عمارتها وتدبير أمرها إنما هو بمعونته وتأييده ، إذ لا يقوى أحد في بدنه ولا في ملك يده إلا بالله تعالى ، ( إن ترن أنا أقل منك مالا وولداً ) إن ترنى أفقر منك ، وتعزز عليّ بكثرة مالك ، وأولادك ، فأنا أتوقع من صنع الله عز وجل أن يقلب ما بي ، وما بك من الفقر ، والغنى فيرزقني لإيماني ( خيراً من جنتك ) ويسلبك لكفرك نعمته ، ويخرب بستانك ( ويرسل عليها حساباً )<sup>(١)</sup> أى مقداراً قدره الله وحسبه وهو الحُكْمُ بتخريبها ، وقيل حساباً مرامي الواحدة حسابانة وهي الصواعق ( فتصبح صعيداً زلقاً ) أرضاً بيضاء يزلق عليها لملاستها جرداء لانبات فيها ولا شجر ، ( أو يصبح ماؤها غورا فلن تستطيع له طلباً ) يغور ماؤها في الأرض فيتلف زرعها وحينئذ لا تستطيع إخراجه .

— وينتهي حوار المؤمن ، والكافر وتتحقق سنة الله سبحانه وتعالى في عقاب المترفين المتكبرين وينتقل السياق من مشاهد البهجة ، والغرور الى مشهد الدمار ، والندم - ( وأحيط بثمره فأصبح يقلب كفيه ) عبارة عن اهلاكه أى هلكت جنتيه عن بكرة أبيهما ، واستولى عليهما الخراب ، وتقليب الكفين كناية عن الندم والتحسر لأن النادم يقلب كفيه ظهراً لبطن ، كأنه قيل فأصبح يندم ( على ما أنفق فيها ) أي أنفق في عمارتها ( وهي خاوية على عروشها ) يعني أن كرومها المعرشة سقطت عروشها على الأرض ، وسقطت فوقها الكروم ، قيل أرسل الله عليها ناراً فأكلتها ( ياليتنى ) تذكر موعظة أخيه فعلم أنه أتى من جهة شركة ، وطغيانه فتمنى لو لم يكن مشركاً حتى لا يهلك الله بستانه ، ويجوز أن يكون توبة من الشرك ، وندما على ما كان منه ودخولاً في الإيمان ( ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله وما كان منتصراً ) أي لم تكن له جماعة يقدرون على نصرته من دون الله تعالى : أي هو وحدة القادر على نصرته لا يقدر أحد غيره أن ينصره ( وما كان منتصراً )

(١) الحساب : ( مصدر كالغفران والبطلان بمعنى الحساب ) /  
الكشاف .

وما كان ممتنعا بقوته عن انتقام الله .

( هنالك الولاية لله الحق هو خير ثوابا وخير عقبا ) والمعنى : هنالك أي في ذلك المقام وتلك الحال النصر لله تعالى وحده لا يملكها غيره ، ولا يستطيعها أحد سواه تقريرا لقوله : ولم يكن له فئة ينصرونه من دون الله - أو هنالك السلطان والملك لله تعالى لا يغلب ولا يمتنع منه ، ويجوز أن يكون المعنى ، هنالك الولاية لله ينصر فيها أولياءه المؤمنين على الكفرة ، وينتقم لهم ويشفي صدورهم من أعدائهم ، يعني أنه نصر فيما فعل بالكافر أخاه المؤمن وصدق قوله - عسى ربي أن يؤتينا خيرا من جنتك ويرسل علينا حسبانا من السماء - ويعضده قوله ( هو خير ثوابا وخير عقبا ) أي لأوليائه وهو خير عاقبة لمن اعتمد عليه ورجاه (١) .

وبعد فقد قصدت في النماذج السابقة بيان سنة الله في عقاب المترفين الكفار واستئصالهم وأن هذه السنة لم تتخلف إلا في قوم محمد صلى الله عليه وسلم . مترفي مكة وخاصة أنهم دعوا على أنفسهم بالعذاب إن كان الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم حقا قالوا : ( اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوْ اسْقِنَا عَذَابِ الْيَمِّ ) (٢) . ولكن إكراما لوجود سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بين ظهرانيهم ، ولأجل المستغفرين الموحدين بينهم فقد أمسك الله تعالى عن عقابهم بعذاب الاستئصال .

قال تعالى :

( وَ مَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ) (٣) .

( قال ابن عباس : ( كان فيهم أمانان : نبي الله ، والاستغفار ، أما

(١) الكشف ٢ / ( ٤٨٣ - ٤٨٦ ) ببعض التصرف .

(٢) الأنفال ( ٣٢ ) .

(٣) الأنفال ( ٣٣ ) .

(١) النبي ، فقد مضى ، وأما الاستغفار ، فهو باقٍ إلى يوم القيامة .

ولنا في صلح الحديبية أكبر الشواهد فلعلم الله تعالى بوجود رجال مؤمنين ونساء مؤمنات ولعلمه تعالى بإسلام الكثير من أهل مكة بعد ذلك لم يأذن للمسلمين في قتال المشركين المترفين وكان كذلك ، فقد أسلم الكثير منهم وحسن إسلامه ، وكان لبعضهم وللبعض ذراريهم شأن كبير في أعلاء كلمة الله تعالى ، قال تعالى في سورة الفتح :-  
 ( هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيِ مَعْكُوفًا )<sup>(٢)</sup> أَنْ يَبْلُغَ مَحَلَّهُ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَّعُوهُمْ فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا )<sup>(٥)</sup> .

فإنما فعل الله سبحانه ذلك بامساک المسلمين عن مقاتلة المشركين ، ليحمي المؤمنين في مكة ، وليدخل كثير منهم في الاسلام ( ليدخل الله في رحمته من يشاء ) .

وفي وقتنا الحالي وقد انغمس الكثير من المسلمين في بحور الترف ، والكبر ، وعدم إقامة حدود الله وشعائره وطغيان الدول الكبرى وتكالبها واجتماعها على أمة الاسلام ما لو اجتمع على أمة أخرى لاستئصلت ولكن رعاية الله للأمة الإسلامية ، واستجابته لدعوة نبيه صلى الله عليه وسلم

- 
- (١) نقله الرازي ١٦٣/١٥ .  
 (٢) والهدى معكوفاً أن يبلغ محله : ( قال القرطبي : يعنى قريشا منعوا المسلمين من دخول المسجد الحرام عام الحديبية ومنعوا الهدى وحبسوه أن يبلغ محله أى لفقراء الحرم ) / الجامع لأحكام القرآن ٢٨٣/١٦ .  
 (٣) ولولا رجال : ذكر الصاوي في معنى الآية ( لولا كراهة أن تهلكوا أناساً مؤمنين بين أظهر الكفار حال كونكم جاهلين بهم فيصيبكم بإهلاكهم مكروه لما كف أيديكم عنهم ) حاشية الصاوي على تفسير الجلالين ٩٨/٤ .  
 (٤) لو تزيّلوا : لو تفرق أو تميز بعضهم عن بعض .  
 (٥) الفتح ( ٢٥ ) .

بأن لا يسلط عليها أعداء يستبيحون بيضتهم ، وأن لا يهلكهم بسنة عامة :  
كالقحط ، والغرق ، ويؤكد ذلك ما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم  
فيما رواه مسلم بسنده :

( عن ثوبان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إِنَّ اللَّهَ  
زَوَى لِي الْأَرْضَ فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي  
مِنهَا وَأَعْطَيْتُ الْكَنْزَيْنِ : الْأَحْمَرَ ، وَالْأَبْيَضَ وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لِأُمَّتِي أَنْ  
لَا يَهْلِكَهَا بِسَنَةٍ بَعَامَّةٍ ، وَأَنْ لَا يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ  
فَيَسْتَبِيحَ بِيضَتَهُمْ وَإِنَّ رَبِّي قَالَ : يَا مُحَمَّدُ إِنِّي إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً ، فَإِنَّهُ  
لَا يَبْرُدُ وَإِنِّي أَعْطَيْتُكَ لِأُمَّتِكَ أَنْ لَا أَهْلِكُهُمْ بِسَنَةٍ عَامَّةٍ وَأَنْ لَا أُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ  
عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ يَسْتَبِيحُ بِيضَتَهُمْ وَلَوْ اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مَنْ بِأَقْطَارِهَا أَوْ قَالَ  
مَنْ بَيْنَ أَقْطَارِهَا حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يَهْلِكُ بَعْضًا وَيَسْبِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا )<sup>(١)</sup>

وفعلا فلن ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم قد وقع فلم يحصل  
أن اجتاحت بلاد المسلمين قحط عام بحيث يؤدي إلى هلاكهم بل إنهم  
إن يحصل فإنما يحصل في مناطق محدودة من العالم الإسلامي ، وكذلك  
ونحن نرى : مطامع الدول الغربية ، والشرقية في ثروات الأمة الإسلامية  
ومحاولة الاستيلاء على الأرض ، واستعباد البشر فلم ولن يكون لها  
ذلك ، وليس ذلك بفضلنا نحن ، وخاصة أننا ابتعدنا عن ديننا ، وأترفنا  
في الحياة الدنيا ، ولم يعد يهتم الكثير منا بالجهاد لإعلاء كلمة الله  
أو حتى أن نحدث أنفسنا بالجهاد ولكن ذلك - وهو حماية الأمة الإسلامية  
من استباحة بيضتهم من الأعداء - إنما هو بفضل رعاية الله سبحانه  
وتعالى لهذه الأمة ، وإكراما لدعوة عبده وحببيه محمد صلى الله عليه  
وسلم بل إن رعاية الله للأمة الإسلامية ، وحفظه لكتابه سخرت كثير من  
الدول الكبرى إلى إقامة مراكز إسلامية يشع منها العلم والإسلام ليدخل  
مع مطلع كل شمس في دين الله الناس زرافات ووحدانا .

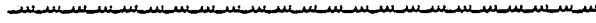
(١) زوى : جمع / الأحمر والابيض / الذهب والفضة / بيغتهم : عزتهم وملكهم  
شرح النووي على صحيح مسلم .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي ١٨ / ١٣ كتاب الفتن وأشرط الساعه .

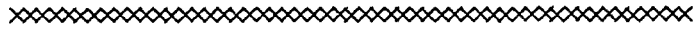
وما نراه من تسلط بعض الكفرة والأعداء الخارجيين على المسلمين فإنه يكون في بقع محدودة من العالم الاسلامي وذلك للتنبيه إلى الرجوع عن المعاصي ، وإلانة إلى دين الله ، وللعظة ، وللاعتبار للأماكن الأخرى .

وها نحن يامعشر الأمة الاسلامية بأسنا بيننا شديد نحارب بعضنا بعضا ، ويقتل بأيدي مسلمين كل يوم مئات المسلمين في الحروب ، والفتن الدائرة في أماكن كثيرة في عالمنا الإسلامي وبين أمننا الاسلامية أسأل الله أن يفيء المسلمون إلى دينهم وأن ينيبوا إلى ربهم ، ويعودوا إلى رشدهم ، فيعملوا على عمارة هذه الأرض بالإيمان والهدى والتقوى وعمل الصالحات .

وهذا الحديث فيه من المعجزات الظاهرة مالا تحتاج إلى بيان وصلوات الله وسلامه على رسوله الصادق الذي لا ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى . .



” تفسير آيات التـرف ”



## ( تفسير آيات الترف )

ذكر لفظ الترفني ثمانى آيات كريمات من آيات الكتاب العزيز ، وقد رأيت من تمام البحث ، وتكميله جمع آيات الترف ، وتفسيرها بإيجاز وترتيبها حسب ترتيب المصحف الشريف .

وقد ذكر الله سبحانه وتعالى هذه الآيات الكريمات في القسم المكى من المصحف المنزل على سيد المرسلين عليه أفضل الصلاة والتسليم ، ذلك أن الدعوة الإسلامية كانت في بدايتها ، وكانت المحاوراة تدور رحاها مع كفار مكة ، وكما ذكرت أكثر من مرة في فصول البحث أن المتزعمين لمهاجمة الدعوة ، وتكذيب الرسول صلى الله عليه وسلم هم أشرف مكة ومترفوها أمثال : الحكم بن هشام ، والوليد بن المغيرة ، وأميرة بن خلف ، وغيرهم ممن آتاهم الله تعالى الأموال الكثيرة ، فزدهم بهذه النعم ، ويطروا وأشروا فخاطبهم الله سبحانه وتعالى بما يليق بحالهم ، وحال المترفين من قبلهم ، وإن كان هذا الخطاب خاصاً بمترفي مكة ، ومترفي الأمم التي سبقتهم ، إلا أن المعنى عام يشمل كل المترفين حتى يرث الله سبحانه وتعالى الأرض ومن عليها ، فالمترفون وإن نأت ديارهم ، وتباعدت أزمانهم يلتقون في أغلب مزاياهم ، وصفاتهم .

" المترف يظلم نفسه " :

قال تعالى : ( فُلُؤْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ ) (١) .

نلاحظ أن هذه الآية الكريمة مسبوقة بقصص المكذبين من الأمم الماضية .

والمقصود بهذه الآية توبيخ قريش وتقريعها على سلوكها مع الرسول

(١) هود ( ١١٦ ) .



صلى الله عليه وسلم ، اذ أنها فعلت مع النبي صلى الله عليه وسلم نفس فعل مترقى الأمم السابقة .

قال الخازن في معنى الآية الكريمة :-

( يعني لم يكن من فيه خير ينهى عن الفساد في الأرض ، فلذلك أهلكناهم ( إلا قليلا ) هذا استثناء منقطع معناه : لكن قليلا ( ممن أنحينا منهم ) يعني من الأمم الماضية ؛ وهم أتباع الانبياء كانوا ينهون عن الفساد في الأرض ( واتبع الذين ظلموا ما اتفروا فيه ) يعني اتباع الذين ظلموا أنفسهم بالكفر ، والمعاصي ما تعودوا به من النعم وإيثار اللذات على الآخرة ، ونعيمها ( وكانوا مجرمين ) يعني كافرين ) .<sup>(١)</sup>

( ٢ ) ( استدراج الأمم بداء الترف ) :

قال تعالى : ( وَإِذْآ أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمْرُنَا مَتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ) .<sup>(٢)</sup>

هذه الآية حكم عام لله تعالى في سائر الامم ، وهو أنه سبحانه وتعالى إذا غضب على قوم لاغراقهم في المعاصي ، وإعراضهم عن الدين إما بالكفر وإما بالمخالفة استدراجهم ، وهذا نوع من الاستدراج الذي يستدرج به الله الامم ، فإذا ما كثر المترفون ولم يقم من الأمة من يحاربهم حاق العذاب بالمترفين ، وغيرهم لأنهم لم يضربوا على أيدي المترفين . وللشيخ ( سيد قطب ) كلام قيم في هذه الآية الكريمة قال :-

( والمترفون في كل أمة هم طبقة الكبراء الناعمين الذين يجدون المال ، ويجدون الخدم ، والراحة ، فينعمون بالدعة ، وبالراحة ، وبالسيادة حتى تترهل نفوسهم وتأسن وترتع في الفسق والمجانة ، وتستهر بالقيم والمقدسات والكرامات ، وتلغ في الأعراض والحرمات ، وهم إذا لم يجدوا من يضرب على أيديهم عاشوا في الأرض فسادا ، ونشروا الفاحشة في الأمة وأرخصوا القيم العليا ، ومن ثم تتحلل الأمة وتسترخي ، وتفقد عناصر

(١) تفسير الخازن ٢١١/٣ .

(٢) الاسراء (١٦) .

قوتها وأسباب بقاءها ، فتهلك وتطوى صفحتها ، والآية تقرر سنة الله هذه فإذا قدر الله لقرية أنها هالكة لأنها أخذت بأسباب الهلاك ، فكثرت فيها المترفون فلم تدافعهم ولم تضرب على أيديهم ، سلط الله هؤلاء المترفين ففسقوا فيها ، فعم فيها الفسق فتحللت وترهلت ، فحقت عليها سنة الله وأصابها الدمار والهلاك . وهي المسؤولية عما يحل بها لأنها لم تضرب على أيدي المترفين ، ولم تصلح من نظامها الذي يسمح بوجود المترفين . فوجود المترفين ذاته هو السبب الذي من أجله سلطهم الله عليها ففسقوا ولو أخذت عليهم الطريق فلم تسمح لهم بالظهور منها ما استحقت الهلاك ، وما سلط الله عليها من يفسق فيها ويفسد فيقودها إلى الهلاك .

إن إرادة الله قد جعلت للحياة البشرية نوااميس لا تتخلف ، وسننا لا تتبدل ، وحين توجد الأسباب تتبعها النتائج فتنفذ إرادة الله وتحقق كلمته ، والله لا يأمر بالفسق ، لأن الله لا يأمر بالفحشاء . لكن وجود المترفين في ذاته ، دليل على أن الأمة قد تخلخل بناؤها ، وسارت في طريق الانحلال ، وأن قدر الله سيضربها جزاء وفاقا ، وهي التي تعرضت لسنة الله بسماحها للمترفين بالوجود والحياة .

فالإرادة هنا ليست للتوجيه القهري الذي ينشئ السبب ، ولكنها ترتب النتيجة على السبب . الأمر الذي لا مفر منه ، لأن السنة جرت به والأمر ليس توجيهها إلى الفسق ، ولكنه إنشاء النتيجة الطبيعية المترتبة على وجود المترفين وهي الفسق .

وهنا تبرز تبعة الجماعة في ترك النظم الفاسدة تنشئ آثارها التي لا مفر منها . وعدم الضرب على أيدي المترفين فيها كي لا يفسقوا فيها فيحقق عليها القول فيدمرها تدميرا<sup>(١)</sup> .

(١) ظلال القرآن / ٤ (٢٢١٧-٢٢١٨) .

( ٣ ) ( فرار المترفين من ترفهم ، ونعيمهم عند نزول العذاب ) :-

قال تعالى :

( وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ ، فَلَمَّا أَحْسَسُوا بِأَسَافِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ ، لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَىٰ مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسْكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَسْأَلُونَ قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ) (١)

هذه الآيات خطاب لأهل القرى الظالمة الذين عاينوا العذاب فحاولوا الهرب من قراهم ، فتقول لهم الملائكة استهزاء : لا تهربوا من العذاب بل ارجعوا إلى مساكنكم الطيبة وما كنتم فيه من ترف ونعمة .

قال النسفي : ( أى يقال لهم استهزاء بهم : ارجعوا إلى نعيمكم ، ومساكنكم لعلكم تسألون غدا عما جرى عليكم ، ونزل بأموالكم فتجيبوا السائل عن علم ومشاهدة ، وارجعوا واجلسوا كما كنتم في مجالسكم حتى يسألكم عبيدكم ومن ينفذ فيه أمركم ، ونهيككم ويقولوا لكم بم تأمرون وكيف نأتى ونذر كعادة المنعمين المخدمين ، أو يسألكم الناس في أنديةكم المعاون في نوازل الخطوب أو يسألكم الوافدون عليكم والطماع ويستمتطرون سحاب أكفكم أو قال بعضهم لبعض لا تركضوا ، وارجعوا إلى منازلكم وأموالكم لعلكم تسألون ما لا وخراجاً فلا تقتلون فنودي من السماء يا لئالئنا الأنيباء وأخذتهم السيوف فثم ( قالوا يا ويلنا إنا كنا ظالمين ) إعترافهم بذلبيك حين لا ينفعهم الاعتراف ) (٢)

( ٤ ) ( الترف سبب تكذيب الرسل ) :-

قال تعالى :

( وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِإِيقَاعِ الْآخِرَةِ وَأُتْرِفْتُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ) (٣)

(١) الانبياء ( ١١ - ١٤ ) .

(٢) تفسير النسفي ٣ / ٧٤ .

(٣) المؤمنون ( ٣٣ ) .

ذكر الله تعالى الترف في هذه الآية لبيان سبب من أسباب تكذيب  
ملأعاد ، فجدوا وحدانية الله تعالى وكذبوا بالبعث ، والحساب ، وقد  
وسع الله عليهم في الحياة الدنيا بما بسطه لهم من الرزق حتى بطروا  
وعتوا وكفروا بربهم ، فكان سبب التكذيب إترافهم في الحياة الدنيا ،  
وقد أشرت إلى هذا التفسير في موقف عاد من العقيدة .

( ٥ ) ( ندم المترفين حين لاينفع الندم ) :-

قال تعالى :

( حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْعَرُونَ ، لَا تَجْعَرُوا  
الْيَوْمَ إِنَّكُمْ مِنَّا لَا تُنصِرُونَ ) (١) .

هذه الآيات مسبوقة بآيات تحكي قصص تكذيب المترفين من الأمم  
السابقة وهلاكهم ثم هنا في هذه الآية الكريمة تبين عجز المترفين عند  
وقوع العذاب حين يصيحون ، ويرفعون أصواتهم بالاستغاثة بالله عز وجل  
مع أنهم قبل عذابهم جحدوا وآياتهم ، ورفضوا عبادته .

لذلك لا يمنعهم من عذاب الله مانع ، فيندمون حين لاينفع الندم :  
( ندم البغاة ولات ساعة مندم والبغي مرتع مبتغيه وخيم ) (٢) .

( ٦ ) ( المترفون هم أعداء الأنبياء في كل عصر ) :-

قال الله تعالى :

( وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ  
كافِرُونَ ، وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ) (٣) .

سبق أن أشرت إلى تفسير هاتين الآيتين في موقف المترفين من  
العقيدة وهو تسلية لرسولنا محمد صلى الله عليه وسلم ببيان أن ما يلقاه  
من مترفي قومه هو نفس ما لاقاه إخوانه المرسلون من مترفي أقوامهم  
من تكذيب واستهزاء ، فلا غرابة أن يكذبك مترفو قومك فلا تحزن ولا تهين

(١) المؤمنون (٦٤-٦٥) .

(٢) المراغي ٣٩/١٨ .

(٣) سبأ (٣٤-٣٥) .

لأن تلك شنشنة المترفين وهذا دأبهم .

أما قولهم : ( نحن أكثر أموالاً وأولاداً وما نحن بمعذبين ) :  
قال الصاوي ( أي لو لم يكن راضياً بما نحن عليه لما أعطانا الأموال والأولاد في الدنيا ، وإذا كان كذلك فلا يعذبنا في الآخرة ، لأنه كما أكرمنا في الدنيا فلن يهيننا في الآخرة على فرض وجودها ) (١) .

( ٧ ) حجج المترفين الواهية :-

قال تعالى : ( وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ غَاثِرِهِم مُّقْتَدُونَ ) (٢) .

وهذه الآية بيان لعوائد المترفين في كل أمة .

قال صاحب التحرير والتنوير : ( جملة معترضة لتسلية النبي صلى الله عليه وسلم على تمسك المشركين بدين آبائهم ، والإشارة إلى المذكور من قولهم ( إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ ) ومثل قولهم قال المترفون من أهل القرى المرسل إليهم الرسل من قبلك ، ويتضمن هذا تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم على ما لقيه من قومه بأن الرسل من قبله لقوا مثل ما لقيني وحالهم حال قريش في الازدهاء بالنعمة التي هم فيها ، أي في بطن نعمة الله عليهم ، فالتشبيه يقتضى أنهم مثل الأمم السالفة في سبب الازدهاء وهو ما هم فيه من نعمة حتى نسوا احتياجهم إلى الله تعالى ، وقد جاء في حكاية قول المشركين الحاضرين وصفهم أنفسهم بأنهم بآبائهم مقتدون ، لأن أقوال السابقين كثيرة مختلفة يجمع مختلفها أنها اقتداء بآبائهم ) (٣) .

( ٨ ) ترف الكافرين سبب من أسباب خلودهم في النار :-

قال تعالى : ( وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ ، فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ، وَظِلٍّ مِّنْ يَحْمُومٍ ، لَا بَارِكُ وَلَا كَرِيمٍ ، إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ ) (٤) .

(١) حاشية الصاوي على تفسير الجلالين ٣ / ١ / ٣ دار الفكر .

(٢) الزخرف ( ٢٣ ) .

(٣) التحرير والتنوير ١٨٨ / ٢٥ محمد الظاهر ابن عاشور ( السدار

التونسية للنشر ) . ببعض التصرف .

(٤) الواقعة ( ٤١ - ٤٥ ) .

في هذه الآيات الكريمة يبين الله سبحانه وتعالى أسباب ما هم فيه من عذاب ما حق أولها وعلى رأسها أنهم كانوا منعمين ، فلم يحمدا والمنعم عليهم ، ولم يعبدوه بل جحدوا وحدانيتهم وأنكروا قدرته على بعثهم فكانت العاقبة استحقاقهم صنوف العذاب التي يلقونها في نار جهنم فهي بالإضافة إلى ما تسببه لهم من آلام تسبب لهم المهانة وتسلبهم كل كرامة .

قال عبد الكريم الخطيب : ( أصحاب الشمال : هم الذين أوتوا كتبهم بشمائلهم إذ كانت هذه الكتب تحمل اليهم الشؤم ، وسوء المصير أما منزلهم الذي ينزلونه - عافانا الله منه - فهو المنزل الجهنمي الذي يساق إليهم فيه من العذاب ألوانا وطعوما ، كما يساق النعيم إلى أصحاب الجنة ألوانا وطعوما ، إنهم ( في سموم ) أي في هبوب ملتهب ، ترمي به النار إليهم وتلفح وجوههم وأبدانهم ، وفي ( حميم ) وهو ما يسيل من عرقهم وصددهم فيجري من تحتهم ، كما تجري الأنهار تحت أصحاب الجنة ، وهم في ( ظل من يحوم ) ( لا بارد ولا كريم ) أي هم يدخلون - تحت ظل من سحاب هذه السموم الذي ينعقد فوق رؤوسهم وإن هذا الظل ليس باردا ولا كريما كظل أهل الجنة وإنما هو لهيب يشوي الوجوه ويهرا الأجسام .

أما الذي أنزلهم هذا المنزل المشعوم ، وألقى بهم في هذا البلاء العظيم فهو ضلالهم عن الحق ، وبعدهم عن الله تعالى وكفرهم بقاءه وتكذيبهم رسوله ( إنهم كانوا قبل ذلك مترفين ) منعمين في دنياهم مما أفاض الله سبحانه وتعالى عليهم من نعم ، وكان من حق هذه النعم أن تفتح لهم طريقا إلى الله عز وجل فيحمدوا له ويشكروه ، ولكنهم بطروا وأشروا ، واستكبروا في الأرض وعتوا عن أمر ربهم ، وصدوا عن سبيل<sup>(١)</sup> فكان ذلك العذاب جزاءً وفاقا لعتوهم واستكبارهم .

—————

(١) التفسير القرآني للقرآن ٢٧ / ( ٦١٨ - ٧٢٠ ) .

## " الخاتمة "

- بعد هذا التجوال في عالم الترف ، والمترفين ، والبحث في معاني الترف ومفهومه ، وأسبابه ، ومواقف المترفين من دعوات الرسل ، وأخلاق أهل الترف ، وعاقبة ترفهم ، يمكن إبراز أهم نتائج هذا البحث فيما يلي :
- (١) الترف هو التوسع الزائد في الانفاق على النفس والاسراف في الاستغراق في اللذائذ والشهوات .
  - (٢) إن الاسلام ليس من مقاصده أن يكون الفقر شعاراً للناس بل إن ديننا هو دين العمل وعمارة الكون وهو الدين الداعي إلى السعي الدؤوب لنفي الفقر ولينتفع الساعي بسعيه في حدود الاعتدال دون إفراط ، ولا تفريط .
  - (٣) المال الصالح في يد الانسان الصالح وسيلة هامة من الوسائل المعينة على التقرب إلى الله تعالى ، فالإسلام لا يحتقر المال بل يعترف له بأنه أحد أركان زينة الحياة الدنيا ، ولكن إذا جعله الإنسان خادماً لا سيدياً .
  - (٤) على المسلم أن يقتنى المال من حله وينفقه في حلة ليكون مسخرًا في مرضاة الله تعالى ، وعونا على طاعته .
  - (٥) قرر الإسلام حق الملكية بوسائل التملك المشروعة وذلك أمام الأفراد سبل التملك .
  - (٦) المال محترم معصوم للمسلم ولغيره في ظل الدولة الاسلامية لا يحق الاستيلاء عليه إلا إذا اكتسب بطرق محرمة .
  - (٧) وضع الاسلام ضوابط لحماية أموال الأفراد ، ومنع الاعتداء عليها باقامة الحدود ، والتعزيرات على كل من ينتهك حرمة أموال الآخرين .
  - (٨) فرض الشارع الحكيم حقوقاً في ملكية الأفراد وأوجب عليهم أداءها فإن لم يؤدوها راغبين أخذت منهم قهراً ، وغلبة لأنها إن لم تؤد أصبح المال دولة بين الأغنياء ، وحُرم منه الفقراء فتشكلت في المجتمع طبقات متباينة ، وظهرت فيه عوامل الاستعلاء المؤدي إلى الدمار .
  - (٩) فرض الإسلام الزكاة على مختلف فروع الثروة ، وشتى مظاهر النشاط الاقتصادي مما يكفل تحقيق العدالة الاجتماعية وحل مشاكل الفقر في المجتمعات الإسلامية ونفي التحاسد والتباغض ، وحدث الكوارث الاجتماعية التي تنجم من ثورة الفقراء على الأغنياء .

( ١٠ ) الزم الإسلام الرجل النفقة على زوجته ، وأبنائه ، ووالديه المحتاجين وجعل هذا الإلزام مصدراً لثواب الله تعالى وفي ذلك حفظ لكيان الأسرة ، والمجتمع ، وتحقيق للروابط الاجتماعية ، وإشاعة للمودة والتحاب .

( ١١ ) أجاز العلماء المسلمون فرض الضرائب العادية بناءً على أصل المصالح المرسله والقياس وذلك حينما يضيق المال الموجود بيد الدولة عن سد الحاجات القائمة والنهوض بالخدمات الاجتماعية الواجبة .

( ١٢ ) للإمام أن يوظف على الأغنياء ما يراه كافياً لسد حاجة المسلمين والذود عن أراضيتهم بعد استنفاد أموال بيت المال لأن القول بغير ذلك يؤدي إلى إذلال المسلمين ، والاستيلاء على بلادهم ، وكسر شوكتهم .

( ١٣ ) يحافظ الإسلام على أهلية المسلم ، وحرمة ماله ويحرم نزع ملكه ممن غير رضاه إلا في أحوال وظروف حددها الفقهاء .

( ١٤ ) أخرج الإسلام من نطاق الملكية الفردية الأشياء التي لا يتوقف وجودها ولا الانتفاع بها على مجهود خاص وتكون ضرورية لجميع الناس فأوجب أن تكون ملكيتها عامة والناس فيها شركاء .

( ١٥ ) يُسَخَّرُ بعض من ينتسبون للإسلام اسماً ، ويوالون الغرب أو الشرق فكراً إمكانياتهم المالية ، والفكرية لمحاربة الإسلام بقصد ، أو بدون قصد وفعلهم هذا حرام ويجب على المسلمين اجتنائهم من بينهم .

( ١٦ ) حرم الإسلام إنفاق المال فيما يعود على النفس والغير بالضرر كالإنفاق في الخمر ، والميسر ، والزنى ، وكان ولا يزال أغلب من يأتي هذه المنكرات هم المترفون الذين طفحت خزائنتهم بالأموال .

( ١٧ ) من توجيهات الإسلام لحماية الأسرة من التفكك أمر الآباء بعدم تفضيل بعض الأبناء في الهبة إلا في حالات استثنائية ومن دعوة الإسلام للحفاظ على المودة بين الزوجين حرماً على المرأة إنفاق مال زوجها بغير إذنه .



- (١٨) قصص الأنبياء عليهم السلام مع أقوامهم أكبر برهان على عتو المترفين وهم الذين حملوا لواء الصد لدعوات التوحيد التي أتى بها رسل الله عليهم السلام .
- (١٩) نَزَّهَ اللهُ سبحانه وتعالى نفسه عن اتخاذ صاحبة ، والولد . وعرض القرآن الكريم لهذه القرية الفظيعة وساق الأدلة والبراهين العقلية والنقلية التي تدحض قبائح المترفين من كفار الأمم السابقة واللاحقة .
- (٢٠) لم يسلم رسول من رسل الله عليهم السلام من طعون المترفين ، وإثارة الشبهة حولهم ، والاستهزاء بهم ، والتعننت معهم وطلب الخوارق والمستحيلات ليثنوا الرسل عن دعواتهم وليمنعوا الناس من الإيمان بهم .
- (٢١) استبعاد البعث ، وإنكاره شبهة أطلقها المترفون الذين لا يريدون كبح جماح شهواتهم ، ولذاتهم التي أنغمسوا فيها وغاب عن عقولهم المتحجرة أن خلق الحياة الدنيا وحدها دون الآخرة مجانب للعدل الإلهي .
- (٢٢) ناقش القرآن الكريم شبه المترفين حول القرآن الكريم وتحداهم ، وفضح مخططاتهم ، ومؤامرتهم للنيل من القرآن ، أو الصد عن الاستماع له ، ودعا إلى عدم هجر القرآن أو التشاغل عنه بالملهييات المعروفة التي شاعت كثيرا بين أوساط المسلمين .
- (٢٣) الأقتصاد في المباحات من مطعمات وملبوسات ومشروبات مطلب شرعي ، لأن رأس الترف ذروة سنامه الإسراف والتبذير ، والمسلم المؤتمر بأمر الله تعالى ينتهج الطريق الشرعي وهو القوام فلا إسراف ولا تقتير .
- (٢٤) التوسع الزائد في المساكن ، وبهرجتها بفاخر الأثاث والرياش يصرف عن طلب الآخرة ويعود المتخلفين به على الجبن ، ويشغل عن الجهاد في سبيل الله تعالى .

( ٢٥ ) حذر الإسلام من حضور الولائم المنكرة كالتي يختلط فيها الرجال بالنساء أو ألتى فيها معاقرة الخمر ، فإن لم يعلم المدعو بوجود المنكر إلا وقت حضوره فإن كان باستطاعته أن يغير المنكر بيده أو بلسانه فليفعل ، وان لم يستطع فليخرج من الدعوة فوراً .

( ٢٦ ) نتيجة للإفراط في الجلوس أمام جهاز الرائي ، ومشاهدة الأفلام الخليعة ، والهزلة في الليل والاستغراق في النوم نهارا انقطعت صلة كثير من المسلمين بدينهم ، وانشغلوا بالباطل ، وتركوا الجهاد في سبيل الله وما هذا الا خلق المترفين الذين نهانا الله تعالى عن التخلق بأخلاقهم .

( ٢٧ ) من أسوأ أخلاق المترفين الممقوتة الكبر ، وقد ذم الله سبحانه وتعالى ورسوله الكريم عليه الصلاة والسلام هذا الداء العضال والذي ابتلي الكثير من المسلمين - للأسف الشديد - به ، وكان من دواعي عدم ايمان المترفين بالرسول استكبارهم على الرسل واستنكافهم عن مجالسة الفقراء ، والمستضعفين من المؤمنين .

( ٢٨ ) الناظر في التاريخ القديم ، والحديث ، والمتمعن في قصص الأمم التي استعرضها القرآن الكريم ومن واقعنا المعاصر ، يرى أن الترف مصدر خطر على الأمة بأسرها إذا سمحت بوجود الطبقة المترفة وقعدت عن إزالة أسباب الترف .

( ٢٩ ) من خلال عرض القرآن الكريم لقصص الأقسام الماضية وما جرى لهم بسبب ترفهم ، واستكبارهم ، نتبين أن سنة الله تعالى في عقاب المترفين ماضية ، وأن قوة الأمم مهما بلغت إن لم تكن مصاحبة لتقوى الله تعالى ، وطاعته ، والاحتكام إلى نهجه ، فإنها لن تغن عنها شيئاً في تحويل ، او تبديل سنة الله عز وجل في عقاب المترفين ومن سمح بوجودهم ، إما بالإستئصال ، أو في فقد العزة ، والاستقلال .

( ٣٠ ) وردت لفظة ترف في ثمانية مواضع من القرآن الكريم إلا أن هناك كثيراً من الآيات غيرها تدم حال المترفين وتحكي قصص عنادهم واستكبارهم واستنكافهم عن الايمان بالله ورسوله .

غير اننى خشية التطويل اكتفيت بجمع الآيات التي ذكرت الترف صراحة وعرضتها مع تفسيرها عرضاً موجزاً في موضع واحد من الرسالة لأننى تعرضت لها ولشرحها بالتفصيل في ثنايا الرسالة .

### ” الوصايا والمقترحات ”

الحمد لله حق حمده والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على صفوته  
من خلقه محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وبعد . .

فمن خلال معاشتي لصفحات البحث لسنوات مضت فإنني أرى لزاما  
على ، امتثالا لأمر الله بالأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، ولأن الدين  
النصيحة أن أوصي نفسي وأفراد مجتمعاتنا الإسلامية العربية منها وغير  
العربية عدة وصايا ، لعل أن يكون فيها بعض النفع ( لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ ،  
أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ) (١) .

(١) على المسلم أن لا يعود نفسه على التنعم الزائد ، وأن لا ينظر الي  
من هو فوقه في المال عملا بقوله صلى الله عليه وسلم ( من نظر في  
دينه إلى من هو دونه ، ونظر في دنياه إلى من هو فوقه ، فأسف  
على ما فاته منه ، لم يكتبه الله شاكرا ، ولا صابرا ) (٢) فعلى المرء أن يحمد  
الله على ما هو فيه من نعم لا تحصى ، وينظر أحوال الآلاف الذين  
يموتون جوعا في بعض بقاع العالم . ويحاول أن يمد يد المساعدة  
ما استطاع ، لأن في ذلك إنعاشا لأمتنا الإسلامية وتكاتفا يوؤدي  
بالأمة الإسلامية نحو الطريق الصحيح إن شاء الله تعالى . .

(٢) على المسلمين المحافظة على أموالهم وتنميتها في مشاريع تعود على  
أصحاب الأموال وغيرهم بالخير بدل أن ينفقوها إسرافا وبذخا  
في الولائم ، والأعراس وزخرفة المساكن والعمائر لأن المال عنصر  
مهم قدمه سبحانه وتعالى في النصوص القرآنية على النفس وغيرها  
قال تعالى ( أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ  
فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ) (٣) وَالْمَالُ  
وَالْبُنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا (٤) وذلك لأنه وسيلة للحفاظ على النفس  
وبدونه تتعرض الأمة للهلاك . .

(١) ق : ( ٣٧ ) .

(٢) رواه الترمذى من حديث ابن عمر رضى الله عنهما فى ابواب صفة  
القيامه من كتاب سنن الترمذى بشرح الامام ابن العربى (عارضه  
الأحوذى ٣١٧/٩ .

(٣) التوبة ( ٤١ ) .

(٤) الكهف ( ٤٦ ) .

(٣) أنصح اخوتنا الاغنياء أن يعكفوا على كتاب الله عز وجل ، وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم فيعيشوا في كنفها ، ويتفأوا ظللها الوارفة ليروا فيها ما أعد الله سبحانه وتعالى لعباده المحسنين في فسيح جناته وما هياً للفاسقين من المترفين الذين قالوا ( أَنْطَعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَنْطَعِمَهُ )<sup>(١)</sup> من عذابه في جحيم نيرانه ، ليفروا بعدها إلى الله عز وجل نافرين من الترف المردي والنعيم المطغي فيقولوا بما لديهم من أموال : هكذا وهكذا لرد لهفة الملهوفين وكف دموع الأيامي ، واليتامى ، والمحرومين ، ويقضوا بذلك على غوائل الفقر التي تنشئ في المجتمعات طبقات متعادية متناحرة متحاسدة متباغضة يتمني فقيرها لغنيها لو تسوى به الأرض ، أو تنزل على رأسه السماء ، وينظر غنيها لفقيرها نظرة مليئة بالازدراء والاحتقار ، وليكن رائد الأغنياء وهم ينفقون أموالهم ما رواه ابن جبان عن ابن مسعود رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ( نحن الآخرون الأولون يوم القيامة ، وان الأكثرين هم الاسفلون ، إلا من قال : هكذا ، وهكذا عن يمينه ، وعن يساره ، ومن خلفه ، ومن بين يديه ،<sup>(٢)</sup> وبحثي بثوبه )

(٤) أنصح اخوتنا الاغنياء في عالمنا الاسلامي الواسع ألا يهدوا أموالهم في التردد على بلاد الكفر لقضاء الإجازات ، أو التماسا للفسح والنزهات فينفقوا في ذلك مئات البلايين ، بينما يعاني الكثيرون من أبناء الأمة ، آلام العري والجوع بل والحرمان من الحصول على مأوى بسيط يقيهم غائلة الحر والبرد . مع التيقن بأنه يوجد في بلاد المسلمين الواسعة منتجات منحها الله كل مواصفات الراحة والجمال بحيث شبهها الكثيرون كأنها الجنات المعروشات . فهذا الوطن المترامي الأرجاء ذو مناخ متكامل تتوفر فيه الحرارة وضوء الشمس الساطع والبرودة والاعتدال في كل الفصول فلو قضى أغنياؤنا

(١) يس (٤٧) .

(٢) عن المتجر الرابع في ثواب العمل الصالح ص (٢٣٣) .

ومترونا اجازاتهم في ربوع هذا الوطن ، لسلموا من آفات العدوى الأخلاقية ، وسوفروا أموالا طائلة هي قوة وذخر لوطن المسلمين لو أنفقت فيه ضمن حدود الإسلام وآدابه ، بلا تبذير ، ولا تقتير .

(٥) في مجال التصنيع ما تزال أمتنا في عداد الدول المتخلفة حتى على مستوى الصناعات البدائية الخفيفة فهي عالية على دول الكفر في هذا المضمار الذي أمرنا الله تعالى أن نكون فيه سباقيين بقوله ( وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ )<sup>(١)</sup> والذي أمتن فيه على قوم داود عليه السلام بقوله ( وَكَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ )<sup>(٢)</sup> . فلو عقد أغنياء أمتنا مؤتمرا اتفقوا فيه على أن يخصصوا بعض أموالهم لإقامة مصانع تنتج المصنوعات التي لا تستغنى عنها أمة تريد التقدم ، والارتقاء بدءا من ابـرة الخياطة وانتهاء بالصاروخ لئلا تظل روح الأمة الاسلامية ككل في قبضة أعدائها، تضغط على أعناقها متى شاءت فتخنقها ، ويكفي في هذا المجال أن نُشير إلى أن أمتنا - التي خاطب أحد خلفائها أحد رؤساء الروم بقوله : من هرون الرشيد أمير المؤمنين إلى نكفور كلب الروم - أصبحت اليوم تقول عن أكبر دولتين كافرتين في عالم اليوم : " الدولتان الأعظم " !!! وما ذلك الا لأن هاتين الدولتين تملكان أسباب القوة ، ونحن لا نملك شيئا ، وتحت أيدينا مفاتيح خزائن الأرض !!! وما أحسن ما قال المتنبى في هذا المجال وتكبر في عين الصغير صغارها وتصغر في عين العظيم العظام !!!

(٦) وفي المجال الاجتماعي يشاهد اليوم أن ابواب المآسى مفتوحة على مصاريعها في جميع أنحاء عالمنا الاسلامي ، وفي كل ساعة من ساعات الليل والنهار تنضم قوافل جديدة إلى قوافل الأيامي ، والشكالي واليتامي ، والعجزة ، والمعوقين ، الذين أصبحوا يزحمون الساحات العربية الاسلامية ، وعويلهم ونواحهم يصم الآذان ، ويتصاعد إلى

(١) الانفال (٦٠) .

(٢) الانبياء (٨٠) .

الرحمن . فلو أن أخوتنا الأغنياء والمترفين أخذوا يقولون الباري عز وجل  
 ( وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ، إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ  
 اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا )<sup>(١)</sup> فعملوا على إنشاء الميتم ، والمبرات  
 وماوى العجزة التي تكفى لايواء هذه الطبقات البائسة المحرومة ،  
 فتقدم لهم الكساء ، والغذاء ، والتعليم ، والتربية الاسلامية الصحيحة  
 الواعية ، التي تضمن لهم الحياة الكريمة ، وتصون إنسانيتهم وتجعلهم  
 يشعرون حقاً أن لهم اخوة في الله يحسون بأن المؤمن اخو المؤمن  
 وأن المؤمنين كالجسد الواحد ، إذ أشتكى منه عضو تداعى له سائر  
 الأعضاء بالحمى والسهر .

(٧) كذلك على المسلمين عدم التأسى بأخلاق المترفين المترفهين الذين  
 كثروا في هذا العصر ، وعدم السكوت عن ترفهم ولهوهم ومحاولة إزالة  
 هذا الداء الفتاك كل حسب قدرته ، ووفق مكانته وإمكانيته ، حتى  
 لا يتعرض الجميع للهلاك بحكم ترتب النتائج على المقدمات . .

(٨) ووصيني للمرأة خاصة التي أعتقد أنها هي أيضا على شفرة من ثغر  
 الاسلام وباستطاعتها النهوض بواجب كبير في محاربة الترف والإسراف  
 إذ عليها ان تقتصد في انفاق المال ، وتربأ بنفسها عن أن تتخلق  
 بخلق المترفات فتقتصد أولاً قبل زفافها بعدم إثقال كاهل زوج المستقبل  
 بالديون أو مطالبته بما هو فوق استطاعته من صداق ولباس ، وأثاث  
 وحفلات وغير ذلك ، حتى وإن كان الزوج كثير المال فالأولى بها أن -  
 تحافظ على ماله وتنميه ليكون بذلك مصدر خير وسعادة لها ولزوجها  
 ولأمتها الإسلامية ، ولتكن قدوتها في حياتها الزوجية أمهات  
 المؤمنات وسيدة نساء العالمين فاطمة البتول التي كان مهرها درعا  
 أهداه والدها صلى الله عليه وسلم لزوجها علي رضي الله عنه قبل  
 زواجه منها بمدة طويلة ، فلما خطبها أمره الرسول صلى الله عليه وسلم  
 أن يلتبس لها مهراً فلما اجتهد في ذلك ولم يجد لديه شيئاً من

(١) الانسان ( ٨ - ٩ ) .

حطام الدنيا قال له عليه الصلاة والسلام : أين درع الخطيئة ؟  
ثم نبهه أن يجعلها مهرا لفاطمة . وهكذا أعيدت الدرع الموهوبة  
من الرسول صلى الله عليه وسلم لتكون مهرا لسيدة نساء العالمين  
فهي من الرسول صلى الله عليه وسلم وإليه " بضاعتنا ردت إلينا"  
أما فراشها ليلة عرسها فكان جلد كبش . . . !  
فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم إن التشبه بالكرام فلاح  
وما أصدق من قال :

لستم بنبيهم ، ولستم من سلالتهم إن لم يكن سعيكم من سعيهم أمما  
(٩) ولعلمائنا الاجلاء كلمه رجما وهو أن يدركوا إدارا كما يقينيا أن الأغنياء  
والمترفين إخوتهم في الله عز وجل ، فعليهم أن يحرصوا على إنقاذهم  
من النار ، وأن يأخذوا بأيديهم إلى الجنة ، وذلك بان ينصحوهم  
ويعظوهم ويرشدوهم ، ويبينوا لهم مغبة الترف وعواقبه الوخيمة على  
الأفراد والمجتمعات في الدنيا ، وما يجره على أهله من ويلات في  
الآخرة ، وذلك عن طريق المحاضرات والندوات ، والدروس ، والخطب  
الأسبوعية والموسمية ، وعن طريق وسائل الإعلام المتاحة . . . الرائي  
المذيع بالصحيفة . . . بمقدار ما يهيئ الله لهم . و ( لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ  
نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا )<sup>(١)</sup> وبهذا يكونون قد قاموا بواجبهم ، واستحقوا  
المرتبة السامية التي بشرهم بها سيد المرسلين " العلماء ورثة الأنبياء"<sup>(٢)</sup>  
فهذه الوراثة ليست إلا وراثة التبليغ والبيان ، وإعطاء القسوة  
الصالحه .

(١٠) وفي ميدان التعليم والتربية وهو الميدان الذي ينير الأذهان ويضيئ  
العقول وينشئ أبناء الأمة على أسمى الأخلاق ، والفضائل والكمالات  
الانسانية هذا لو خصصت الدول العربية والإسلامية فقرات من  
المناهج الدراسية - على نطاق أوسع مما هو موجود الآن - تهتم  
بالجوانب الأخلاقية وتدريس نماذج من أخلاق الرسول الكريم عليه

(١) البقره ( ٢٨٦ ) .

(٢) من حديث طويل رواه أبو داود بسنده عن كثير بن قيس في سننه  
٣١٧/٣ باب الحث على طلب العلم / كتاب العلم .

الصلاة والسلام ، وأخلاق صحابته الكرام عليهم رضوان الله ، وسلغنا  
 الصالح من الرجال ، والنساء ، وذلك لغرس مبادئ الايثار ، والكرم  
 والعفة ، والقناعة ، والتنفير من الرذيلة ، والشح ، والأثرة ،  
 والجشع ، والتبذير ، لينشأ نتيجة ذلك جيل من أبناء وبنات الأمة على  
 العقيدة الصحيحة ، والأخلاق الفاضلة ، وحب البر ، والإحسان ، وبذلك  
 تتلاشى بمشيئة الله تعالى مظاهر الترف ، والتعالي ، والبذخ والإسراف  
 ويتنافس المسلمون في فعل الخيرات ، وعمل الصالحات ( وفي ذلك  
 فليتنافس المتنافسون )<sup>(١)</sup> .

هذه نصائح أقدمها على قلة جهد ، وقلة من التحصيل العلمي  
 مقرة بأوضح ما يكون الإقرار أنني لم أوت من العلم إلا قليلا وأن هذا  
 جهد المقل وعزائي في هذا أن الله سبحانه خفف عنا الأعباء بقوله  
 ( لَا يَكْلِفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا )<sup>(٢)</sup> فله الحمد ، والفضل ، والمنة وأقول  
 مع القائل :-

ولن تكلف نفس فوق طاقتها ولا تجود يد إلا بما تجود

سائلة الله تعالى أن يجعل هذا الجهد المتواضع في كفة حسناتي  
 يوم القيامة ، وأن يجعل إخوتي المؤمنين ممن قال فيهم : ( الَّذِينَ  
 يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ  
 هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ )<sup>(٣)</sup> .

فهو حسبي واليه مآب والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي  
 لولا أن هدانا الله . . والحمد لله أولا وآخرا وصلى الله على سيدنا  
 محمد وعلى آله ومن تبع هداه إلى يوم الدين .

(١) المطففين ( ٢٦ ) .

(٢) البقرة ( ٢٨٦ ) .

(٣) الزمر ( ١٨ ) .



(٤٦٠)  
 " فهرس للآيات القرآنية الواردة في البحث "

حسب تسلسل أرقام الصفحات

—————

| الصفحة           | أطراف الآيات                                               | رقم الآية | السورة   |
|------------------|------------------------------------------------------------|-----------|----------|
| ٤١٩ و ٤٤٤ و ٤٠٢  | وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها . . .                | ١٦        | الاسراء  |
| ٢                | ولا تنس نصيبك من الدنيا . . .                              | ٧٧        | القصص    |
| ٢                | يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين الى أجل               | ٢٨٢       | البقرة   |
| ٣٥ و ٢           | ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل . . .                     | ١٨٨       | البقرة   |
| ١٤٢ و ٤١ و ٢     | ولا توتوا السفهاء أموالكم . . .                            | ٥         | النساء   |
| ٤١ و ٣           | وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل . . .               | ٢٧-٢٦     | الاسراء  |
| ٤٥٦ و ٣          | وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة . . .                         | ٦٠        | الانفال  |
| ٣                | ليس البر أن تولوا وجوهكم . . .                             | ١٧٧       | البقرة   |
| ٣                | قل لعبادى الذين آمنوا يقيموا الصلاة . . .                  | ٣١        | ابراهيم  |
| ٧                | ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى . . .                  | ٧         | الحشر    |
| ٣٥٣ و ٨          | قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم واخوانكم . . .                   | ٢٤        | التوبة   |
| ٨                | قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير . . .                      | ٧٧        | النساء   |
| ٣٦٤ و ٩          | قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده . . .                 | ٣٢        | الأعراف  |
| ١٠               | لئن شكرتم لأزيدنكم                                         | ٧         | ابراهيم  |
| ١٠               | تريدون عرض الدنيا                                          | ٦٧        | الأنفال  |
| ١٢               | ووجدك عائلا فأغنى                                          | ٨         | الضحى    |
| ١٤               | هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا . . .                          | ١٥        | الملك    |
| ١٤               | ولقد مكناكم فى الأرض . . .                                 | ١٠        | الأعراف  |
| ١٥               | ( ان ترك خيرا )                                            | ١٨٠       | البقرة   |
| ٣٣ و ١٥ و ٩٨     | وانه لحب الخير لشديد                                       | ٨         | العاديات |
| ١٦               | انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا . . . | ١٥        | الحجرات  |
| ١٦               | يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة . . .               | ١١، ١٠    | الصف     |
| ٥٨ و ٣٤ و ١٨ و ٩ | خذ من أموالهم صدقة . . .                                   | ١٠٣       | التوبة   |
| ١٨               | واتقوا الله الذى تساءلون به . . .                          | ١         | النساء   |
| ١٩               | والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم . . .                | ٩         | الحشر    |
| ٩٨ و ٢٤          | ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله              | ١٨٠       | آل عمران |

| الصفحة                                                                                                  | أطراف الآيات                                              | رقم الآية | السورة    |
|---------------------------------------------------------------------------------------------------------|-----------------------------------------------------------|-----------|-----------|
| ٢٤                                                                                                      | ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون                        | ٩         | الحشر     |
| ٢٤                                                                                                      | وأما من خاف مقام ربه . . .                                | ٤٠        | النازعات  |
| ٢٦                                                                                                      | يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل . . . | ٣٠ و ٢٩   | النساء    |
| ٢٣ و ٢٢ و ٢١ و ٢٠ و ١٩ و ١٨ و ١٧ و ١٦ و ١٥ و ١٤ و ١٣ و ١٢ و ١١ و ١٠ و ٩ و ٨ و ٧ و ٦ و ٥ و ٤ و ٣ و ٢ و ١ | يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر . . .              | ٩٠        | المائدة   |
| ٢٩                                                                                                      | إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير . . .            | ١١٥       | النحل     |
| ٣٣                                                                                                      | زين للناس حب الشهوات من النساء . . .                      | ١٤        | آل عمران  |
| ٣٣                                                                                                      | وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين . . .                     | ٨٢        | الكهف     |
| ٣٥                                                                                                      | ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن . . .             | ١٥٢       | الأنعام   |
| ٣٥                                                                                                      | يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم . . .    | ٩         | المنافقون |
| ٣٥                                                                                                      | إنما أموالكم وأولادكم فتنة . . .                          | ١٥        | المتغابن  |
| ٣٥                                                                                                      | مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله . . .               | ٢٦١       | البقرة    |
| ١٦٢ و ٤٤                                                                                                | يوصيكم الله في أولادكم . . .                              | ١١        | النساء    |
| ٤٤                                                                                                      | والسارق والسارقة فاقطعوا . . .                            | ٣٨        | المائدة   |
| ٤٥                                                                                                      | إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله . . .                 | ٣٣        | المائدة   |
| ٤٨                                                                                                      | وأحل الله البيع وحرم الربا                                | ٢٧٥       | البقره    |
| ٥٢                                                                                                      | الذين يأكلون الربا لا يقومون . . .                        | ٢٧٥       | البقره    |
| ٥٣                                                                                                      | يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله                            | ٢٧٨ و ٢٨٠ | البقرة    |
| ٥٤                                                                                                      | وذروا ما بقي . . .                                        | ٢٨٠       |           |
| ٥٤                                                                                                      | وما آتيتم من ربا ليربوا . . .                             | ٣٩        | الروم     |
| ٥٥                                                                                                      | سمعون للكذب أكالون لاسحت . . .                            | ٤٢        | المائدة   |
| ٥٨                                                                                                      | فلا تزكوا أنفسكم . . .                                    | ٣٢        | النجم     |
| ٥٩ و ٥٨                                                                                                 | إنما الصدقات للفقراء والمساكين . . .                      | ٦٠        | التوبة    |
| ٦٠                                                                                                      | وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وما تقدموا لأنفسكم . . .      | ١١٠       | البقرة    |
| ٦٠                                                                                                      | واقموا الصلاة وآتوا الزكاة واطيعوا الرسول . . .           | ٥٦        | النور     |

| السورة   | رقم الآيه | أطراف الآيات                                        | الصفحة                 |
|----------|-----------|-----------------------------------------------------|------------------------|
| النحل    | ٤٤        | وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس . . .                | ٦١                     |
| البقرة   | ٢٦٧       | يا أيها الذين آمنوا انفقوا من طيبات . .             | ٦٦ و٦٨ و<br>٧٤ و٧٧     |
| المعارج  | ٢٤        | والذين في أموالهم حق معلوم . .                      | ٦٦ - ٩٤                |
| الانعام  | ١٤١       | وأتوا حقه يوم حساده . . .                           | ٦٨                     |
| الاعراف  | ١٢٨       | ان الأرض لله يورثها من يشاء . .                     | ٧٦                     |
| التوبة   | ١٠٤       | الم يعلموا أن الله هو يقبل<br>التوبة . . .          | ٨٩                     |
| التوبة   | ٣٥ - ٣٤   | والذين يكنزون الذهب والفضة . . .                    | ٩٦                     |
| الطلاق   | ٧         | لينفق ذو سعة من سعته . .                            | ١٠٠                    |
| الاعراف  | ٣١        | يا بني آدم خذوا زينتكم . .                          | ١٠١ و١٠٢ و١٠٣<br>٤٠٠ و |
| النساء   | ٣٤        | الرجال قوامون على النساء بما فضل الله . .           | ١٠٢                    |
| البقرة   | ٢٢٩       | فأمسك بمعروف أو تسريح بإحسان . .                    | ١٠٣                    |
| البقرة   | ٢٣٣       | والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين . .            | ١٠٣                    |
| الاسراء  | ٢٣        | وقضى ربك ألا تعبدوا الا إياه وبالوالذين<br>احسانا . | ١٠٧                    |
| الشورى   | ٤٢        | انما السبيل على الذين يظلمون الناس . .              | ١١٩                    |
| الانفال  | ٣٦        | ان الذين كفروا ينفقون أموالهم . .                   | ١٢٨ و<br>١٢٩           |
| يونس     | ٣٢        | فماذا بعد الحق الا الضلال                           | ١٤٣                    |
| الاسراء  | ٣٢        | ولا تقربوا الزنى انه كان فاحشة . .                  | ١٤٩                    |
| النور    | ٢         | الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما . .           | ١٤٩                    |
| المطففين | ٣-١       | ويل للمطففين الذين إذا اکتالوا . .                  | ١٥٢                    |
| هود      | ١١٦-١١٧   | فلولا كان من القرون من قبلكم . .                    | ١٥٣ و١٨١ و٤٤٣ و        |
| مريم     | ٥٩        | فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة . .                 | ١٥٣                    |
| مريم     | ٤١        | واذكر في الكتاب ابراهيم انه كان صديقا . .           | ١٥٣ و١٧٩               |

| الصفحة    | أطراف الآيات                                  | رقم الآيه | السورهن  |
|-----------|-----------------------------------------------|-----------|----------|
| ١٥٦       | قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق . . .       | ٥٩        | يونس     |
| ١٥٧       | فهب لي من لدنك وليا . .                       | ٥         | مريم     |
| ١٥٧       | فهل عسيتم ان توليتم أن تفسدوا . .             | ٢٢        | محمد     |
| ١٦٩       | وما أرسلنا من قبلك من رسول الا<br>نوحىي . . . | ٢٥        | الأنبياء |
| ٢٤٥       | وأسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا . .          | ٤٥        | الزخرف   |
| ١٦٩       | ولقد بعثنا في كل أمة رسولا . .                | ٣٦        | النحل    |
| ١٧٠       | ولقد أرسلنا نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا  | ٥٩        | الأعراف  |
| ١٧٠ و ٢٧٤ | ولقد أرسلنا نوحا الى قومه . . . . .           | ٢٣-٢٤     | المؤمنون |
| ١٧٠       | والى عاد أخاهم هودا . .                       | ٥٠        | هود      |
| ١٧٠       | والى ثمود أخاهم صالحا . .                     | ٦١        | هود      |
| ١٧١       | ولقد أرسلنا موسى بآياتنا الى فرعون . .        | ٤٦        | الزخرف   |
| ١٧١       | ولما جاء عيسى بالبينات قال . .                | ٦٣-٦٤     | الزخرف   |
| ١٧٢       | يا أيها النبي انا ارسلناك شاهدا . .           | ٤٥-٤٦     | الأحزاب  |
| ١٧٢ و ٤٤٨ | وكذلك ما أرسلنا من قبلك فى قرية . .           | ٢٣        | الزخرف   |
| ١٧٣       | مالكم لا ترجون لله وقارا . .                  | ١٣-٢٠     | نوح      |
| ١٧٤       | فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا . .          | ١٠-١٢     | نوح      |
| ١٧٥       | وأخرى تحبونها نصر من الله                     | ١٣        | الصف     |
| ١٧٥       | ولو أن أهل القرى آمنوا . .                    | ٩٦        | الأعراف  |
| ١٧٥       | ولقد أرسلنا نوحا الى قومه فلبث . .            | ١٤        | العنكبوت |
| ١٧٥       | وما آمن معه الا قليل                          | ٤٠        | هود      |
| ١٧٥       | قال رب انى دعوت قومي . . . . .                | ٥-٩       | نوح      |
| ١٧٦       | وأوحى الى نوح أنه لن يؤمن من . .              | ٣٦        | هود      |
| ١٧٧       | قال نوح رب انهم عصوني . .                     | ٢١-٢٤     | نوح      |
| ١٨١       | قال أرأغب أنت عن آلهتي . .                    | ٤٦        | مريم     |
| ١٨٢       | ولقد آتينا ابراهيم رشده . .                   | ٥١-٥٤     | الأنبياء |
| ١٨٢       | الله أعلم حيث يجعل رسالته . .                 | ١٢٤       | الأنعام  |
| ١٨٤       | قال بل ربكم رب السموات والأرض . .             | ٥٦-٥٨     | الأنبياء |

| السورة   | رقم الآيه | أطراف الآيات                             | الصفحة        |
|----------|-----------|------------------------------------------|---------------|
| الأنبياء | ٦٣-٥٩     | قالوا من فعل هذا بآلهتنا . . .           | ١٨٦           |
| الأنبياء | ٦٤        | فرجعوا الى أنفسهم فقالوا . . .           | ١٨٧           |
| الأنبياء | ٦٥        | ثم نكسوا على رؤوسهم . . .                | ١٨٨           |
| الأنبياء | ٦٧، ٦٦    | قال أفتعبدون من دون الله . .             | ١٨٩           |
| الأنبياء | ٦٨        | قالوا حرقوه وانصروا الهتكم . .           | ١٨٩           |
| البقرة   | ٢٥٨       | الم تر الى الذي حاج ابراهيم . .          | ١٩٠           |
| القصص    | ٤         | ان فرعون علا فى الأرض . .                | ٣٨٠ و ٩١ و ٩٤ |
| القصص    | ٣٨        | وقال فرعون يا أيها الملأ . . .           | ٢١٢ و ٩١ و ٩٤ |
| الشعراء  | ١١-١٠     | واذ نادى ربك موسى أن آئت . .             | ١٩٥           |
| الشعراء  | ٢٣        | قال فرعون وما رب العالمين . .            | ١٩٥           |
| الشعراء  | ٢٤        | قال رب السموات والأرض . .                | ١٩٦           |
| الاسراء  | ١٠٢       | ولقد علمت ما أنزل هؤلاء . . .            | ١٩٦           |
| الشعراء  | ٢٥        | قال لمن حوله ألا تستمعون . .             | ١٩٧           |
| الشعراء  | ٢٧        | قال ان رسولكم الذى أرسل اليكم لمجنون . . | ١٩٧           |
| الشعراء  | ٢٦        | قال ربكم ورب اباكم الأولين . .           | ١٩٨           |
| الشعراء  | ٢٨        | قال رب المشرق والمغرب . .                | ١٩٨           |
| الشعراء  | ٣٠، ٢٩    | قال لئن اتخذت الها غيرى . .              | ١٩٩           |
| الشعراء  | ٣٣-٣١     | قال فأت به ان كنت من الصادقين . .        | ٢٠٠           |
| الشعراء  | ٣٥-٣٤     | قال للملأ حوله ان هذا لساحر . .          | ٢٩٢ و ٢٠٠     |
| الشعراء  | ٣٧-٣٦     | قالوا أرجه وأخاه . .                     | ٢٠١           |
| طه       | ٦١-٥٧     | قال أجيئنا لتخرجنا من أرضنا . .          | ٢٩٢-٢٠٢       |
| طه       | ٦٤-٦٢     | فتنازعوا أمرهم بينهم . .                 | ٢٠٣           |
| الشعراء  | ٤٠-٣٧     | فجمع السحرة لميقات يوم . .               | ٢٠٤           |
| الأعراف  | ١٢٥       | قالوا يا موسى اما أن تلقى . .            | ٢٠٥           |
| الأعراف  | ١١٦       | قال القوا فلما ألقوا سحروا أعين . .      | ٢٠٥           |
| الأعراف  | ١١١٧      | وأوحينا الى موسى أن الق . .              | ٢٠٦           |
| الأعراف  | ١١٩-١١٨   | فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون . .       | ٢٠٦           |
| الأعراف  | ١٢٢-١٢٠   | والقى السحرة ساجدين . .                  | ٢٩٢ و ٢٠٧     |

| السورة   | رقم الآيه | أطراف الآيات                               | الصفحة    |
|----------|-----------|--------------------------------------------|-----------|
| الأعراف  | ١٢٣       | قال فرعون آمنتم به قبل . .                 | ٢٠٨       |
| الأعراف  | ١٢٤ - ١٢٥ | لا قطعن ايديكم وارجلكم . .                 | ٢٠٩       |
| طه       | ٧٢ - ٧٣   | قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا . .            | ٢١٠       |
| الأعراف  | ١٢٦       | وما تنقم منا الا أن آمننا . .              | ٢١٠       |
| الأعراف  | ١٢٧       | وقال الملأمن قوم فرعون أتذر . .            | ٢١١       |
| غافر     | ٣٦ - ٣٧   | وقال فرعون ياها مان ابن لي . .             | ٢١٢       |
| الأنعام  | ٣٥        | فان استطعت أن تتبغي نفقا . .               | ٢١٣       |
| ص        | ٥ - ٧     | أجعل الآلهة الها واحدا . .                 | ٢١٥       |
| النمل    | ٥٩ - ٦٤   | قل الحمد لله وسلام على عباده . .           | ٢١٩       |
| النساء   | ٤٨        | ان الله لا يغفر أن يشرك به . .             | ٢٢٣       |
| العنكبوت | ٦٥        | فاذا ركبوا في الفلك                        | ٢٢٤       |
| لقمان    | ٣٢        | واذا غشيهم موج كالظلل . .                  | ٢٢٤       |
| البقرة   | ١٦٣       | والهكم اله واحد لا اله الا هو . .          | ٢٢٧       |
| الأنبياء | ٢٢        | لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا . .      | ٢٢٨       |
| الاسراء  | ٤٤        | وان من شيء الا يسبح بحمده . .              | ٢٢٩       |
| البقرة   | ١٣        | واذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس . .       | ٢٣٠       |
| ص        | ١ - ٦     | ص والقرآن ذى الذكر . . .                   | ٢٣٠       |
| الزخرف   | ١٩        | وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا | ٢٣١       |
| سبا      | ٤٣        | واذا تتلى عليهم آياتنا بينات . .           | ٢٣١ و ٢٩٣ |
| لقمان    | ٢٥        | ولئن سألتهم من خلق السموات . .             | ٢٣٢       |
| الزمر    | ٢ ٣       | انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق . .           | ٢٣٣       |
| الأحقاف  | ٤ ٥       | قل أرأيتم ما تدعون من دون الله . .         | ٢٣٥       |
| الأعراف  | ٩٤ - ٩٥   | ان الذين تدعون من دون الله . . .           | ٢٣٦       |
| الفرقان  | ١٧ - ١٨   | ويوم يحشرهم وما يعبدون . .                 | ٢٣٨       |
| التوبه   | ٣٠        | وقالت اليهود عزيز ابن الله                 | ١٢٣ و ٩   |
| المؤمنون | ٩١        | ما اتخذ الله من ولد . .                    | ٢٤٤       |

| الصفحة    | أطراف الآيات                                                     | رقم الآيه | السورة   |
|-----------|------------------------------------------------------------------|-----------|----------|
| ٢٤٧       | لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم قل فمن يملك . . . | ١٧        | المائدة  |
| ٢٤٧       | لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح . . . | ٧٢ - ٧٧   | المائدة  |
| ٢٥٥، ٢٤٩  | واذ قال الله يا عيسى ابن مريم أنت قلت . . .                      | ١١٦       | المائدة  |
| ٣٤٢، ٥٢   | وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله . . .                       | ١٨        | المائدة  |
| ٢٥٣       | ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم . . .                              | ٥٩        | آل عمران |
| ٢٥٥       | ذلك عيسى ابن مريم قول الحق . . .                                 | ٣٤ - ٣٥   | مريم     |
| ٢٥٦       | فاستفتهم الربك البنات ولهم البنون . . .                          | ١٤٩ - ١٥٩ | الصافات  |
| ٢٥٧       | واذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن . . .                              | ١٧ - ١٩   | الزخرف   |
| ٢٥٩       | ويجعلون لله البنات سبحانه . . .                                  | ٥٧ - ٥٩   | النحل    |
| ٢٦٠       | وجعلوا له من عباده جزءا . . .                                    | ١٥ - ٢٢   | الزخرف   |
| ٢٦٢       | عليها ملائكة غلاظ شداد . . .                                     | ٦         | التحريم  |
| ٢٦٢       | لئن لم ينته لنسفعن بالناصية . . .                                | ١٥ - ١٨   | العلق    |
| ٢٦٤       | وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم . . .                               | ١٠٠ - ١٠١ | الأنعام  |
| ٢٦٦       | وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم . . .                           | ٨٨ - ٩٥   | مريم     |
| ٢٦٩ و ٤١٧ | وما أرسلنا في قرية من نذير الا قال مترفوها . . .                 | ٣٤ - ٣٥   | سبأ      |
| ٢٧٠       | قل ان ربي يبسط الرزق . . .                                       | ٣٦        | سبأ      |
| ٢٧١       | ألم يأتكم نبؤ الذين من قبلكم . . .                               | ٩ - ١١    | ابراهيم  |
| ٢٧٦       | ثم انشأنا من بعدهم قرنا آخرين . . .                              | ٣١ - ٣٤   | المؤمنون |
| ٢٧٧       | أتبنون بكل ربيع آية تعبثون . . .                                 | ١٢٨ - ١٣٠ | الشعراء  |
| ٢٧٨ و ٤١٣ | الم تركيف فعل ربك بعباد . . .                                    | ٦ - ٨     | الفجر    |
| ٢٧٨       | واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد . . .                          | ٧٤        | الأعراف  |
| ٢٧٩       | كذبت ثمود بالنذر . . .                                           | ٢٣ - ٢٥   | القمر    |
| ٢٨٠       | سيعلمون غدا من الكذاب الأشر . . .                                | ٢٦        | القمر    |
| ٢٨١       | كذب اصحاب الأيكة المرسلين . . .                                  | ١٧٦ - ١٨٠ | الشعراء  |
| ٢٨٢       | ثم ارسلنا موسى وأخاه هارون . . .                                 | ٤٥ - ٤٧   | المؤمنون |
| ٢٨٤       | وقالوا مال هذا الرسول يأكل الطعام . . .                          | ٧         | الفرقان  |

| الصفحة    | أطراف الآيات                                     | رقم الآيه | السورة   |
|-----------|--------------------------------------------------|-----------|----------|
| ٢٨٥       | لا هية قلوبهم واسروا النجوى . . . . .            | ٣         | الأنبياء |
| ٢٨٦       | وقالوا لولا أنزل عليه ملك . .                    | ٨ - ٩     | الأنعام  |
| ٢٨٧       | وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله . .        | ١١٨       | البقرة   |
| ٢٨٧       | فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك . . . . .            | ١٢        | هود      |
| ٢٨٧       | وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم . . .           | ٩٤        | الاسراء  |
| ٢٩٠       | لا يستوى القاعدون من المؤمنين . . .              | ٩٥        | النساء   |
| ٢٩٣       | وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات . . .               | ٧         | الاحقاف  |
| ٢٩٣       | ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر . . .              | ٣٠        | الزخرف   |
| ٢٩٦       | ذرني ومن خلقت وحيدا . . . . .                    | ١١ - ٣٠   | المدثر   |
| ٢٩٩       | واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك . . .           | ١٠٢       | البقره   |
| ٢٩٩       | كذلك ما أتى الذين قبلهم من رسول . . .            | ٥٢ - ٥٤   | الذاريات |
| ٣٠٢       | كذبت ثمود بطغواها . . . . .                      | ١١ - ١٥   | الشمس    |
| ٣٠٤       | ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن . . .             | ٨٩ - ٩٣   | الاسراء  |
| ٣٠٦       | وإذ قلت يا موسى لئن تؤمن لك . . . . .            | ٥٥        | البقرة   |
| ٣٠٧       | يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم . . .             | ١٥٣       | النساء   |
| ٣٠٩       | ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه . . .           | ٧         | الرعد    |
| ٣١٠       | وكم أرسلنا من نبي في الأولين . . . . .           | ٧، ٦      | الزخرف   |
| ٣١٠       | ولقد أرسلنا من قبلك في شيع                       | ١٠، ١١    | الحجر    |
| ٣١١       | يا حسرة على العباد ما يأتيهم . . . . .           | ٣٠        | يس       |
| ٤١٣ و ٣١٢ | ونادى فرعون في قومه قال يا قوم . . .             | ٥١ - ٥٢   | الزخرف   |
| ٣٩٣ - ٣١٣ | وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل . . .         | ٣١        | الزخرف   |
| ٣١٣       | اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود ذا الأيد     | ١٧ - ٢٠   | ص        |
| ٣١٤       | وحشر لسليمان جنوده من الجن والانس . . .          | ١٧        | النمل    |
| ٣١٤       | ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر . . .       | ١٢        | سبأ      |
| ٣١٤       | قال رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد         | ٣٥        | ص        |
| ٣١٤       | هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين . . . . .      | ٢٤ - ٢٧   | الذاريات |
| ٣١٥       | اعملوا آل داود شكرا وقليل من عبادي الشكور        | ١٣        | سبأ      |
| ٣١٥       | وإذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى . . . . . | ١٢٤       | الانعام  |



| الصفحة    | اطراف الآيــــــــة                         | رقم الآيه | السورة   |
|-----------|---------------------------------------------|-----------|----------|
| ٣١٦       | بل يريد كل امرئ منهم ان يؤتى صحفا منشرة     | ٥٢        | المدثر   |
| ٤١٥ و ٣١٦ | وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر محرميها        | ١٢٣       | الانعام  |
| ٣١٦       | ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون   | ٦١        | البقرة   |
| ٣١٧       | أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم . .    | ٨٧        | البقرة   |
| ٣١٨       | منها خلقناكم ومنها نعبدكم ومنها نخرجكم      | ٥٥        | طه       |
| ٣١٨       | فاما من أوتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا  | ١٢ - ٧    | الانشقاق |
| ٣١٩       | وقالوا ان هي الا حياتنا الدنيا وما نحن      | ٢٩        | الانعام  |
|           | بمبعوثين . .                                |           |          |
| ٣١٩       | ايعدكم انكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما انكم | ٣٧ - ٣٥   | المؤمنون |
|           | مخرجون . .                                  |           |          |
| ٣١٩       | بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل . .        | ٢٨        | الانعام  |
| ٣٢٠       | ان الساعة آتية أكاد اخفيها . .              | ١٦ - ١٥   | طه       |
| ٣٢١       | بل قالوا مثل ما قال الاولون .               | ٨٣ - ٨١   | المؤمنون |
| ٣٢٢       | قل كونوا حجارة أو حديدا . .                 | ٥١ - ٥٠   | الاسراء  |
| ٣٢٣       | أو لم ير الانسان أنا خلقناه من نطفة . .     | ٨٣ - ٧٧   | يس       |
| ٣٢٥       | لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس       | ٥٧        | غافر     |
| ٣٢٥       | بل عجبوا ان جاءهم منذر منهم . .             | ٣ - ٢     | ق        |
| ٣٢٦       | ومن آياته ان خلقكم من تراب ثم اذا           | ٢٠        | الروم    |
| ٣٢٦       | يا ايها الناس ان كنتم في ريب من البعث       | ٥         | الحج     |
| ٣٢٦       | يخرج الحي من الميت . .                      | ١٩        | الروم    |
| ٣٢٧       | والله خلقكم من تراب ثم من نطفة              | ١١        | فاطر     |
| ٣٢٨       | هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة            | ٦٧        | غافر     |
| ٣٢٨       | هو الذي خلقكم من طين ثم قضى                 | ٢         | الانعام  |
| ٣٢٩       | قد علمنا ما تنقص الأرض منهم                 | ٤         | ق        |
| ٣٣٠       | ان هؤلاء ليقولون ، ان هي الا حياتنا . .     | ٣٦ - ٣٤   | الدخان   |
| ٣٣٠       | ان يوم الفصل ميقاتهم أجمعين . .             | ٤٠        | الدخان   |
| ٣٣١       | ويستعجلونك بالعذاب ولولا أجل . .            | ٥٣        | العنكبوت |
| ٣٣٢       | ويل يومئذ للمكذبين . .                      | ١٤ - ١٠   | المطففين |

| السورة   | رقم الآية | أطراف الآيه                                | الصفحة |
|----------|-----------|--------------------------------------------|--------|
| المؤمنون | ١١٥       | افحسبتم انما خلقناكم عبثا . .              | ٣٣٢    |
| الملك    | ٢ - ١     | تبارك الذى بيده الملك . .                  | ٣٣٢    |
| آل عمران | ١٨٥       | كل نفس ذائقة الموت وانما توفون . . .       | ٣٣٣    |
| الطور    | ١٥        | أفسحر هذا أم انتم لاتبصرون                 | ٣٣٦    |
| الحجر    | ١٥        | انما سكرت أبصارنا بل نحن . .               | ٣٣٦    |
| الفرقان  | ٦ - ٤     | وقال الذين كفروا ان هذا الا افك . .        | ٣٣٦    |
| النحل    | ١٠٣       | ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه . .       | ٣٣٨    |
| العنكبوت | ٤٨        | وما كنت تتلو من قبله من كتاب . .           | ٣٣٩    |
| المائدة  | ١٤ - ١٣   | فيما نقضهم ميثاقهم لعناهم . .              | ٣٤٠    |
| المائدة  | ١٢        | ولقد أخذ الله ميثاق بني اسرائيل وبعثنا     | ٣٤٠    |
| البقرة   | ٧٩        | فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم . .       | ٣٤١    |
| النمل    | ٧٦        | ان هذا القرآن يقص على بنى اسرائيل . .      | ٣٤٢    |
| البقرة   | ١١٣       | قالت اليهود ليست النصارى . . .             | ٣٤٢    |
| البقرة   | ٨٢ - ٨٠   | وقالوا لن نؤمن بالآيات الا أياماً . . .    | ٣٤٢    |
| البقرة   | ٢٤ - ٢٣   | وان كنتم فى ريب مما نزلنا على              | ٣٤٣    |
|          |           | عبدنا . . .                                |        |
| يونس     | ٣٨        | ام يقولون افتراه قل فاتوا بسورة            | ٣٤٣    |
| هود      | ١٣        | ام يقولون افتراه قل فاتوا بعشر سور . .     | ٣٤٣    |
| الاسراء  | ٨٨        | قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا     | ٣٤٤    |
| الانفال  | ٣١        | واذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا . .  | ٣٤٤    |
| فصلت     | ١٢٦       | وقال الذين كفروا لاتسمعوا لهذا القرآن . .  | ٣٤٥    |
| لقمان    | ٧ - ٦     | ومن الناس من يشتري لهو الحديث . .          | ٣٤٦    |
| فصلت     | ٤٤        | قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء . .            | ٣٤٧    |
| الفرقان  | ٦٧        | والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا . .            | ٣٥٠    |
| الاسراء  | ٢٩        | ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك . .           | ٣٥١    |
| التوبة   | ٣٨        | يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم . . | ٣٥٢    |
| الاحقاف  | ٢٠        | ويوم يعرض الذين كفروا على النار . .        | ٣٦٣    |
| المؤمنون | ٣ - ١     | قد افلح المؤمنون . .                       | ٣٦٩    |

| الصفحة | أطراف الآيات                               | رقم الآيه | السورة   |
|--------|--------------------------------------------|-----------|----------|
| ٣٦٩    | والذين لا يشهدون الزور . .                 | ٧٢        | الفرقان  |
| ٣٦٩    | وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه . .            | ٥٥        | القصص    |
| ٣٦٩    | لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم . .      | ٢٢٥       | البقرة   |
| ٣٧٢    | ولا تسبوا الذين يدعون من . .               | ١٠٨       | الانعام  |
| ٣٧٣    | يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم . .        | ١١        | الحجرات  |
| ٣٧٤    | انا أنشأناهن انشاء . .                     | ٣٦-٣٥     | الواقعه  |
| ٣٧٥    | وهو الذى جعل لكم الليل لباسا . .           | ٤٧        | الفرقان  |
| ٣٧٥    | وجعلنا نومكم سباتا                         | ٩ - ١٠    | النبأ    |
| ٣٧٥    | وهو الذى يتوفاكم بالليل . .                | ٦٠        | الانعام  |
| ٣٨٢    | ساصرف عن آياتى الذين يتكبرون . .           | ١٤٦       | الأعراف  |
| ٣٨٢    | لا جرم ان الله يعلم مايسرون . .            | ٢٣        | النحل    |
| ٣٨٣    | الذين تتوفاهم الملائكة                     | ٢٨-٢٩     | النحل    |
| ٣٨٣    | واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم . .          | ٣٤        | البقرة   |
| ٣٨٤    | قال ما منعك ألا تسجد اذا امرتك . .         | ١٢-١٣     | الاعراف  |
| ٣٨٥    | وانى كلما دعوتهم لتغفر لهم . .             | ٧         | نوح      |
| ٣٨٥    | قالوا أنؤمن لك واتبعك الأزدلون . .         | ١١١       | الشعراء  |
| ٣٨٥    | قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين     | ٧٦-٧٥     | الاعراف  |
| ٣٨٥    | قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك   | ٨٨        | الاعراف  |
| ٣٨٥    | ثم بعثنا من بعدهم موسى وهارون . .          | ٧٥        | يونس     |
| ٣٨٦    | ان قارون كان من قوم موسى                   | ٧٦-٨٣     | القصص    |
| ٣٨٩    | لكن شكرتم لا زيدنكم                        | ٧         | ابراهيم  |
| ٣٩٣    | وان رأوك ان يتخذوك                         | ٤١        | الفرقان  |
| ٣٩٣    | واذا رءاك الذين كفروا ان يتخذونك           | ٣٦        | الانبياء |
| ٣٩٤    | ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة . .      | ٥٢-٥٣     | الانعام  |
| ٣٩٥    | وانذر به الذين يخافون أن يحشروا . . .      | ٥١        | الانعام  |
| ٣٩٦    | فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما نراك . . | ٢٧        | هود      |
| ٣٩٦    | لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون . .          | ٣٤        | الاعراف  |
| ٣٩٧    | فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات . .       | ١٧٣       | النساء   |

| الصفحة | أطراف الآيات                               | رقم الآية | السورة   |
|--------|--------------------------------------------|-----------|----------|
| ٣٩٧    | ولا تصعر خدك للناس ولا تمشى . .            | ١٨        | لقمان    |
| ٣٩٨    | ولا تمشى في الأرض مرحاً إنك لن . .         | ٣٧        | الاسراء  |
| ٤٠٣    | وكم اهلكنا من قرية بطرت . .                | ٥٨        | القصص    |
| ٤٠٣    | وضرب الله مثلاً قرية كانت . .              | ١١٢       | النحل    |
| ٤٠٤    | لقد كان لسبأ في مساكنهم آية                | ١٥ - ٢٠   | سبأ      |
| ٤٠٦    | وجعلنا ابن مريم وامه آية                   | ٥٠        | المؤمنون |
| ٤١٣    | والذين كفروا يتمتعون . .                   | ١٢        | محمد     |
| ٤١٤    | وكأين من قرية هي اشد . .                   | ٣         | محمد     |
| ٤١٥    | ولا يحيق المكسر السيئ الا<br>بأهله . . . . | ٤٣        | فاطر     |
| ٤١٧    | واذا نزلت سورة ان آمنوا . .                | ٦٨        | التوبة   |
| ٤٢٠    | ذلك بان الله لم يك مغيراً نعمة             | ٥٣        | الانفال  |
| ٤٢١    | او لم يسيروا في الارض فينظروا . .          | ٩ - ١٠    | الروم    |
| ٤٢٣    | كالذين من قبلكم كانوا اشد منكم . .         | ٦٩ - ٧٠   | التوبة   |
| ٤٢٣    | وكم قصمنا من قرية كانت . .                 | ١١ - ١٥   | الانبياء |
| ٤٢٤    | وقال نوح رب لا تذر على                     | ٢٦        | نوح      |
| ٤٢٥    | كذبت قبلهم قوم نوح فكذبوا . .              | ٩ - ١٤    | القمر    |
| ٤٢٦    | فأما عاد فاستكبروا في الارض . .            | ١٥ - ١٦   | فصلت     |
| ٤٢٦    | وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر . . .           | ٦ - ٨     | الحاقة   |
| ٤٢٧    | وفي ثمود اذ قيل لهم تمتعوا . .             | ٤٣ - ٤٥   | الذاريات |
| ٤٢٧    | تمتعوا في داركم ثلاثة ايام . .             | ٦٥        | هود      |
| ٤٢٧    | يا قوم هذه ناقة الله لكم آية . .           | ٦٤        | هود      |
| ٤٢٨    | فعلقوا الناقة وعتوا عن أمر ربهم . .        | ٧٧ - ٧٨   | الاعراف  |
| ٤٢٨    | كذبت ثمود وعاد بالقارعة . . .              | ٤ - ٥     | الحاقة   |
| ٤٢٨    | فلما جاء أمرنا نجينا صالحا . .             | ٦٦ - ٦٧   | هود      |
| ٤٢٨    | وقال الملائكة الذين كفروا من . .           | ٩٠ - ٩٢   | الاعراف  |
| ٤٢٩    | ولما جاء أمرنا نجينا شعيبا . .             | ٩٤ - ٩٥   | هود      |
| ٤٣٠    | قال يا لوط انا رسل ربك . .                 | ٨١ - ٨٢   | هود      |

| الصفحة    | أطراف الايات                             | رقم الآيه | السورة   |
|-----------|------------------------------------------|-----------|----------|
| ٤٣٢       | فأوحينا الى موسى أن اضرب ..              | ٦٣ - ٦٨   | الشعراء  |
| ٤٣٣       | ولقد أوحينا الى موسى أن ..               | ٧٧ - ٧٩   | طه       |
| ٤٣٣       | وفي موسى اذ أرسلناه الى فرعون ..         | ٣٨ - ٤٠   | الذاريات |
| ٤٣٤       | واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا ..            | ٣٢ - ٤٤   | الكهف    |
| ٤٣٤       | واصبر نفسك مع الذين يدعون ..             | ٢٨        | الكهف    |
| ٤٣٨       | اللهم ان كان هذا هو الحق ..              | ٣٢ - ٣٣   | الانفال  |
| ٤٣٩       | هم الذين كفروا وصدوكم ..                 | ٢٥        | الفتح    |
| ٤٧٦ و ٤٤٦ | وقال الملا من قومه الذين كفروا ..        | ٣٣        | المؤمنون |
| ٤٤٧       | حتى اذا أخذنا مترفيهم بالعذاب ..         | ٦٤ - ٦٥   | المؤمنون |
| ٤٤٨       | وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال ..         | ٤١ - ٤٥   | الواقعة  |
| ٤٥٤       | لمن كان له قلب أو القى السمع وهو شهيد    | ٣٧        | ق        |
| ٤٥٤       | انفروا خفاقا وثقالا وجاهدوا بأموالكم ... | ٤١        | التوبة   |
| ٤٥٤       | المال والبنون زينة الحياة الدنيا         | ٤٦        | الكهف    |
| ٤٥٥       | أنطعم من لو شاء الله أطعمه               | ٤٧        | يس       |
| ٤٥٦       | وعلمناه صنعة لبوس ...                    | ٨٠        | الانبياء |
| ٤٥٧       | ويطعمون الطعام على حبه ...               | ٨ - ٩     | الانسان  |
| ٤٥٩ و ٤٥٨ | لا يكلف الله نفسا الا وسعها .            | ٢٨٦       | البقرة   |
| ٤٥٩       | وفي ذلك فليتنافس المتنافسون .            | ٢٦        | المطففين |
| ٤٥٩       | الذين يستمعون القول فيتبعون ..           | ١٨        | الزمر    |

| الصفحة  | المصدر                 | طرف الحديث                                     |
|---------|------------------------|------------------------------------------------|
|         |                        | (أ)                                            |
| ١٠١     | مسلم ٨٣/٧              | ابدأ بنفسك فتصدق عليها . . .                   |
| ١٢٤     | أبو داود ١٧٥/٣         | اتدرى ما قطعت له . . . . .                     |
| ١٥      | بهجة النفوس ١١٠/٢      | أتراني اترك التسبب لعيالي . .                  |
| ٤٥      | البخارى ٢٦/٨           | اتشفع في حد من حدود الله . .                   |
| ٣٧٠     | الترمذى ١١٤/٩          | اتق المحارم تكن أعبد الناس . .                 |
| ١٣٩     | النسائى ٣١٥/٨          | اجتنبوا الخمر فانها أم الخبائث . .             |
| ٤٨      | البخارى ٣٣/٨           | اجتنبوا السبع الموبقات . .                     |
| ٢٨٩     | البخارى ٢/١            | أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس . .              |
| ٩٠ و ٦١ | البخارى ١٠٨/٢          | أدعهم الى شهادة أن لا اله الا الله . .         |
| ٣٠٢     | البخارى ٨٣/٦           | اذ انبعث اشقاها انبعث لها رجل . .              |
| ١٠٥     | البخارى ١٨٩/٦          | اذا أنفق المسلم نفقة على أهله . .              |
| ٣٦٦     | البخارى ١٤٣/٦          | اذا دعي أحدكم الى الوليمه . .                  |
| ١٦٤     | مسلم ١١١/٧             | اذا انفقت المرأة من طعام بيتها . .             |
| ٦٣      | ابو داود ١٠٠/٢         | اذا كانت لك مائة درهم وحال عليها . .           |
| ١٠٦     | مسلم ٨٥/١١             | اذا مات الانسان انقطع عمله الا . . .           |
| ١٤٣     | الكبائر للذهبي ٩٢      | اذا مرتتم بهؤلاء الذين يلعبون . .              |
| ١٥٥     | البخارى ومعه الفتح     | اذهبوا بخميصتى هذه الى أبي جهنم . .            |
| ٣٠      | مسلم ٣٨٤/١<br>٦/١١     | أرأيت شحوم الميتة فانه يغلى به . .             |
| ٥٦      | البخارى ومعه الفتح     | استعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا على . |
| ١٥٨     | البخارى ٦٦/١٢<br>١٣٤/٣ | أعطيت سائر ولدك مثل هذا . .                    |
| ١٠٦     | مسلم ٨١/١              | أفضل دينار ينفقه الرجل . .                     |
| ٢٢      | مسلم ١٢٥/٧             | أفضل الصدقة أو خير الصدقة . .                  |
| ٤٠٢     | البخارى ٨٩/٧           | ألا أخبركم بأهل الجنة . .                      |
| ٢١      | البخارى ١٦١/٧          | اللهم انى اعوذ بك من فتنة النار . .            |
| ٣٥٥     | أبو داود ٣٦٠/٤         | أما ان كل بناء وبال على صاحبه . .              |

| الصفحة | المصدر                         | طرف الحديث                                          |
|--------|--------------------------------|-----------------------------------------------------|
| ٦٧     | أبو داود ٩٥/٢                  | أما بعد فان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأمرنا |
| ٩٥     | البخارى ١٠٩/٢                  | أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا ..                   |
| ٣٥٥    | مسلم ٣١/١٤                     | أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبع ..          |
| ٨٢     | أبو داود ١١٧/٢                 | ان الله تعالى لم يرض بحكم بني ..                    |
| ١٤٢    | البخارى ٧٠/٧                   | ان الله حرم عليكم عقوق الأمهات ...                  |
|        | مسلم ١٣ / ١٨                   | ان الله زوى لى الأرض فرأيت ..                       |
| ١٣٦    | المسند ٣١٦/١                   | ان الله لعن الخمر وعاصرها ..                        |
| ١٨٥    | الترمذى ١٦٤/٣                  | ان الله يقبل الصدقة ويأخذها بيمينه ..               |
| ٣٧٣    | الشمايل للترمذى ٣١٥            | ان الجنة لا يدخلها عجوز ..                          |
| ٣٩٣٦   | مسلم ١٧٠/١١                    | ان دماءكم وأموالكم عليكم حرام ..                    |
| ٦٣     | الأموال لأبى عبيد /<br>ص (٤٠٨) | ان الذهب لا يؤخذ منه شيء حتى ..                     |
| ٧٥     | الموطأ ٢٤٨/١                   | أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقطع ..             |
| ٨٥     | النسائى ٩٩/٥                   | ان شئتما ولاحظ فيها لقوى ..                         |
| ١٣٥    | مسلم ١٧١/١٣                    | ان على الله عز وجل عهدا لمن يشرب المسكر ..          |
| ٣٦٢    | البخارى ٣٠٢/٦                  | ان كنا لنفرح بيوم الجمعة ..                         |
| ١٠٧    | ابو داود ٢٨٨/٣                 | ان من أطيب ما أكل الرجل ..                          |
| ٣٥٩    | ابن ماجه ١١١٣/٢                | ان من السرف أن تأكل كل ما اشتهيت ..                 |
|        | الترمذى ٣١٦/٣                  | ان الناس اذا رأوا الظالم ...                        |
| ٣٦٧    | ابو داود ٣٤٤/٣                 | ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن طعام ..          |
| ١٥٩    | الموطأ ٧٥٢/٢                   | اني كنت نحلته نحلا ..                               |
| ٣٧٣    | الترمذى ومعه العارضة           | اني لا أقول الا حقا ..                              |
|        | ١٥٧/٨                          |                                                     |
| ٣٦٥    | البخارى ١٤٢/٦                  | أولم ولو بشاة ..                                    |
|        |                                | (ب)                                                 |
| ٣٧٩    | الترمذى بالعارضة<br>١٨٥/٩      | بادروا بالأعمال سبعا ..                             |

| الصفحة    | المصدر                      | طرف الحديث                                                              |
|-----------|-----------------------------|-------------------------------------------------------------------------|
| ٣٦٦       | مسلم ٢٣٦/٩                  | بئس الطعام طعام الوليمه يدعى ..                                         |
| ٦٠        | البخارى ١١٠/٢               | بايعت النبي صلى الله عليه وسلم على ..                                   |
| ٦٠        | البخارى ومعه الفتح<br>٤٣/١  | بني الاسلام على خمس ..                                                  |
| ٤٠٣       | البخارى ٣٤/٧                | بينما رجل يمشي في حلة ..                                                |
| ( ث )     |                             |                                                                         |
| ٣٧٤       | الترمذى ٨٨/١٠               | شكلتكم أمك يا معاذ ..                                                   |
| ١٣٥       | المستدرک ١٤٦/٤              | ثلاثة لا يدخلون الجنة ..                                                |
| ٤٠٢       | مسلم ١١٥/٢                  | ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ..                                     |
| ( ج )     |                             |                                                                         |
| ١٢٢       | البخارى ومعه الفتح<br>٣٤٦/٤ | الجار أحق بسقيه                                                         |
| ٣٦        | مسلم ١٦٣/٢                  | جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال                           |
| ١٧        | فضائل الصحابه<br>٤٥٧/١      | جاء عثمان الى النبي صلى الله عليه وسلم بألف<br>دينار ..                 |
| ( ح )     |                             |                                                                         |
| ٢٨        | البخارى ١٩/١                | الحلال بين والحرام بين ..                                               |
| ( خ )     |                             |                                                                         |
| ١٠٤ ، ١٠٢ | البخارى ١٩٣/٦               | خذى ما يكفيك وولدك ..                                                   |
| ١٣٦       | مسلم ٥/١١                   | خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المسجد<br>فحرم التجاره فى الخمر .. |
| ( د )     |                             |                                                                         |
| ١٩        | مسلم ٨٢/٧                   | دينار أنفقتة فى سبيل الله ودينار ..                                     |
| ( ذ )     |                             |                                                                         |
| ٢٣        | مسلم ٩٢/٥                   | ذهب أهل الدثور بالدرجات العلي ..                                        |
| ٤٩        | مسلم ١٤/١١                  | الذهب بالذهب والفضة بالفضة ..                                           |



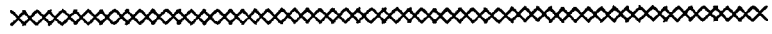
| الصفحة  | المصدر                    | طرف الحديث                                   |
|---------|---------------------------|----------------------------------------------|
|         |                           | ( ر )                                        |
| ٥٤      | البخارى ١١/٣              | رأيت الليلة رجلين أتيا نبي ..                |
| ٥٤      | الحاكم ٣٧/٢               | الربا ثلاثة وسبعون بابا ..                   |
|         |                           | ( س )                                        |
| ٣٠      | اعلام الموقعين<br>٣٢٥/٤   | سأله صلى الله عليه وسلم أبو طلحة عن ايتام .. |
|         |                           | ( ص )                                        |
| ١٧٨     | البخارى ٧٣/٦              | صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح ..         |
|         |                           | ( ع )                                        |
| ٧٧      | البخارى ١٣٧/٢             | العجماء جبار والبئر جبار ..                  |
| ٣٦١     | الترمذي بالعارضة<br>٣٠٩/٩ | عرض علي ربي لي يجعل لي بطحاء مكة ..          |
| ٣٨٦     | مسلم ١٧٣/١٦               | العزازة والكبرياء رداؤه ..                   |
|         | ابوداود ٣١٧/٣             | ( العلماء ورثة الانبياء )                    |
| ٣٦٧     | ابوداود ١٠٦/٣             | عن الغلام شاتان ..                           |
| ٨١      | ابوداود ١٠١/٢             | عن معاذ أن النبي صلى الله عليه وسلم لما وجهه |
|         |                           | ( ف )                                        |
| ٣٥٥     | مسلم ٣١/١٤                | فاذا آتاك الله مالا ...                      |
| ٣٥٢     | مسلم ٥٩/١٤                | فراش للرجل وفراش لامرأة ..                   |
| ٦٦      | الحاكم ٣٨٨/١              | في الابل صدقتها وفي الغنم ..                 |
| ٧٢      | المحلى ٢٥٨/٥              | في الرجل ينفق على ثمرته ..                   |
| ٨١      | البخارى ١٢٤/٢             | وفي صدقة الغنم في سائمتها ..                 |
| ٧٣ و ٦٨ | البخارى ١٣٣/٢             | فيما سقت السماء والعيون ..                   |
|         |                           | ( ق )                                        |
| ٢٦٦     | البخارى ١٤٩/٥             | قال الله كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك ..     |

| الصفحة  | المصدر           | طرف الحديث                                     |
|---------|------------------|------------------------------------------------|
| ١٧      | البخارى ٢٠٠/٣    | قيل يارسول الله أى الناس أفضل ..<br>(ك)        |
| ٣٥٨     | مسلم ٢٤/١٤       | الكافر يأكل في سبعة أمعاء ...                  |
| ١٥      | البخارى ٨/٣      | كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عمال .. |
| ٢٢ و ١٢ | البخارى ١٨٦/٣    | كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعودني ..     |
| ٣٧٦     | البخارى ١٤٢/١    | كان يكره النوم قبل العشاء ..                   |
| ٤٠١     | البخارى ٨٩/٧     | كانت الأمة من اماء أهل المدينة ..              |
| ١٠٥     | مسلم ٨٢/٧        | كفي بالمرء اثما أن يحبس عن يملك قوته ..        |
|         | ابوداود ١٣٢/٢    | كفي بالمرء اثما أن يضيع من يقوت ..             |
| ١٣٤     | فتح الباري ٣٤/١  | كل شراب أسكر فهو حرام ..                       |
| ٣٦٧     | النسائي ١٦٦/٧    | كل غلام رهين بعقيقته ..                        |
| ٨       | البخارى ٣٣/٧     | كل ما شئت والبس ما شئت ..                      |
| ١٣٣     | مسلم ١٧٢/١٣      | كل مسكر خمر وكل مسكر حرام ..                   |
| ٣٥      | مسلم ١٢١/١٦      | كل المسلم على المسلم حرام ..                   |
| ١٣١     | ابن ماجه ١٣٩٥/٢  | الكلمة الحكمة ضالة المؤمن ..                   |
| ٢٨٩     | ابوداود ١١/٣     | كنت الى جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم ..    |
| ٣٥١     | البخارى ٣٣/٧     | كلوا واشربوا والبسوا ..                        |
| ٤٣      | عبد الرزاق ٢٦٨/٨ | كيف أحجر على رجل شريكه الزبير ..               |
|         |                  | (ل)                                            |
| ٤٠٤     | مسلم ٢٠/١٦       | لا تحاسدوا ولا تباغضوا ..                      |
| ٨٦      | ابوداود ١١٩/٢    | لا تحل الصدقة لغنى الا لخمسه ..                |
| ٢٠      | البخارى ٢٦/١     | لا حسد الا في اثنتين ..                        |
| ٦٢      | ابوداود ١٠١/٢    | لا زكاة فى مال حتى يحول عليه الحول ..          |
| ٤٧      | مسلم ٤٣/١١       | لا يحتكر الا خاطئ ..                           |
| ٣٩      | الدارقطني ٢٦/٣   | لا يحل مال امرئ مسلم ..                        |
| ١٦٥     | البخارى ١٥٠/٦    | لا يحل للمرأة أن تصوم وزوجها شاهد ..           |

| الصفحة   | المصدر           | طرف الحديث                                    |
|----------|------------------|-----------------------------------------------|
| ١١٨      | ابوداود ١٣٣/٣    | لا يدخل الجنة صاحب مكس ..                     |
| ٤٠٤      | مسلم ٨٩/٢        | لا يدخل الجنة من كان في قلبه ..               |
| ١٤٩      | فتح الباري ٤٨/١٢ | لا يزيني الزاني حين يزين ..                   |
| ١٣٠ و ٩٤ | البخاري ١٥١/٨    | لتتبعن سنن من كان قبلكم ..                    |
| ٥٤ و ٩٤  | مسلم ٢٦/١١       | لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أكل الربا .. |
| ٥٦       | الترمذي ٨٢/٦     | لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم الراشي       |
| ٣٦٠      | الترمذي ٢٩١/٩    | لقد اخفت في الله ..                           |
| ٧٩       | الدارقطني ١٠٣/٢  | ليس في الأبل العوامل صدقه ..                  |
| ٧٩       | الدارقطني ١٠٣/٢  | ليس في البقر العوامل صدقه ..                  |
| ١١       | البخاري ١٧٨/٧    | ليس الغنى عن كثرة العرض ..                    |
| ٥٩       | مسلم ٥٠/٧        | ليس فيما دون خمسة أوسق صدقة                   |
| ٨٠       | البخاري ١٢٥/٢    | ليس فيما دون خمس ذود صدقة<br>( م )            |
| ١٥       | البخاري ٩/٣      | ما أكل أحد طعاما قط ..                        |
| ٣٦٢      | البخاري ١٩٨/٦    | ما أكل النبي صلى الله عليه وسلم خيرا مرققا .. |
| ٣٦٥      | البخاري ١٤٣/٦    | ما أولم النبي صلى الله عليه وسلم على شيء ..   |
| ١٥       | البخاري ٤٨/٣     | ما بعث الله نبيا الا رعي الغنم ..             |
| ١٥٦      | مسلم ١٠٦/١٨      | ما شبع آل محمد صلى الله عليه وسلم من خبز شعير |
| ٣٦٠      | البخاري ٢٠٥/٦    | ما شبع آل محمد صلى الله عليه وسلم من طعام بر  |
| ١٢٤      | ابوداود ٢٧٨/٣    | ما الشيء الذي لا يحل منعه قال ..              |
| ٣٧١      | البخاري ٩٤/٧     | ما رأيت النبي صلى الله عليه وسلم مستجمعا ..   |
| ٣٥٨      | الترمذي ٢٢٤/٩    | ما ملأ آدمي وعاء شرا من بطنه ..               |
| ٩٦       | مسلم ٦٦/٧        | ما من صاحب ذهب ولا فضة ..                     |
| ٣٦١ و ٢٥ | البخاري ١٧٧/٧    | ما يسرنى أن عندي مثل أحد ..                   |
| ١٢٤      | أبوداود ٢٧٨/٣    | المسلمون شركاء في ثلاث ..                     |
| ٩٨       | البخاري ١١٠/٢    | من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته ..            |
| ١٢٠      | البخاري ٨٢/٣     | من أخذ أموال الناس يريد ..                    |

| الصفحة    | المصدر                      | طرف الحديث                                     |
|-----------|-----------------------------|------------------------------------------------|
| ٢٤        | البخارى ٢١٣/٣               | من انفق زوجين في سبيل الله ..                  |
| ١٧        | فتح البارى ٤٣/٧             | من جهز جيش العسرة ..                           |
| ١٧        | البخارى ٢١٤/٣               | من جهز غازيا في سبيل الله ..                   |
| ٣٨        | فتح البارى ٣١٤/٥            | من حفر رومة فله الجنة ..                       |
| ١٨        | البخارى ٧٢/٧                | من سره أن يبسط في رزقه ..                      |
| ٤٠        | البخارى ١٠٠/٣               | من ظلم من الأرض شيئا ..                        |
| ٤٧        | مسلم ١٠٨/٢                  | من غش فليس مني ..                              |
| ١٦٣       | ابن ماجه ١٥٦/٢              | من فر من ميراث وارثه ..                        |
| ٣٧٣       | البخارى ١٨٤/٧               | من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ..              |
| ٩٦        | البخارى ١١٠/٢               | من كنزها فلم يؤد زكاتها ...                    |
| ١٤٥ و ١٤٠ | مسلم ١٥/١٥                  | من لعب بالنردشير فكأنما صبغ ..                 |
| ٤٥٤       | الترمذى مع العارضة<br>٣١٧/٩ | من نظر في دينه الى من هو دونه ...              |
| ٣٧        | وفاء الوفاء ٩٧٠/٣           | من يشتري رومة فيجعلها ...                      |
| ٣٧٤       | البخارى ١٨٤/٧               | من يضمن لي ما بين لحييه                        |
|           |                             | ( ن )                                          |
| ٤٥٥       | المجتز الرابع ٢٣٣           | نحن الآخرون الأولون يوم القيامة ..             |
| ٣٧٨       | البخارى ١٧٠/٧               | نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس ..            |
| ٣٥٢ و ١٥٤ | البخارى ١٤٥/٧               | نهانا النبي صلى الله عليه وسلم أن نشرب في آنية |
|           |                             | ( و )                                          |
| ٨١        | البخارى ١٢٥/٢               | والذي نفسي بيده                                |
| ٨٠        | البخارى ١٢٣/٢               | ويحك ان شأنها شديد ..                          |
|           |                             | ( ي )                                          |
| ٧٢        | الخراج للقرشي ١٥٨           | بيد أبما استقرض فيقضييه ..                     |
| ١٣٧       | النسائي ٣١٢/٨               | يشرب ناس من أمتي الخمر ..                      |
| ٣٧٦       | مسلم ٦٥/٦                   | يعقد الشيطان على قافية أحدكم ..                |

” مصادر ومراجع البحث ”



أولاً : القرآن الكريم  
ثانياً : كتب التفسير

( ١ ) أحكام القرآن .

لأبى بكر محمد بن على الرازى الجصاص المتوفى سنة ٣٧٠ هـ .  
الطبعة : طبعة مصوره عن الطبعة الأولى .  
الناشر : دار الكتاب العربى - بيروت / لبنان  
طبع بمطبعة الأوقاف الاسلاميه سنة ١٣٣٥ هـ .

( ٢ ) ارشاد العقل السليم الى مزايا القرآن الكريم  
المعروف ( بتفسير أبى السعود )

للأمام أبى السعود محمد بن محمد العمادى المتوفى سنة ٩٥١ هـ  
الناشر / دار احياء التراث العربى - بيروت - لبنان .

( ٣ ) أنوار التنزيل وأسرار التأويل

للقاضى ناصر الدين أبى سعيد عبدالله بن محمد الشيرازى البيضاوى  
المتوفى سنة ٧٩١ هـ .  
المطبعة الخيرية .

( ٤ ) البحر المحيط .

محمد بن يوسف الشهير بأبى حيان الأندلسى الغرناطى  
( وبهامشه النهر الماد من البحر وكتاب الدر اللقيط )  
الطبعة الثانية ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م .  
الناشر / دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .

( ٥ ) التحرير والتنوير

للشيخ محمد الطاهر ابن عاشور  
الدار التونسية للنشر / تونس / ١٩٨٤ م .

( ٦ ) التسهيل لعلوم التنزيل

محمد بن جزى الكلى  
الطبعة الأولى سنة ١٣٥٥ / الناشر : مصطفى محمد

- (٧) تفسير ابن كثير  
للإمام أبي الفداء إسماعيل ابن كثير القرشي الدمشقي المتوفى سنة ٧٧٤هـ  
الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م / الناشر : دار الفكر .
- (٨) تفسير آيات الاحكام  
الاستاذ الشيخ محمد علي السائس  
١٣٧٣هـ / ١٩٥٣م - مطبعة محمد علي صبيح وأولاده بالأزهر .
- (٩) التفسير الفريد للقرآن المجيد  
د . محمد عبد المنعم الجمال
- (١٠) تفسير القرآن الحكيم .  
محمد عبد المنعم خفاجي  
الطبعة الأولى
- (١١) التفسير القرآني للقرآن  
عبد الكريم الخطيب  
مطبعة السنة المحمدية - عابدين / . الناشر : دار الفكر العربي
- (١٢) التفسير الكبير ومفاتيح الغيب (المعروف بتفسير الرازي )  
للإمام محمد الرازي فخر الدين ابن العلامة ضياء الدين عمر المتوفى سنة ٦٠٤هـ  
الطبعة الأولى ١٤٠١هـ / ١٩٨١م الناشر / دار الفكر للطباعة والنشر / لبنان .
- (١٣) تفسير مجاهد  
للإمام المحدث أبي الحجاج مجاهد بن جبر التابعي  
تحقيق / عبد الرحمن الطاهر بن محمد السورتى - مجمع البحوث الإسلامية  
الطبعة الأولى / ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م .
- (١٤) تفسير المراغى  
للشيخ أحمد مصطفى المراغى  
الطبعة الثانية / ١٣٧٣هـ / ١٩٥٣م - الناشر : شركة مصطفى البابي الحلبي

- (١٥) تفسير المنار  
تأليف السيد محمدرشيد رضا  
الهيئة المصرية العامة للكتاب
- 
- (١٦) جامع البيان عن تأويل القرآن  
لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري - المتوفى سنة ٣١٠ هـ  
الطبعة الثانية ١٣٧٣ هـ / ١٩٥٤ م - الناشر/ شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى  
البابي الحلبي .
- 
- (١٧) الجامع لاحكام القرآن  
لأبي عبدالله محمد بن أحمد الانصاري القرطبي المتوفى سنة ٦٧١ هـ  
أعادت طبعه بالأوفست عن الطبعة الثانية دار احياء التراث العربي- بيروت
- 
- (١٨) حاشية العلامة الصاوي على تفسير الجلالين  
للشيخ أحمد الصاوي المالكي  
دار الفكر ١٩٧٣ م / ١٣٩٣ هـ
- 
- (١٩) حاشية محي الدين شيخ زاده على تفسير القاضي البيضاوي  
المطبعة السلطانية - القسطنطينيه ١٢٨٣ هـ  
الناشر/ المكتبة الاسلاميه - محمد أزد مير - ديار بكر - تركيا
- 
- (٢٠) الدر اللقيط من البحر المحيط ( بهامش البحر المحيط )  
للامام تاج الدين الحنفي النحوي تلميذ أبي حيان  
الطبعة الثانيه ١٤٠٣ هـ - الناشر / دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع
- 
- (٢١) روائع البيان تفسير آيات الاحكام  
محمد علي الصابوني  
الطبعة الأولى ١٣٩١ هـ / ١٩٧١ م
- 
- (٢٢) روح البيان  
الشيخ اسماعيل حقي البروسوي المتوفى سنة ١١٣٧ هـ  
المطبعة العثمانية ١٣٣١ هـ



- (٢٣) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني  
للعلامة ابي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألويسي البغدادي  
المتوفى سنة ١٢٧٠ هـ  
ادارة الطباعة المنيرية - دار احياء التراث العربي / بيروت - لبنان
- 
- (٢٤) زاد المسير في علم التفسير  
الامام / ابي الفرج جمال الدين عبدالرحمن ابن علي بن محمد الجوزي  
القرشي البغدادي المتوفى سنة ٥٩٧ هـ .  
الطبعة الأولى ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٤ م - الناشر/ المكتب الاسلامي للطباعة والنشر
- 
- (٢٥) السراج المنير في الاغاثة على معرفة الفاظ كلام ربنا الحكيم الخبير  
( وبهامشه تفسير البيضاوي )  
للشيخ الخطيب الشربيني .
- 
- (٢٦) صفوة التفاسير  
للشيخ محمد علي الصابوني  
الطبعة الرابعة ١٤٠٢ هـ / ١٩٨١ م - دار القرآن الكريم
- 
- (٢٧) عناية القاض وكفاية الراض ( المعروفه بحاشية الشهاب على تفسير البيضاوي  
للشيخ أحمد بن محمد بن عمر الملقب بشهاب الدين الخفاجي  
دار الطباعة - بولاق - مصر - القاهرة
- 
- (٢٨) فتح البيان في مقاصد القرآن  
للعلامة المحقق صديق حسن خان المتوفى سنة ١٤٠٧ هـ  
الناشر/ عبدالحمي على محفوظ - مطبعة العاصمة - شارع الفلكي بالقاهرة
- 
- (٢٩) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير  
للشيخ محمد بن علي بن محمد الشوكاني المتوفى سنة ١٢٥٠ هـ  
الناشر / دار المعرفة - بيروت - لبنان
- 
- (٣٠) الفتوحات الالهيه بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية ( وبهامشه  
تفسير الجلالين ) الشهير بحاشية الجمل  
تأليف / سليمان بن عمر العجيلي الشافعي الشهير بالجمل المتوفى سنة ١٢٠٤ هـ  
طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر

( ٣١ ) فى ظلال القرآن

سيد قطب

الطبعة الشرعية السابعة ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م - دار الشروق

( ٣٢ ) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل

( ومعه حاشية الجرجاني وكتاب الأنصاف )

لابي القاسم جابر الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي المتوفى سنة ٥٣٨ هـ

الناشر/ دار المعرفة - بيروت - لبنان .

( ٣٣ ) لباب التأويل فى معاني التنزيل ( المشهور بتفسير الخازن )

( وبها شه تفسير الـبغوى )

للامام علاء الدين علي بن محمد بن ابراهيم البغدادي الصوفي المعروف بالخازن

الناشر/ المكتبة التجارية الكبرى بمصر

( ٣٤ ) مختصر تفسير ابن كثير .

اختصار وتحقيق محمد علي الصابوني .

الطبعة الثانية / ١٣٩٦ هـ - الناشر/ دار القرآن الكريم .

( ٣٥ ) مدارك التنزيل وحقائق التأويل ( المشهور بتفسير النسفي )

للامام أبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي .

الناشر/ دار الكتاب العربي - بيروت / لبنان .

( ٣٦ ) نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور

للامام المفسر برهان الدين أبي الحسن ابراهيم بن عمر البقاعي

الطبعة الأولى ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣ م - الناشر/ مطبعة دار المعارف بحيدر آباد

ثالثا : كتب الحديث والشروح والتخريج

( ٣٧ ) الأمـوال

للامام الحافظ ابي عبيد القاسم بن سلام

تحقيق وتعليق محمد خليل هراس

الطبعة الثانية ١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥ م - الناشر/ دار الفكر للطباعة والنشر

القاهرة . ومكتبة الكليات الأزهرية / القاهرة .

( ٣٨ ) بذل المجهود في حل أبي داود ( مع تعليق شيخ الحديث محمد زكريا  
بن يحيى الكاند هلوى )

للامام الشيخ خليل أحمد السهار نفورى المتوفى سنة ١٣٤٦ هـ  
دار الكتب العلميه / بيروت - / لبنان .

( ٣٩ ) بهجة النفوس وتحليها بمعرفة مالها وما عليها ( شرح مختصر صحيح البخارى  
المسمى جمع النهاية فى بدء الخير والغايه ) .

للامام المحدث أبى محمد عبد الله بن أبى جمرة الاندلسي  
الطبعة الثالثة ١٩٨٤ م - الناشر/ دار الجيل / بيروت .

( ٤٠ ) الترغيب والترهيب ( ومعه كتاب الترغيب من القرآن الحكيم للمنذرى )  
زكى الدين عبد العظيم بن عبد القوى المتوفى سنة ٦٥٦ هـ  
مكتبة الارشاد

( ٤١ ) تغليق التعليق على صحيح البخارى

تأليف الحافظ أحمد بن حجر على ابن حجر العسقلاني  
دراسة وتحقيق / د . سعيد عبد الرحمن موسى القزقي  
المكتيب الاسلامى - دار عمار - الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م

( ٤٢ ) جامع الأصول من أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم  
للامام ابى السعادات مبارك بن محمد بن الأثير الجزرى المتوفى سنة ٦٠٦ هـ  
صححه / محمد حامد الفقى  
الطبعة الأولى ١٣٦٨ هـ - مطبعة السنة المحمدية .

( ٤٣ ) أ - الجامع الصحيح

للامام الحافظ أبى عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذى المتوفى سنة ٢٧٩ هـ  
الناشر / دار الفكر - بيروت ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م .  
ب - الجامع الصحيح للترمذى ( ومعه تحفة الاحوذى )  
الناشر / محمد عبد المحسن الكتبي / المدينة المنوره .

( ٤٤ ) حاشية الامام السندي على سنن النسائي .

للشيخ أبى الحسن نور الدين بن عبد الهادى السندي المتوفى سنة ١١٣٨ هـ  
الطبعة الأولى ١٣٤٨ هـ / ١٩٣٠ م - الناشر/ دار الفكر / بيروت .

( ٤٥ ) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين ( ومعه رياض الصالحين )  
 محمد بن علان الصديق الشافعي الاشعري المكي المتوفى سنة ١٠٥٧ هـ  
 الطبعة الأخيرة ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٦ م - الناشر / شركة مصطفى البابي الحلبي

—————

( ٤٦ ) رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين .  
 للإمام أبي زكريا يحيى بن شرف النووي  
 الناشر / دار الكتاب العربي / بيروت / لبنان

—————

( ٤٧ ) زهر الربا على المجتبي ( المعروف بحاشية السيوطي على سنن النسائي )  
 للشيخ عبد الرحمن بن الكمال أبي بكر بن محمد بن سابق الدين  
 المعروف بجلال الدين السيوطي المتوفى سنة ٩١١ هـ  
 الطبعة الأولى ١٣٤٨ هـ / ١٩٣٠ م - الناشر / دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع

—————

( ٤٨ ) سنن أبي داود  
 للإمام الحافظ أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي المتوفى ٢٧٥ هـ  
 علق عليه محمد محي الدين عبد الحميد  
 الناشر / دار احياء السنة النبويه .

—————

( ٤٩ ) أ - سنن ابن ماجه  
 الحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني ابن ماجه المتوفى سنة ٢٧٥ هـ  
 تحقيق / محمد فؤاد عبد الباقي  
 الناشر / عيسى البابي الحلبي وشركاه .

ب - سنن ابن ماجه ( ومعه حاشية السندی )  
 الطبعة الأولى

—————

( ٥٠ ) سنن الدار قطني ( وعليها التعليق المغني )  
 لشيخ الاسلام الامام علي بن عمر الدار قطني المتوفى سنة ٣٨٥ هـ  
 نشر السنة / ملتان / باكستان

—————

- ( ٥١ ) السنن الكبرى ( وفي ذيله الجوهر النقي )  
للإمام أبي بكر أحمد بن الحسين ابن علي البيهقي المتوفى سنة ٤٨٥ هـ  
الطبعة الأولى / مطبعة دائرة المعارف النظامية في حيدرآباد بالهند  
الناشر / دار صادر / بيروت .
- 
- ( ٥٢ ) سنن النسائي / بشرح السيوطي  
للحافظ أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن سنان النسائي المتوفى سنة ٣٠٣ هـ  
الطبعة الأولى / ١٣٤٨ هـ / ١٩٣٠ م - الناشر / دار الفكر للطباعة والنشر / بيروت
- 
- ( ٥٣ ) شرح السنة  
للإمام محيي السنة أبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي المتوفى ٥١٠ هـ  
تحقيق / شعيب الأرنؤوط ومحمد زهير الشاويش  
الطبعة الأولى ١٣٩٠ هـ / ١٩٧١ م - المكتب الإسلامي .
- 
- ( ٥٤ ) شرح النووي على صحيح مسلم  
للشيخ محي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف ( المعروف بالنووي ) المتوفى ٦٧٦ هـ  
المطبعة المصرية ومكتبتها
- 
- ( ٥٥ ) صحيح البخاري  
للإمام أبي عبد الله محمد بن اسماعيل بن إبراهيم البخاري الجعفي  
طبعة بالأوفست عن طبعة دار الطباعة العامرة باستنبول ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م  
الناشر / دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .
- 
- ( ٥٦ ) صحيح مسلم ( بشرح النووي )  
للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري المتوفى ٢٦١ هـ  
المطبعة المصرية ومكتبتها
- 
- ( ٥٧ ) عارضة الاحوذى بشرح صحيح الترمذي  
للإمام الحافظ ابن العربي المالكي المتوفى سنة ٥٤٣ هـ  
الناشر / دار العلم للجميع

( ٥٨ ) عمدة القارى شرح صحيح البخارى ( المشهور باسم العيني على البخارى )  
للشيخ الامام بدر الدين أبى محمد محمود بن أحمد العيني المتوفى ٨٥٥ هـ  
قوبل على عدة نسخ خطية - الناشر / دار الفكر .

( ٥٩ ) فتح البارى ( بشرح صحيح البخارى )  
للحافظ أبى الفضل شهاب الدين أحمد بن على بن محمد بن حجر  
العسقلاني الشافعى .  
الطبعة الثانية ١٤٠٢ هـ - التزام عبدالرحمن محمد سنة ١٣٤٨ هـ  
الطبعة البهيه المصريه - الناشر / احياء دار التراث العربي / بيروت

( ٦٠ ) الفتح الرباني لترتيب مسند الامام أحمد بن حنبل الشيباني .  
( ومعه كتاب بلوغ الأمانى من أسرار الفتح الرباني ) كلاهما تأليف /  
أحمد عبدالرحمن البنا ( الشهير بالساعاتى )  
الطبعة الأولى سنة ١٣٥٤ هـ

( ٦١ ) فيض القدير شرح الجامع الصغير  
للعلامة المحدث محمد المدعو بعبد الرؤوف المناوى  
الطبعة الثانية ١٣٩١ هـ / ١٩٧٢ م - الناشر / دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع

( ٦٢ ) الكبائر  
للإمام شمس الدين الذهبى  
الطبعة الثالثة - الناشر / المكتبة الأمويه / دمشق

( ٦٣ ) كتاب الخراج  
تأليف / يحيى بن آدم القرشى المتوفى سنة ٢٠٣ هـ  
صححه وشرحه ووضع فهارسه الشيخ أحمد محمد شاكر المتوفى سنة ١٣٧٧ هـ  
الطبعة الثانية ١٣٨٤ هـ - الناشر / المطبعة السلفية

( ٦٤ ) كتاب فضائل الصحابه  
للإمام أحمد بن حنبل  
حققه وخرج احاديثه / وصي الله بن محمد عباس  
الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م - مؤسسة الرساله / بيروت

( ٦٥ ) المختصر في الشرائع المحمدية وشرحها لأبي عيسى الترمذى  
تأليف الاستاذ / محمود سامى بك  
الطبعة الأولى .

( ٦٦ ) المتجر الرابع في ثواب العمل الصالح  
للحافظ أبي محمد شرف الدين عبد المؤمن بن خلف الدمي  
تحقيق / محمد رضوان وعبد الملك بن دهيش

( ٦٧ ) المستدرک على الصحيحين في الحديث ( وفي ذيله تلخيص المستدرک للذهبي )  
للحافظ الكبير أبي عبد الله محمد بن عبد الله المعروف بالحاكم النيسابورى  
الناشر / دار الفكر / بيروت / ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٠ م .

( ٦٨ ) مسند أبو يعلى الموصلي  
للإمام الحافظ أحمد بن علي بن العثنى التميمي المتوفى سنة ٣٠٧ هـ  
تحقيق / حسين سليم أسد  
دار المؤمنون للتراث - دمشق

( ٦٩ ) مسند الإمام أحمد ( وبها مشة كنز العمال )  
وضع محمد ناصر الدين الألباني  
الطبعة الرابعة ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م - بيروت / المكتب الإسلامي - بيروت

( ٧٠ ) المصنف  
للحافظ أبي بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني المتوفى سنة ٢١١ هـ  
تحقيق / حبيب الرحمن الأعظمي .  
الطبعة الأولى ١٣٩٠ هـ - الناشر / المكتب الإسلامي - بيروت

( ٧١ ) أ - معالم السنن ( مع مختصر أبي داود للمنذرى وتهذيب لابن القيم الجوزية )  
للإمام أبي سليمان الخطابي - المتوفى سنة ٣٨٨ هـ  
تحقيق / محمد حامد الفقى  
مكتبه السنة المحمدية - القاهرة

ب - معالم السنن ( مع سنن أبي داود )  
تعليق / عزت عبید الدعاس  
الطبعة الأولى - الناشر / دار الحديث

( ٧٢ ) المغنى عن حمل الأسفار فى الأسفار فى تخريج ما فى الاحياء من الأخبار  
( بهامش احياء علوم الدين )

للعلامة زين الدين أبى الفضل عبدالرحيم الحسين العراقي المتوفى ٨٠٦ هـ  
الناشر/ دار المعرفه / بيروت / لبنان - ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م .

---

( ٧٣ ) المنتقى شرح موطأ امام دار الهجرة سيدنا مالك بن أنس  
تأليف القاضى ابى الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث  
البايجى المتوفى سنة ٤٩٤ هـ .

الطبعة الأولى ١٣٣١ هـ - الناشر / دار الكتاب العربى

---

( ٧٤ ) الموطأ

للإمام مالك بن أنس رضي الله عنه  
صححه وعلق عليه وخرج أحاديثه / محمد فؤاد عبد الباقي  
دار احياء التراث

---

( ٧٥ ) نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الاخبار  
للشيخ محمد بن على بن محمد الشوكاني المتوفى سنة ١٢٥٥ هـ  
دار الجيل / بيروت / لبنان .

---

( ٧٦ ) النهاية فى غريب الحديث والأثر .

للإمام مجد الدين أبى السعادات المبارك بن محمد الجزرى ابن الاثير  
المتوفى سنة ٦٠٦ هـ .

تحقيق طاهر الزاوى - ومحمود محمد الطناحي  
الطبعة الأولى ١٣٨٣ هـ - الناشر / دار احياء الكتب العربيه عيسى  
البابى الحلبي وشركاه .

---



رابعاً : كتب الفقه

أ - الفقه الحنفي :

( ٧٧ ) الاختيار لتعليل المختار ( وعليه تعليقات الشيخ محمود أبو دقيقة )

عبد الله بن محمود بن مودود الموصلي الحنفي  
مصححاً بمعرفة لجنة التصحيح برئاسة الشيخ أحمد سعد علي

القاهرة في ١٥ صفر ١٣٧١هـ / ١٩٥١م

مدير المطبعة رستم مصطفى الحلبي

( ٧٨ ) الأشباه والنظائر على مذهب أبي حنيفة النعمان

لزين العابدين بن ابراهيم بن نجيم

تحقيق / عبدالعزيز محمد الوكيل

الناشر / مؤسسة الحلبي وشركاه ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٨م

( ٧٩ ) البحر الرائق شرح كنز الدقائق

لزين الدين ابن نجيم الحنفي المتوفى سنة ٩٧٠ هـ

الطبعة الثانية - أعيد طبعه بالأوفست

( ٨٠ ) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع

لعلاء الدين ابى بكر بن مسعود الكاساني الحنفي الملقب بملك

العلماء المتوفى سنة ٥٨٧ هـ

الطبعة الثانية ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤ - الناشر / دار الكتاب العربي بيروت

( ٨١ ) رد المختار على الدر المختار شرح تنوير الابصار ( حاشية ابن عابدين )

محمد أمين الشهير بابن عابدين

الطبعة الثانية ١٣٨٦هـ / ١٩٦٦م - دار الفكر ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م

( ٨٢ ) شرح العناية على الهدايه ( بهامش فتح القدير )

أكمل الدين محمد بن محمود البارتى المتوفى سنة ٧٨٦ هـ

الطبعة الأولى ١٣١٦هـ - المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق مصر المحمية

( ٨٣ ) الفتاوى الهنديه

تأليف الشيخ نظام وجماعة من علماء الهند الأعلام  
الطبعة الثالثة - أعيد طبعه بالافتت ( ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣ م )  
الناشر / المكتبة الاسلاميه - تركيا .

---

( ٨٤ ) فتح القدير على الهداية

كمال الدين محمد بن عبد الواحد السيواسي ثم السكندري المعروف  
بابن الهمام الحنفي المتوفى سنة ٦٨١ هـ .  
الطبعة الأولى / بالمطبعة الكبرى الأميرية سنة ١٣١٦ هـ .  
الناشر / المطبعة الكبرى الأميرية / ببولاق مصر .

---

( ٨٥ ) كشف الحقائق شرح كنز الدقائق

الشيخ عبد الحكيم الأفغانى  
الطبعة الأولى / ١٣١٨ هـ

---

( ٨٦ ) المبسوط

شمس الدين ابوبكر محمد بن أبى سهل السرخسى  
الطبعة الثانية - الناشر / دار المعرفة للطباعة والنشر .

---

( ٨٧ ) منحة الخالق على البحر الرائق

السيد محمد أمين الشهير بابن عابدين  
الطبعة الثانية - أعيد طبعه بالافتت - دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت

---

( ٨٨ ) الهداية شرح بداية المبتدى ( ومعها تكملة فتح القدير )

لشيخ الاسلام أبى الحسن على بن أبى بكر بن عبد الجليل المرغينانى  
المتوفى سنة ٥٩٣ هـ

---

( ٨٩ ) ب) الفقه المالكي

بداية المجتهد ونهاية المقتصد

للإمام أبى الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القرطبي

الأندلسى ( الشهير بابن رشد )

طبع بالتصوير عن طبعة المرحوم أمين الخاتجى المأخوذه عن النسخة  
المولويه - دار الفكر .

٩٠ ( بلغة السالك لا قرب المسالك الى مذهب الأمام مالك (على الشرح الصغير

للشيخ أحمد الدردير)

الشيخ أحمد الصاوي

المكتبة التجارية الكبرى - توزيع دار الفكر - بيروت

٩١ ( التاج والاكليل لمختصر خليل ( بهامش مواهب الجليل )

لابي عبد الله محمد بن يوسف العبدري الشهير بالمواق

ملتزم الطبع والنشر/ مكتبة النجاح / ١٩١ سوق الترك / ليبيا / طرابلس

٩٢ ( حاشية الدسوقي على الشرح الكبير

للشيخ محمد عرفه الدسوقي المتوفى سنة ١٢٣٠ هـ

روجعت الطبعة على النسخة الأميرية وعده نسخ أخرى

طبع دار احياء الكتب العربية / عيسى البابي الحلبي وشركاه

٩٣ ( الخرشي على مختصر سيدي خليل ( ومعه حاشية العدوي )

للشيخ أبي عبد الله محمد بن عبد الله ابن علي الخرشي

مطبعة بولاق - مصر / القاهره ١٣١٨ هـ - دار صادر / بيروت

٩٤ ( شرح منح الجليل على مختصر العلامة خليل

للشيخ محمد عليش المتوفى سنة ١٢١٩ هـ

الناشر/ مكتبة النجاح / طرابلس / ليبيا

٩٥ ( الفتح الرباني شرح على نظم رسالة ابن ابي زيد القيرواني

تأليف / محمد أحمد الداہ الشنقيطي

الطبعة الثالثة / ١٣٩٩ هـ / دار الفكر.

٩٦ ( فتح العلي المالك في الفتوى على مذهب الامام مالك

لأبي عبد الله ، الشيخ محمد أحمد عليش المتوفى ١٢٩٩ هـ

الطبعة الأخيرة

٩٧ ( المدونة الكبرى ( ومعها مقدمة ابن رشد )

للإمام مالك بن أنس الأصبحي

دار الفكر - بيروت / ١٣٩٨ / ١٩٧٨ م

( ٩٨ ) مقدمه ابن رشد

للإمام ابى الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القرطبي  
المتوفى سنة ٥٢٠ هـ  
طبعة بالاولفست .

---

ج : الفقه الشافعي

---

( ٩٩ ) أسنى المطالب شرح روض الطالب

زين الملة أبى يحيى زكريا الانصارى الشافعي ( وبهامشه حاشية الرملى )  
الناشر / المكتبة الاسلاميه لصاحبها الحاج رياض الشيخ

---

( ١٠٠ ) إعانة الطالبين على حل الفاظ فتح المعين ( وبهامشه فتح المعين )  
للعلامة أبى بكر ( المشهور بالسيد البكرى ) ابن السيد محمد شطا الدمياطي  
روجعت الطبعة على النسخة الأميريه - دار الفكر للطباعة والنشر .

---

( ١٠١ ) الإقناع فى حل الفاظ أبى شجاع ( وبهامشه تقرير الشيخ عوض وبعض  
تقارير العلماء )

لشمس الدين محمد بن أحمد الشربيني الخطيب ( من علماء القرن  
العاشر الهجرى )  
الناشر / دار المعرفة للطباعة والنشر .

---

( ١٠٢ ) الأم ( وفى آخره مختصر المزني )

الإمام ابى عبد الله محمد بن ادريس الشافعي  
أشرف على طبعه وياشر تصحيحه محمد زهرى النجار من علماء الأزهر  
الطبعة الثانية ٩٣ ١٣٠٣ هـ / ١٩٧٣ م -  
دار المعرفة للطباعة والنشر .

---

( ١٠٣ ) الأنوار لأعمال الأبرار (ومعه حاشيتان الكثرى وحاشية الحاج ابراهيم)  
يوسف الأردبيلي .

الطبعة الأخيرة ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م - مطبعة المدنى - القاهرة  
الناشر / مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع .

( ١٠٤ ) تحفة المحتاج بشرح المنهاج ( ومعه حواشي الشروانى والعبادى )

لشهاب الدين أحمد بن حجر الهيتمى الشافعي  
المطبعة الميمنية - مصر / أحمد الباي الحلبي ١٣١٥هـ

( ١٠٥ ) حاشية العلامة الشيخ الباجورى على شرح ابن قاسم الغزى

الشيخ ابراهيم الباجورى  
الطبعة الثانية - أعيد طبعه بالا وفتت ١٩٧٤م  
الناشر / دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت / لبنان

( ١٠٦ ) رحمة الأمة فى اختلاف الأئمة

تأليف ابى عبد الله محمد بن عبد الرحمن الدمشقى العثمانى الشافعي  
من علماء القرن الثامن الهجرى

عنى بطبعه خادم العلم / عبد الله بن ابراهيم الانصارى  
طبع على نفقة الشيخ خليفة بن حمد آل ثانى - أمير دولة قطر  
مطابع قطر الوطنية / ١٤٠١هـ / ١٩٨١م .

( ١٠٧ ) روضة الطالبين

للإمام زكريا يحيى بن شرف النووى الدمشقى المتوفى سنة ٦٧٦ هـ  
المكتب الاسلامى للطباعة والنشر - بيروت ١٣٩٥هـ / ٤ / ١٩٧٥م

( ١٠٨ ) زاد المحتاج بشرح المنهاج

الشيخ عبد الله بن الشيخ حسن الحسن الكوهجى  
حققه وراجعته خادم العلم / عبد الله بن ابراهيم الانصارى  
الطبعة الأولى - طبع على نفقة الشؤون الدينيه بدوله قطر

( ١٠٩ ) تكملة المجموع

محمد نجيب المطيعي

الناشر / دار الفكر

---

( ١١٠ ) السراج الوهاج على متن المنهاج

للشيخ محمد الزهري الغمراوي

اعادت طبعه بالا وفت - مكتبة المثني

---

( ١١١ ) الفتاوى الكبرى الفقيهيه ( وبهامشه فتاوى العلامة الرملي )

لابن حجر الهيتمي

صححه محمد الزهري الغمراوي / ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م

المطبعة الميمنية - مصر / أحمد البابي الحلبي ١٣٠٨هـ

دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع

---

( ١١٢ ) فتح العلام بشرح مرشد الأتام في الفقه على مذاهب السادة الشافعية

السيد محمد عبد الله الجرداني

أشرف على طبعه فضيلة الشيخ محمد الحجار / مكتبة الشباب المسلم حلب

---

( ١١٣ ) فتح الوهاب بشرح منهج الطلاب ( وبهامشه منهج الطلاب والرسائل الذهبية

للشيخ ابي يحيى زكريا الانصاري المتوفى سنة ٩٢٥ هـ

دار احياء الكتب العربية / عيسى البابي الحلبي وشركاه

---

( ١١٤ ) كفاية الأخيار في حل غاية الاختصار

للإمام تقى الدين أبي بكر بن محمد الحسيني الحصني الدمشقي الشافعي

عني بطبعه ومراجعتة خادم العلم / عبد الله بن ابراهيم الانصاري

طبع على نفقة الشؤون الدينية بدولة قطر .

---

( ١١٥ ) المجموع شرح المهذب ( ومعه فتح العرين والتلخيص الحبير )

للإمام أبي زكريا محي الدين بن شرف النووي المتوفى سنة ٦٧٦هـ

دار الفكر .

( ١١٦ ) مغنى المحتاج الى معرفة الفاظ المنهاج على متن المنهاج  
الشيخ محمد الشرييني الخطيب  
ملتزم الطبع والنشر / شركة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر  
١٣٧٧هـ / ١٩٥٨م

( ١١٧ ) منهاج الطالبين ( بهامش حاشيتي قليوبي وعميره )  
للإمام أبي زكريا يحيى بن شرف النووي المتوفى سنة ٦٧٦ هـ  
الطبعة الرابعة / دار الفكر .

د - الفقه الحنبلي

( ١١٨ ) الانصاف في معرفة الراجح من الخلاف على مذهب الامام أحمد بن حنبل  
تأليف الشيخ علاء الدين أبي الحسن علي بن سليمان المرادادى الحنبلي  
صححه وحققه / محمد حامد الفقي  
الطبعة الأولى ١٣٧٤هـ / ١٩٥٥م

( ١١٩ ) شرح منتهى الارادات  
للشيخ منصور بن يونس بن ادريس البهوتي المتوفى سنة ١٠٥١ هـ  
الناشر / عالم الكتب - بيروت .

( ١٢٠ ) العدة شرح العمدة في فقه الإمام أحمد بن حنبل رضى الله عنه  
تأليف / بهاء الدين عبد الرحمن بن ابراهيم المقدسي  
المشرف على التصحيح / السيد علي ابراهيم سالم  
الناشر / مكتبة الرياض الحديثه - الرياض

( ١٢١ ) المغني والشرح الكبير  
لشيخ الاسلام أبي محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المتوفى ٦٢٠ هـ  
طبعة جديدة بالأوفست بعناية جماعة من العلماء  
دار الكتاب العربي - بيروت - لبنان ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م

( ١٢٢ ) كشف القناع عن متن الاقناع  
للشيخ منصور بن يونس بن ادريس البهوتي المتوفى سنة ١٠٥١ هـ  
أمر بطبعه المغفور له الملك فيصل بن عبد العزيز طيب الله ثراه  
مطبعة الحكومه بمكة المكرمة ١٣٩٤هـ

هـ) الفقه الظاهري

(١٢٣) المحلي

أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم المتوفى سنة ٤٥٦ هـ  
منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت

و) الفقه الزيدي

(١٢٤) الروضة الندية شرح الدرر البهية

تأليف الامام أبي الطيب صديق بن حسن بن علي الحسين القنوجي البخاري  
تحقيق عبد الله الانصاري  
طبع على نفقة الشؤون الدينية بدولة قطر .

(١٢٥) السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار

لشيخ الاسلام محمد بن علي الشوكاني المتوفى سنة ١٢٥٠ هـ  
تحقيق / محمود ابراهيم زايد  
الطبعة الأولى الكاملة / دار الكتب العلمية / بيروت / لبنان ١٤٠٥ هـ  
توزيع / دار الباز / مكة المكرمة

ز) الفقه العام

(١٢٦) الاختيارات الفقهية من فتاوى ابن تيمية

اختارها علاء الدين ابو الحسن البعلي الدمشقي المتوفى سنة ٨٠٣ هـ  
الناشر / مكتبة الرياض الحديثة / الرياض

(١٢٧) أعلام الموقعين عن رب العالمين

تأليف شمس الدين ابي عبد الله محمد بن أبي بكر (المعروف بابن  
قيم الجوزيه) المتوفى عام ٧٥١ هـ  
تحقيق / محمد محي الدين عبد الحميد / دار الفكر

(١٢٨) زاد الميعاد في هدى خير العباد

للامام الحافظ ابي عبد الله بن القيم الجوزي المتوفى سنة ٧٥١ هـ  
الطبعة الثالثة / ١٩٧٣ م / ١٣٩٢ هـ



( ١٢٩ ) سبل السلام شرح بلوغ المرام من جمع أدلة الاحكام  
تأليف الامام محمد بن اسماعيل الكحلاني ثم الصنعاني (المعروف  
بالأمير) المتوفى سنة ١١٨٢ هـ  
علق عليه المرحوم محمد عبد العزيز الخولي  
الطبعة الرابعة ١٣٧٩ هـ / ١٩٦٠ م  
الناشر / شركة مصطفى الحلبي واولاده بمصر

( ١٣٠ ) فقه السنة

تأليف السيد سابق  
الناشر / دار الكتاب العربي - بيروت - لبنان

( ١٣١ ) الفقه على المذاهب الأربعة

تأليف عبد الرحمن الجزيري  
الناشر / دار الارشاد للتأليف والطبع

( ١٣٢ ) مجموع فتاوى ابن تيمية

شيخ الاسلام أحمد بن تيمية  
جمع وترتيب المرحوم عبد الرحمن بن قاسم  
طبع بأمر المغفور له الملك خالد بن عبد العزيز طيب الله ثراه  
أشرف على الطباعة المكتب التعليمي السعودي

( ح ) كتب أصول الفقه

( ٣٣ ) الاعتصام

ابو اسحق ابراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي الغرناطي  
الناشر / المكتبة التجارية الكبرى / مصر

( ١٣٤ ) شفاء الغليل في بيان الشبه والمخيل وسمالك التعليل

لابي حامد الغزالي : محمد بن محمد بن محمد الطوسي المتوفى سنة ٥٠٥ هـ  
تحقيق / د . حمد الكبيسي  
مطبعة الارشاد / بغداد

( ١٣٥ ) المشتصفي من علم الاصول

لأبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي المتوفى سنة ٥٠٥ هـ  
الطبعة الأولى / بالمطبعة الاميرية - بولاق - مصر

---

( ١٣٦ ) الموافقات في أصول الاحكام

للامام أبي اسحق ابراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي (المعروف  
بالشاطبي ) المتوفى سنة ٧٩٠ هـ  
تحقيق / محمد محي الدين عبد الحميد  
مطبعة المدني - الناشر / مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده

---

خامسا : سير وتاريخ وتراجم

---

( ١٣٧ ) أسد الغابة في معرفه الصحابة

عز الدين بن الأثير أبي الحسن علي بن محمد الجزري المتوفى سنة ٦٣٠ هـ  
الناشر / الشعب

---

( ١٣٨ ) الاصابة في تمييز الصحابة (ومعه الاستيعاب في اسماء الاصحاب)

للامام أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي الكناني العسقلاني  
الشافعي ( المعروف بابن حجر ) المتوفى سنة ٨٥٢ هـ  
مطبعة مصطفى محمد بمصر - ١٣٥٨ هـ  
الناشر / المكتبة التجارية الكبرى بمصر

---

( ١٣٩ ) البداية والنهاية

للحافظ ابن كثير المتوفى سنة ٧٧٤ هـ  
الطبعة الثانية ١٩٧٧ - الناشر / مكتبة المعارف - بيروت

---

( ١٤٠ ) ثعلبة بن حاطب الصحابي المفترى عليه

عداب محمود الحمش  
الطبعة الثانية

---

( ١٤١ ) الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام  
( ومعه السيرة النبوية لابن هشام )  
للإمام المحدث عبد الرحمن السهيلي  
تحقيق وتعليق / عبد الرحمن الوكيل  
الطبعة الأولى ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م - الناشر / دار الكتب الحديثه

---

( ١٤٢ ) السيرة النبوية لابن هشام  
لابي محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المتوفى سنة ٢١٨  
تحقيق / مصطفى السقا - ابراهيم الابيارى - عبد الحفيظ شلبي

---

( ١٤٣ ) عصمة الأنبياء والرد على الشبه الموجهة إليهم  
للدكتور محمد أبو النور الحديدي  
مطبعة الأمانة ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م .

---

( ١٤٤ ) قصص الأنبياء  
تأليف المرحوم عبد الوهاب النجار  
طبعة ١٣٨٦هـ / ١٩٦٦م  
الناشر / مؤسسه الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع

---

( ١٤٥ ) مع الأنبياء في القرآن الكريم  
تأليف عبد الفتاح طباره  
الطبعة السابعة / ١٩٧٩م / دار العلم للملايين / بيروت

---

( ١٤٦ ) النبوه والأنبياء  
للشيخ محمد علي الصابوني  
الطبعة الثانية ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م  
الناشر / مكتبة الغزالي

---

( ١٤٧ ) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة  
جمال الدين أبي المحاسن الأتابكي  
نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب

( ١٤٨ ) وفاء الوفا باخبار دار المصطفى  
نور الدين على بن أحمد المصرى السمهودى المتوفى سنة ٩١١ هـ  
تحقيق محمد محي الدين  
الطبعة الرابعة / ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م  
الناشر/ دار احياء التراث العربي / بيروت

---

سادسا : عقائد وأديان

---

( ١٤٩ ) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح  
للشيخ أحمد بن عبدالحليم ابن تيميه  
تقديم / على السيد أصبح المدني  
مطبعة المدني - القاهرة ١٣٧٩ هـ / ١٩٥٩ م

---

( ١٥٠ ) شرح الطحاوية في العقيدة السلفية  
القاضي علي بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي المتوفى سنة ٧٩٢ هـ  
تحقيق / أحمد محمد شاكر  
مكتبة الرياض الحديثه

---

( ١٥١ ) مدارج السالكين بين منازل اياك نعبد واياك نستعين  
للامام السلفي محمد بن ابي بكر بن ايوب (المعروف بابن قيم الجوزيه)  
المتوفى سنة ٧٥١ هـ  
تحقيق / محمد حامد الفقي  
مطبعة السنة المحمدية ١٣٧٥ هـ / ١٩٥٥ م

---

( ١٥٢ ) مقارنة الأديان / المسيحية  
تأليف الدكتور أحمد شلبي  
الطبعة الخامسة / ١٩٧٧ م - الناشر / مكتبة النهضة المصرية

---

( ١٥٣ ) الملل والنحل ( بهامش الفصل في الملل والأهواء والنحل )  
للامام ابي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني  
الطبعة الثانية - اعيد طبعه بالا وفتت ١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥ م  
الناشر/ دار المعرفة للطباعة والنشر .

سابعاً : كتب اللغة

١٥٤ ) تاج العروس من جواهر القاموس

محمد مرتضى الزبيدي

منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت / لبنان

١٥٥ ) تهذيب الصحاح

تأليف محمود بن أحمد الزنجاني

تحقيق / عبد السلام هارون - أحمد عبد الغفور عطار

الناشر/ دار المعارف بمصر

١٥٦ ) الصحاح في اللغة والعلوم ( تجديد صحاح العلامة الجوهري

والمصطلحات العلمية والفنية للمجامع والجامعات العربية)

تقديم العلامة الشيخ عبد الله العلايلي

اعداد وتصنيف / نديم مرعشلي - أسامة مرعشلي

دار الحضارة العربية - بيروت / لبنان - طبعة أولى

١٥٧ ) القاموس المحيط

محب الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي

المؤسسة العربية للطباعة والنشر

١٥٨ ) الكليات ( معجم في المصطلحات والفروق اللغوية )

لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي المتوفى سنة ١٠٩٤

قابلة واعد للطبع / د . عدنان درويش - محمد المصري

الناشر/ منشورات وزاره الثقافة والارشاد القومي - دمشق ١٩٧٤ م

١٥٩ ) لسان العرب

للعلامة ابن منظور

اعداد بناء ه على الحرف الأول من الكلمة يوسف خياط ونديم مرعشلي

دار لسان العرب / بيروت / لبنان .

( ١٦٠ ) محيط المحيط  
المعلم بطرس البستاني  
طبع في لبنان في مطابع مؤسسة جواد للطباعة / الناشر - مكتبة لبنان

---

( ١٦١ ) مختار الصحاح  
للشيخ الامام محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي  
عني بترتيبه / محمود خاطر  
مراجعة / لجنة مركز تحقيق التراث بدار الكتب المصرية  
الناشر / الهيئة المصرية العامة للكتاب

---

( ١٦٢ ) معجم مقاييس اللغة  
أحمد بن فارس بن زكريا  
تحقيق وضبط / عبد السلام محمد هارون  
الطبعة الثانية ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م  
شركة مصطفى البابي الحلبي

---

( ١٦٣ ) المعجم الوسيط  
د . ابراهيم أنيس ورفقاه

---

( ١٦٤ ) الوافي في العروض والقوافي  
صنعة الخطيب التبريزي  
تحقيق / الاستاذ عمر يحيى - د . فخر الدين قباوه  
الطبعة الثانية ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م الناشر / دار الفكر .

---

ثامنا : كتب النظم الاسلامية

---

( ١٦٥ ) الأحكام السلطانية  
للقاضى أبى يعلى بن الحسين الفراء الحنبلى المتوفى سنة ٤٥٨هـ  
صححه وعلق عليه / محمد حامد الفقى  
الطبعة الثانية ١٣٨٦هـ / ١٩٦٦م  
الناشر / شركة مصطفى البابي الحلبي واولاده بمصر

( ١٦٦ ) الأحكام السلطانية والولايات الدينية  
تأليف / أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البغدادي  
المتوفى سنة ٤٥٠ هـ  
الطبعة الثالثة ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣ م شركة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر

---

( ١٦٧ ) الملكية في الشريعة الإسلامية طبيعتها ووظيفتها وقيودها  
دراسة مقارنة بالقوانين والنظم الوضعية  
الدكتور / عبد السلام داود محمد العبادي  
الطبعة ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م  
مكتبة الأقصى - عمان - الأردن

---

( ١٦٨ ) الملكية ونظرية العقد في الشريعة الإسلامية  
للإمام محمد أبو زهره  
دار الاتحاد العربي للطباعة - ملتزم الطبع والنشر / دار الفكر العربي

---

( ١٦٩ ) نظام الزكاة والضرائب في المملكة العربية السعودية  
د . محمد عاطف البنا  
الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م الناشر / دار العلوم للطباعة والنشر

---

تاسعا : كتب متنوعة  
( ١٧٠ ) الأحوال الشخصية  
للإمام محمد أبو زهره  
الناشر / دار الفكر العربي

---

( ١٧١ ) بحث مقارن في الزكاة  
تأليف الدكتور / محمود علي أحمد  
دار الهدى للطباعة والنشر ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م

---

( ١٧٢ ) التطبيق المعاصر للزكاة  
د . شوقي اسماعيل شحاته  
الطبعة الأولى ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م  
مطبعة النبوية - درب الأحمر  
الناشر / دار الشروق / جده





| الصفحة   | الموضوع                                                                   |
|----------|---------------------------------------------------------------------------|
| أ        | الاهـداء                                                                  |
| ب - ج    | شكر وتقدير                                                                |
| ٤ - ١    | المقدمة                                                                   |
|          | " الباب الأول "                                                           |
|          | —————                                                                     |
| ١٦٧ - ٦  | الاعتدال في جمع المال وانفاقه<br>وتحتة ثلاثة فصول<br><u>الفصل الأول :</u> |
| ٣١ - ٦   | مفهوم الترف والفرق بينه وبين الغنى المحمود                                |
| ٦        | تعريف الترف                                                               |
| ١٠       | الغنى المحمود                                                             |
| ١٠       | ( ١ ) غنى النفس                                                           |
| ١٣       | ( ٢ ) غنى المال                                                           |
|          | <u>الفصل الثاني :</u>                                                     |
| ١٢٦ - ٣٣ | احترام الاسلام للملكية                                                    |
| ٣٣       | الملكية الخاصة ( الفردية )                                                |
| ٣٧       | احترام ملكية المسلم وغير المسلم في الدوله الاسلاميه                       |
| ٣٩       | الغضب                                                                     |
| ٤٦ - ٤٠  | ضوابط الشرع في المحافظة على المال                                         |
| ٤٠       | احترام الاسلام للمال في أيدي أصحابه                                       |
| ٤١       | النهي عن الاسراف                                                          |
| ٤١       | الجحر على السفیه                                                          |
| ٤٤       | حفظ مال المسلم بعد مماته                                                  |
| ٤٤       | تحريم السرقة                                                              |
| ٤٥       | تحريم السطو                                                               |
| ٥٧ - ٤٧  | الوسائل المحرمة في تنمية الملكية                                          |
| ٤٧       | تحريم الغش                                                                |

| الصفحة   | الموضوع                            |
|----------|------------------------------------|
| ٤٧       | تحريم الاحتكار                     |
| ٤٨       | تحريم الربا                        |
| ٤٩       | انواع الربا                        |
| ٥١       | اسباب تحريم الربا                  |
| ٥٢       | أدلة تحريم الربا                   |
| ٥٥       | الرشوة                             |
| ٥٥       | تعريف الرشوة                       |
| ٥٥       | الأدلة على تحريم الرشوة من الكتاب  |
| ٥٦       | الأدلة على تحريم الرشوة من السنة   |
| ٥٨ - ١٢٦ | الحقوق الواجبة في الملكية          |
| ٥٨       | الزكاة                             |
| ٥٨       | معنى الزكاة في اللغة               |
| ٥٩       | معنى الزكاة شرعاً                  |
| ٦٠       | دليل فرضيه الزكاة                  |
| ٦١       | شروط الزكاة                        |
| ٦٢       | مقادير الزكاة                      |
| ٦٢       | زكاة الذهب                         |
| ٦٣       | زكاة الفضة                         |
| ٦٣       | أدلة زكاة الذهب والفضة             |
| ٦٤       | هل تجب الزكاة من عيني الذهب والفضة |
| ٦٦       | زكاة عروض التجارة                  |
| ٦٦       | أدلة وجوب زكاة العروض              |
| ٦٧       | مم يخرج التاجر زكاته ؟             |
| ٦٨       | الرأى الراجح                       |
| ٦٨       | الخارج من الأرض                    |
| ٦٨       | زكاة الزروع والثمار وأدله وجوبها   |
| ٦٩       | شروط وجوب زكاة الزروع              |
| ٦٩       | الأصناف التي تجب فيها الزكاة       |

| الصفحة | الموضوع                                                |
|--------|--------------------------------------------------------|
| ٧١     | هل الزكاة على الدخل الصافي أم الدخل الاجمالي           |
| ٧٣     | تحديد مقدار زكاة الزروع                                |
| ٧٤     | زكاة المعدن والركاز                                    |
| ٧٤     | زكاة المعادن                                           |
| ٧٦     | ملكية المعادن                                          |
| ٧٧     | الركاز                                                 |
| ٧٧     | دليل وجوب زكاة الركاز                                  |
| ٧٧     | مقدار الواجب في الركاز                                 |
| ٧٨     | مصاريف الركاز                                          |
| ٧٩     | <u>زكاة بهيمة الأنعام</u>                              |
| ٧٩     | شروط زكاة الماشية                                      |
| ٨٠     | زكاة الابل                                             |
| ٨١     | زكاة البقر                                             |
| ٨١     | زكاة الغنم                                             |
| ٨٢     | <u>مصارف الزكاة</u>                                    |
|        | الفقراء والمساكين                                      |
| ٨٣     | حد الغنى المانع من أخذ الزكاة                          |
| ٨٦     | مقدار ما يعطى للفقير والمساكين                         |
| ٨٦     | العاملون عليها                                         |
| ٨٦     | المؤلفة قلوبهم                                         |
| ٨٧     | وفي الرقاب                                             |
| ٨٨     | والغارمون                                              |
| ٨٩     | وابن السبيل                                            |
| ٨٩     | <u>مسئولية الامام في جمع الزكاة</u>                    |
| ٩١     | لو دفع الشخص الزكاة دون الرجوع الى الامام هل تقبل منه؟ |
| ٩٤     | وجوب قتال مانعي الزكاة                                 |
| ٩٦     | اثم مانع الزكاة                                        |
| ١٠٠    | النفقة على النفس والعيال                               |

| الصفحة  | الموضوع                                                               |
|---------|-----------------------------------------------------------------------|
| ١٠١     | النفقة على الزوجة                                                     |
| ١٠٣     | النفقة على الأولاد                                                    |
| ١٠٧     | النفقة على الوالدين                                                   |
| ١١٩-١٠٩ | الضريبة                                                               |
| ١١٠     | رأى الامام الغزالي                                                    |
| ١١٥     | آراء بعض العلماء بشأن الضريبة                                         |
| ١١٨     | تنديد العلماء بالضرائب غير العادله                                    |
| ١٢٠     | هل يحق للسلطان نزع الملك من غير رضى صاحبه                             |
| ١٢٤     | تقرير الاسلام للملكية الجماعيه أو العامه                              |
| ١٦٧-١٢٨ | <u>الفصل الثالث : الوجوه الممنوعه في انفاق المال</u>                  |
| ١٣١-١٢٨ | انفاق المال فى محاربة الاسلام                                         |
| ١٥١-١٣٢ | انفاق المال فيما حرم الله تعالى                                       |
| ١٣٢     | انفاق المال فى تعاطى الخمر                                            |
| ١٣٢     | تعريف الخمر                                                           |
| ١٣٤     | تحريم الخمر                                                           |
| ١٣٥     | ابتلاء الأمة الاسلاميه بالخمر                                         |
| ١٣٨     | مضار الخمر الصحية والاجتماعية                                         |
| ١٤٨-١٤٠ | انفاق المال فى الميسر                                                 |
| ١٤٠     | تعريف الميسر                                                          |
| ١٤٠     | دليل تحريم الميسر                                                     |
| ١٤١     | الكلام عن انفاق المال فى الميسر                                       |
| ١٤٣     | عرض لأقوال العلماء عن اللعب بالشطرنج<br>إذا لم يكن على وجه القمار . . |
| ١٤٨     | الرأى الراجح                                                          |
| ١٥١-١٤٩ | انفاق المال فى الزنى                                                  |
| ١٤٩     | دواعى الزنا                                                           |
| ١٥٧-١٥٢ | انفاق المال فى التوسع فى المباحات                                     |

| الصفحة  | الموضوع                                                                      |
|---------|------------------------------------------------------------------------------|
| ١٦٧-١٥٧ | الجور في انفاق المال                                                         |
| ١٥٧     | تفضيل الأولاد على بعضهم البعض في الهبة                                       |
| ١٥٧     | معنى الهبة ووجه تحريمها والأدلة على منع تفضيل الأولاد بعضهم على بعض . .      |
| ١٥٨     | اختلاف العلماء في حكم تفضيل بعض الأولاد في الهبة                             |
| ١٦٧-١٦٤ | ب - انفاق المرأة من مال زوجها بغير إذنه<br>" الباب الثاني "                  |
| ٣٤٧-١٦٩ | ( موقف المترفين من العقيدة )                                                 |
| ٢٦٤-١٦٩ | <u>الفصل الأول</u> : موقف المترفين من عقيدة التوحيد                          |
| ١٦٩     | تسهيّد :                                                                     |
| ١٧٣     | موقف المترفين من دعوة التوحيد على لسان نوح عليه السلام                       |
| ١٧٨     | موقف المترفين من دعوه التوحيد على لسان ابراهيم عليه السلام                   |
| ١٧٨     | دعوة ابراهيم عليه السلام لأبيه آزر                                           |
| ١٨٢     | دعوة ابراهيم عليه السلام قومه لتوحيد الله                                    |
| ١٩٠     | محاجة ابراهيم عليه السلام للنمرود                                            |
| ١٩٤     | دعوة التوحيد على لسان موسى عليه السلام للطاغية فرعون                         |
| ٢٠٠     | اتهام موسى عليه السلام بالسحر                                                |
| ٢٠٤     | لقاء موسى عليه السلام والسحرة عند فرعون                                      |
| ٢٠٨     | تهديد فرعون للسحرة                                                           |
| ٢١٢     | طلب فرعون من وزيره بناء الصرح                                                |
|         | موقف المترفين من توحيد الله تعالى على لسان محمد صلى الله عليه وسلم . . . . . |
| ٢١٥     |                                                                              |
| ٢١٩     | الأنموذج الأول الدال على توحيد الله من القرآن                                |
| ٢٢٧     | النموذج الثاني                                                               |
| ٢٣٨     | شبهة اتخاذ الله تعالى ولدا                                                   |
| ٢٣٨     | قول اليهود أن عزير ابن الله                                                  |
| ٢٤١     | قول النصارى عيسى ابن الله                                                    |
| ٢٤٢     | الملكانيه                                                                    |
| ٢٤٣     | النسطوريه                                                                    |

| الصفحة    | الموضوع                                                                              |
|-----------|--------------------------------------------------------------------------------------|
| ٢٤٤       | اليعقوبية                                                                            |
| ٢٤٦       | رد القرآن الكريم على عقيدة النصارى فى المسيح                                         |
| ٢٥٣       | الرد على احتجاج النصارى لتأليه عيسى كونه من غير أب                                   |
| ٢٥٦       | ادعاء كفار العرب بأن الملائكة بنات الله تعالى                                        |
| ٢٦٤       | مناقشة بعض آيات القرآن الكريم لفرية اتخاذ الله ولدا                                  |
| ٣٦٩ - ٣١٧ | <u>الفصل الثانى : موقف المترفين من الرسل عليهم السلام</u><br>وذكر شبههم والرد عليهما |
| ٢٦٩       | تمهيد                                                                                |
| ٢٧١       | الطعن فى الرسل عليهم السلام لأنهم بشر                                                |
| ٢٧٤       | مواجهة المترفين نوح عليه السلام بهذه الشبهة                                          |
| ٢٧٦       | مواجهة نبي الله هود عليه السلام بالطعن فى البشريه                                    |
| ٢٧٨       | مواجهة نبي الله صالح عليه السلام بنفس الطعن                                          |
| ٢٨١       | مواجهة شعيب عليه السلام بهذا الطعن                                                   |
| ٢٨٢       | توجيه الشبهة لموسى عليه السلام من فرعون                                              |
| ٢٨٤       | انكار مترفى مكة كون الرسول صلى الله عليه وسلم بشرا                                   |
| ٢٨٦       | الرد على هذه الشبهة                                                                  |
| ٢٩١       | القاء المترفين شبهة السحر على الانبياء عليهم السلام                                  |
| ٢٩٣       | القاء شبهة السحر على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم                                   |
| ٣٠١       | تعنت المترفين مع الرسل عليهم السلام وطلب الخوارق                                     |
| ٣٠١       | طلب المعجزة من صالح عليه السلام                                                      |
| ٣٠٣       | تعنت مترفى مكة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم                                       |
| ٣٠٦       | تعنت بني اسرائيل مع موسى عليه السلام                                                 |
| ٣١٠       | الاستهزاء بالرسول عليهم السلام                                                       |
| ٣١٨       | <u>الفصل الثالث : موقف المترفين من عقيدة البعث وانكار الجزاء</u>                     |
| ٣٢١       | موقف مترفى مكة من البعث                                                              |
| ٣٢٣       | محاورة القرآن الكريم لمنكرى البعث والرد على شبهتهم احياء العظام وهي رميم             |

| الصفحة    | الموضوع                                                                                                                      |
|-----------|------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
| ٣٢٥       | الرد على انكارهم البعث بعد أن يصيروا ترابا                                                                                   |
| ٣٢٩       | شبهة طلب إعادة الآباء كدليل على صحة البعث والرد عليها                                                                        |
| ٣٣١       | خاتمة الفصل                                                                                                                  |
|           | <u>الفصل الرابع :</u>                                                                                                        |
| ٣٣٥ - ٣٤٧ | موقف المترفين من القرآن الكريم وذكر شبههم والرد عليها ادعاهم أن الرسول صلى الله عليه وسلم أخذ القرآن الكريم عن اهل الكتاب .. |
| ٣٣٦       |                                                                                                                              |
| ٣٤٥       | تأمر المترفين الكفار على اللغو عند تلاوة القرآن الكريم                                                                       |
| ٣٤٦       | شراء لهو الحديث بدل القرآن                                                                                                   |
|           | " الباب الثالث "                                                                                                             |
| ٣٤٩ - ٣٨١ | ( اخلاق المترفين وعاقبة ترفهم )                                                                                              |
|           | <u>الفصل الأول : الاسراف</u>                                                                                                 |
| ٣٤٩       | تعريف الاسراف والتبذير                                                                                                       |
| ٣٤٩       | الاسراف فى المسكن                                                                                                            |
| ٣٥١       | الاسراف فى اللباس                                                                                                            |
| ٣٥٥       | الاسراف فى الأكل والمشرب                                                                                                     |
| ٣٥٧       | الاسراف فى الولائم                                                                                                           |
| ٣٦٤       | الاسراف فى الكلام                                                                                                            |
| ٣٦٩       | الاسراف فى النوم                                                                                                             |
| ٣٧٥       |                                                                                                                              |
|           | <u>الفصل الثانى :</u>                                                                                                        |
| ٣٨٢       | الكبر واحتقار المستضعفين                                                                                                     |
| ٣٨٢ - ٤٠١ | تحريم الكبر                                                                                                                  |
| ٣٨٦       | قصة المتكبر قارون                                                                                                            |
| ٣٩٢       | تكبر مترفو مكة                                                                                                               |
| ٣٩٧       | ذم الكبر                                                                                                                     |
|           | <u>الفصل الثالث :</u>                                                                                                        |
| ٤٠٢ - ٤١٩ | خطر الترف على الأمم قديما وحديثا                                                                                             |

| الصفحة    | الموضوع                                               |
|-----------|-------------------------------------------------------|
| ٤٠٤       | ( قصة سبأ ) نموذج قرآني لخطر الترف وعواقبه            |
| ٤١٣       | أمثلة أخرى من القرآن لما صنعه الترف بالأمم السابقة    |
|           | <u>الفصل الرابع :</u>                                 |
| ٤٢٠ - ٤٤١ | سنة الله في عقاب المترفين ونماذج قرآنية لهذه العقوبات |
| ٤٢٤       | الطوفان                                               |
| ٤٢٥       | ريح صرصر                                              |
| ٤٢٧       | الصاعقه                                               |
| ٤٢٩       | عقاب بحجارة من سجيل                                   |
| ٤٣٢       | الغرق والهلاك في اليم                                 |
| ٤٣٣       | قصة صاحب الجنتين                                      |
| ٤٣٨       | الاستئصال سنة لم تتخلف الا في قوم محمد                |
| ٤٤٣       | تفسير آيات الترف                                      |
| ٤٥٠       | الخاتمة                                               |
| ٤٥٤       | الوصايا والمقترحات                                    |
| ٤٦٠       | فهرس الآيات الكريمة                                   |
| ٤٧٣       | فهرس الاحاديث الشريفة                                 |
| ٤٨٠       | فهرس المراجع                                          |
| ٥٠٨       | فهرس الموضوعات                                        |